العدد الخامس

السنه ٢٧ • جمادى الأولى ١٣٨٩ • يوليو ١٩٦٩

الثمن ١٠ قروش

منبر الإسلام

مع العدد هدية تفسير سور" الإسراء والكهف ومريم"

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها
المجلس
الأعلى
للشئون
الإسلامية
فى غرة كل شهر عربى

العدد الخامس • السنة ٢٧ • جمادى الأولى ١٣٨٩

رئيس
التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

"نصر من الله
وفتح قريب
وبشر المؤمنين"

صدق الله العظيم

الإشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش	في الجمهورية العربية المتحدة
٨٠ قرشا	للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوي قيمة هذه العملة في البلاد الأخرى

تقبل كوبونات البريد الدولي ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان

٣ شارع الامير قدادار
المتفرع من ميدان التحرير
القاهرة - تليفون ٢٨١٥٦

من محتويات العدد

● حديث خاص للسيد حسين الشافعى الى منبر الاسلام .

القاهرة تلتقى باخوة العقيدة فى غرب افريقية .

● مسابقة جمال الدين الأفغانى التى ينظمها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

● سورة البروج .
الاستاذ أحمد حسين

● انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .
فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

● مفتراة هذه التوراه .
الدكتور أحمد الحوفى

● شهيد بلا شهادة .
الاستاذ البهى الخولى

● من ذكريات جمادى الاولى .
فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

● الاعجاز التشريعى فى القرآن الكريم .
المستشار على على منصور

● براعة الاستهلال وروعة الاساليب .
فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى

● حقوق الجوار فى الفقه الاسلامى .
الدكتور محمد سلطان

● الشريعة الاسلامية والآداب .
المستشار محمد خاطر

● مع القرآن الكريم .
الدكتور عبد الله محمود شحاته

● مشكلة التربية وتطور العلم .
الدكتور محمد غلاب

● اللغة العربية فى العالم الاسلامى .
الدكتور أحمد شلبى

● الرسول الانسان .
الاستاذ عبد المنعم حماده

● فضائل النبى فى القرآن .
فضيلة الشيخ عطيه محمد شحات

● الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة .
فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

● فن المدائح النبوية بين النشأة والتأريخ .
الاستاذ محمد دياب

● ماذا تعرف عن العالم الاسلامى .
الدكتورة عنايات الطحاوى

● زائر الليل « قصة العدد » .
الاستاذ حسين الطوخى

حديث خاص للسيد حسين الشافعى الى منبر الإسلام

« أحمد الله على أن أهم أغراض هذه الجولة بين اخوة العقيدة فى شعوب غرب افريقية ، هو أنه لا غرض . ليست لدينا سلع نعرضها ، أو صفقات نعقدها ، **أو اتجاهات ندعوا اليها ٠٠ فهى زيارات ودية خالصة ، يتحتم القيام بها بين الاخوة ، وهى تعنى ما هو أكبر من المصالح ، وما هو أكبر من تبادل** المنافع ٠٠ انها وحدة الارض والعقيدة والتاريخ ، **تربطنا بوحدة النضال ، وبوحدة الامل ، وبوحدة المصير »** .

بهذه العبارات البسيطة العميقة ، بدأ السيد حسين الشافعى عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، **ومبعوث الرئيس جمال عبد الناصر الخاص** الى موريتانيا ، والسنغال ، وغينيا ، ونيجيريا ، والكونغو كينشاسا والكونجو برازفيل .. بدأ بهذه العبارات الرصينة **جوابه على سؤال مندوب « منبر الاسلام »** عن أهم أغراض هذه الجولة . وعن امكانية القول .

القاهرة تلتقى بأخوة العقيدة .. فى غرب إفريقية

قلت : اذن لا يمكن القول بأن هذه الزيارات تهدف الى تنسيق الجهود العربية الافريقية فى الامم المتحدة مثلا اذا ما أعيدت قضية فلسطين وعدوان الخامس من يونية على المنظمة الدولية ؟ ..

قال سيادته : ان هذه الجهود منسقة بحمد الله ، منذ أحسنت مصر توثيق علاقاتها ـ غداة انتصار ثورة ٢٣ يوليو ـ بدول افريقيا المتحررة ، على قواعد الصداقة ، والاحترام المتبادل ، والتعاون على تطهير القارة من آثار الاستعمار .. **فقد خطط الرئيس القائد جمال عبد الناصر لهذه الثورة ، على أن تكافح فى دوائر ثلاث : العربية ، والافريقية ، والاسلامية .** وليس صدفـــة أن تلتقى هذه الدوائر الثلاث فى هذه الجولة .. افريقيا أرضنا ، والعرب قومنا ، والاسلام عقيدتنا .. فكيف يمكن أن يكون هناك انفصال أو انعزال أو تفرقة بين الاخ وأخوته الذين فرقهم الاستعمار ؟ . اننا نعرف أن أصحاب المطامع فى ثروات افريقيا وخاماتها الهائلة ، ينظرون الى كل ترابط وتلاحم بين شعوبها على أنه أكبر الخطر على مطامعهم ، وسوف يرتبون على هذه **الجولة كثيرا من النتائج والاستنتاجات الخاطئة** .. فان الحقيقة التى لا تحتاج الى ايضاح ، هى ان ثورة مصر قدمت المثل الناجح فى دوائره الطبيعية ، وهذه الدول بل الشعوب المناضلة من حولنا ، قد تعاطفت مع ثورتنا منذ اعلانها ، ورأت وما تزال ترى فى هذه الثورة الطليعة الافريقية لحركة تحرير القارة .. وقد تمثلت هذه الحركة فى أمرين خطيرين : **أولهما اعتبار الاستعمار والتعرفة العنصرية وباء يجب تطهير القارة منه ، والثانى تحطيم خرافة الاستعمار التى كانت تنادى بافريقيا شمال الصحراء ، وآفريقيا جنوب الصحراء ، طبقا لسياسة التمزيق التى تجاوزت هذا التقسيم الى قلب كل شعب افريقى ، ثم الى القبيلة الواحدة** ، فقد تناولها التمزيق ، نصفها يتكلم الفرنسية ونصفها يتكلم الانجليزية ، واللغة المحلية للقبيلة تكتب باللاتينية ، امعانا فى تحطيم أى بذرة للقومية .

لقد ألقت ثورة مصر كثيرا من الاضواء على هذه المؤامرات ، واضاءت فى القارة مشاعل الحرية ، ضد أولئك الذين يتابعون مثل هذه الزيارات ، ويتمنون أن تبقى وتثبت عوامل التمزيق ، أمام الزلزال الذى حدث فى القارة منذ عام ١٩٥٢ .

نحن مع نيجيريا المتحدة

قلت : وهل هناك دافع معين اقتضى القيام بهذه الجولة فى الوقت الحاضر أعنى والموقف ملتهب على خطوط المواجهة بين العرب واسرائيل ؟

قال : ان هذا الموقف يتقرر مصيره هنا على أرض المعركة .. وبأسلوب واقعى يفرض نفسه ، **وهو على أية حال ليس أسلوب كلام ..** بل لعل الموقف فى نيجيريا هو الذى أوحى بهذه الجولة .. كان ذلك فى حديث بين السيد الرئيس وبينى ، فان انشغاله الكامل بالتزامات المعركة ليل نهار ، لم يمنعه من التفكير فى الاشقاء الذين يخوضون على أرضهم نفس المعركة .. ورغم الموقف المتدهور على رؤوس المعتدين فى خطوط المواجهة ، فاننا قد بادرنا الى الوقوف مع الشعب النيجيرى الشقيق ، وهو يدافع عن وحدة أراضيه ، ضد القوى الاستعمارية التى تدعم الانفصال وتسلحه وهى ذات مصلحة فيه .. لقد وجدنا نيجيريا معنا فى المعركة فكان لابد ان نكون مع نيجيريا بغير عودة .. لقد تمزقت الاحزمة الاستعمارية التى كانت تحول دون تقارب وتعاون العرب والافارقة ..

البدء بموريتانيا

قلت : ليس من شك فى أننا نرتبط عضويا بشعوب أفريقيا ، ولكن البلاد التى تزورونها تعلق على لقائكم أهمية كبرى .. ليس فى نيجيريا فقط .

قال : يقضى البرنامج الموضوع للزيارة بأن نمضى فى كل بلد ثلاثة أيام كحد أدنى ، ونحن مرتبطون بخطوط الطيران ، وهى وسيلة المواصلات الوحيدة التى فرضها الاستعمار على حركة التنقل بين بلدان افريقيا ، حتى لا يحدث التلاقى بين الجيرة عبر الجبال والغابات والانهار ، وحتى ينفصل الترابط العضوى بين شمال الصحراء وجنوب الصحراء .. كل ذلك الان الى زوال .

ستبدأ الرحلة بدولة موريتانيا ، بلقاء ذلك الشعب العربى الافريقى المسلم ، الذى تمثلت فيه عملية التمزيق ، وتحمل فى نضاله وصبره فوق طاقته ، وقد تجاوب معنا فى كل موقف ، ولم تستطع « فرنسة » اللغة أن تعوق الشعب الموريتانى أو تحول دون احتفاظه بقوميته وعقيدته .. وان هناك كثيرا من وجوه الشبه بين نضال الشعبين الشقيقين ، الموريتانى والنيجيرى ، فكلاهما يعانى من التمزيق ومحاربة العقيدة ، مما يؤكد وحدة الفكر فى المخطط الاستعمارى لنهب ثروات القارة وتقسيمها بين المغامرين الاجانب .

القاهرة فى الخرطوم

قلت : أليست هناك مساعدات مطلوبة من الجمهورية العربية المتحدة ؟ ..

قال : ليست مهمة بعثتنا .. ربما يكون من الافضل أن يتولى هذه المسألة وفد اقتصادى عربى .

قلت : ألا ينتظر أن تجرى لقاءات سياسية عربية افريقية على مستوى الاتحاد الاشتراكى العربى ؟ ..

قال : هذه أيضا مهمة تنظيمنا السياسى . أما هذه الزيارات الرسمية ، فلا تنطوى على غرض ، **ولكنها تشمل كل غرض ..** ان القاهرة تحس بأنها غداة انتصار ثورة ٢٣ يوليو ، محط أنظار الشعوب المتحررة فى القارة ، وهى لا تستطيع أن تغفل لحظة عن الترابط مع هذه الشعوب ، وأن تبذل أقصى ما تستطيع لكى تحتفظ بصداقة هؤلاء الاخوة .. فقد زالت الحواجز ..

قلت : خصوصا بيننا وبين السودان .. لماذا لم تشمل جولتكم زيارة الخرطوم ؟ ..

قال : الخرطوم فى القاهرة الان ، وستكون القاهرة فى الخرطوم دائما ، وهذه هى طبيعة الامور ، بعد قيام الثورة الحقيقية التى بدأت تصحيح الاوضاع فى السودان . لقد استقبل الشعب العربى فى مصر ثورة السودان الحقيقية بكل مشاعر الاعجاب والتقدير والتأييد ، ذلك لان مصالح وادى النيل لا يمكن أن تتجزأ ، ولان الحزبية والطائفية والقبلية كانت تساعد الاستعمار على تحقيق مخططه فى فصل الرأس عن الجسد .. **لكن ما وصلته يد الله لا يمكن أن تقطعه يد مخلوق .**

حقيقة الموقف ..

قلت : واذا سئلتم فى جولتكم عن آخر تطورات الموقف فى خطوط المواجهة بين العرب واسرائيل ؟ .

قال : ان الاتصال دائم لا ينقطع بين القاهرة وبين اخوة العقيدة فى عواصم أفريقيا المتحررة .. وكل المسئولين فى هذه الدول الشقيقة يعلمون أننا لسنا على استعداد لاية تنازلات ، وكل رأى أو قرار يتخذ من جهة أو أخرى بشأن الموقف بعيدا عن قرار الانسحاب غير المشروط الذى أصدره مجلس الامن ، لا مكان له عندنا ، ونحن فى صمودنا لا نتمسك الا بمبدأ واحد هو : **« ان ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد الا بالقوة ».**

التشريع
الفقه
الأبحاث
الدراسات الصوفية
في
الإسلام

سورة البروج

قتل المؤمنين وتعذيبهم وانتقام الله لهم

•

القرآن العظيم

•

العرش واللوح المحفوظ

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

● والسماء ذات البروج

● واليوم الموعود

● وشاهد ومشهود

● قتل أصحاب الاخدود

● النار ذات الوقود

● اذ هم عليها قعود

● وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود

● وما نقموامنهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد

● الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد

● ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق

● ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير •

● ان بطش ربك لشديد

● أنه هو يبدىء ويعيد

● وهو الغفور الودود

● ذو العرش المجيد

● فعال لما يريد

● هل أتاك حديث الجنود

● فرعون وثمود

● بل الذين كفروا فى تكذيب

● والله من ورائهم محيط

● بل هو قرآن مجيد

● فى لوح محفوظ

سورة مكية

الاتفاق على أنها سورة مكية بلا خلاف ، وآياتها ونظمها وموضوعها يعكس ذلك ويؤكده ، ولابد أن تكون نزلت بعد فترة من بدء قيام الدعوة ، عندما بدأت قريش تدرك خطر دعوة التوحيد ، ومقاومة الشرك والوثنية ، والتسوية بين الجنس البشرى ، على مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية ، فانتقلت من مرحله الاعراض والهزء والسخرية بالدعوة الجديدة ، الى مرحلة اضطهاد الضعفاء والارقاء من معتنقيها ، يقول **ابن اسحق**: فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصمد لهم ويعصمه الله منهم .

وكان بلال مولى لبعض بنى جمح ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ، فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم ياتى بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول بلال وهو فى ذلك البلاء : أحد ، أحد .

وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول أحد ، أحد فيقول والله يا بلال انه أحد أحد . وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وابيه وامه ، وكانوا اهل بيت اسلام ، اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكه ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة : فاما أمه فقد قتلوها وهى تأبى الا الاسلام .

سورة البروج تنزل

فى هذا الجو نزلت سورة البروج على رسول الله ، تسرى عنه ، وتثبت فؤاده وايمان المؤمنين ، **بان الله يسمع ويرى ، وانه يقف بالمرصاد للطغاة والبغاة والجلادين ، آخذ بتلابيبهم فى الدنيا والاخرة ، كما فعل بأصحاب الاخدود الذين عذبوا المؤمنين فيما سبق وحرقوهم بالنار** ، فذاقوا وبال أمرهم .

وتبدأ السورة بأسلوب القرآن البيانى بالقسم اظهارا لعظمة المقسم به ، وكشفا عن عظمة الله الخالق .

والسماء ذات البروج .

السماء : من السمو أى العلو سما يسمو سموا أى علا فالسماء هى كل ما علا الانسان وهو ما اصبح يطلق عليه فى لغة العلم الحديث الفضاء الخارجى »

البروج : جمع برج ، والبرج كل ما ظهر وارتفع وسميت الحصون بالبروج لظهورها وارتفاعها والبرج الحصن والقصر . جاء فى القرآن الكريم ، **اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** (النساء ٧٨) والبروج هنا فى معنى الايه على قول بعض المفسرين منازل الشمس والقمر الاثنى عشر ، وهى المواقع التى يبدو للعين أن الشمس والقمر قد انتقلا اليها ، وهى عند البعض الاخر بمعنى الكواكب والنجوم العظيمة ، ويعنينا بعد أن دخل الانسان فى عصر الفضاء ، كيف أن القرآن الكريم قد احتفل بالسماء وعوالمها أعظم احتفال ، ولا تكاد تخلو سورة مكية من الاستفتاح بذكر السماء ، أو الحديث عن السموات وما فيها من عوالم وكائنات . **ولقد ذكرت السماء بالصيفة المفردة ١٢٠ مرة فى القرآن ، ودرت السموات بصيغه الجمع ١٩٠ مره ، وسبق القرآن كشوف العصر الحديث عندما فرق بين سماء الدنيا وغيرها من السموات** ، فنحن نعلم الان أن هذا المنظر الذى نراه باعيننا حيث تبدو السماء زرقاء اللون وتختفى النجوم والكواكب فى النهار اثناء طلوع الشمس ، هو منظر خاص بالارض ، ينشأ نتيجه احاطة الكرة الارضية بغلاف جوى من الغازات ، وعندما يمر خلاله ضوء الشمس ، فان بعض اشعة الضوء تتشتت ، ويكثر تشتت اللون الازرق بأكثر من تشتت اللون الاحمر فيكسب سماء الدنيا هذه الزرقة ، أما حيث لا يوجد الغلاف الجوى فالسماء سوداء بسبب عدم وجود ضوء مشتت ، وتظهر النجوم والكواكب الى جوار الشمس على سبيل الدوام ، وهو ما أصبح يشاهده بالفعل رواد الفضاء الذين ينطلقون فى طريقهم الى القمر .

واليوم الموعود

بعد أن اقسم القرآن بالسماء ذات البروج ، **يقسم باليوم الموعود** ، ولا خلاف بين المفسرين أن اليوم الموعود هو يوم القيامة ، وهو يوم الدين ويوم الحساب ، وقد تعددت الايات فى القرآن ، التى تصف هذا اليوم بانه الموعود :

ـ هذا يومكم الذى كنتم توعدون (الانبياء ٣)

وشاهد ومشهود

ويقسم القران هنا بشاهد ومشهود ، وقد جرى الاختلاف بين المفسرين حول المقصود بالشاهد والمشهود ، **وذهب البعض الى القول بان الشاهد هو يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، استنادا الى حديث** مرفوع لابى هريرة جاء فيه عن النبى قوله : **اليوم الموعود يوم القيامة ، واليوم المشهود يوم عرفه والشاهد يوم الجمعة . وقد وصف الترمذى هذا الحديث بانه حسن غريب** . وقال آخرون : الشاهد يوم الاضحى ، وقيل بل هو يوم القيامة لقوله ، **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** (هود ١٠٣) .

وقيل الشاهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لقول القرآن الكريم : **يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا** ومبشرا ونذيرا ».

وجاء فى تفسير البغوى نقلا عن سعيد بن جبير : الشاهد هو الله والمشهود نحن ».

وتعددت الاراء حتى لقد وصلت الى ثلاثين رأيا

يقول ابن جرير شيخ المفسرين : والصواب عندنا أن يقال أن الله اقسم بشاهد شهد ، ومشهود شهد ، ولم يخبرنا مع اقسامه بذلك أى شاهد وأى مشهود ، فيكون قد أراد كل الذى ذكرنا مما قاله العلماء ، وما يستحق أن يوصف بانه شاهد ومشهو د .

رأى لنا

ونحن نرجح قول من قال ، ان الشاهد هو الله والمشهود هم الخلق والكائنات ، ذلك ان القرآن الكريم قد تضمن عشرات الايات التى تصف الله عز وجل بأنه الشاهد على خلقه .

– قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم (الاسراء ٩٦)

– ان الله كان على كل شىء شهيدا [النساء ٣٣].

– أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد (فصلت ٥٣).

فعلى ضوء آيات القرآن الكثيرة ، تكون كلمة الشاهد عندما تطلق يجب ان تنصرف أول ما تنصرف الى الله عز وجل ، ويكون المشهود هو خلقة الله ، فكأن الله سبحانه وتعالى يقسم بنفسه وما خلق .

قتل أصحاب الاخدود ● النار ذات الوقود ● اذ هم عليها قعود ● وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .

يرى بعض المفسرين أن هذه الايات هى فى جواب القسم وهو ما نأخذ به .

قتل : أى لعن وأخذوا بذنوبهم .

الأخدود : الشق فى الارض ، الخندق ».

النار ذات الوقود : كناية عن شدتها وضراوتها بما كان يوضع فيها من حطب يؤججها .

اذ هم عليها قعو د: قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسى عند الاخدود – والمقصود بهم هذا النفر من الجلادين القساة القلوب الذين ابوا الا أن يجلسوا حول النار ليشهدوا عذاب المؤمنين ، وذلك ما بينته الاية التالية « وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » ».

حادث الاخدود

وهذا الحادث الذى تشير له هذه الايات تحت اسم أصحاب الاخدود ، لابد وانه كان مما يتناقل على ألسنة العرب ويتداولونه فى أحاديثهم ، فجاء القرآن يبرز لهم جانب العبرة فيه والموعظة ، ليذكر المؤمنين ممن أسلموا ، انهم ليسوا أول من اضطهد أو عذب من أجل عقيدته ولن يكونوا آخرهم ويطلب منهم الصبر والتأسى بمن سبقهم ، ولينذر كفار قريش من ناحية أخرى ، ان الله سينتقم منهم ويضرب على أيديهم ويعذبهم فى الدنيا والاخرة .

من هم أصحاب الاخدود

وتكثر الروايات فى كتب المفسرين ، فمن قائل أن أصحاب الاخدود كانوا من المجوس أى فى بلاد فارس ، ومن قائل انهم كانوا فى بلاد الحبشة ، وقول بان المقصود بهم ما وقع فى القسطنطينية من تعذيب لبعض الطوائف النصرانية .

ويقول مقاتل : كانت الاخدود ثلاثة ، واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام ، وأخرى بفارس ، أما التى بالشام فهو انطيوخوس الرومى ، وأما التى بفارس فبختنصر ، وأما التى بارض العرب فهو ذونواس .

واختلاف هذه الاراء تدل على الحرية التى كان يتصرف بها المفسرين القدامى ازاء عمومية الايات وعدم ارتباطها بزمان أو مكان معينين ، فأصبح ممكنا أن يكون المقصود بها كل الحوادث التى يغص بها التاريخ من وقوع الاضطهاد والتعذيب على أصحاب المبادىء والعقائد ، وان ساعة القصاص من الطغاة والجلادين آتية لا ريب فيها .

قصة ذى نواس الحميرى

ونحن لانرى محلا لهذه التشريقات والتغريبات ، فالقرآن وهو يشير الى هذه الحادثة لابد انه يشير لحادث مشهور ومعروف لدى السامعين ، وقد كان العرب يتحدثون بالفعل عن حادث ذى نواس الحميرى وقتله لنصارى نجران ، وما آل اليه مصيره بعد ذلك ، فأصبح من الواجب الاقتصار على ذكر هذا الحادث التاريخى المعلوم ، والذى اتفق عليه المؤرخون من غير العرب والمسلمين مع مؤرخى المسلمين ويتلخص هذا الحادث كما رواه ابن اسحق والطبرى وغيرهما من كتاب السيرة النبوية والمؤرخين . انه وجد فى مدة سابقة على ميلاد النبى قدرها البعض فى حدود سبعين سنة ، راهب نصرانى يدعى قيميون ، وكان راهبا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا ، وقد انتهى به الترحال الى قرية نجران من جنوب الجزيرة العربية ،

وكان سكان نجران كبقية سكان الجزيرة العربية يعبدون الاصنام ودينهم الوثنية ، فاستطاع فيميون بورعه وتقواه ، أن يصرفهم عن عبادة الاصنام ، وأن يعبدوا الله الحق كما كانت تدعو له النصرانية فى ذلك الوقت •

ووصل نبأ اعتناقهم للمسيحية لاخر ملوك حمير وهو ذو نواس ، وكان على دين اليهودية ، فانكر على سكان نجران اعتناقهم المسيحية ، وقصدهم على رأس جيشه ، ودعاهم الى التخلى عن عقيدة النصرانية والدخول فى دين اليهودية ، فأبوا عليه ذلك ، فقرر أن يهلكهم جميعا وأن يحرقهم بالنار ، اذا أصروا على عنادهم ، ولكن هذا النفر من المؤمنين ازداد استمساكا بعقيدته ، فأمر ذو نواس ، أن يحفر لهم خندق ، وأن تؤجج فى قاعه النار ، ويقذف بهؤلاء المؤمنين فى النار ، فتم له ما أراد ، بينما جلس وأصحابه حول الخندق يشهدون احتراق المؤمنين •

ويمضى ابن اسحق فى رواية الحادثة ، وتؤيد وقائع التاريخ السابقة روايته فيقول ان رجلا مؤمنا من هؤلاء المؤمنين يقال له دوس ذو ثعلبان استطاع ان يفلت من هذا المصير وهرب على فرس له فسلك الرمل (ما نسميه الان بالربع الخالى) فأعجزهم عن اللحاق به ومضى على وجهه حتى قصد قيصر ملك الروم (١) فاستنصره على ذى نواس وجنوده واخبره بما وقع منهم فقال له قيصر بعدت بلادك منا ولكنى سأكتب الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك ، وكتب اليه يأمر بنصر دوس ، والاخذ بثأر شهداء نجران ، فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر ، فاستجاب له ، وبعث الى اليمن بجيش كبير جعل على رأسه أرياط ، ودارت الدائرة على ذى نواس وجنوده ، فوضع حدا لحياته بان خاض بجواده البحر حتى غرق فيه ، وهكذا جاءت نهايته كنهاية كل طاغية مذءوم فى الدنيا والاخرة (٢) •

اله اليهود وتعطشه للدماء

وهذا الذى أقدم عليه ذو نواس الحميرى من القتل والاحراق ، ليس امرا خاصا به ، ولا هو يكشف عن قسوة ينفرد بها ، فان تاريخ اليهودية (ولا يزال) غارقا فى الدماء •

فرب اسرائيل ويطلقون عليه اسم « يهوه » كما يقول عنه ول دورانت مؤرخ الحضارة الانسانية « رب غضوب شره متعطش للدماء أبدا » وقد عرضنا لهذه القضية بالتفصيل فى كتابنا الاسلام ورسوله بلغة العصر •

والمطالع لاسفار يوشع وصمويل والملوك من العهد القديم ، يضيق صدره لكثرة الحديث عن مئات الالوف الذين قتلوا وذبحوا أو حرقوا ، وعن المدن التى دمرت ، والحيوانات التى لم تسلم من غضب اليهود ، ومن عجب أن هذه المذابح لم تقف عند حد غير اليهود ، بل لقد تناولت اليهود فيما بينهم فقد انقسمت دولتهم على ضآلتها الى دولتين اسرائيل ويهوذا ، وجرت الدماء بينهما أنهارا ، حتى أوشك بعضهم أن يفنى البعض الاخر ، لولا أن تداركهم الغزاة من أشور وبابل والرومان فأجلوهم عن هذه المنطقة ، فذهب منهم من ذهب الى جزيرة العرب شمالها وجنوبها ، يستأنفون نشاطهم بالصورة التى أقدم عليها ذو نواس •

وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ● الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد ●

نقموا أى كرهوا وعابوا •

العزيز : أى الغالب •

الحميد : أى المحمود الذى يرجى ثوابه •

له ملك السموات والارض : بغير ند أو شريك •

والله على كل شىء شهيد : أى شاهد حى قيوم يسمع ويرى لا يخفى عنه شىء فى الارض ولا فى السماء •

ـ يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور (غافر ١٩) •

ـ لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض (سبأ ٣) •

ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق •

الفتنة : الامتحان والبلاء ، وأصلها فتن الذهب والفضة اذا أحرق بالنار ليبين الجيد من الردىء ، وتكون الكلمة هنا اما بمعناها الاصطلاحى اى الابتلاء والامتحان ، واما بمعناها اللغوى أى : أحرقوا •

جهنم : أحد اسماء النار كالجحيم والسعير وسقر والحطمة والهاوية وغيرها •

وهذا هو الانذار والوعيد لكل من يتصدى لاضطهاد المؤمنين وتعذيبهم ، كما كان كفار قريش يفعلون بالمسلمين •

وقد ذكر بعض المفسرين فى تأويل : ولهم عذاب الحريق ، ان ذلك كائن فى الدنيا قبل حساب الاخرة ، وذكروا أن نار الاخدود قد اشتعلت بالفعل فيمن كانوا

---

(١) يقول المستشرقون ان قيصر المعنى هو جوستنيان

(٢) كان من بين قواد هذا الجيش الحبشى أبرهة الذى لم يلبث أن وثب على ارياط فقتله ، واستطاع ان يقنع النجاشى بأن يبقيه حاكما على اليمن . وأبرهة هذا هو صاحب الفيل ، الذى توجه الى مكة لهدم الكعبة فكان من شأنه ما كان مما فصلناه فى تفسير سورة الفيل •

قعودا حول النار يشهدون عذاب المؤمنين فكانوا هم من ضحاياها .

والحق ان التاريخ يحدثنا ، والمشاهدة اليومية تثبت لنا ، أن الطغاة والجبارين ، وقساة القلوب والجلادين ، يلقون فى الاغلب والاعم نفس المصير الذى أذاقوه لضحاياهم ، وهم فى كل الاحوال يعيشون فى هم دائم ورعب وفزع مما اجترحت ايديهم ، حتى ليغشاهم القلق أبدا ، وتطاردهم أشباح ضحاياهم حتى آخر لحظة فى حياتهم ، حتى اذا ماتوا لم يجدوا من يرثيهم أو يبكى عليهم ، ثم تتلقاهم زبانية العذاب ليدفعوا جزاء ما ارتكبوا من آثام فى هذه الدنيا .

باب التوبة المفتوح

وليس هناك ما يأخذ بالروع ، ويقطع بان هذا القرآن هو تنزيل العزيز الحكيم ، أن يد الله الرحيمة تمتد حتى لتشمل هؤلاء المجرمين فتفتح لهم باب التوبة على مصراعيه . فنجد الاية تشترط قبل أن تصدر عليهم اللعنة الابدية ، أن يكونوا قد أبوا أن يتوبوا الى الله ، وأصروا على المضى فى اجرامهم وطغيانهم وذلك بقول الاية « **ثم لم يتوبوا** » .

يقول الحسن البصرى : انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا اولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والمغفرة .

سبيل التوبة

وليست التوبة كما قد يتصور البعض ، هو أن يتلفظ الانسان بكلمة التوبة والاستغفار ، وانما التوبة لا تكون الا بالعمل فى أصلاح ما أفسد الانسان ، فان كان سبيل أصلاح ما فسد متعذر ، فتتحول التوبة الى التعويض عما لا يمكن اصلاحه ، فمن ظلم عن طريق الهدم ، فان توبته فى أن يبنى وينشىء ويعمر ، ومن كان ظلمه فى القتل ، فان توبته تكون بعلاج المرضى ورعاية الاطفال ، وحماية الضعفاء ، وأغاثة الملهوفين ، ومن كان ظلمه بسجن الناس ، فان التكفير يكون بتقديس حرية الناس ، واطلاق سراح المسجونين ظلما ، وهكذا . وذلك هو المقصود بالتوبة .

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير .

جنات : جمع جنة والجنة فى اللغة الحديقة ذات الشجر ، وقيل ذات النخل والجمع جنات وجنان .

وقد استعمل القرآن الكلمة المفردة « جنة » والجمع « جنات » فى معناها اللغوى ، أى الحدائق والبساتين ، كما استخدمها تعبيرا عن الثواب الذى سيلقاه المؤمنون يوم القيامة ، فنراها بمعنى البستان فى مثل قوله :

— ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (الكهف ٣٥) .

— وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب (الرعد ٤) .

والجنات فى هذه الاية ، خاصة بالمكافأة التى سيكافأ بها المؤمنون يوم القيامة .

ولقد فصلنا القول فى موضوع الثواب والعقاب فى تفسير سورة الزلزلة (١) .

ان بطش ربك لشديد ● انه هو يبدىء ويعيد ● وهو الغفور الودود ● ذو العرش المجيد ● فعال لما يريد ● هل اتاك حديث الجنود ● فرعون وثمود .

البطش : الاخذ بالعنف .

يبدىء ويعيد : أى يبدأ الخلق ثم يفنيه ثم يعيده مرة أخرى .

جاء فى القرآن الكريم **قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون (يونس ٣٤)**

غفور : الغفر الستر فالله غفور يمكن أن تكون بمعنى ستار على عباده فلا يفضحهم ، ولكن المعنى هنا أنه غفور بمعنى أنه كثير الصفح عن عباده الخاطئين متى تابوا وأنابوا اليه ، وقد ورد وصف الله فى القرآن بأنه غفور أكثر من تسعين مرة ، كما ورد فعل الغفران منسوبا الى الله ثلاثا وثلاثين مرة ، ومن آيات الغفران ما يملأ قلب الانسان بالسكينة والطمأنينة واقرأوا ان شئتم .

— نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم (الحجر ٤٩)

وهو يحضنا على أن نغفر ونصفح لمن اساءوا الينا تأسيا به .

— وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (التغابن ١٤) .

ويدعو القرآن العصاة والمذنبين والخاطئين أيا كانت آثامهم وجرائمهم ان لايقنطوا من رحمة الله ،

— قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمه الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم (الزمر ٥٣) .

وذلك مشروط بطبيعة الحال بالتوبة على الوجه الذى شرحناه سابقا .

حكمة قبول التوبة

والحق ان ليس هناك ما هو أظهر وابين من الحكمة فى أن الله سبحانه وتعالى لا يغلق وجه التوبة فى وجه الانسان أبدا ، فهو لا يريد سوى خير البشر وما يعود عليهم بالصلاح ، ولو أن طريق التوبة أمام الاشرار والمفسدين والطغاة والمتجبرين أغلق فى وجوههم ، لما كان لذلك من أثر الا أن يتمادوا فى جرائمهم ، ويضاعفوا فى شرورهم ، مما يؤدى الى خراب المجتمع وشقاء البشر ، ومن هنا كان باب التوبة المفتوح أبدا . وقد جاء انتصار الاسلام عن هذا السبيل ، حيث ظل

---

(١) منبر الاسلام — صفر ١٣٨٨

باب التوبة مفتوحا أمام كفار قريش ، فعفا الله عن كل ما وقع منهم ، بعد أن اسلموا وكفروا بحسن بلائهم فى الاسلام ، عما اجترحوه من قبل من جرائم وآثام ..

الودود : مشتق من المودة وهى الحب ، ويكون معنى الودود أى المحب لاوليائه ، قال ابن عباس : كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة .

واذا كان المسيحيون يقولون ، ان الله محبة ، فان الله الودود هى المقابل لذلك .

وقد جاء فى القرآن أكثر من آية تتحدث عن حب الله لاوليائه .

ـ ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (آل عمران [٣١] .

ـ والله يحب الصابرين ، والله يحب المحسنين والله يحب المتقين ... الخ .

ذو العرش المجيد

المجيد : السامى الرفيع ، والمجيد فى كلام العرب الشرف الواسع .

ذو العرش : أى صاحب العرش . والمعنى اللغوى للعرش أنه الكرسى أو الاريكة المرتفعة المسقوفة ، ولكنه هنا بمعنى أنه صاحب العظمة والسلطان .

ويقول محمد عزت دروزة صاحب التفسير الحديث : وفى كتب التفسير اقوال كثيرة عن عرش ومفهومه ومفهوم استواء الله عليه ، وفى بعضها اغراب وتزيد ويفيد بعضها أن عرش الله مادة . ولما كان القرآن الكريم لايحتوى شيئا عن ماهية العرش ، كما أنه ليس هناك حديث نبوى ثابت ووثيق فى ذلك ، فالواجب أن يقف المرء فيما ورد فى صدد ماهيته موقف التحفظ .

ولقد كان تعبير استواء الله على العرش مثار جدل وخلاف بين علماء الكلام ، فكان منهم المؤول ، ومنهم المنزه لله عن الاستواء المادى والعرش المادى ، ومنهم الاخذ على الظاهر والواقف عنده بدون تأويل ، ومنهم الكاره للجدل القائل : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه » ومنهم القائل أن معنى استواء الله على العرش ، استقامة أمر ملك السموات والارض لله تعالى وانفراده بتدبير خلقه . وان عقيدة التنزيه القطعية الثابتة بالعقل والنقل مانعة لمن نوهم لشبهه تشبيه الخالق بالمخلوق فى التعبير بالاستواء على العرش ، وأن من الواجب حمل التعبير على المجاز المعتاد استعماله فى اللغات البشرية (انتهى كلام دروزة) .

ونحن نزيد ذلك توضيحا وتأكيدا فنقول وبالله التوفيق ان الله سبحانه وتعالى منزه عن التحيز والحركة فضلا عن القيام والقعود والجلوس ، وانما هى ضرورة اللغة باعتبارها الوسيلة الوحيدة للتعبير ، وقد نزل القرآن بلغة عربية ، فاستخدم الاسلوب العربى من مجاز وتشبيه وكناية . ولتكن قاعدة كل مسلم عندما يتعرض لشأن من شئون الله هذه الاية مفتاح كل الايات عن الله عز وجل ، الا وهى :

ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (الشورى ١١) .

ـ فسبحان الله رب العرش عما يصفون (الانبياء ٢٢)

فعال لما يريد

فعال من صيغ المبالغة ، أى انه كثير الفعل لما يريد ، واذا اقضى أمرا فحسبه أن يقول له كن فيكون .

ـ انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يس ٨٢) .

هل أتاك حديث الجنود

أى قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ، يؤنسه بذلك ويسليه ، ثم بينهم له

فرعون وثمود

فرعون : حاكم مصر فى الزمن القديم ـ ولقد فصلنا فيه القول عند تفسير سورة الفجر (١) .

وثمود : احدى قبائل العرب البائدة وقد بعث الله لهم صالحا نبيا ، فعصوه وكفروا بالله ، وقد فصلنا الحديث عن ثمود فى تفسير سورة الشمس (٢) ، وكيف اهلكهم الله وأبادهم .

بل الذين كفروا فى تكذيب ● والله من ورائهم محيط

ولكن هيهات لكفار قريش أن يرعووا ويتعظوا بما نقص عليهم من قصص الغابرين ، وسوف يظل كفار قريش فى غوايتهم ساردين ، حتى تحل بهم قارعة ـ كما حدث بعد ذلك فى غزوة بدر ، عندما قتل سبعون من عتاة زعمائهم وعلى رأسهم ابو جهل .

بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ

بهاتين الايتين تحتتم السورة ، فهما هدفها النهائى وغاية كل ما سبق من تحذير وانذار ووعد ووعيد ، أن يؤمن السامع أن هذا القرآن الذى يتلوه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو من وحى السماء لا من صنعه وتأليفه .

القرآن معجزة الاسلام

والقرآن هو معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو معجزة الاسلام ، وآية قوته وخلوده وانتصاره ، وهو معجزة عقلية فكرية تصدع الانسان فى كل زمان ومكان . انه ليس من معجزات من سبق من الانبياء كتحويل العصا الى حية تسعى ، أو شق البحر ، وابراء الاكمه وشفاء الابرص واحياء الموتى ،

---

(١) منبر الاسلام عدد ربيع الأول ١٣٨٩

(٢) منبر الاسلام شوال ١٣٨٨

فكل هذه معجزات بنت ساعتها ، ويكفى أن ينكر منكر أمكان حدوثها لكى ينهار كل ما يترتب عليها ، أما القرآن فمعجزة باقيــة خالدة ، تبهر كل من يقترب منها ، ويقدم على دراستها ٠

القرآن يتحدى قريشا أن تأتى بمثله

وقد بدأ اعجاز القرآن أول ما بدأ فى تحديه لقريش أن تاتى بمثله ، وكان كفار قريش قد زعموا أنه من صنع محمد وتأليفه ، وأنهم قادرون على أن يؤلفوا مثله فقال لهم القرآن :

ـ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (الاسراء ٨٨) ٠

ومع شدة حرص قريش والعرب من ورائهم على تكذيب سيدنا محمد ، واظهار بطلان دعوته فقد عجزوا عن رد التحدى والاتيان بمثل هذا القرآن ، على الرغم من أنهم كانوا فى الذروة من الفصاحة والبلاغة ٠

التحدى بتأليف عشر سور من القرآن

وزاد القرآن فى تحديه لقريش وفصحاء العرب لما أن قالوا أن هذا القرآن ليس الا أساطير الاولين ، وأنه أقوال مفتراة وليست تنزيلا من رب العالمين ، فطالبهم أن يفتروا عشر سور على مثاله ٠

ـ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (هود ١٢) ٠

التحدى بسورة واحدة

وبلغ القرآن ذروة التحدى عندما طالب العرب بسورة واحدة من مثل القرآن :

ـ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (البقرة ٢٣ ـ ٢٤) ٠

ونحن نعلم أن سورة البقرة نزلت فى المدينة المنورة حيث يقيم آل الكتاب من اليهود ، ومعنى ذلك أن التحدى صار عاما وشاملا للعرب وغير العرب ، ونعلم من ناحية أخرى ، أن من بين سور القرآن ما لا تتجاوز كلماته احدى عشرة كلمة . وهنا يقف الباحثون مبهوتين أمام هذه الظاهرة غير القابلة للتعليل من عجز العرب واليهود معا عن الرد على هذا التحدى بعد أن بلغ هذا المدى ٠

ولقد ذهب بعض الباحثين الى القول ، ان العرب كانوا يقدرون على محاكاة سورة من سور القرآن ولكن الله سبحانه وتعالى صرفهم عن المحاولة ، وعند هؤلاء الباحثين ، أن معجزة القرآن هى فى هذه الصرفة ٠

والحق أن اعجاز القرآن كان ولا يزال سرا من اسرار القرآن ، وكل محاولة لتحديده وحصره فى ضرب من الضروب أو وجه من الاوجه هو محاولة خاطئة ٠ ولن نستطيع فى هذا الحيز أن نفيض القول فى اعجاز القرآن ، وهو الذى مذ طلع على الدنيا وعشرات الالوف من الكتب تحاول أن تفسره ، وتشرح آياته ، وتستخلص منه الاحكام ، وهو كالنبع الفوار أبدا ، كالضوء المشع أبدا ، فحق أن يكون القرآن المجيد ، والقرآن العظيم ، والقرآن الحكيم ، والقرآن المبين ٠

فى لوح محفوظ

جاء فى تفسير البغوى عن ابن عباس انه قال : اللوح المحفوظ درة بيضاء طوله ما بين السموات والارض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور وكلامه قديم وكل شىء فيه مستور ، وقيل أعلاه معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك ٠ (انتهى) ٠

أما الشيخ محمد عبده فيقول : اللوح المحفوظ شىء أخبرنا الله عنه وأنه أودعه كتابه ولم يعرفنا حقيقته ، فعلينا أن نؤمن بانه شىء موجود ، وأن الله قد حفظ فيه كتابه ايمانا بالغيب ، وأما دعوى أنه جرم مخصوص فى سماء معينة ووصفه بما جاء فى روايات مختلفة ، فهو لم يثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بالتواتر ، فلا ينبغى أن يدخل فى عقائد أهل اليقين من المؤمنين . وما أجدرنا لو أردنا التأويل ـ بأن نأخذ بما قيل من أن اللوح المحفوظ هو لوح الوجود الحق ، ومعانى القرآن وقضاياه الشريفة : لما كانت لا يأتيها الباطل ولا يدانيها الخطأ كانت ثابتة فى لوح الواقع المحفوظ ، الذى لاحق فيه الا ماوافقه ، ولا باطل الا ما خالفه ، ولا باقى الا ما رسم فيه ولا ضائع الا ما لم ينطبق عليه ٠

ويقول محمد عزت دروزة فى تفسيره الحديث : ان القرآن لم يحتو اى بيان عن ماهية اللوح ، فالاولى الوقوف عند ذلك ، هذا الى أن الله منزه عن الحاجة الى تثبيت كلامه وعلمه وأمره ومقدراته ، ونقشها على الواح مادية ٠

وفى سورة الواقعة آيتان من القرآن مشابهتان لآيتى سورة البروج مع اختلاف فى اللفظ ، انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » فكريم هنا مقابل مجيد ، وفى كتاب مكنون تقابل فى لوح محفوظ ، وهذا الاختلاف اللفظى مع الاتفاق فى المعنى يؤيد ما قررناه ، وهو أن يكون الكتاب واللوح فى معنى واحد ، ومعرض واحد بقصد التقريب والتشبيه وتأكيد الحفظ التام » ٠

وهذا هو الرأى الذى نقول به : ولنا فيه تفصيل على ضوء مكتشفات العلم الحديث ، مما سنعود اليه فى مناسبة قريبة والله ولى التوفيق ٠

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

« حول احياء موات كتب الجامع الكبير والصغير للسيوطى أكثرما فيها موضوع والقليل الصحيح منها موجود فى الكتب الصحاح »

« نعم يخشى على تعـاليم القرآن من هـذه الاحاديث المكذوبة » .

بين يدى المقال

كلمة موجهة للدكتور عبد الحليم محمود لمناسبة ضيقه مما كتبناه نقدا لاحياء كتبجل مافيها موضوع أو ضعيف كالجامع الكبير أو الصغير للسيوطى .

وكنت أحب أن يكون نقاشه معتمدا على الدليل الواضح لا الكلام الخطابى الذىلا وزن له فى النضال العلمى ، ولكنى دهشت حينما قرأت ما كتبه الدكتور فى مجلة الازهر عدد ربيع الثانى صفحة ٣٠١ .

فقد وجدته لم يتعرض لدليل واحد مما ذكرته بالابطال ، بل جاء بثالثة الاثافى حيث ينسب للسيوطى ــ رحمه الله ــ مالم يقل ، وجدته يقولفى صفحة ٣٠٢ بالحرف الواحد « والامام السيوطى **لم يلتزم ، ولم يعلن ، ولم يقل ولم يشر** فى هذا الكتاب السامى الى أنه التزم الصحة أو التزم الحسن .. فمع هذه المترادفات ياسيدى الشيخ ، فان الشيخ السيوطى نفسه يتبرأ مما قلت ، ويقرر بصريحالعبارة أنه صان كتابه عن الكذب والوضع وأنه جعله كله من الذهب الابريز . وهذه عبارته بنصها فى خطبة الجامع الصغير الذى هو ملخص الجامع الكبير كما قرر هو نفسه :

« هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية الوفا ومن الحكم المصطفوية صنوفا ، واقتصرت فيه على الاحاديثالموجزة ، **واستخلصت فيه من معادن الذهب** ابريزه ، وبالغت فى تحرى التخريج فتركت القشور **واخذت اللباب وصنته عمـا تفرد به وضاع او كذاب »** .

فمن منكما نصدق الامام السيوطى أم الدكتور عبد الحليم ؟ ! ولا أظن الدكتور يقول ان الحديث الذى يشبه فى صحته الذهب الابريز يشمل الموضوع والمكذوب (*)

وأيضا يقول الدكتور فى صفحة ٣٠٣ ـ : لا يجوز الاحتكام الى العقل فى قبول الحديث او رفضه (*)

فماذا يقول الاستاذ فيما سيأتى فى هذا المقال بعد مما رواه السيوطى من ان عمر الدنيا سبعة الاف سنة ،وانخاتم الرسل بعث على آخر الالفالسادس الى آخر ما سخر منه العلماء ، حتى قال بعضهم : انه حديث هدمه عليه الزمان .

فهل هناك عقل يسيغ هذا الان ؟ .

ولنا مع الدكتور عودة

— ٣٠ —

ذكرنا فى المقال السابق فى أثناء الكلام على الجرأة فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشارة الى (حديث الهريسة) • وقلنا سيمر بك الكلام عليه فيما سيأتى ، والان نقول ان حديث الهريسة هذا رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **شكوت الى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة والهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم** » •

قال أبو الفضل العراقى فى كتابه (**تخريج ما فى** كتاب الاحياء) : **طرق هذا الحديث كلها ضعيفة** •

وقال ابن عدى هو موضوع • وقال العقيلى حديث باطل • وقال المرحوم الشيخ الخضر حسين شيخ الازهر سابقا فى مقدمة كتاب (المغنى عن الحفظ): ومن أسخف الدواعى الى الوضع أن يقصد الواضع للحديث ترويج صناعته كحديث الهريسة ، الذى **وضعه محمد بن الحجاج اللخمى ، وكان صاحب هريسة** •

وعلق المرحوم الشيخ الحفنى على هذا الحديث فى حاشيته على شرح العزيزى للجامع الصغير بعد شرح الفاظ الحديث السابق فى العدد الماضى الذى فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **أتانى جبريل بقدر فأكلت منه فأعطيت قوة أربعين رجلا** • » قال الحفنى : قوله (بقدر) وفى خبر أن فى القدر هريسة من الجنة ، وهى لحم وقمح طبخا معا طبخا جيدا ، وفى رواية : يقال لهذا الطعام (الكفيت) ، ونقل أصحاب المعاريج أن بعض الانبياء شكا لله وجع ظهره ، فأوحى اليه ان اطبخ اللحم وكله ، يعنى الهريسة . وقال السيوطى فى الجامع الكبير : (**ان هذا القدر كان من الجنة** •) (انتهى كلام الحفنى)

وقال السيوطى أيضا فى حرف الشين فى كتابه الجامع الصغير روى الحاكم عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « شفاء عرق النساء الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ، ثم تشرب على الريق كل يوم جزءا •

واضح كذبه مهما لفقت له من حواش •

وقال السيوطى أيضا : روى ابن عساكر عن أنس **ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « شوبوا شيبكم بالحناء فانه** أسرى **لوجوهكم واطيب لافواهكم واكثر لجماعكم الحناء سيد ريحان أهل الجنة ، الحناء تفصل مابين الكفر والايمان** : **رواه أيضا الديلمى وله طرق والفاظ كلها باطلة ، ولعل واضع هذا الحديث** بل له مزرعة حناء خشى عليها البوار • وقال أيضا : **روى الطبرانى** فى الاوسط عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **اطووا ثيابكم ترجع اليها أرواحها ، فان الشيطان اذا وجد ثوبا مطويا لم يلبسه ، وان وجده منشورا لبسه** • »

قال صاحب المغير : قلت فى سنده وضاع ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يطوى ثيابه ، بل يضعها على المشجب • وقد قرأت فى المجالسة للدينورى عن الثورى أنه قال : بلغنى أن الثوب اذا طوى رجع اليه ماؤه ، وكان هو يفعل ذلك ، فكان هذا هو الاصل فى هذا الكلام ، أخذه **الوضاع** ورفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم •

وقال كذلك : روى ابن عساكر عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « **الشيب نور • من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام ، فاذا بلغ الرجل** اربعين سنة وقاه الله الادواء الثلاثة ، الجنون والجذام والبرص • » **قلت** : انه موضوع • **وهل يظهر** البرص **فى الناس غالبا الا بعد الاربعين** ، فلعنة الله على الكذابين

وقال أيضا : روى الديلمى فى الفردوس عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **الشمس والقمر وجوههما الى العرش ، واقفاؤهما الى الدنيا** » • **كذب فاضح** •

وقال كذلك : روى ابن عساكر عن أنس عن النبى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال ، « **لايخرف قارىء** القرآن » • أى (لا يصاب بالتحريف) • **وهذا الحديث مما حكم المؤلف نفسه بوضعه فى ذيل اللالىء** •

وقد ضاق الالوسى ذرعا بكثرة ما رواه السيوطى فى كتبه من الاحاديث الموضوعة ، فقال فى تفسيره لقوله تعالى « **فهل ينظرون الا الساعة** أن **تأتيهم بغتة فقد** جاء أشراطها » آية ١٨ من سورة محمد :

وهذا البلاء كله من دسائس رواة الاسرائيليات ، وتلبيسهم على المسلمين باظهار الاسلام والصلاح والتقوى •

ومن أخطر هؤلاء الذين أظهروا الاسلام كذبا ، كعب الاحبار بن ماتع الحميرى ولد باليمن وأقام بها الى أن هاجر الى المدينة واظهر الاسلام فى اول خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان من أحبار اليهود وأوسعهم اطلاعا على كتبهم ، قال عنه البخارى انا كنا نبلو عليه الكذب ، وكذبه مرارا حذيفة بن اليمان وابن عباس ، **وأول من تنبه لخطره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكثيرا ما منعه من التحديث ، ومن المواضع** التى زادت ريبة عمر فيه ما حصل من كعب هذا عندما **أراد عمر تجديد بناء المسجد الاقصى واستشار الناس هل يجعل المسجد أمام الصخرة أم خلفها** •

يريد رضى الله عنه هل نجعل المسجد امام الصخرة بحيث تكون الصخرة الى ظهر المصلى الى الكعبة أم يكون المسجد خلف الصخرة فتكون الصخرة أمام المصلى

فقال كعب : يا أمير المؤمنين اجعل المسجد خلف الصخرة ٠

فقال عمر : يا ابن اليهودية **خالطتك يهوديتك** ، بل سأبنيه أمام الصخرة حتى لايستقبلها المصلون ٠

وهكذا حال عمر دون تمكين كعب من خدعته بأن يصلى المسلمون الى قبلة اليهود وهم فى مسجد المسلمين ٠

وقد اتهم العلماء كعبا هذا بتدبير مقتل عمر رضى الله عنه وأنه كان متصلا بالمتآمرين على قتله حتى قال بعضهم لوكان الشرع الاسلامى يبيح أخذ المتهم بالظنة لكان للقضاء الشرعى شأن مع كعب فى قضية مقتل عمر رضى الله عنه ٠

ثم قال الالوسى أيضا :

قال السيوطى فى رسالة سماها (الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف) الذى دلت عليه الاثار أن مدة هذه الامة تزيد عن ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها ألف سنة أخرى ، وبنى السيوطى الامر على ماورد من ان مدة الدنيا ٧٠٠٠ سنة وان النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى آخر الالف السادس ، وان الدجال يخرج على رأس مائة ٠ ٠ ٠ الخ ٠

وذكر السيوطى الاحاديث الدالة على ذلك (أى على أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة) ٠ ثم قال الالوسى : وذكر السيوطى عدة أخبار فى كون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، اولها ما أخرجه الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ، ثم ماتوا عليها ، فهم فى الباب الاول من جهنم ، وساق بقية الحديث ، وفيه وأطولهم مكثا فى جهنم من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت الى يوم فنائها وذلك سبعة آلاف سنة** ٠

ثم قال الالوسى ، وتعقب هذا الحديث السفارينى بقوله : وقال الدارقطنى هذا حديث منكر ٠ ومن أوضح نكارته أنه :

قد مضى منذ زمن البعثة الى يومنا هذا ألف سنة ومائتان وثمان وستون سنة ، واذا ضم اليه ما ذكره من سنى مكث عيسى وبقاء الدنيا بعده تصير المدة من مبدأ الرسالة الى قيام الساعة اكثر من ١٤٠٠ سنة (الالوسى كان فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) والى الان لم تطلع الشمس من مغربها ، ولا خرج الدجال **الذى قال حديث السيوطى انه يخرج قبل طلوع الشمس من مغربها بعدة سنين**

ثم قال الالوسى : والحق انه لا يعلم ما بقى من عمر الدنيا الا الله وحده ٠

ثم قال وحكى الشيخ محيى الدين بن عربى عن أدريس عليه السلام ، **وقد اجتمع معه اجتماعا روحانيا وسأله عن العالم** ، ثم ذكر أمورا تنفر منها العقول السليمة ، ولا تسر الا خصوم الاسلام ، ولا أقبل أن ألوث بها قلمى ، فانظرها ان شئت فى الالوسى جزء ٢٦ فى سورة محمد ٠

وجاء فى المنار جزء — ٩ — صفحة — ٤٧٠ — فى تفسير قوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها)

قال : وما جاء فى الاثار من أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة مأخوذ من الاسرائيليات التى كان يبثها خبثاء اليهود والفرس فى المسلمين حتى رووه مرفوعا ، وقد اغتر بها من لا ينظرون فى نقد الروايات الا من جهة اسانيدها حتى استنبط بعضهم منها ما بقى من عمر الدنيا ٠

وللسيوطى رسالة فى ذلك ، وقد هدمها عليه الزمان أى اظهرت الايام كذبها كما تقدم ٠

ثم قال فى صفحة ٤٧٦ وكل ما ذكر فى عمر الدنيا أحاديث موضوعة ، أى مكذوبة ، **جمع السيوطى كثيرا منها ، ولا يصح منها شىء يؤيد مراده من تحديد عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة ٠ فرسالته كلها مبنية على** خبرين مكذوبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم **فتأمل** هداك الله الى ما يفعل الغرور بظواهر الروايات حتى فى نفوس اللذين اشتغلوا **بالحديث كالسيوطى حتى أنكر عليه ذلك السخاوى** ٠

وقد علم مما ذكره الحافظ بن حجر فى بطلى الاسرائيليات وينبوع الخرافات كعب الاحبار ووهب بن منبه انهما بثا فى هذه الامة خرافة تحديد عمر الدنيا ، وليس

اصله من مخترعاتهما فهو موجود فى كتب اليهود حتى فيما يسمونه التوراة ص ٤٧٦ منار .

وكان كثيرمن الصحابةوالتابعين يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض لمناسبات من غير نسبتها الى مصادرها غالبا ص ٤٧٦ أيضا .

وقال العلماء **ان أكثر ماروى عن أبى هريرة من الاحاديث المرفوعة لم يسمعه هو نفسه من النبى صلى الله عليه وسلم** انتهى المنار .

وهذه المفتريات الصهيونية التى وقع فى شباكها بعض المؤلفين من المسلمين ، وسموها أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نقول : هذه المفتريات ما كان ينبغى لعلمائنا ، رحمهم الله ، أن يتركوها مدونةفىكتبهم ، يسهل الاطلاع عليها لاشباه العوام من كل فاقدى القدرة على التمييز بين الحديث الصحيح والموضوع . ومن خطر الابقاء عليها فتح الطريق أمام خصوم الاسلام ليشغلوا الناس بها حتى يصرفوهم عن شريعة الله التى جاء بها الرسول الاكرم ، صلىاللهعليه وسلم ، لانقاذ البشرية من لجج الجهالات التى اغرقت العالم فى ذلك الحين . ومن العجب أن يحاول بعضهم بقاءها بتاويلات بعيدة عن الصواب ،ما كان اغناهم عنها لو طهروا الكتبكلها من هذه الاسرائيليات ، وفوتوا على الصهيونية أغراضها .

وليعلم السيد القارىء ان سلفنا الصالح لم يغفل عن هذه الدسائس التى ذر قرنها من يوم ان بزغ نور الاسلام ، يريدون بها أن يطفئوا نور الله ، ويابى الله الا ان يتمنوره.نقول : لم يغفلوا عن ذلك ،ولنقدملك بعضا مما يدل على يقظتهم ، ذلك هو ما سجله تلميذ البخارى ، وهو الامام الثانى فى تحرى الصدق فيما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، جاء فى مقدمة كتابه صحيح مسلم ، فى التحذير من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون تثبت . قال رحمه الله فى سبب جمعه صحيحه :

« اعلم يرحمك الله انه لولا الذى رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طرح الاحاديث الضعيفة والروايات المنكرة ، واهمالهم الاقتصار على الاحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والامانة ، طرحوا كل ذلك بعد معرفتهم واقرارهم بألسنتهم بأن كثيرا مما يقذفون به الى الاغبياء من الناس هومستنكر ، ومنقولعن قوم غير موثوق بهم ، وذم الرواية عنهم ائمة اهل الحديث مثل مالك بن أنس ، وسفيان بن عيينهوغيرهما ، لولا ذلك لماسهل علينا التصدى لتمييز الطيب من الخبيث ، لتلافى ما نشر القوم من الاحاديث المنكرة ، بالاسانيد الضعاف المجهولة ، وقذفهم بها الى العوام الذين لا يعرفون عيوبهم . ثم قال : **واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل من عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقاتالناقلينلها والمتهمين ، لا يروى منها الا ما عرف صحته ، وأن يبعد عنها ما كان عن أهل التهم والبدع .**

«ثم قالمسلم : حدثناسمرة بنجندب،والمغيرة بن شعبة عن النبى ، صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **من حدث عنى بحديث يظن فيه أنه كذب فهو احد الكاذبين** » .

وعن عمر بنالخطابأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع** » .

وروى مسلم ايضا عن عبد الرحمن بن مهدى يقول: **لا يحون الرجلاماما تقتدىبه حتى يمسك عن بعض ما سمع .**

وقال :روى سفيانبن حسين قال :سألنى اياسبن معاوية فقال :انى اراكقد كلفت بعلمالقرآنفاقرأ على سورة ، وفسر ، حتى أنظر فيما علمت : قال : ففعلت فقال لى احفظ على (أى احفظ عنى) ما أقول لك : **اياك والشناعة فى الحديث ، فانه قلما حملها أحد الا ذل فى نفسه ، وكذبه الناس فى حديثه .**

قال النووى فى شرحه لهذا الحديث : يحذر **اياس ابن معاوية سفيانا هذا من ان يحدث بالاحاديث المنكرة ، التى يشنع على صاحبها وينكر عليه . ويقبح حاله ، فيكذبه الناس ، أو يشكون فى روايته،فتسقط منزلته ، ويذل فى نفسه .**

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « **ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة** . »

وروىعن يسار عنأبى هريرة عنرسول اللهصلى الله عليه وسلم أنه قال : « **سيكون فى أمتى أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم** . »

وروى مسلم ايضا عن بشير بن كعب قال : سألنى ابن عباس عن احاديث كنت حدثت بها ،فلما حدثته بها صار يشدد على فى بعضها ، فقلت له : لا أدرى هل عرفت حديثى كله وانكرت هذا ؟ أم انكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟

فقال له ابن عباس : انا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما كان الناس لا يكذبون عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه .

قال النووى : المعنى ، فلما سلك الناس كل مسلك مما يحمد أو يذم ، أى لم يبالوا بتحرى الصدق عنه صلى الله عليه وسلم .

« قد يكون الرجل صالحا لكن لا يأخذون عنه الحديث عن رسول الله .

وروى مسلم أيضا عن عبد الله بن المبارك قال : قلت لسفيان الثورى : ان عباد بن كثير من تعرف حاله ، أى أنه رجل طيب ولكنه اذا حدث جاء بأمور عظيمة ، فهل أقول للناس لا تأخذوا عنه ؟ قال سفيان : نعم . قال : **فكنت اذا وجدت فى مجلس ذكر فيه عباد أثنيت عليه** فى دينه وأقول لاتأخذوا عنه . يريد أنه طيب جدا الى حد فيه سذاجة لا تمكنه من حسن الفراسة فيمن يروى عنه .

وروى مسلم عن سعيد القطان أنه قال : **لم نر الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث ، يجرى الكذب على لسانهم ، ولا يتعمدون الكذب .**

ثم قال مسلم : عن عبد الله بن مبارك أنه قال فى بقية بن الوليد : بقية صدوق اللسان ، ولكنه يأخذ عمن أقبل وعمن أدبر . يعنى عن الثقات والضعفاء . وقال النووى قال العلماء فى بقية هذا : احذر أحاديث بقية ، **وكن منه على تقية ، فانها غير نقية . توفى بقية هذا** سنة ١٩٧ **هجرية .**

وروى مسلم فى صحيحه عن أيوب السختيانى (وهو من كبار التابعين وائمتهم الاعلام مات سنة ٤٢ هـ أنه قال ان لى جارا فيه فضل ولكنه لو شهد عندى على تمرتين ما رأيت شهادته جائزة . ثم قال مسلم عن جرير بن رقية أن أبا جعفر الهاشمى المدنى كان **يضع أحاديث كلام حق** وليست من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، **ولكنه يرويها** عن النبى صلوات الله عليه .

ثم بعد ما ذكر الامام مسلم فى صفحة ٢١ كثيرا ممن اشتهروا بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصح الرواية عنهم قال : **انما ألزم العلماء أنفسهم الكشف عن عيوب رواة الحديث ، وناقلى الاخبار ، وأبلغوها للناس حين سئلوا عنهم لما فى** السحوت عن كشف عيوبهم من عظيم الخطر . لان **الاخبار فى أمر الدين انما تأتى لافادة تحريم شىء أو تحليله ، او نهى او ترغيب ، فاذا كان الراوى لها ليس اهلا للصدق والامانة ، ثم يقدم على الرواية عنه من عرفه ولم يبين مافيه من العيوب لغيره ممن يجهلونه كان آثما بفعله هذا ، غاشا لعوام المسلمين** ، اذ لايؤمن على بعض من سمع تلك الاخبار غير الصحيحة ان يستعملها ، اويستعمل بعضها ، ولعلها او اكثرها اكاذيب لا اصل لها . مع ان الاحاديث الصحيحة من رواية الثقات **واهل القناعة** اكثر من ان يضطر الى النقل عمن ليس بثقة . ولا اظن كثيرا **ممن يجرءون على رواية هذه الاحاديث الضعاف ، والاسانيد المجهولة ، عندهم مايدعوهم الى ذلك الا ارادة التكثير لما يروونه للعوام ، ولاجل ان يقال عنهم ما اكثر ماجمع فلان من الاحاديث والف فيها من الكتب .**

ومن ذهب فى العلم هذا المذهب وسلك هذا الطريق فلا نصيب له من العلم ، وكان بأن يسمى جاهلا اولى من ان ينسب الى علم .
(انتهى مسلم) .

« للبحث بقيـة »

مفتريات ...

الدكتور أحمد الحوفي

١١ ـ وهم لم يستحوا فى افترائهم على الله من أن ينسبوا اليه الجور : والميل مع الهوى ، مثلما يجور بعض الناس ويميلون ٠

وذلك أنه فى زعمهم يؤثرهم بالمحبة،ويفضلهم على سواهم ، ويميزهم على سائر عباده ، لانهم فى نظره ارقى واولى بالايثار ، ولهذا وضع لهم شريعة خاصة بهم لايشركهم فيها احد ، كانهم وحدهم من خلقه ، وبقية البشر من خلق غيره ، بل من خلق اعدائه ٠

جاء فى بعض الاسفار : وقل اسمعوا حكمة الرب ياملوك يهوذا سكان اورشليم ، هكذا قال رب الجنود اله اليهود ـ سفر أرميا ٣/١٩ ٠

وجاء فيها : ليعظم اسمك الى الابد ، فيقال رب الجنود اله على اسرائيل ـ سفر صمويل الثانى ٢٦/٣

لهذا حرم الاله على بنى اسرائيل ان يقاتل بعضهم بعضا ، او يخرج بعضهم بعضا من وطنه ، على حين انه اباح لهم بل اوجب عليهم ان يغيروا على غيرهم ، وأن يضربوا رقاب جميع المغلوبين بسيوفهم فلا يستبقوا منهم نسمة ، وعليهم ان يسترقوا الاطفال والنساء ،ويستولوا على مافى البلد المغلوب من مال وعقار ـ سفر التثنية ١٤/١٣/٢٠ ٠

ويكفى للكشف عن هذا الزيف الناطق بأن التوراة من اختلاق جماعة من اليهود يدينون بالعنصرية الوقحة ان التوراة تصف الشعوب الاخرى جميعا بانهم رجس ونجس يجب على اليهود ان يترفعوا عليهم ، فلا يخالطوهم ولا يصاهروهم ولا ينصحوا لهم ولا يسلموا عليهم ، على حين انها تصور اليهود احباب الله واولياءه وشعبه المختار ٠

جاء فى التوراة : **لانك انت شعب مقدس ، الرب الهك ، اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض ٠**
سفر التثنية ٦/٧ ٠

وجاء فى احد اسفارها : واختلط الزرع المقدس بشعوب الارض ـ سفر عزرا ٢/٩ ٠

وجاء أيضا : « **أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات ؟ أما تسخط** علينا حتى **تفنينا فلا تكون نعمة ولا نجاة ـ سفر عزرا ١٤/٩ ٠**

هذه التوراة ..!

ويتصل بهذا الايثار المكذوب أن الله تعالى رسم لاسرائيل حدودا لوطنهم ومعالم كما يرسم الجغرافيون الخرائط . جاء فى التوراة أن الرب كلم موسى ليأمر بنى اسرائيل بدخول أرض كنعان ، وأنه قال له : **قل لهم انكم داخلون أرض كنعان ، وهى الارض التى ترثونها .**

يتبدى لكم الحد الجنوبى من برية حين على جانب أدوم فيكون من طرف بحرا الملح شرقا .

ثم يستدير لكم من جنوب عقبة العقارب ، ويمر الى حين ، وينفذ من الجنوب الى قادش ، ثم ينفذ الى ادار وعصمون ، ثم يستدير من عصمون الى نهر مصر نافذا الى البحر .

واما الحد الغربى فهو البحر الكبير .

والحد الشمالى من البحر الكبير الى جبل هور ، ومنه الى مدخل حماة ثم الى صور وزفرون ..

هذه حدودكم من كل الجهات « سفر العدد ١/٣٤ — ١٣ » .

هكذا تزعم التوراة المفتراة ان الله عين لليهود مملكة ، وأنه حددها تحديدا جغرافيا دقيقا كما يفعل علماء المساحة وتقويم البلدان .

وفى هذه المخرقة دليل على أن التوراة من وضع اليهود ، لان المملكة المزعومة لم تكن ، ولن تكون،فان الله لم يعين لشعب من شعوبه ارضا يقيم بها أو يغتصبها من اهليها .

وهى فى الوقت نفسه بينة على ماكان يعتمل فى نفوسهم منذ عهد بعيد من اوهام واحلام ، ومن حقد دفين وغدر مبيت وخطة قديمة الميلاد طويلة الاجل لعدوان خسيس لا يرعى دينا ولا خلقا ولا ذمة .

ثم كان من نتائج هذه المحاباة التى يبرا منها العدل الالهى ان اباح الله لليهود ماحرمه على غيرهم .

فليس للاسرائيلى ان يعامل اخاه الاسرائيلى بالربا .

ولايجوز له ان ياخذ منه رهنا فى دين ، فاذا اخذ منه رهنا فى الصباح مما لايستغنى عنه فى عمله اليومى وجب عليه ان يرده فى المساء .

اما غير الاسرائيلى فمباح نهبه ومعاملته بابشع أنواع الربا « سفر التثنية — الاصحاح ١٥ ، ٢٣ »

ولقد رد القرآن الكريم دعاوى اليهود أبلغ رد فى قوله تعالى : « **قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم** اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين. ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وفى قوله تعالى : « **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم** بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير»

والقرآن الكريم يصف الله تعالى بالعدل المطلق بين عباده ، قال تعالى : « ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، **وقال سبحانه : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . وذكر سبحانه وتعالى فى آيات شتى انه اعدل** العادلين ، قال سبحانه : « **والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ان الله هو السميع البصير » .**

وقال تعالى : « **وما الله يريد ظلما للعالمين .**

وقال سبحانه : « **من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » .**

وقال جل وعلا : « **ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى » .** وحرم سبحانه وتعالى الربا فى جميع صوره على جميع عباده ، قال تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون »** وحرمه على اليهود ، قال تعالى ، « **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » .**

لكن اليهود الذين لفقوا التوراة احلوا لانفسهم ماحرمه الله عليهم ، فكذبوا على الله وعلى الناس .

البحث متصل

شهيد بلا شهادة

الأستاذ البهي الخولي

١

هل نقدمه قدوة للرأسماليين ورجال الاعمال ؟ ٠٠ أو نقدمه قدوة للعلماء وقد بلغ فى علمه رتبة الامامة ؟ ٠٠ أو نقدمه مثلا للمجاهدين ، وقد أحرز حظا وافرا من صفات الشجاعة وأريحية الفروسية ؟

أمور ثلاثة قد يبدو من طبيعة كل منها أنها تشغل صاحبها عن الامرين الاخرين ، ولكنها تناسقت فى صاحبنا وتآزرت ، فكانت كل صفة منها كأنها تمد غيرها بطاقات من الحفز وعناصر القوة لتدرك لديها مأربا ذا شأن ٠٠ ذلك لانها تستمد من ينابيع فطرة عظيمة ، ونفس موهوبة ، هى نفس الامام الثرى ، الحافظ الفقيه ، قدوة أهل الرباط حسا ومعنى ٠٠ عبد الله بن المبارك ٠

قدمه الحافظ ابو نعيم فى حلية الاولياء بقوله : « ومنهم ـ أى الاولياء ـ السخى الجواد ٠٠ الممهذ للمعاد المتزود من الوداد .. اليف القرآن والحج والجهاد ٠٠ جاد فساد ٠٠ وروجع فراد ٠٠ ماله مشارك» عبد الله بن المبارك ، رضى الله عنه .

٢

كان صاحب مال ، ولكن نهمته لم تكن الى المال وجاهه والتمتع به ، قال ابن كثير «كان له رأس مال نحو أربعمائة ألف ، يدور يتجر به فى البلدان ٠٠ ٠٠ وكان يربو كسبه منه فى كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها فى أهل العلم ، والزهد ، والعبادة » ٠

وله أخباره فى الجود والسخاء ، يصل من يصل ، أو يقضى عنه دينه ، أو يقيل عثاره .. أو .. أو ٠٠ ولكن الشأو الذى لايكاد يلحق فيه أن حظه من هذا المال كان صيام الدهر ، والاستخفاء بهذا الصيام فلا يعرفه أحد ٠٠ شهد له بذلك قطن بن سعيد فقال : « ما أفطر ابن المبارك قط ، ولا رئى صائما قط » ٠٠ أى أنه كان يتستر بعبادته ٠٠ وقرر ذلك عنه ـ أيضا ـ اسماعيل ابن عياش ..وقال الحافظ بن كثير : « كانت سفرته تحمل على بعير وحدها ، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك ، ثم يطعم أصحابه ، **وهو صائم الدهر فى الحر الشديد** ! ٠٠ وقد يسأل أحدنا : ان لكل انسان شهوة أو نهمة ، ففيم ـ اذا ـ كانت نهمة هذا الرجل ؟ ! ٠٠ وهو نفسه يجيب عن ذلك بقوله : « ان أهل الدنيا خرجوا منها ولم يتطعموا أطيب مافيها » فقيل له : وما أطيب مافيها يأبا عبد الرحمن ؟ .. قال : « المعرفة بالله عز وجل » ٠

٣

وكان صاحب علم حتى لقد بلغ فيه رتبة الامامة ٠٠ وقد سئل سفيان الثورى فى مسألة من العلم ، فقال لسائله : من أين أنت ؟ ٠٠ فقال الرجل : من أهل المشرق .. قال سفيان أو ليس عندكم أعلم المشرق ؟ فقال الرجل : ومن هو ؟ ٠٠ قال سفيان : عبد

الله بن المبارك ·· فعجب الرجل قائلا : أهو أعلم أهل المشرق ؟ ·· قال سفيان : نعم ، وأهل المغرب !

ولكن نهمة الرجل كانت عجبا فى العلم ·· كان له احساس عجيب ينظر الى العلم على أنه أثر من آثار الرسول والصحابة ، فيجد فيه من أنس الصحبة وجلال الحضور الروحى ، مايتضاءل الى جانبه أنس أهل الدنيا بحظوظهم الحسية ·· كان يديم المكث فى بيته لكتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدركه فيه ملل ، ولا يقضى منه مأربه ، لما يجد فيه من كنوز الفكر والروح ، فقيل له مرة : الى متى تكتب هذا الحديث يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال لعل الكلمة التى انتفع بها ماكتبتها بعد ! ·· وقيل له فى ذلك ـ أيضا ـ : ألا تستوحش ؟ فقال : وكيف استوحش وأنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ؟ ·· وكان لشغفه بذلك اذا قضيت الصلاة يعجل العودة الى البيت ، فقالوا له فى ذلك يوما رغبة فى استبقائه بينهم ، فقال : أذهب فأجلس مع الصحابة والتابعين ؟ فقالوا : ومن أين الصحابة والتابعون ؟ فقال : أنظر فى كتبى وعلمى فأدرك آثارهم وأعمالهم .

ولا عجب بعد ذلك اذا قوم نفسه على سمت الصحابة فى كل دقيقة وجليلة من أمره ، حتى قال فيه اسماعيل بن عياش : ماعلى وجه الارض مثل عبد الله ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير ، الا وقد جعلها فيه .. بل حتى قال فيه سفيان ابن عيينه ــ وهو من هو ــ نظرت فى أمر عبد الله بن المبارك ، وأمر الصحابة ، فما رأيتهم يفضلون عليه الا فى صحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما فر من فتنة المال والعبادة الى الاستخفاء والزهد ، فر اليهما ايضا من فتنة العلم ·· نزل الكوفه مرة ، وبينا هو فى مجلس علمه يقرأ عليه كتاب المناسك ، بلغ القارىء مكانا يقول فيه الكاتب : قال عبد الله بن المبارك : كذا ، وكذا ، فصاح منفعلا : من كتب هذا من قولى ؟ قال القارىء : انه الكاتب الذى كتبه .. فأخذ الامام الجليل يحك الكتابة بأصبعه حتى محاها ·· ثم قال : ومن أنا حتى يكتب قولى ·· وقد يكون هذا من التصنع الذى يراد به أحيانا لفت الانظار اليه لاذاعته ، ولكنهم رووا عنه أن داره كانت بمرو ممتدة الرحاب ، فسيحه الفناء ، تحفل بمن يقصدها من خاصة الناس وعامتهم ، فلما صار الى الكوفة نزل بدار صغيرة ، يخرج منها الى الصلاة ثم يعود اليها لايكاد يأتيه أو يفطن اليه أحد ، فقال له أحدهم : ألا ترى الى ماأنت فيه الى ماكنت فيه بمرو ؟ ·· فقال : لقد فررت من مرو الى هاهنا حيث العافية من ازدحام الناس أو اشارتهم الى : هذا ابن المبارك ! نسأل ابن المبارك ! أقصدوا ابن المبارك ··· وأدل من هذا وذاك على نشدان

العافية فى التخفى أنه مر مع صاحب له بسقاية يزدحم عليها الناس للشرب ، فدنا ليشرب ولا يعرفه أحد ، فزحمه الناس ودفعوه ، فلما خرج قال لصاحبه : ما العيش الا هكذا ! . أى الا حيث يكون المرء فى غمار الناس لايعرف ولا يوقر ..

وجاه العلم ، وفتنة المال ، ومتاع الحس ، آفات تهلك النفس ، فكان الامام العظيم يرابط لهما على ثغرات نفسه يحذر أن تخلص اليه خالصة منها فتهلكه ، وكان يرى ذلك هو حق الرباط ، وقد سئل يوما عن الرباط فى سبيل الله ، فقال : « رابط بنفسك على الحق ، حتى تقيمها على الحق ، فذلك أفضل الرباط » .

٤

وكما كان صاحب مال وعلم ، كان صاحب جهاد .. أو صاحب غزو ومرابطة فى أطراف البلاد وعلى خط مواجهة العدو .. كانت بلدته مرو بأقليم خراسان ، وكانت الشام الشمالية هى ثغور المواجهة مع العدو ، فكانت له نهمة فى الجهاد تقيل به من بلاده النائية وراء العراق الى حيث المواجهة مع الروم ، فيقاتل ان كان قتال ، أو يرابط أين كانت الخطة المرابطة والتربص .. وكانت شهرته بذلك تعدل شهرته بالعلم والمال ..

ويحصى له أئمة السير مواقفه الغر فى الجهاد والمرابطة ، وماله فيها من غناء وشجاعة ، ولكن الامر لديه كان فيما وراء الشجاعة والغناء ، اذ لم يكن ينظر الى الغزو على أنه مجرد فريضة ، اذا قام بها البعض سقطت عن الباقين ، وحسب المرء منها أن يحدث نفسه بها ، أو أن يؤديها فى حياته مرة أو مرتين ، اذ قال عليه السلام : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه به ، مات ميتة جاهلية » .. لم ينظر الى الغزو من تلك الزاوية ، بل نظر اليه على أنه باب الى الخلود ، وأمان من النار ، فكانت مواجيده لاتفتأ تنازعه الى أقصى الثغور ، حيث أعلام الخلد وريح الجنة فى غبار الغزاة ... كان بطرسوس فى احدى مرات رباطه وغزوه ، وذكر صديقه ـ أو أقرب أصدقائه ـ الفضيل ابن عياض .. كان الفضيل منقطعا للعبادة فى حرم الله . أطهر بقاع الارض .. ولكن ماعسى تبلغ العبادة فى الكعبة الى ماهو فيه حيث غبار المعارك لا يجتمع مع فيح جهنم فى أنف امرىء مؤمن ، وحيث الصليل والصهيل يسكب أنشودة الخلد فى قلب كل مقاتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » .. ذكر ابن المبارك ذلك كله ، وحزن ألا يكون لصديقه مثل ماهو فيه ، فتناول قلما وخط به خواطر نفسه

ياعابد الحرمين لو ابصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لايكذب
لايستوى غبار خيل الله فى
انف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لايكذب

وقرأ الفضيل خطاب صديقه ، وبكى ، وقال صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى .

وكما فر من جاه العلم ، الى التخفى يفر من جاه الغزو اليه ، روى ابن الجوزى فى صفة الصفوة عن بعض الاعلام قال كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم ، وكان صديقا لى ، فالتقى الصفان ذات يوم ، وخرج منا رجل ملثم ، فدعا الى المبارزة ، فخرج اليه رجل فطارده ساعة وقتله ! وخرج ثان فقتله ، ثم ثالث ورابع فقتلهما ، ثم حمل على العدو حملة صادقة ، فأنكى فيهم ونحن معه حتى ولوا الادبار .. قال : ففرحنا به ، واجتمع اليه الناس ليعرفوه ، ولكنه ملثم ، فأخذت بطرف لثامه فنزعته ، فاذا هو عبد الله ابن المبارك .. فنظر الى عاتبا وقال : وأنت ممن يشنع علينا ياأبا عمرو ؟ !! .. وتوفى وهو منصرف من احدى مرات غزوه بمكان اسمه هيث .. لقد عاش شهيدا ، فهل كتبت له الشهادة بعد مماته ؟ .. لقد أمات متعة المال فى نفسه لتحيا روحه بالله عز وجل وتلك شهادة ، وصرع شهوة الشهوة بالعلم لما يجد من جاه الانس بالنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه .. وتلك شهادة .. وقتل شهوة الرياء فى الغزو ليرى الله وحده مكانه فيه .. وتلك شهادة .. ولكنه يموت بهيث وهو منصرف من الغزو ، وليس به دم الشهادة ، فهل يكتبها الله له ؟ .. قال أحد أبناء الفضيل بن عياض ، رأيت عبد الله بن المبارك فى المنام فقلت له : أى الاعمال وجدت أفضل ؟ . قال : الامر الذى كنت فيه .. قلت : تعنى الرباط والجهاد ؟ .. قال : نعم .. قلت : فأى شىء صنع بك ؟ . قال : غفر لى مغفرة مابعدها مغفرة .. وزوجنى من الحور العين .

من ذكريات جمادى الأولى

فضيلة الشيخ
محمود أحمد هاشم

فى هذا الشهر العظيم جمادى الاولى تطالعنا غزوتان ، لعل أحداهما لم تكن متداولة على السنة كثير من الناس وهى غزوة العشيرة ، تلك التى خرج فيها الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى مائة وخمسين ، ويقال فى مائتين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش ، ويروى أنه كنى عليا كرم الله وجهه فيها بأبى تراب ، وقد رآه نائما وتعلق به بعض التراب .

وقد استخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وأخذ طريقه الى العشيرة ، وقد وادع النبى صلى الله عليه وسلم فيها بنى مدلج ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا .

أما الغزوة الثانية فهى غزوة ذات الرقاع ، تلك التى خرج فيها النبى عليه الصلاة والسلام واستعمل فيها على المدينة أباذر الغفارى ، وقيل عثمان بن عفان ، ونزل (نخلا) من منازل بنى ثعلبة بنجد على بعد يومين من المدينة .

وقد سميت هذه الغزوة بذات الرقاع لان أقدامهم قرحت من الحفاء ، فكانوا يلفون عليها الخرق ، وقيل لانهم رقعوا منها الرايات ، وقيل .. ان ذات الرقاع اسم شجرة فى ذلك الموضع ، وقيل : ان الجبل الذى نزلوا عليه كانت أرضه ذات الوان من حمرة ، وصفرة ، وسواد فسموها ذات الرقاع لذلك .

وبعد أن عسكر المسلمون فى بطن نخل وجدوا أنفسهم أمام جند الاعداء الذين يكثرونهم عددا وعدة ، ولم يستطع احد الفريقين أن يبدأ بالقتال ، فالمسلمون كانوا فى تفكير أمام هذا العدد الكثير ، والاعداء حل بهم الرعب والفزع لما علموه من انتصارات المسلمين المتوالية من قبل ، ووجدوا فى المسلمين تحفزا ورغبة ملحة فى الهجوم وشجاعة وتضحية وعزما وتصميما على القتال والاستبسال ، فهالهم هذا الموقف العظيم ورجعوا جماعة تلو جماعة ، وتركوا الميدان ، فأحس المسلمون بالهدوء والاطمئنان ،

ومما هو جدير بالذكر فى هذه الغزوة ما حدث من ذلك الرجل الذى يدعى : غورث بن الحارث المحاربى من بنى محارب ، هذا الذى هم بشرهه وخطره يريد أن يفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم حين اختطف سيفه الذى كان معلقا بغصون الشجيرة التى كان يستريح فى ظلها النبى عليه الصلاة والسلام مظهرا أنه يريد النظر الى هذا السيف الذى أعجبه منظره ، وقد كانت حيلة حقود ، وغدر عدو لدود ، فما أن تمكن من السيف الذى طالما شهر فى وجه الاعداء حفاظا على الشريعة الغراء ، وبترا للضلالة العمياء .. الا وقد رفعه الغادر بيده الاثمة ، وهزه على رأس سيدالبشر صلى الله عليه وسلم محاولا أن يقضى على الدعوة الاسلامية فى شخص سيد البرية صلى الله عليه وسلم ، فقال له فى غرور لئيم ، وفى تفكير سقيم : من يمنعك منى الان يامحمد ؟

كلمة خبيثة صدرت من غير وعى ولا تفكير ، نسى صاحبها أن التدبير بيد الاله العلى القدير ، فظن أنه

قادر على أن يبطش بالذى اصطفاه الله واجتباه، وحفظه برعايته، وأحاطه بعنايته، معتمدا على أن السيف بيده، ناسيا أن الله عز وجل بيده مقاليد السموات والارض، وهو وحده النافع الضار، يفعل ما يشاء ويختار.

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم اليه نظرة تلوح بالهدوء والاطمئنان، وتبين أنه صلوات الله وسلامه عليه لايخشى أى شر أو طغيان ولا يهاب أى سلاح، مادام معه سلاح الايمان.

فقال له صلى الله عليه وسلم « الله يمنعنى منك ».

وما أن سمعتها أذناه الا وخارت قواه، وشلت يداه، فسقط السيف من يده، سقطة تدل على ضعفه وخوره، وخوفه ورعبه، فتناوله النبى صلى الله عليه وسلم، وقال له فى هدوء واطمئنان: « وأنت من يمنعك منى الان »؟ فاسقط فى يد الرجل، وأحس أن القتل لاحقه لا محالة، وأنه هالك على أية حالة، ولكن عاوده الامل على عجل، عندما تذكر تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم المجيد وعطفه الشديد، وكرمه الغزير، وحلمه الوفير فقـال:

يمعنى منك عفوك وكرمك يارسول الله.

والقلوب الطيبة شديدة التاثير، وسريعة البعد عن الغضب فسرعان ما تفتحت فى قلب النبى عليه الصلاة والسلام أبواب الرحمة والخير، والبر والعطف والاحسان، فعفا عنه مع هذه المقدرة .. عفا عنه النبى صلى الله عليه وسلم عفوا شاملا، وتفضل عليه تفضلا كاملا.

وهكذا يضرب النبى صلى الله عليه وسلم أروع الامثال فيما يفعله عظماء الرجال ولقد كان لهذا العمل نتيجة محبوبة اذرجع الى قومه وكان قد وعدهم برأس النبى صلى الله عليه وسلم، فقال لهم حين أتاهم لقد رأيت أكرم الناس ومازال يثنى عليه حتى رجع اليه، وأسلم على يديه عليه الصلاة والسلام.

وفى هاتين الغزوتين من العبر ما يستحق الوقوف عنده

ففى غزوة العشيرة عزم واقدام، وعمل وتصميم دفاعا عن الدعوة التى وهبها هؤلاء المخلصون البررة كل ما يمتلكون من نفس ونفيس، مقتدين فى ذلك بامامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه.

كما كان فى موادعته عليه الصلاة والسلام بنى مدلج من أريحية النفس وحسن التصرف فى الامور ما فيه، وهكذا يكون شأن المجاهد المخلص والسياسى الاريب، الذى يضع الامور فى مواضعها، ويزنها بميزانه الصحيح.

ولا غرابة فى هذا التصرف المحمدى الناجح الذى انبثق من ثنايا نفس أصطنعها الله على عينه، ورباها على يده، وقال لصاحبها: « **وانك لعلى خلق عظيم** ».

وعظمة الخلق هذه تفجرت منها كل ينابيع الحكمة، وترعرت بها كل مواقف الحياة.

والرسول عليه الصلاة والسلام لا يصدر فى شىء من أموره عن نفسه ولاينطق عن هواه « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »

ونجاح كل دعوة أو عمل يقاس بمدى ما يحرزه اصحابها من نتائج كريمة تتسم بالحكمة والاناة والنجح فى العمل، وان لم يصيبوا الهدف، أو يحققوا الامل.

وفى الغزوة الثانية مافى الغزوة الاولى مما أشرنا اليه آنفا، ان بها مشهدا رائعا يستأهل الوقوف عنده، وهو موقف النبى صلى الله عليه وسلم ازاء هذا فقد كانت معاملته صلى الله عليه وسلم متسمة بالحسنى مستجيبا فى ذلك لقوله تعالى « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ».

وهكذا تعطينا هاتان الغزوتان دروسا رائعة حكيمة من سار بها رشد، ومن عاش عليها هدى الى صراط مستقيم

وهكذا أعطانا هذا الشهر العظيم جمادى الاولى تلك العبر الغالية من تراث ديننا الحنيف، فواجبنا تجاهها، أن نتمسك بمثلها، وأن نحيا على هداها، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، محققين خيريتنا كخير أمة أخرجت للناس.

« كنتم خير أمة أخرجت للناس »

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

ها نحن نتابع بعون من الله سبحانه وتعالى الاشارة الى ما تحويه ايات القرآن الكريم من نواحى الاعجاز المتعددة ومنها الاعجاز التشريعى فى سلسلة من المقالات كنا قد بدأناها منذ ان احتفل فى العام الماضى بمرور اربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن الكريم

المستشار على على منصور

سورة التوبة

نزلت سورة التوبة فى المدينة المنورة فى العام التاسع للهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى ابا بكر الصديق امارة الحجيج وخرجوا الى مكة فلما نزلت هذه السورة معلنة براءة الله ورسوله من المشركين الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين ، وآمرة بالاذان الى الناس يوم الحج الاكبر بما تضمنته من احكام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤذن عنى الا واحد منى وامر على بن ابى طالب بأن يلحق بالحجاج حاملا هذه السورة مبلغا أحكامها للناس لكل من حضر موسم الحج بعرفة من المسلمين والمشركين وجاء فى كتاب السيرة لابن هشام ان عليا بعد ان تلا السورة اذن فى الناس مبلغا اياهم اربعة احكام :

اولا ان الله برىء ورسوله من المشركين الذين نقضوا العهود التى عقدوها مع المسلمين وأمهلهم اربعة اشهر اما ان يدخلوا فى دين الله او يسيحوا فى الارض على شركهم وهم فى تلك السياحة غير معجزين لله .

ثانيا اما من اقام على عهده من المشركين ولم ينقض ما بينه وبين المسلمين من معاهدة فعلى المسلمين ان يتموا لهم مدة عهدهم .

ثالثا المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا حيث كانوا من قبل يشهدون مواسم الحج ويأتون من المنكرات مالا يتفق وحرمة هذا البيت العتيق بيت الله الحرام .

رابعا ان لا يطوف بالبيت عريان اذ كان بعض العرب يحرفون مناسك الحج التى سنها ابراهيم فكانوا يطوفون بالبيت عرايا .

الآيتان ١٢ ، ١٣ من سورة التوبة (وأن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم

بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) ٠

تشير الاية الكريمة الى ان من ارتد عن الوفاء بما قطعه على نفسه من عهد فقد خان الامانة واستحق القتال ٠ وهذه قاعدة من قواعد القانون الدولى العام ، كما تشير الاية الى وجوب مقاتلة ائمة الكفر وهم هنا ذوو الرئاسة فى دول الاعداء والقادة ٠ ومعلوم أن قتل القائد يسبب الاضطراب فى المعركة. وقد درجت بعض الجيوش على تخصيص بعد الافراد فى قواتها مهمتهم اصطياد القادة وقتلهم وهم يعرفون فى التنظيمات الحربية الحديثة بالقناصة ٠

الايتان ٢٥ و ٢٦ من سورة التوبة (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ٠ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » حنين بين مكة والطائف وما أن فتح الله مكة للمسلمين حتى بدأت قبيلتا ثقيف وهوازن بالطائف تجمع الجموع وبلغت عدتهم اربعة الاف فخرج الرسول لملاقاتهم وكان جيش المسلمين نحو اثنى عشر الفا وهو اكبر جيش خرج به الرسول عليه السلام فى غزواته ٠ ويعتبر انتصار المسلمين فى حنين من المواقف الحاسمة فخضوع هوازن وثقيف يعتبر القضاء الاخير على الوثنية فى الجزيرة العربية ٠ واختفى فريق من جيش المشركين وراء اكمة وفاجأوا مقدمة جيش المسلمين فى عماية الفجر فتفرقوا وثبت الرسول صلى الله عليه وسلم على بغلته واخذ ينادى المسلمين يا أهل الشجرة فثابوا الى رشدهم بعد المفاجأة وعادوا الى الالتفاف حول الرسول وشدوا على الكفار فهزموهم بعون الله ٠

وتشير الآيات الكريمة الى مابدا من بعض المسلمين من زهو واعتزاز بكثرتهم فقالوا لن نغلب اليوم من قلة فتركهم الله لانفسهم فانهزموا فى اول القتال ولم تغن عنهم كثرتهم شيئا فلما عادوا الى رسولهم والى ربهم موقنين ان النصر من عند الله وليس بالكثرة العددية انزل الله سكينته على المؤمنين وانزل ملائكته لتثبيتهم ونصرتهم فانتصروا وعذب الله الذين كفروا بالقتل والاسر ٠ فالروح المعنوية اذن والثبات والايمان هى عدة النصر لا الكثرة العددية وتظهر اهمية ذلك فى الحروب الحديثة التى تعددت فيها أسلحة الدمار ٠ والقرآن الكريم يبث فى كثير من آياته اهمية الثبات والثقة بالله وعدم تولية الادبار ومجابهة الموقف بالشجاعة فى جميع المواقف ٠

الآية ٢٩ من سورة التوبة (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ٠

الاسلام كما اسلفنا فى التعليق على ايات القتال فى السور السابقة لايعرف الحرب الهجومية بقصد الفتح والغزو والاستعلاء ٠ وهو لا يقاتل الا ردا لاعتداء واقع على الدولة الاسلامية او على المسلمين المستضعفين فى بلاد لغير المسلمين أو على الدعوة الاسلامية ٠ فمن قاتلنا وانتصرنا عليه فدخل فى الاسلام فله ما لنا وعليه ما علينا . فان أبوا الا البقاء على دينهم وسلطانهم فلهم ذلك على أن يدفعوا الجزية ان كانوا من اهل الكتاب ومن فى حكمهم ونؤمنهم على دينهم واملاكهم وسلطانهم ولهم على ذلك ذمة الله ورسوله وذمة المؤمنين ولذلك سموا بأهل الذمة والجزية نظام معروف قديم وكانت الكنائس تفرضها فى اوروبا فى القرون الوسطى على الاشخاص والبهائم بغير مقابل وكانت تفرض على الغنى والفقير حتى ضج الناس منها ٠

اما الجزية فى الاسلام فهى ضريبة الدفاع تفرض على الذكور دون النساء من أهل الذمة بشرط صحة العقل والجسم والبلوغ والقدرة على الدفع وكان يعفى منها النساء والاطفال والشيوخ والرهبان ٠ وذلك نظير حمايتهم والدفاع عنهم وتمتعهم بمرافق الدولة الاسلامية التى يعيشون فى ظلال أمنها وعدالتها ولانهم لا يلزمون بدفع الزكاة وهى ضريبة المال على المسلمين فقط. ومن افتقر من أهل الذمة أو لم يصبح قادرا على الكسب فقوته وقوت من يعول فى بيت مال المسلمين (خزانة الدولة الاسلامية) وقد مر عمر على يهودى يسأل الناس فقال ما الجأك الى هذا قال المرض والشيخوخة فحط عنه الجزية وفرض له من بيت المال ما يكفيه ويكفى عياله وقال قولته المشهورة (ما انصفناه ان اكلنا شبيبته وتركناه فى هرمه) وسأل عن امثاله من اهل الذمة ففرض لهم فى بيت المال مايكفيهم بعد ان اعفاهم من دفع الجزية ٠

الآية ٣٠ من سورة التوبة (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) •

يذكر التاريخ ان عزيرا هو عزرا الكاهن من نسل هارون وكان يكتتب ويشرع فى الديانة الموسوية وكذا سمى بالكاتب وكان قد خرج من بابل مع رجوع اليهود الثانى بعد وفاة موسى بنحو الف عام اذ ان وفاة موسى عليه السلام كانت نحو عام ١٤٥١ ق • م • وكانت عودة عزرا ومن معه من اليهود الى اورشليم سنة ٤٥٦ ق • م • فى حكم ارتخشتا ملك فارس بعد خراب أورشليم وحرق بيت المقدس بزمن طويل • وليس فى شرعة العقل ان يكون لله ولد سبحانه وتعالى علوا كبيرا عما يفترون •

الاية ٤٠ من سورة التوبة (الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) •

يذهب بعض الفقهاء الى ان الهجرة بمعناها الواسع واجبة على كل مسلم فيتحول من دار او بلاد ظلم فيها الى غيرها بنص الآية الشريفة (قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أما هجرة مسلمى مكة أو الجزيرة الى المدينة فكانت مفروضة قبل فتح مكة لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام حديث (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) اما الغار الذى اختفى فيه الرسول وصاحبه ففى جبل ثور اسفل مكة وقد ايد الله رسوله فى الهجرة بكثير من المعجزات منها انه ضرب على اعين الحراس حول بيته او خرج ورماهم بالتراب قائلا شاهت الوجوه • ومنها نسيج العنكبوت على باب الغار الذى كف عنه دخول الكفار الى الغار بعدان وقفوا امامه وكذا عش الحمامة وبيضها • ومكث الرسول وصاحبه فى الغار اياما ثلاثة وخرج منه بنيل بعد ان سكن وهدا طلب الكفار • ومنها ايضا ما حدث لسراقة حيث ساخت اقدام فرسه لما ظفر بهما فى البادية وهم بأن يدل الكفار عليهما • وهكذا توالى نصر الله من بداية الهجرة الى ان وصلا الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول سنة ٥٣ من ميلاده عليه السلام سنة ١٣ هجرية الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٠ ميلادية وصدق الله اذ يقول) انا لننصر رسلنا والذين آمنوا)

الآية ٤١ من سورة التوبة (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

تهيب الاية بالمسلمين ان يلبوا نداء الحرب ركبانا ومشاة مسلحين بعتاد خفيف وآخر ثقيل وهكذا من أساليب القتال القديمة والحديثة فالاسلحة الخفيفة كالبنادق والسيوف لها غرضها فى القتال • اما الاسلحة الثقيلة فهى لدك معاقل العدو وحصونه • وقد استعمل الرسول فى حصار الطائف بعد غزوة حنين من الاسلحة الثقيلة المنجنيق لاول مرة فى الاسلام كما استعمل الدبابات وهى من ادوات الحرب يدخل فيها المحاربون ويدقونها الى جدار الحصن فينقبونه وهم فى داخلها • كما استعمل الديور وهو كالدبابة يصنع من الخشب ويغطى الجلد وهو اشبه بالسيارة المدرعة اليوم •

وتشير الآية أيضا الى أن مجاهدة العدو فرض على كل مسلم بنفسه وبماله •

الاية ٦٠ من سورة التوبة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

التعبير بالصدقة هنا مقصود به الزكاة • والزكاة حق الفقراء فى مال الاغنياء (وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وهى ليست منة من الغنى ونسبتها اى قدرها فى النقدين الذهب والفضة ٢ ونصف فى المائة والعروض التى تخرج منها الزكاة مبينة فى كتب الفقه منها الحبوب والمطعومات والمواشى وعروض التجارة أما مصرفها فللفقراء والمساكين وابن السبيل وهو الغنى فى بلده ولكنه احتاج فى سفره ومنها يسدد دين من ركبه الدين ولم يقدر على سداده بشرط أن يكون قد اقترضه فى أمر لا فساد فيه وفيها باب للقرض الحسن • ويجمعها ولى الامر وهى لو احسن جمعها واعطيت لمستحقيها لم يوجد فى الدولة الاسلامية جائع يبيت على الطوى شحاذ تذله الحاجة والسؤال • ولقد روى ان والى عمر بن

عبد العزيز على شمال افريقيا كتب يقول انه فاض فى بيت المال كثير من الاموال بعد اداء جميع حقوق العمال والولاة والفقراء فرد عليه أن أد عن الغارمين أى سدد عن المدينين فقال انا لنجد للرجل دارا واثاثا وفرسا فهل هو غارم فرد عليه · يجب للمسلم من دار تؤيه وفراش يأوى اليه وفرس يغزو عليه فهو غارم . فشكا الوالى ثانية للخليفة بما فاض من مال بعد سداد دين المدينيين فقال اشتر رقيقا واعتقهم والحقيقة انها لو جمعت من وجوهها وصرفت فى مصارفها لكانت أعظم نظام للتكافل الاجتماعى وهذا اكبر دليل على كمال ما شرع الخالق ونقص ما شرع المخلوق وانه لا داعى لان نستعير النظم من غير شريعتنا ·

الاية ١٠٧ من سورة التوبة (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون)

المسجد المذكور فى الاية الشريفة اقامه جماعة من المنافقين خارج المدينة ليكون لهم ولاعداء الدعوة المحمدية من اليهود الذين أجلو عن المدينة وكانوا يحيكون فيه الدسائس والمؤامرات · وكان بالقرب من مسجد قباء اول مسجد اسس فى الاسلام ، اذ حين وصل الرسول وصاحبه مهاجرين الى مشارف المدينة اقاما بقباء اياما ، ودعا الى اقامة مسجد قباء فى ضاحية بنى عمرو بن عوف ولما دخل المدينة صلى الله عليه وسلم اقام مسجده حيث بركت الناقة واغتاظ المنافقون واعداء الدعوة من وحدة المسلمين فى قباء وفى المدينة فدعا ابو ايوب الراهب النصرانى الى بناء مسجد آخر فى قباء تفريقا لكلمة المسلمين بها حجة ان الليلة الشاتية تحول بينهم وبين الوصول الى أحد المسجدين مسجد قباء ومسجد المدينة . وبعد اتمام بنائه اتوا الرسول بالمدينة وطلبوا اليه ان يفتتح المسجد بالصلاة فيه فقال انا على جناح سفر الى غزوة فاذا رجعنا اتيناكم فصلينا فيه · غير ان الروح الامين (جبريل) هبط عليه وهو فى طريقه الى المدينة عائدا من غزوة تبوك منتصرا وأوحى له بخبيئة أنفسهم فى هذه الاية وما تلاها من ايات وامره ان لا يصلى فى هذا المسجد الذى اقيم اضرارا بالمؤمنين وتفريقا بينهم واشاد الله سبحانه وتعالى بمسجد قباء أول مسجد اقيم فى الاسلام · وامتدح اهله بانهم اناس يحبون ان يتطهروا وذلك بقوله (لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) الايات ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ وما ان وصل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة حتى بعث برجال حرقوا مسجد المنافقين وهدموه وعرف بمسجد الضرار .

الاية ١١٧ من سورة التوبة (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم)

كانت غزوة تبوك فى شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة بين المسلمين والروم وذلك بعد ان اعتدى الروم والفرس على من اسلم من قبائل المناذرة والغساسنة فى شمال الجزيرة العربية وبعد أن حرقوا كتب رسول الله الذى ارسلها لدعوة الملوك والامراء للدخول فى الاسلام فامر الرسول بالاستعداد للخروج الى القتال وسمى جيش المسلمين بجيش العسرة لان التأهب للغزوة كان فى زمن العسرة اى الشدة من الحر والبلاء · وما ان وصل الرسول بجيشه الى تبوك حتى جاءه يوحنا وصالحه على الجزية بعد ان تقهقر جيش الروم الذى كانوا قد اعدوه · ثم اقام الرسول بتبوك اياما ورجع الى المدينة · وهذه هى آخر غزوة خرج فيها الرسول عليه الصلاة والسلام غازيا ·

الاية ١٢٢ من سورة التوبة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

فى الاية الكريمة بيان لقاعدة هامة من قواعد التعبئة وهى انه لا يسوغ للمؤمنين اذا دعا داعى التجهيز ان ينفروا جميعا نحو غزو او طلب علم . كما لا يستقيم لهم ان يقعدوا جميعا فان ذلك يخل بأمر المعاش والحرب ولذلك يخرج من كل فرقة طائفة للغزو وطلب العلم والتفقة فتحصل على المراد وتعود لترشد باقى القوم .

براعة الاستهلال و روعة الأساليب فى فواتح سور القرآن

فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى

هذا النوع الذى جاء فى فواتح السور باسلوب الاستفهام ، قد تكلمنا فى مقالنا السابق عنه جاء منه فى فاتحة سورتى الانسان والفاشية، واليوم وفى هذا المقال نريد أن نتعاطى الحديث عما جاء منه فى فواتح السور النبأ ، الشرح ، الفيل ، الماعون .

اما سورة النبأ فقد جاء فيها بطريقة قوله تعالى « عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون » ولا خلاف فى ان اداة الاستفهام هنا هو لفظ (ما) الذى كثيرا مايأتى للاستفهام به عن الذات او الصفة ، غير انه لما دخل عليه حرف الجر (عن) حذف منه الالف تخفيفا ومثل [عم] **والمعنى عن اى شىء يتساءلون** ؟ والمتسائلون هم الكفرة أهل مكة ، يسأل بعضهم بعضا . او يسألون الرسول والمؤمنين عن هذا الشىء استهزاء به وسخرية ، لكن هذا الاستفهام الصادر من الجناب الاعلى جل جلاله اختلفت فى توجيهه الانظار ، بعد الاتفاق على انه ليس استفهاما حقيقيا لان الاستفهام الحقيقى معناه الجهل بالمسؤول عنه وهو محال على الله ، واظهر الاقوال فى توجيه هذا الاستفهام انه استفهام التهويل والتفخيم والتعظيم ، والمعنى ، عن اى شىء عظيم يتساءلون ؟ كان المعنى ما اعظم هذا الشىء الذى يتساءلون عنه ، بدليل ماذكر بعد ذلك من قوله تعالى . عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ، كأنه قيل عن اى شىء عظيم يتساءلون ؟ هل اخبركم به ؟ عن النبأ العظيم يتساءلون . يقول العمارى فى تفسيره المشهور « استفهم بالاداة « ما » لما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهو له وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اى عن اى شىء عظيم الشأن » ثم يقول « ايراد الكلام على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق . جدير بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل . عن اى شىء يتساءلون ؟ هل اخبركم به ؟ ثم قيل بطريق الجواب . عن النبأ العظيم . على طريقة قوله تعالى « **لمن الملك اليوم . لله الواحد القهار** » .

وكذلك اختلفت الانظار فى المراد بهذا النبأ بعد الاتفاق على أن النبأ هو الخبر العظيم لا مطلق خبر ، فرأى بان المراد به هو القرآن العظيم ، ورأى اخر بأن المراد به رسالة الرسول الكريم ، ورأى ثالث بأن المراد

به هو البعث ويوم القيامة • كانوا يختلفون فيه مع النبى والمسلمين ، وكانوا يختلفون فيه بعضهم مع بعض فريق يؤكد انه لا بعث « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين » وفريق شاك يقول « ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين » وهذا الرأى الاخير والثالث فى المراد بالنبأ العظيم وانه هو يوم القيامة هو الرأى الارجح والاشكل بسائر آيات السورة الكريمة والاوفق بما ندعيه كثيرا من براعة الاستهلال فى فاتحة السورة وانباء أياتها عليها وارتباط سائر هذه الايات فى المعنى والاسلوب والعبارات بفاتحة السورة الكريمة حتى تكون السورة وحدة واحدة ، متكاملة مترابطة فى المعانى والافكار ، حتى لكأن فيها الوحدة العضوية التى يتغنى بها الادب الحديث فى القصيد الشعرى البالغ الجودة • ولله ولكتابه ولاياته المثل الاعلى ،

ان السورة بعد ان حكت فى فاتحتها سؤال الكافرين استهزاء عن البعث ويوم القيامة الذى يختلفون فى شأنه عادت آياتها عقب ذلك مباشرة الى الزجر والوعيد لهم بأنهم سيعلمون مستقبلا أن ذلك حق واقع لاريب فيه «**كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون** » ثم ساقت من الآية السادسة الى الآية السادسة عشرة مايعتبر برهانا ودليلا عقليا على قدرة الله على البعث واعادة الخلق كما بدأ هم فى اسلوب الاستفهام ايضا •

فذكرت انه جعل الارض مهادا ، والجبال اوتادا ، وخلق الناس ازواجا ، وجعل النوم سباتا ، والنهار معاشا ، والليل لباسا ، وبنى فوق الناس سبعا شدادا ، وجعل فيها سراجا وهاجا ، وانزل من السحاب ماء ثجاجا ، فأخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ، ثم عادت بعد ذلك الى تأكيد يوم الفصل يوم القيامة فقالت « **ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا** » ثم ذكرت جعل السماء يوم القيامة ابوابا والجبال سرابا ، ثم ذكرت عذاب الكافرين المكذبين وثواب المؤمنين الذين اعدوا لهذا اليوم عدته فللاولين « **ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا ، انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شىء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا** » وللاخرين المؤمنين « **ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكأسا دهاقا لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا** » •

ثم تختم السورة الكريمة نفسها بثلاث آيات فى ذكر هذا اليوم صراحة كالثلاث آيات التى كانت فى فاتحتها فى نفس هذا اليوم • فيكون ذلك ردا للعجز على الصدر فى المعانى والمناسبات ويكون شاهدا آخر من الشواهد الكثيرة التى تشهد بأنه كثيرا ما يكون بين فاتحة السورة وخاتمتها ، وحدة او مناسبة قوية ، او ما شئت قل « **يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا** » •

اما سورة الشرح فهى سورة الامل والتفاؤل واذهاب اليأس والحرج من صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمما لا شك فيه ان حياته كانت مليئة بالصعاب والشدائد وكانت سلسلة متصلة الحلقات من النضال والجهاد فى معترك الحياة وتبليغ الرسالة واقامة دعائم الدولة الاسلامية وايصال فكرة الاسلام والتوحيد الى قلوب كانت كالحجارة او اشد قسوة فلتأخذ هذه السورة الكريمة بيده لتروح عنه وتملا قلبه يقينا وصمودا ، فتذكر له ، شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ، ومجىء اليسر مع العسر ، فشرح الصدر توسعته وانبساطه حتى يتسع فلا يضيق بهموم النبوة وشدائد الرسالة وايذاء الناس ، فيستوعب ما ايده الله به من القوى القدسية والكمالات النفسية لايعوقه الضيق بالشدائد عن اقتباس انوار الملكات الروحانية • ولا يعوقه الانشغال بأمر الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق • ليمضى قدما الى اداء رسالته واثقا من ربه موقنا بنصره ، كما قال له ربه فى مقام آخر « **ولا تك فى ضيق مما يمكرون** » «**كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه** » والوزر هنا فى السورة الكريمة بمعنى الحمل والعبء الثقيل ، ووضعه عنه بأن آتاه الله من القوة والصمود والاعانة مابه قد استطاع ان يتخلص مما يغمه ويهمه الى مايرضيه ويفرحه من النجاح والتوفيق فى تبليغ الرسالة وارساء قواعد الشريعة بعد الحيرة والاضطراب فى تلمس الوصول الى ذلك ، ورفع

ذكره صلى الله عليه وسلم باقترانه مع ذكر الله فى الاذان والشهادة ووجوب الطاعة ، ومجىء اليسر مع العسر فى اسلوب مؤكد بأداة التأكيد ومكرر العبارة زيادة فى التأكيد ، مع تعريف العسر لافادة الوحدة وتنكير اليسر لافادة الاثنينية زيادة تقرير وتوكيد للمعانى المذكورة فى فاتحة السور الكريمة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لن يغلب عسر يسرين » **ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا** » وهذا الاستفهام الموجه من الله لحبيبه هو استفهام التقرير والاخبار بمعنى قد شرحنا لك صدرك ، الا ان فيه زيادة معنى حمل المخاطب على ان يعترف ويقر بذلك ويقول . بلى يا رب قد فعلت بى ذلك ، ليكون معترفا شاكرا والله يقول « **لئن شكرتم لازيدنكم** » .

ومن التتمة لذلك والتفريع عليه والبناء فوقه ان تقول السورة بعد ذلك « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » تأمره بأنه اذا ما فرغ من عمل خلاق بناء وكل اعماله خلاقة بناءة وليشرع فى غيره ، لا يفرغ من عمل تعب فيه الا ليشرع فى عمل آخر فيه نصب وتعب ـ فالحياة حركة متواصلة وحياة العظماء سلسلة متصلة الحلقات من عظائم الاعمال ، اما قول ابن عباس ـ فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء ، وقول الحسن ـ فاذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة ، وقول مجاهد ، فاذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك ، فهذه كأمثلة وجزئيات للمعنى الكلى الذي قلناه ، يقول عمر رضى الله عنه « **انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لافى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة** » وهو شاهد لما قلناه ، ثم يكون ختام السورة ، والى ربك لا الى غيره ، فارغب . اجعل رغبتك متوجهة اليه دائما ابدا ، ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله . وهذا تأنيس وترغيب فى ختام السورة ، مناسب لشرح الصدر المذكور فى فاتحتها .

اما سورة الفيل فهى وحدة واحدة متخصصه فى تذكيره صلى الله عليه وسلم بحادثة واحدة هى حادثة الفيل ليس فى السورة شىء خارج عن ذلك ، وحادث الفيل كان حادثا مشهورا تؤرخ به العرب قبل الاسلام وكان حدوثه فى العام الذى ولد فيه الرسول وكانت العبرة بارزة واضحة ، حيث قصم الله بنفسه ظهر الجيش الذى كان يريد هدم بيته الحرام وسمى جيش الفيل واصحابه اصحاب الفيل لان الجيش كان من تدبير الحبشة التى كانت تحتل اليمن ، وتقدم الفيلة امام الجيوش المحاربة كان ، عادة حبشية . ارسل الله عليهم جماعات من الطير تعلو رؤوسهم فتلقى عليهم حجارة فتفتك بهم وتجعلهم جثثا لا روح فيها كالحصيد اخذ حبه وترك قشه «**ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** » فالاستفهام فى فاتحة السورة استفهام تقريرى والرؤية علمية لا بصرية والمعنى قد علمت يا محمد علما قريبا من الرؤية والمشاهدة مافعله الله باصحاب الفيل من الكيد والتدبير والهزيمة الماحقة ، من كانت هذه قدرته وحكمته فى تدبير الامور والدفاع عن شرف بيته والغيرة على مقدساته فانه ناصرك وهو ولى الامر والتدبير .

اما سورة الماعون وافتتاحها بقوله تعالى « **ارايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين** » فان الاستفهام اريد به من الله المتكلم به مجرد التشويق الى معرفة من يتكلم عنه ويخبر بخبره والتعجيب من حاله وسوء مآله ، والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالدين ، ان لم تكن علمته فهو الذى يدع اليتيم يهينه ولا يكرمه ولا يحض نفسه او غيره على طعام المسكين ، فمن شأن اليتم والمسكنة استدرار الشفقة والرحمة من القلوب ومن طبيعة الدين الحث على التراحم ، فعدم المبالاة باليتيم والمسكين من علامات التكذيب بالدين ، واذا كان ذلك كذلك فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون . لان السهو عن الصلاة والرياء ومنع الماعون زكاة كان او غير زكاة اشنع فى الذم والبعد عن الدين من عدم المبالاة باليتيم والمسكين لان الصلاة عماد الدين والرياء شرك اصغر والزكاة قنطرة الاسلام والناس بخير ماتعاونوا ، وهكذا ترتبط آيات السورة الى نهايتها بما ذكر فى فاتحتها ارتباطا وثيقا ، ولما تردد فيها ذكر اليتم والمسكنة والصلاة والرياء والزكاة والمعونة وكانت هذه المعانى اشبه بالبيئة المدنية ، كان هناك اختلاف فى السورة مكية هى ام مدنية .

حقوق الجوار فى الفقه الاسلامى

مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه
حديث شريف

الدكتور محمد سلطان

تتسم الشرائع الوضعية بالفصل بين القاعدة القانونية والقاعدة الاخلاقية فصلا يكاد يكون تاما وعلى العكس من ذلك كله نجد شريعتنا الاسلامية الغراء من أبرز الشرائع التى لاتضع حدا فاصلا بين القاعدة القانونية والقاعدة الاخلاقية · وقد أدت الصلة الوثيقة بين القاعدتين فى شريعتنا الى قيام كثير من النظريات القانونية التى لم تعرفها الشرائع الاخرى ··

ولنذكر على سبيل المثال نظرية سوء استعمال الحق التى انتقلت الى معظم التشريعات الحديثة ، هذه النظرية اسلامية صرفة عرفتها الشريعة الاسلامية متكاملة منذ أجيال ··

ونجد لهذه النظرية تطبيقات متعددة خاصة فى حقوق الجوار ··

وقبل أن نتعرض لحقوق الجوار ، نود أن نوضح فى كلمة موجزة حقوق الارتفاق بوجه عام ··

من المعروف ان الملك اما تام أو ناقص · فالملك التام هو ماثبت فى ذات الشىء ومنافعه معا بحيث يكون للمالك فيهما جميع الحقوق الشرعية ·

والملك الناقص هو ماثبت فى ذات الشىء وحدها أو منفعته وحدها ويسمى ملك المنفعة بحق الانتفاع ·

وينقسم ملك المنفعة أو حق الانتفاع الى نوعين :

الاول : يكون فيه حق الانتفاع شخصيا أى يثبت لشخص معين ·

الثانى : يكون فيه حق الانتفاع عينيا أى يثبت لمن ملك العين · وعلى ذلك يكون للملك الناقص أنواع ثلاثة :

١ ـ ملك العين وحدها ·

٢ ـ ملك المنفعة وحدها ويكون الانتفاع فيها شخصيا ٠

٣ـ ملك المنفعة وحدها ويكون الانتفاع فيها عينيا ٠
أما عن النوع الثالث وهو مايهمنا فى بحثنا هذا فانه يعرف **بحق الانتفاع العينى أو حق الارتفاق ٠**

وحق الارتفاق العينى هو حق مقرر على عقار لمنفعة عقار آخر مملوك لغير مالك العقار الاول ٠

ويتميز حق الارتفاق عن حق الانتفاع الشخصى بأن حق الارتفاق يتقرر دائما على عقار ٠٠ فى حين أن حق الانتفاع الشخصى قد يتعلق بالعقار كما قد يتعلق بالمنقول ، هذا علاوة على أن حق الارتفاق حق دائم غير مؤقت ، بينما حق الانتفاع الشخصى موقوت بزمن معين ٠ وأخيرا فان حق الارتفاق يورث حتى عند الحنفية الذين لايعتبرونه مالا لانه تابع للعقار ينتقل بانتقاله أما حق الانتفاع الشخصى فقد اختلف الرأى فى ارثه ٠٠

ولحقوق الارتفاق خصائص وأحكام عامة تتلخص فى أنها اذا ثبتت تبقى مالم يترتب على بقائها ضرر أو أذى يلحق بالغير ،فان ترتب عليها الضرر وجب ازالة منشأ هذا الضرر ٠

وتثبت حقوق الارتفاق بأسباب كثيرة منها :

الشركة العامة كما فى العقارات المخصصة للمنافع العامة كالطرق العامة والانهار والمصارف العامة ٠

كما تثبت بالشرط فى عقد معاوضة اذا جرى العرف بذلك كما فى عقد البيع اذا قبل المشترى ذلك ٠

وتثبت أيضا بالتقادم ، ومؤداه ثبوت حق من هذه الحقوق لعقار منزمن قديم بحيث لايعرف وقت ثبوته وعلى ذلك يحكم بثبوت هذا الحق لصاحبه اعمالا للقاعدة الفقهية التى تقضى بترك القديم على قدمه ، حتى يقوم الدليل على عكسه ٠

ومن هذه الحقوق حق الشرب وهو النصيب المستحق من الماء لسقى الزرع والشجر ، أو زمن الانتفاع بالماء لهذا الغرض ٠

وهناك حق تابع لحق الشرب وهو حق المجرى لان الشرب يحتاج استيفاؤه الى مجرى يمر فيه الى الارض التى يراد سقيها ، والمجرى قد يكون مملوكا لصاحب الشرب وقد يكون مشتركا بين منتفعين كثيرين ٠

ومن حقوق الارتفاق حق المسيل ، وهو حق صرف المياه غير الصالحة أو الزائدة عن الحاجة عن طريق مجرى ظاهر أو مستترحتى تصل الى مستودع أو مصرف عام ومنها أيضا حق المرور وهو حق صاحب العقار فى الوصول الى عقاره من طريق عام غير مملوك لاحد أو طريق خاص مملوك لغيره ٠

وأخيرا فان من حقوق الارتفاق المتوارثة حقوق الجوار ٠

ورعاية حقوق الجوار من فضائل العادات التى ورثها العرب فى الجاهلية ، والتى بالغوا فى الحفاظ عليها مبالغة شديدة صارت علما عليهم ٠٠ وقد أيد الاسلام هذه العادة وقواها ، وأوجب رعاية الجار ، ونظم حقوق الجوار من غير افراط ولا تفريط ، ليحيا الناس أمة واحدة ، وأسرة واحدة من غير بغض ولا شحناء ٠٠

قال تعالى عز من قائل « **وبالوالدين احسانا وبذى القربى ، واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب !**

وتعددت وتواترت الاحاديث الشريفة فى ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم « **من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره** » وقوله عليه الصلاة والسلام « **لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه** » أى شروره وآثامه **وفى الحديث الشريف ؟ مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » ٠

أنواع الجوار : ــ

الجوار نوعان : جانبى وهو مايعرف بالجوار المطلق ٠٠ وعلوى أو رأسى وهو المسمى بحق التعلى والحق الثابت بالجوار العلوى أو الرأسى أقوى وأشد من الحق الثابت بالجوار الجانبى ٠٠ لان ملك كل منهما لايكون خالصا والصورة المثالية لذلك دار مكونة من دورين ٠ يمتلكها شخصان لاحدهما الدور السفلى وللاخر الدور العلوى ٠٠ فكل من صاحب السفل وصاحب العلو يعتبر جارا للاخر ٠٠ وصاحب السفل ينتفع بالعلو الذى يحجب عنه الحرارة وماء المطر ، وصاحب العلو ينتفع بالسفل الذى يستقر ملكه عليه ٠

وقد أجمع الفقهاء على أنه لايجوز لاى واحد منهما ان يتصرف فى ملكه تصرفا يضر بالاخر ٠

وقسمت التصرفات تبعا لذلك الى ثلاثة أقسام :

أولا التصرفات الضارة ضررا محضا ، كهدم صاحب السفل بعض الاعمدة التى تحمل البناء ، أو بناء صاحب العلو مالا يقوى السفل على حمله ٠

وهذه التصرفات ممنوعة باتفاق الفقهاء لما يصاحبها من ضرر محقق ، ويترتب على القيام بها الزام صاحبها بضمان الضرر ٠

ثانيا : التصرفات التى لايترتب عليها ثمة ضرر بأحدهما ٠٠ كقيام صاحب البناء الاسفل بدق المسامير

وتزيين سقف مسكنه ، وكقيام صاحب العلو بوضع الاثاث المتعارف عليه فى ملكه ٠٠

وكل هذه التصرفات مباحة باتفاق الفقهاء ٠

ثالثا : التصرفات التى تدور بين النفع والضرر ، ولا يعلم على وجه اليقين نتيجة القيام بها ، كاجراء فتحة فى حائط الدور الاسفل أو وضع أثاث ثقيل فى الدور الاعلى ٠

وقد اختلف الفقهاء فى أمر هذه التصرفات .. فأبو حنيفة يرى منعها وعدم جوازها ، والصاحبان يريان اباحتها وجواز القيام بها .

ومناط الخلاف أن الامام يرى الاصل فى تصرف المالك فى ملكه الذى يتعلق به حق الغير هو الحظر والمنع لتعلق حق الغير به ، بينما يرى الصاحبان أن الاصل هو الاباحة لان الملك يقتضى حرية التصرف من المالك مالم يكن فيه ضرر مؤكد لغيره فيمنع منه ويبقى ماعداه على الاباحة .

وجدير بالذكر أن حق العلو دائم لايسقط بانهدام كل من العلو والسفل ولا بهدمهما ، فاذا زال العلو كان لصاحبه أو من يحل محله أن يعيد بناءه ، أما اذا هدم صاحب السفل بناءه أجبر على اعادته لتعديه على صاحب العلو بازالة حق القرار الثابت له .. ولو امتنع صاحب السفل عن بنائه وقام صاحب العلو بالبناء رجع عليه بما أنفقه مادام بأمر القاضى .. واذا انهدم السفل وحده لايجبر صاحبه على اعادته لعدم التعدى فيه على حق صاحب العلو فلا مبرر لالزامه .

واذا بنى صاحب العلو من غير اذن صاحب السفل أو القاضى فلا يكون له الرجوع بما انفقه بل يرجع بقيمة البناء وقت تمامه .

وحق التعلى يجوز بيعه اذا كان البناء قائما لانه حق متعلق بالمال ، أما بعد هدم البناء فلا يصح بيعه عند الحنفية لانه ليس بمال عندهم ، ويجوز بيعه عند المالكية والحنابلة لانه مال عندهم أو هو حق متعلق بالمال .

هذا كله فيما يتعلق بحق التعلى أو الجوار العلوى أو الرأسى أما فيما **يتصل بالجوار الجانبى او المطلق** ، وهو الذى ينشأ عن الملاصقة بالحدود ، فقد اتفق الفقهاء على أن هذا الجوار يثبت به حق للجار على جاره يقيد تصرفاته فى ملكه بحيث لايمكنه أن يفعل شيئا يضر بملك جاره ضررا فاحشا .. غير أن الفقهاء اختلفوا فيما بينهم حول أساس ثبوت هذا الحق ، وهل يثبت هذا الحق ديانة فقط أم يثبت قضاء مع ثبوته ديانة ؟ « بمعنى أنه يجوز منع الجار من التصرف فى ملكه تصرفا يضر بملك جاره ضررا فاحشا وذلك بسلطان القضاء ..

وقد ذهب الشافعية والحنابلة والمتقدمون من الحنفية الى أن للجار أن يتصرف فى ملكه كيفما شاء ، وليس للقاضى أن يمنع المالك من التصرف فى ملكه ، لان مقتضى الملك أن يكون للمالك حرية التصرف فى ملكه ، غير أن الديانة توجب عليه ألا يقدم على تصرف يضر بجاره حتى يعيش الناس فى الفة وسلام .. وان كان هذا من الامور التى لايتدخل فيها القضاء ..

وقد ذهب المالكية ، والمتأخرون من الحنفية الى أن تصرف الجار فى ملكه مقيد ديانة وقضاء بألا يضر بجاره ضررا فاحشا ، فان أقدم على شىء من ذلك كان لجاره أن يرفع أمره الى القضاء ، وللقاضى أن يحول بينه وبين ذلك وأن يلزمه بضمان الضرر الناشىء عن تصرفه .

وقد حدد الفقهاء الضرر الفاحش بكل مايمنع المنفعة الاصلية المقصودة من العقار كالسكنى .

والضرر ليس محددا فى ذاته ، بل انه يختلف باختلاف الاشخاص والمكان والزمان .. ومن ثم ينبغى أن يترك تحديد ذلك الى العرف ، فما يعده العرف ضررا فاحشا ينبغى أن يمنع الجار منه ، وما يعتبره العرف خاليا من الضرر أو كان فيه ضرر يسير ، يترك للجار القيام به ..

وقد سارت على هذا النهج المجموعة المدنية اذ نص فيها فى المادة ٥٠٦ على أن

١ - على المالك ألا يغلو فى استعمال الحق الى حد يضر بملك جاره .

٢ - ليس للجار أن يرجع على جاره فى مضار الجوار المألوفة التى لايمكن تجنبها، وانما له أن يطلب ازالة هذه المضار اذا تجاوزت الحد المألوف ، على أن يراعى فى ذلك العرف وطبيعة العقارات وموضع كل منها بالنسبة الى الاخر ، والغرض الذى خصصت له ولا يحول الترخيص الصادر من الجهات المختصة دون استعمال هذا الحق ..

ومرة أخرى نعود فنؤكد ماأثبتناه من قبل وهو أن شريعتنا الغراء تتميز بأنها لاتضع حدا فاصلا بين القاعدة القانونية والقاعدة الاخلاقية .

أما الشرائع الاخرى ، وفى مقدمتها القانون الرومانى حتى فى آخر مراحل تطوره ، فانها تتسم بالفصل بين القاعدة القانونية والقاعدة الاخلاقية فصلا يكاد يكون تاما ..

ولعل أوضح مثال على ذلك ماورد فى النصوص الصريحة بمجموعات جيستنيان .

فالفقيه أولبيانوس يصرح بأن استعمال الحق على أية صورة لايمكن أن يعتبر عملا غير مشروع ..

والفقيه بروكيليوس يقرر بأنه لاتثريب على الجار الذى يبنى فوق بيته غرفا عالية يحجب بها الضوء عن جاره ..

وعلى العكس من أولبيانوس وبروكيليوس ، نجد صاحب مرشد الحيران يقرر فى المدار من ٥٧ - ٧١ أنه لايجوز للجار تعلية حائطه اذا كان يترتب على ذلك حجب الضوء عن جاره ، كما لايجوز له فتح مطلات على جاره اذا كان ذلك يؤذى هذا الجار ..

وتلك شريعتهم وهذه شريعتنا ..

الفرق بينهم وبيننا كالفرق بين الزبد ، ومماينفع الناس . « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض . »

والله ولى التوفيق .

من الأشباه و النظائر

في القرآن

منازع الصبر

عزم الأمور اختلاف النوازل القرائن المصاحبة الصبر جميل أنواع الأجور

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

عزم الامور :

ليس فى خلق مطبوع أو مكسوب أفضل من خلق الصبر ذلك لانه أثقل على الكواهل وطأة وأمض على النفوس طعما وما يزال يثقل ويتمادى حتى يكون مصابرة لغصة بعد غصة وألم فى أثر ألم ، ولا مناص من معونة الله عليه هبة لانبيائه ، أو استجابة لاوليائه والله يقول لنبيه «واصبر وماصبرك الا بالله» ويقول عن اوليائه « ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا » ويقول عنهم « ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » .

وسواء أكان سلبا أم ايجابا فانه يفدح الكواهل والنفوس ، أما صورته فى السلب ففى السكون والامتناع عن المعاصى والتنصل من ذميم الصفات وأما فى الايجاب ففى الحركة والاقتحام والاقبال على الطاعات والتحلى بمكارم الاخلاق .

وجملة من النظائر فى القرآن تصف الصبر اذا اقترن بخلق آخر كالغفران والتقوى بأنه من عزم الامور وتصف أهل الدأب عليه بأنهم أولو العزم الذين عقدوا القلوب على امضاء الامور ومجاهدة الاهواء فيها ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » وفى قوله « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » وفى وصاة لقمان لابنه بعد عدد من العظات « وأصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » .

ولا يكمل ايمان مؤمن الا بجناحين هما الصبر والشكر والاول يكون على البلاء والنقمة والثانى على الرخاء والنعمة وقد خفق هذان الجناحان معا فى نظائر من القرآن فى ابراهيم ولقمان وسبأ والشورى حيث يقول سبحانه فى ختام آيات مختلفات « ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

ولقد توافر العلماء والحكماء وأهل الدين والتصوف على تعريف الصبر وامتلأت بتعاريفهم بطون الكتب وكتب بعضهم فيه كتابا كاملا كما فعل أسامة بن منقذ فى كتاب له اسماه « التأسى والتسلى » أورد فيه آيات الصبر وأحاديث النبى فيه وأشياء من اقوال الحكماء وجملا من الاشعار والاخبار ٠

وكان كلام المسلمين فى الصبر من أكثر الكلام لاهتمام القرآن به وتنوع منازعه فيه من وصف له وحث عليه ومن ثناء على أهله والمتواصين به ومن وعد لهم بالاجر الكبير والاجر الحسن ومضاعفته أو اطلاقه من غير حساب ، وذلك فى جمهور حافل من الاشباه والنظائر خيل منها الى من يحالف القرآن أنه لم يحفل بخلق ولا متخلق بمثل ما حفل بخلق الصبر والصابرين ٠

ولم يقف القرآن عند حث الفرد على الصبر ولكنه أوصى الجماعة أن تصنعه وتلبسه وأكثر من الحث على التواصى به فقال « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر » وقال « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ٠

وقد حسب جمال الدين الافغانى أن هذا الاهتمام لم يكن الا اقرارا على العرب بفقدان الصبر ، ولكن يبدو أن الافغانى أراد فى محنة الامة العربية واضطراب حالها أن يحثها على طبعها الاصيل وخلقها النبيل حتى تخلع عنها رداء ذلها وترتدى ثوب عزها ومجدها ٠

وامتحان الامة ليعرف أتنتصر أم تندحر لا يكون بأولى من سؤالها عن الصبر والتحقق من التزامه والتواصى به ، فاذا كانت جديرة بالفوز كان الصبر رأس اخلاقها ومحور أعمالها واذا لم تكن غير أهل الا للسقوط والاندحار كان الصبر مطروحا عن كواهلها مطرودا من مشاعرها ٠

اختلاف النوازل :

وتحمل القوى البدنية للمشاق ضرب جسمانى من الصبر وأكثره يلقى بحمله على ذوى الجسوم الخشنة والعضلات المفتولة وتبدو مظاهره ـ كما أوضح الاصفهانى فى المفردات والذريعة ـ فى الفعل والانفعال ٠

ومثل المشى الطويل ورمى الحجر الثقيل والسير على الحبال وتسلق الجبال أمور كلها من الافعال أما مثل احتمال الامراض وقطيعة الصحب والغربة عن الدار فهو من الانفعال وكلا هذين الامرين لا تتعلق بهما فضيلة أو لا تتعلق بهما فضيلة كاملة الاركان ٠

ولكن الصبر النفسى هو الذى تتعلق به الفضيلة وهو على ضربين : صبر بالنزوع عما تشتهيه النفس وهو العفة ، وصبر على تحمل مكروه كالفقر ومحبوب كالغنى فلا يكون من الاول ضجر ولا مع الثانى بطر ٠ وهذا الضرب مختلف المواقع متعدد الاسماء :

فالصبر فى مواقع القتال شجاعة وفى الامساك عن الغضب حلم وعند النوائب المضجرة رحابة صدر وعلى حبس الخبر بين الضلوع كتمان وفى الترفع عن فضولات العيش قناعة ، فاذا نفذ الصبر ارتدت هذه الاخلاق الى أضدادها فكانت جبنا وتذمرا وضيقا وافشاء وطمعا ٠

ومن هذه المواقع والاسماء يتبين أن الصبر خلق عام وقد أوضح القرآن هذا العموم فى قوله « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » فذكره سبحانه فى أحوال الفقر وآلام المصائب وأهوال الحروب ٠

وكأنما تتصاعد فى هذه الاية درجات الصبر حتى تبلغ ذروتها حين البأس اذ يكون الصابر فى مواجهة الموت لا فى مقاساة الفقر أو المرض ، ثم تكون عاقبة الصبر فى الحرب عائدة على الجماعة كلها لان الصابر فى الحومة لا يصبر لنفسه وحسب ولكنه يصبر لها ويصبر للاهل والمال والدين والحمى ٠

ولما لم يكن بد من نزول المصائب وانصباب النوازل فما ينجو من الموت من خافه ولا يطول البقاء لمن أحبه ـ كما قال الامام ـ فان على من يصيبه كرب من خوف أو جوع أو نقص أن يصبر على ما أصابه اذ لا مفر من أن يكربه واحد من هذه الكروب ، وذلك يقرره فارض الاقدار سبحانه مجملا ومفصلا فى قوله « **لتبلون فى أموالكم وأنفسكم** » وفى قوله « **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين** » ٠

وصلاح الامر أو فساده رهن بالصبر أو الجزع ، وقد عده رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الرأس من الجسد فقال لعلى بن أبى طالب « يا على ان منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الرأس من الجسد » .

وأخذ على هذا القول ففصله وفرع عليه فقال فى احدى خطبه يعظ القوم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد فاذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور ٠

القرائن المصاحبة :

وقد اقترن الصبر فى نظائر القرآن بذكر العبادات والفرائض ومحاسن الصفات وكان أكثره ما اقترن بالصلاة ، ويقولون ان ذلك لمشقة الفريضة على النفوس اذ هى فريضة الدأب والمثابرة فى كل الاماد

قصيرها وطويلها . ومثل هذا الاقتران جاء مجملا فى قوله تعالى « واستعينوابالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » وفى قوله « **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين** » وفى قوله « **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة** » ٠

ثم جاء الاقتران مفصلا فى الصلوات الخمس كلها وذلك حين يقول سبحانه « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفامن الليل **ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ٠ واصبرفان الله لايضيع أجر المحسنين** »

وحين يقول « **فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود** » ٠

واقترن الصبر بمكارم الاخلاق وعمل الصالحات والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالهجرة والجهاد والتوكل على الله :

ونظائر هذا الاقتران على الترتيب قوله تعالى « **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار** » وقوله « **الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير** ! وقوله « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فنعم أجر العاملين ٠ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ! وقوله سبحانه على لسان لقمان لابنه « **يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك** » ٠

ثم قوله سبحانه « **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوايعلمون ٠ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ! وقوله « **ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا** » ٠

وفى نظيرى الهجرة والجهاد الاخيرين كلام : ففى النظير الاول تكاد تكون الهجرة هى ذات الصبر وفى النظير الثانى يلازم الصبر الجهاد والهجرة فهو غيرهما ، ففى النظيرين على ذلك دقيقة من الدقائق تستوجب البيان :

ذلك ان الذين يتحدث عنهم النظير الاول هم السابقون وقد حسبت هجرتهم وحدها صبرا وخيرا ففازوا بحسنة الدنيا وأجر الآخرة ، أما الذين يتحدث عنهم النظير الثانى فهم اللاحقون وقد أمروا مع هجرتهم أن يجاهدوا وأن يصبروا على الجهاد ما داموا لم يسبقوا بالهجرة ، حتى يستحقوا من الله المغفرة والرضوان ٠

وعلى اللاحقين يكون القياس فى بقية الناس فمن لم تكتب له الهجرة والسبق اليها وهم الامة كلها ـ ما عدا السابقين من الصحابة ـ فان عليه أن يجاهد ويصبر على جهاده حتى يستحق رحمة وغفرانا ٠

ومعالجة القتال أهون على نفوس الاحرار من معالجة العقاب ، والله سبحانه يقول « **يايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ٠ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين** » ٠

الصبر الجميل :

وافضل الصبر ما كان جميلا وهو ما أوصى به يعقوب نفسه فى قوله « فصبر جميل » وما أوصى به الله النبى فقال له « فاصبر صبرا جميلا » وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصبر الجميل فقال « هو الذى لا شكوى معه » يريد الذى لا شكوى معه الى أحد من الناس ، وحينئذ فان الصبر الجميل لا يكون بحبس الشكوى عن الله وهو سبحانه حرى أن يجعلها دعاء يكشف به الضر والبلوى ٠

ويرى الحسن البصرى أن الصبر الجميل نزول من العبد فى درجة الرضا حتى لتكاد الصحف تطوى بين الله وبين عبده فلا يكتب الحفظة عنه شيئا ٠ وكأنه المقام الصوفى الذى يكون صاحب المصيبة فى القوم لايدرى من هو ٠

وقد استخرج المتصوفة من قصة ايوب حقيقة الصبر الجميل فرأوا ان الرضا بالقضاء لا يقدح فيه الشكوى الى الله ولا يحرم الصابر الراضى من الاجر وذلك قوله سبحانه « انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » مع ما أخبر القرآن عنه أنه قال « انى مسنى الضر » وقال « انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » ٠

ولكن الشكوى من ايوب كانت لربه لا لاحد غيره والنظائر تقول « **وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين** » وتقول « **واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان** » ٠

ويعقوب مثل أيوب أصبح فوجد الصبر فى نفسه فقال « فصبر جميل » ثم أمسى فوجد الحزن فقال « ياأسفا على يوسف » فأظهر بلواه دون أن يشكو لاحد غير الله وذلك حين يقول « انما أشكو بثى وحزنى الى الله » ٠ وحقيقة البث فى اللغة ما يرد على الانسان من الاشياء المهلكة التى لا يتهيأ له ان يخفيها فسميت المصيبة بثا من طريق المجاز ٠

وقد أقبل أعلام التصوف على كشف العلة فى شكوى أيوب فقال ابو على الدقاق : ان الله استخرج منه مقالة الشكوى لتكون متنفسا لضعفاء هذه الامة

فلا يخافون من اظهار البلوى تخفيفا عن انفسهم دون أن يطلبوا كشفها من العباد .

وقال الشيخ الاكبر ابن عربى : قد علم أيوب أن فى حبس النفس عن الشكوى الى الله فى رفع الضر مقاومة للقهر الالهى فخرج ايوب متضرعا الى الله أن يزيل عنه ضره ، ثم قال : وأى أذى أعظم من ان يبتليك الله ببلاء عند غفلتك عنه أو عن مقام الهى لا تعلمه لترجع اليه بالشكوى فيرفع عنك البلاء ؟

ولقد اقتدى أهل الملة السابقون بالانبياء فى الصبر الجميل وروى عن أحدهم فيما روى أن ابن اخ للاحنف ابن قيس جاءه يشكو اليه كربا أصابه فأعرض عنه الاحنف ثم عاد اليه شاكيا مرارا وهو يعرض عنه ، فلما رءه لايمسك قال له : يا ابن اخى ، اذا نزلت بك مصيبة فاشكها الى الذى يملك كشفها ولا تشكها الى المخلوقين فانما الناس فيك أحد رجلين : اما صديق أسأته واما عدو أشمته !

ثم قال الاحنف : يا بنى ، أترى احدى عينى هاتين ، والله ما أبصرت بها سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة وما أعلمت بذلك زوجتى ولا أحدا من أهلى !

أنواع الاجور :

ولم يختلف على الاهتمام بخلق الصبر من انصرف الى الحياة الدنيا أو انصرف عنها ومن كان عبء حياته على جهد بدنه أو طاقة روحه وذلك لان الصبر كما هو سبيل الى تحصيل سعادة الدنيا فهو السبيل نفسها الى سعادة الاخرى .

وليس شىء أحمد عاقبة من الصبر على البلاء ، وقد وعد الله بالجزاء عليه وقسمه بين الدنيا والاخرة ليكون أسوة وأملا ، وهما مرتان فى أجر الصبر يقول الله فيهما « **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ! كما جازى عليه بالاجر الكبير والاجر الاحسن والاجر الاوفى بغير حساب .

أما ما كان أسوة ففيه من الاشباه والنظائر قوله تعالى « **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين** » وقوله ــ فيمن ثبت على الحق وأطاع الرسل ــ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** » .

وأما ما كان أملا فقد وردت فيه نظائر تنبىء بادخار الاجر الكبير كما فى قوله سبحانه «ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا » ، وبأحسن ما عملوا كما فى قوله « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وبالفوز والسبق كما فى قوله عز وجل « انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون » وبأعلى الدرجات فى الجنة كما فى قوله « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقوله « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » وقوله « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » ثم بالاجر الاوفى كما فى قوله سبحانه « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

والصابر على حكم الله باق فى عنايته لا تغفل عنه عينه ولا ينكشف عنه ظله ، والله سبحانه يقول «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » ويقول «ويعلم الصابرين ـ والله يحب الصابرين ـ والله مع الصابرين ــ ان الله مع الصابرين» وحسب الصابر علم الله به ومحبته ومعيته وهى معية خلد وصحبة بقاء .

وقد نظر سفيان الثورى فى قوله تعالى « **وجعلنا منهم أئمة** ... »فقال : لما أخذوا برأس الامر جعلناهم رءوسا . وهكذا أخبر سبحانه أنه انما أختارهم وجعلهم أئمة لصبرهم على حكمه جل وعلا .

وطالما كان الامر بالصبر والوعد بالجزاء موجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثره فى لفظ واحد وهو قوله « فاصبر أن وعد الله حق » وقد كلف عليه الصلاة والسلام أن يكون صبره من درجة أعلى فقال له « فأصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » .

وصدق الله رسوله فعجل له وللمؤمنين جزاء الصبر فى بدر وحقق له ما وعده به وذلك حين قال « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » وحين قال « بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة » .

بل انه سبحانه قد أيد وعده لكل مقاتل فى سبيل الله صابر على نصرته بقوله « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** » وهو وعد لا ينقض وأجر لا ينقص مهما كان الناس وكان المكان او الزمان .

قال عمر بن الخطاب لاحد بنى عبس : كم كنتم يوم الهباءة ؟

قال : كنا مائة كالذهب لم نكثر فنتواكل ولم نقل فنذل

قال عمر : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عددا ولا مالا

فقال : كنا نصبر بعد اللقاء هنيهة .

فهز عمر رأسه وقال : فلذلك اذن !

الشريعة الإسلامية والآداب

المستشار محمد خاطر

أوضحنا فى مقالنا السابق مــا انتظمته أحكام الشريعة الاسلامية من آداب عالية وما وضعته من أسس كلية فى بناء الاسرة والمجتمع وأشرنا الى بعضها فى حكمة مشروعية الخطبة ، وفيما بيناه من أحكام وآداب بشأن رؤية الخاطب لمخطوبته ومايباح له النظر اليه منها طبق احكام الشريعة ٠حتى تقوم رابطة الزوجية على دعائم حقيقية من الواقع بعيدة عن أحلام الوهم وقصص الخيال ٠

واليوم نعرض لما وضعته الشريعة الغراء من أحكام بشأن من تجوز خطبتها من النساء ومن لا تجوز خطبتها ، وكيف تكون الخطبة صحيحة وقائمة على أهداف الدين وأغراضه فالشريعة الاسلامية لا تبيح للرجل أن يخطب امرأة محرمة عليه حرمة مؤبدة أو مؤقتة والا كان عابثا فى أعماله وأغراضه والشريعة لا تقر العبث ولا ترتضيه ، ذلك لان الخطبة مقدمة لعقد الزواج ، فاذا كانت المرأة محرمة على الرجل لا يصح له ان يتزوجها ، لا يجوز له حينئذ أن يسير فى مقدمات الزواج بها والا كان عابثا مخالفا لاحكام الدين ، كما قد جاءت احكام الشريعة متضمنه ايضا النهى عن خطبة مخطوبة الغير حتى يذر ٠

فاذا كانت المرأة محرمة تحريما مؤبدا على من يريد التزوج بها كعمته أو خالته أو أخته من النسب او الرضاع او غيرها من النساء المحرمات بسبب القرابة أو الرضاع او المصاهرة ، فأن خطبتها تكون محرمة عليه كذلك على التأبيد ٠ فلايجوز له أن يخطبها فى أى وقت من الاوقات ٠

وكذلك اذا كانت المرأة محرمة عليه تحريما مؤقتا كزوجة الغير فأن خطبتها تكون محرمة عليه كذلك تحريما مؤقتا فلا يجوز له خطبتها مادام سبب التحريم المؤقت باقيا فاذا مازال سبب التحريم المؤقت بان طلق الغير زوجته وانقضت عدتها منه فأنه يجوز حينئذ لمن يريد التزوج بها ان يخطبها ٠

أما معتدة الطــلاق مطلقا ســواء كان الطــلاق رجعيا او بائنا فانه لا تجوز خطبتها مادامت فى العدة لا بطريق التصريح ولا بطريق التعريض فهى كزوجة الغير فى تحريم خطبتها ، ذلك ان المطلق رجعيا من حقه ان يراجع زوجته ويعيدها الى عصمته مادامت فى عدته بدون رضاها وبدون مهر وعقد جديدين فلا يصح خطبتها حينئذ وهى فى هذه الحالة لما فى ذلك من

اعتداء على حق المطلق الذى لايزال قائما ، وفى تحريم خطبة هذه المعتدة مايدفع كثيرا من الشرور والفتن والاحقاد ومايمنع من اشتعال نار العدواة بين المطلق والخاطب ، وهى احقاد وعداوات قد تتعداهما الى أسرتيهما والى المعتدة نفسها ، وقد تقضى على ماكان يرجى من عودة للحياة الزوجية بين المطلق ومطلقته، وربما كان بينهما من الاطفال الصغار من يحتاج الى رعاية أبوية فى ظل زوجية سعيدة كان ينتظر عودتها لو لم يظهر هذا الخاطب فى أفق حياتهما فى هذه الفترة .

أما فى الطلاق البائن فان بعض آثار الزوجية لا يزال باقيا فى العدة فكان تحريم خطبة معتدته لحق المطلق ولما أشرنا اليه آنفا من ان الخطبة فى هذه الحالة مدعاة لاثارة الاحقاد والعداوات بين المطلق ومن يتقدم لخطبة معتدته ، هذا فضلا عن ان فى خطبته المعتدة اغراء لها على أن تقر بانقضاء عدتها قبل انتهائها اذا كانت راغبة فى الزواج بالخاطب وكانت غير أمينة . ذلك لان المعتدة بالحيض اذا ماأقرت بانقضاء عدتها به فى مدة تحتمل ذلك صدقت اذ الحيض لا يعلم الا من قبلها .

فى حين أن العدة قد شرعت لاسباب كثيرة منها المحافظة على الانساب وعدم اختلاطها ومنها التروى فى فترة العدة ليراجع كل من الزوجين نفسه حتى اذا كانت هناك فرصة لعودة الحياة الزوجية اعاداها مالم يحن الطلاق هو المكمل للثلاث فهى فى هذه الحالة لا تحل لمطلقها الا بعد أن تتزوج زوجا آخر ويعاشرها معاشرة الازواج ثم يطلقها وتنقضى عدتها منه .

اما معتدة الوفاة اى التى توفى عنها زوجها فقد أباحت الشريعة الاسلامية خطبتها أثناء العدة بطريق التعريض فقط ولم تبح خطبتها فى العدة بطريق التصريح وفى ذلك يقول الله جل شأنه « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا ألا أن تقولوا قولا معروفا ، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم »

فما ورد بهذه الاية من اباحة التعريض بالخطبة انما هو بشأن معتدة الوفاة ، والمراد من النساء فى الاية هن النساء اللاتى فى العدة من أزواجهن المتوفين بدليل الاية التى قبلها الخاصة باللذين يتوفون ويذرون ازواجا « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا ابلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير » .

هذا ولقد كان من حكمة التشريع فى جواز خطبة معتدة الوفاة تعريضا دون معتدة الطلاق (مع انه لا يصح تزوجها فى الحال أيضا بل لابد من انقضاء العدة) أن زوجيتها بالمتوفى قد انقطعت بالوفاة فلا يتصور عودتها مرة أخرى كما قلنا فى معتدة الطلاق ، كما لا يتصور أيضا حصول شقاق ونزاع وخصومة وشحناء بين الخاطب والمتوفى كما قلنا بحصول ذلك فى معتدة الطلاق بين الخاطب والمطلق على النحو الذى اوضحناه سابقا وبينا ما ينجم عنه من اضرار ، وأيضا لا يتصور هنا أن معتدة الوفاة قد تقرر بانقضاء العدة قبل انتهائها كما قلنا فى المعتدة من الطلاق بالحيض . ذلك لان المتوفى عنها زوجها اما ان تعتد بوضع الحمل ان كانت حاملا ، والا فعدتها اربعة أشهر وعشرة أيام ولا يمكن أبدا ان تقر بانقضاء العدة قبل وضع الحمل أو قبل مضى المدة المذكورة . لذا أبيح خطبة معتدة الوفاة أثناء العدة بطريق التعريض دون التصريح كأن يقول وددت ان تكون لى زوجة صالحة او غير ذلك من الفاظ التعريض ، اما التصريح فمنهى عنه ، ولا بأس أن يهدى اليها فى العدة وجائز أن يمدح نفسه ويذكر مآثره على وجه التعريض بالزواج وقد فعله ابو جعفر محمد بن على بن حسين متأسيا فقد روى أن سكينة بنت حنظلة قالت استاذن على . محمد بن على ولم تنقض عدتى من مهلك زوجى فقال : قد عرفت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتى من على . وموضعى من العرب ، قلت غفر الله لك ياأبا جعفر انك رجل يؤخذ عنك وتخطبنى فى عدتى فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى متأيمة من أبى سلمه فقال لقد علمت انى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه. وموضعى من قولى . كانت تلك خطبته رواه الدار قطنى ج — ٤ نيل الاوطار للشوكانى .

هذا وقد قال الامام الشوكانى فى كتابه (المذكور ج –٦) بعد أن بين أقوال الفقهاء فى حكم التعريض بالخطبة والتصريح بشأن المعتدات – ان التصريح بالخطبة حرام لجميع المعتدات ، والتعريض مباح لمعتدة الوفاة ، وحرام لمعتدة الرجعى ومختلف فيه فى البائن — وقد اوضحنا الرأى فى ذلك آنفا حين تفسير الاية الواردة بأباحة التعريض ومادلت عليه الاية قبلها .

وفى حديثنا المقبل ان شاء الله سنعرض لبيان حكم الخطبة على خطبة الغير وماورد بشأنها من نهى وماجاء بصددها من أحكام مع بيان باقى أحكام الخطبة عامة وآثارها المالية وغيرها وماورد بشأن ذلك

المساواة فى الحقوق والواجبات

بين

بنى الإنسان كما يراها الإسلام

فضيلة الشيخ محمد الطاهر زاهر

مافتىء المبشرون والمستشرقون الحاملون يتصيدون الاباطيل ويحتطبون التهم الواهية يوجهونها الى **الاسلام ونبى الاسلام — وهو أمر دفعهم اليه اما** تعصب أعمى أو شهوة عارمة أو المعارضة لمجرد المعارضة . وقديكون الدافع ما ظنوه جهلا بغير علم — أن محمدا عليه السلام جاء بدين جديد هو الاسلام — والحق أنهم لا يسعون وراء حق يريدون انتصاره أو باطل يريدون تزييفه — فليس الاسلام دينا جديدا على الاديان السماوية — بل الدين واحد عند الله وهو الاسلام الذى نادى به أبو العرب ابراهيم عليه السلام . كما نادى به الانبياء من بعده الى أن ختمت الرسل بمحمد عليه السلام وختمت الرسالات بالقرآن — وأذن فلم يأت محمد بالاسلام كدين جديد — وانما جاء مصدقا ومؤيدا لكل الرسل والانبياء من قبله وبالرسالات التى أرسلوا بها — وهذا هو القرآن الذى جاء به محمد عن ربه يقول « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وأغلب الظن أن الذى يدفع هؤلاء لمهاجمة الاسلام أنما هو الاستعمار الذى هاله أثر الاسلام الفعال فى حياة المسلمين — وفى استقرار الشعوب ورقيها ونشر الحضارة فى أرجائها وتركيز حب الحرية والعيش الكريم — وكل هذا يدفع الفرد دفعا الى مقاومة كل غاصب مستعمر تطهيرا لارضه ووطنه من رجس ذلك الدخيل المستعبد — ومن هنا نرى الاستعمار — وبخاصة فى هذه الاونة العصيبة — فى حالةحرب مع الاسلام — جند له الجنود من المبشرين وبعض المستشرقين — وجعل غاية هؤلاء التى لها يعملون هى القضاء على الاسلام — لالشىء الا لأن الاسلام دين الوطن العربى — دين الثقافة والفكر — دين الحضارة والتمدن — فتارة يتهمون الاسلام بعدم موافقتهلروح التقدم والمدنية —وطورا يتهمونه بأنهدين أخذ طريقه بحد السيف — واستقر فى البلاد التى فتحها المسلمون بالقوة والقهر والجبروت — فاذا قيل لهؤلاء أن غير المسلمين دخلوا ولا يزالون يدخلون فى الاسلام أفواجا ومن شتى أنحاء المعمورة على تفاوت بينهم فى الثقافة والفكر وما بينهم من تفاوت الجنسيات ومن تلقاءأنفسهم دون قهر أو أجبار — فبماذا ياترى تجيبون ؟ ومرة يهاجمون الاسلام ونبيه — جهلا بغير علم — لانه أباح تعدد الزوجات وأن الرسول أباح لنفسه من الزوجات ما حرمه على غيره — ورابعة ينكرون الاسراء والمعراج — وغير هذا كثير لا نطيل بسرده — والحمد لله الذى أوجد فى المسلمين بل وبعض المستشرقين الامناء من دافع ويدافع عن الاسلام . ويجلى حقيقته النقية — أخذا من مصادره اليقينية — فألقم المبشرين ومن حذا حذوهم حجرا — ورد نصالهم الى نحورهم قوية فتاكة وبقى الاسلام وسيبقى طودا شامخا الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين — غير أن القوم خصوم للاسلام محترفون — يعيشون من حرفتهم — وأذن فليس لهم غنى عن أن يختلقوا التهم والمآخذ لاستدامة جريان الرزق عليهم — ولا عليهم بعد كل هذا — أعرفوا الحقيقة من وراء تلك التهم والمآخذ أم جهلوها — تراهم كلما اختلفوا على الاسلام مأخذا وطاشت سهامهم فى النيل من الاسلام به — ولوا وجوههم بحثا عن مأخذ آخر — ومأخذهم الذى نعالجه اليوم هنا هو مسألة الرق التى جعلوها سبة فى الاسلام — فلقد وجدها أعداء الاسلام فرصتهم للنيل من الاسلام — وأطالوا القول فيها وأسهبوا — وأن الباحث فى قديم التاريخ وحديثه — لايكاد يجد عصرا من عصوره خاليامن اثارة الكلام فى شأن الرق ،

ولو أن الحاقدين على الاسلام التزموا الامانة فأنصفوا فى البحث ودققوا النظر فى نصوص الشريعة الاسلامية وجردوا أنفسهم ولو مؤقتا ـ من الشهوة الجامحة والتعصب الاعمى لرجعوا من بحثهم باليقين والجزم بأن الارقاء لم ينالوا من العطف والعناية الا فى ظل الاسلام فيحدثنا التاريخ عن وجود الرق عند المصريين القدماء ـ وكان عندهم من مظاهر العظمة والفخامة أو أداة من أدوات العمل والكد والكفاح دون رحمة ولا شفقة ـ ويحدثنا عن الرق عند اليونان والرومان وقدماء الجرمان والهنود وكانت القسوة بصفة عامة هى الغالبة فى معاملة السادة لهؤلاء الارقاء ـ فلقد كان للمولى الحق فى أن يعاقب العبد بالجلد أو الضرب أو الطحن على الرحى أو بالكى على الجبهة فى أكثر الاحايين ـ حتى لقد أشتط الرومان فكانوا يعدون الرقيق متاعا وللسيد أن يقتل عبده من غير ذنب ولا جريرة ـ وهؤلاء اليهود ـ كانوا يسترقون المخطىء أو من يرتكب المماكسة فى دين ومثل هؤلاء الارقاء كانوا يتحررون بعد مضى فترة فى خدمة ملاكهم ولعلها ست سنوات ـ وكانوا يسترقون صنفا آخر حينما يعاودهم حب السيطرة والشره ، المذموم والاغارة على غيرهم للافساد فى الارض ـ فمن ساء حظه ووقع فى يدهم أسيرا صار عبدا يباع كالمتاع ويعامل منهم بأقسى ما يعاملون به حيوانا استعصى على الانقياد ـ وكانوا يسخرونهم فى خدمة المنازل وفى الزراعة مهانين محتقرين ـ ليس لهم فى الحياة حظ ولا لهم فيها حقوق .

بل أننا نجد الرق فى أوروبا من الامور العادية الطبيعية ـ بل أن قوانينهم تمنع الزواج بين الارقاء ، وبينهم وبين الاحرار ونراها حكمت بالقتل على حرة تزوجت بعبد ، وقضت على الزوج بالحرق حيا ـ ويطول بنا الامر لو أردنا أن نزيح الستار عن حالة الارقاء فى حقب التاريخ قبل الاسلام ـ ولنقف هنا وقفة لنرى موقف الاسلام من الرق الذى نشأ منذ تكون الناس جماعات وعرفوا الاجتماع ـ

فان الناظر فى الاسلام يرى أنه لم يشرع الاسترقاق وانما يشرع العتق من الرق ولم يبح الرق الا فى حالة واحدة هى حالة الحرب تقع بين المسلمين وغيرهم من أعداء الاسلام وبشروط مخصوصة ـ وهو مع ذلك يرغب فى فك الرقاب بمختلف الطرق ـ تراه يجعل فك الرقاب مصرفا من مصارف الزكاة ـ وتراه يجعل للارقاء حقا فى الغنيمة والفىء ـ ويحث على فك الرقاب اما منا واما فداء [فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها] كما حث المسلمين على قبول الفداء من الاسير أو من أوليائه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) وليس هذا بعجيب من الاسلام وهو الدين الذى يسوى بين الابيض والاسود والذكر والانثى والصغير والكبير والراعى والرعية والمسلمين وغيرهم من النصارى واليهود ماداموا جميعا فى سلم وسلام ـ ورسول الاسلام والسلام وهو فى حجة الوداع يقول للمسلمين (أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء من مال أخيه الا عن طيب نفس ، فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدى أبدا ـ كتاب الله وسنة رسوله ـ أيها الناس أن ربكم واحد وأن أباكم واحد ، كلكم لادم وآدم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى) ويقول صلوات الله وسلامه عليه (لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم وقبل انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى كانت آخر وصاياه ـ الوصية بالصلاة والرفق بالارقاء المملوكين ـ ونهى المسلمين أن يتكلم أحد منهم عما ملك من عبيد أن يقول هذا عبدى وهذه أمتى وانما يذكرهم فيقول فتاى أو فتاتى كما يذكر أبناءه وبناته ـ فسلام عليك يانبى الرحمة فلقد كنت لاصحابك الاسوة الحسنة فى معاملة الرقيق ـ فقد ارسل الرسول عليه السلام وصيفة له فى أمر يهمه فأبطأت فقال لها : لولا خوفى من القصاص لضربتك بهذا السواك ـ وما لنا نذهب بعيدا وبيدنا صحيفة ناصعة تنطق بعطف الاسلام على الارقاء وتحث على عتقهم وتعجيل فكاك الاسرى منهم فقد جعل الاسلام العتق كفارة عن كثير من الذنوب . جعله من كفارة القتل الخطأ والحنث فى اليمين وكفارة الظهار ـ وليس أبلغ فى حرص الاسلام على تحرير الارقاء من تلك القاعدة القيمة التى تقضى بأن مالك الامة اذا افترشها وجاءت منه بولد صارت أم ولد له وتصير كالموصى لها بالعتق وتصير حرة عند وفاة مالكها وبلا مقابل مهما كانت تركته مستغرقة بالديون ـ وجدير بالذكر أن هذا شأن يسرى على الامة المسلمة وغير المسلمة ـ وللاسلام بعدهذا موقف جدير بالتقدير اذ يوجب عتق العبد الذى يقع فى ملك قريب له . ووضع لذلك قاعدة تقول (من ملك ذا رحم محرم منه عتق عليه) وليس هذا فقط بل يتسع صدر الاسلام فيقرر أن العبد الاجنبى اذا هرب من بلاده وجاء الى دار الاسلام وأسلم اكتسب باسلامه الحرية .

وبعد :

فهل لاعداء الاسلام أن يثوبوا الى رشدهم ويرجعوا الى عقولهم ويعلموا ـ كما هو الواقع ـ أن الاسلام قمة شامخة لا سبيل لهم ولا لمن يدفعونهم من وراء ستار الى النيل منها ـ هل لهم أن يعترفوا بأن الحق

البقية صفحة ٥٠

اللغة العربية في العالم الإسلامي

الدكتور أحمد شلبي

فى منطقة جنوب شرقى آسيا ، وفى الهند ، وفى كثير من البلاد الاخرى كانت اللغات فى الماضى كثيرة كثرة هائلة ، فلكل قبيلة لغة تقريبا حتى وصلت اللغات فى القطر الواحد عدة مئات ، وكان ذلك من أسباب الانحلال والفرقة لعدم امكان تفاهم السكان والتقائهم حول فكر واحد ينبعث عن لغة واحدة ، وقد عنيت هذه الاقطار عقب استقلالها عناية كبيرة بخلق لغة قومية تكون لسانا لجميع السكان ، فاللغة أساس مهم من أسس تكوين أى مجتمع •

وتخطى العصر الحديث هذه الغاية فأصبح من طبيعته أن يعرف المثقفون عدة لغات لتتسع معارفهم وليسهل التقاؤهم مع سواهم من المثقفين من البلدان الاخرى ، وذلك شىء ندعو له المسلمين فى مختلف الاقطار ليلحقوا بركب الحضارة العالمية وليقوموا بدورهم فى تطوير هذه الحضارة •

ومن الواضح ان اللغة العربية ينبغى أن تأخذ مكانها لدى المثقفين فى كل قطر اسلامى لتصبح وسيط محادثة ووسيط ثقافة بين كل المسلمين ، فان بين المسلمين من الروابط والمشكلات والدراسات ما يجعل تعرفهم على اللغة العربية ضروريا وحتميا ، وقد كانت لنا لغات فى مصر والشام والعراق وشمالى افريقية ، ولكن الاسلام دخل بلادنا ، ودخلت اللغة العربية معه ، وحملت هذه اللغة أفانين الفكر الاسلامى وصنوف الحضارة الاسلامية التى وضعت الاساس للحضارة العالمية فى مختلف الشئون ، فى السياسة والاقتصاد وأسس المجتمع ، وساهمت بنصيب كبير فى ترقية الطب والعلوم والفلسفة والفلك والرياضة والموسيقى ، فاصبح تعلم اللغة العربية آنذاك اساس التقدم العلمى والرقى الفكرى ، وكان من جراء ذلك ان اقبل اجدادنا على هذه اللغة اقبالا واسعا ، وتذوقوا أدبها الراقى وفنونها المختلفة ، وعاما بعد عام تخلينا عن لغاتنا الاصلية واتخذنا اللغة العربية لغة لنا ، **وقد أصبحت هذه اللغة وسيلة من الوسائل التى ربطت ما نسميه الان « العالم العربى » برباط مقدس ، واستطعنا عن طريق هذه اللغة ان نتعرف على أسرار الدعوة الاسلامية ونلمس اعجاز القرآن الكريم ، وندون الفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية ليقوم ذلك بدوره المقدس فى خدمة الانسانية ، ولسنا ندعوكم لترك**

لغاتكم واتخاذ اللغة العربية لغة لكم كما فعلنا نحن ، ولكنا ندعوكم باصرار لان تأخذ اللغة العربية مكانها بعد اللغة القومية بكل قطر اسلامى .

وقد كنت فى الارض المقدسة هذا العام واختلطت هناك بالالاف الذين جاءوا من عدة أقطار ، واستطعت ان اتكلم مع الكثرين منهم باللغة العربية او الانجليزية او الاندونيسية والمالزية ، ولكنى عجزت عن الكلام مع الاكثرين لانى لا أعرف لغاتهم ولا يعرفون لغة من اللغات التى اعرفها ، وهكذا كان يجتمع هذا الحجيج العظيم وبين افراده رباط مقدس هو الاسلام ولكنهم لا يستطيعون ان يتفاهموا او يتعاونوا او يتدارسوا مشكلاتهم ، وقد رأيت علماء يخطبون فى مسجد سيدنا رسول الله بلغات مختلفة وحول كل منهم لفيف ممن يعرفون لغته ويحرم الاكثرون من الاستماع اليه أو الانتفاع بفكره ، وطالما جدت مسائل علمية واجتماعية تقتضى نوعا من التفاهم ولكن اللغة لم تكن تسعف الناس .

واذا كانت الضرورة فى موسم الحج واضحة فان الضرورة لا تنتهى بانتهاء هذا الموسم . لان بين المسلمين روابط فكرية وحضارية وتاريخية وبينهم آمال تتعلق بالمستقبل وتعاون فى شئون الحياة ، واللغة ستكون وسيلة عظمى للتقريب فى هذه الشئون جميعا ، ان القرآن الكريم يتلوه ويرتله ملايين المسلمين فى مختلف البقاع ، ولواتيح لانسان أن يرى الكرة الارضية ويسمع اصوات سكانها لشاهد آلاف المسلمين يجلسون فى خشوع واجلال امام المصاحف ، ولسمع آلاف الاصوات تتصاعد بآيات الذكر الحكيم ، وفى بلاد كثيرة شاهدت قراء يحفظون القرآن او يتلونه ولكنهم لا يعرفون معناه وبهذا لا يتذوقون حلاوته ولا ينعمون بما فيه من طلاوة واعجاز .

وفى تقديرى ان كل متعلم مسلم ينبغى أن يعرف قدرا من اللغة العربية يربطه بملايين المسلمين ، أما اولئك الذين يتجهون الى الدراسات الاسلامية ويريدون أن يتخصصوا فيها فيلزم ان يتعمقوا فى دراسة اللغة العربية وآدابها ليستطيعوا بذلك ان يعرفوا اسرار التشريع الاسلامى وصنوف الفكر فى الدراسات الاسلامية وان يحيطوا بالتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية . واننا نقولها كلمة حق هى أن اجادة الدراسات الاسلامية دون تعمق فى فهم اللغة العربية عمل مستحيل ، وقد رأينا طلاب الاستشراق غير المسلمين يبدءون باللغة العربية ليصلوا عن طريقها الى الفكر الاسلامى ، ولكنا هنا لا نتجه الى المعاهد والمدارس والجامعات الاسلامية ، فاللغة العربية فى هذه المعاهد ضرورية وأساسية ، بل نتجه الى التعليم العام لتكون اللغة العربية لغة ثانية بعد اللغة القومية ويتلوها لغة أوربية أو أكثر من لغة ، حسب حاجة كل قطر .

ولعله من الضرورى أن أوضح ان المربين العرب عكفوا على وسائل تعليم اللغة العربية لغير العرب ، وقد ابتكروا من الطرق ما جعل تعليمها لهؤلاء سهلا واجادتها ميسورة ونحن نعترف أن فترة طويلة من الزمن مرت كان تعلم هذه اللغة لغير العرب عسيرا ، وكان المعلم يبدأ من حيث يجب أن ينتهى ، كان يبدأ بالفية ابن مالك ، وهى لا تعلم اللغة وانما تقنن قواعدها ، وقد وضعها ابن مالك كترف لغوى للمتخصصين ، ولكن هذا الاتجاه القديم قد توقف وحل محله الاتجاه التربوى الجديد الذى يبدأ بتقديم اللغة نفسها ويؤخر تقديم قواعدها الى فترة تالية على أن يقدم من هذه القواعد ما يكون ضروريا لتصحيح التعبير .

وكلمة أخيرة أختم بها اقتراحى ، فقد كنت احب أن ادعوكم لاتخاذ قرار بجعل لغة ما من لغات المسلمين Langua Franca لغة يلتقى عندها المسلمون فى تفكيرهم ، وفى تجمعاتهم ومؤتمراتهم ، والشىء الذى دفع اللغة العربية لامكان ان تصبح هى هذا اللسان الوسيط هو القرآن الكريم الذى نزل باللسان العربى قال تعالى « انا انزلناه قرآنا عربيا » **ويعلق الامام الشافعى على هذه الاية فى كتابه الرسالة [ص ٤٨ — ٤٩) بقوله : فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به الا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، ومازاد على ذلك فهو خير له ، ثم ان الاسلام حمل اللغة العربية معه انى سار فثبتت فى بعض البلاد كمصر وسوريا والعراق ودول الشمال الافريقى وخلفت آلاف الكلمات العربية فى لغات البلاد الاسلاميه الاخرى كما هو حادث فى الفارسية والاوربية والاندونيسية والتركية وغيرها ، وكل هذا يحتم أن يهتم المسلمون فى مختلف الاقطار باللغة العربية لتصبح اللغة الثانية بعد اللغة القومية ولتكون لسانا مشتركا بين المسلمين ، وقد سار سلفنا الصالح هذه السيرة فبرز من المسلمين غير العرب أئمة اعلام قدموا للوطن الاسلامى وللفكر الاسلامى أجل الخدمات ومن هؤلاء البخارى وابو حنيفة والبيرونى وكثيرون سواهم .**

والله المسئول أن يكتب لنا التوفيق ويهدينا سواء السبيل .

من
كنوز
القرآن

التشريع
و
مصالح
العباد

فضيلة الشيخ محمد انيس عبادة

بينا فيما سبق أن الله تعالى شرع الشرائع وفرض التكاليف وسن الاحكام لمصلحة عباده وأنه عز وجل أرسل الرسل وأنزل الكتب وأكمل الاديان رحمة بخلقه • فاهتدوا بذلك الى الخير • ووصلوا بالامتثال الى ذروة النجاة وسنام النعيم • وعاشوا حياتهم الاولى فى ظل الشرائع الالهية سعداء ظافرين •

ونبين هنا أن مقاصد الشريعة لها جهتان : الاولى قصد الشارع ، والثانية قصد المكلف الذى شرعت لمصالحه الاحكام •

فالمقصد الشرعى للتشريع هو مصالح العباد • فالاحكام التى حكم بها الشارع قد قصد بها تحقيق مصالح عباده فى الدنيا والاخرة • وهذا ماقاله العلماء : **أنها شرعت لجلب مصلحة أو تكميلها أو لدفع مفسدة أو تقليلها** • فاذا فعل المكلف فعلا فهو بأمر الله لتحقيق مصلحة أو تكميل مصلحة وكذلك دفع المفسدة بمنع حصولها أو تقليلها • حين تتعارض فتندفع المفسدة الشديدة بارتكاب الخفيفة وغنى عن البيان أن المولى لايفرض الامور على الناس عبثا لانه محال عليه سبحانه • كما أنه ليس فى حاجة الى أعمالنا لانه غنى حميد ونحن الفقراء الى ماعنده •

والمقاصد التى جاءت الشريعة الاسلامية لحفظها فى الخلق هى الضرورية والحاجية والتحسينية فالمصالح الضرورية هى التى لابد منها لانتظام الحياة فلا تستقيم الا بها وهى كليات خمس جاءت جميع الشرائع لحفظها • بل اتفقت جميع الملل على حتميتها • وهى مصلحة حفظ الدين وحفظ النفس والمال والعقل والعرض • وهى ضرورية لكل فرد كى تستقيم حياته وتوصل الى النعيم فى الاخرة والمصالح الحاجية هى مايحتاج اليها لرفع الحرج عن العباد • فقد تقوم الحياة مع فقدها لكن مع الحرج والمشقة ولا تكون فى حق جميع الناس • بل يحتاج اليها من قام به العذر •

فتشريع وجوب الايمان والعبادات لحفظ الدين • وشرعية المعاملات تناول ماتقوم عليه الحياة وتحريم القتل لحفظ النفس واباحة الزواج وتحريم الزنا لحفظ النسل وتحريم الخمر لحفظ العقل وتحريم القذف لاجل حفظ العرض •

والحاجيات واضحة فى تشريع الشارع للرخص فى

العبادات لحفظ الدين . واباحة السلم والقرض والدية على العاقلة والقسامة لغيره - أما المصالح التحسينية فهى التى ترجع الى مكارم الاخلاق وحفظ المروءة كتحريم النجاسات وحل الطيبات وأخذ الزينة . وهى مجتمعة فى مكارم الاخلاق .

وبالاحكام التى شرعها المولى لحفظ هذه المصالح يكون دستور الله قد وضع لعمارة الانسان للدنيا وتنعمه فيها بما منحه من النعم والمواهب ورفع عن العباد الحرج والمشقات ومالا طاقة لهم به ووضع أساس مكارم الاخلاق والمحاسن . وبامتثال الناس لهذه التشريعات وسيرهم باستقامة على الطريق الذى رسمه لهم الخالق تتحقق لهم سعادة الدنيا ونعيم العقبى .

الافهام : وهذا القصد الاول يحتاج الى التفصيل والبيان . وذلك بفهم مقاصد أخرى للشارع تابعة للاول ومبينة لاجماله .وذلك لانه سبحانه وقد شاءت ارادته وضع الشريعة للمصلحة فقد قصد افهام الناس لما شرع . ولهذا أنزل القرآن الكريم بلغة العرب ليسهل عليهم فهمه وفهم التشريع منه قال تعالى « **انا أنزلناه قرآنا عربيا** » وقال تبارك وتعالى « **بلسان عربى مبين** » ورد على من زعم أن محمدا يتلقى القرآن من رجل أعجمى « **لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** » فالقرآن يفهم بهذه اللغة لمناسبة معهود العرب فى الالفاظ وأساليب المعانى - ولان الرسالة المحمدية عامة للناس جميعا سواء كانوا عربا أو غيرهم . فمن أجل أن يفهمه الجميع وردت فيه الالفاظ المطلقة بالمعانى المطلقة . ففهمه العرب . وسهل تفسيره ومعرفة المعانى العامة لجميع الناس لعموم الرسالة وشمول الشريعة . ولهذا تمتنع ترجمة ألفاظه ونظمه . وان صحت ترجمة معانيه . وشرح تفسيره وبيانه وبذلك يتمكن كل الناس من معرفة شريعة الله .

كذلك أراد سبحانه أن تكون الشريعة أمية لقوم أميين .ومعنى هذا الا يتوقف فهم احكامها على الامعان فى العلوم الكونية أو الرياضية أو غيرهما . وبذلك وسعت كل الناس حتى العوام الذين لم يتدارسوا العلوم فكانت الحجة البيضاء لايغيب فهمها على مكلف . ولا تتوقف معرفتها على التبحر فى العلوم والاتساع فى المعارف فهى سهلة ميسرة .وقد أثبت الواقع انها أخذت بألباب الخواص والعوام . وقد شدت اليها الافهام وسرت محبتها فى القلوب لا فرق بين موغل فى العلوم أو أمى لم يطلع على شىء .

أما الاسرار والمقاصد الدقيقة التى تحتاج فى فهمها الى مستوى خاص من الملكة والمعرفة والاستعداد فقد خص الله بها العلماء المجتهدين . ومع ذلك فقد كلفهم بالاعتبار والاستنباط وبذل الجهد فى استخراج كنوزها . ولان ذلك شأن الخواص . فقد كلفهم المولى باظهار العلم . وأمر من لايعلم بسؤال من يعلم « **فاعتبروا يا أولى الابصار !** » « **فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون** » . وهذا يحقق أعلى المصالح وأهم المنافع . حيث يسر الفهم العام الظاهر لجميع الناس . وخص طائفة بالفهم الدقيق والاستنباط . وأحال عليهم غيرهم ممن ليسوا فى درجتهم . وذلك لئلا تنقطع المصالح وتنعدم عمارة الكون . فتفرغ قوم للاجتهاد وأمروا بتعليم غيرهم ممن يقومون بالصنائع . ويسدونها الى غيرهم . وبكل ذلك كانت شريعة الله فى متناول الجميع . العرب ، وغيرهم ، العالم والجاهل . وجعل الاستنباط وسيلة لبقاء العلم ويوضح ذلك التيسير أنه تعالى حين ربط المسببات بالاسباب ووضع العلل والعلامات على الاحكام جعل بناء التكليف على الامور الحسية التى هى فى متناول الجميع فربط وجوب الصلاة بالوقت « **أقم الصلاة لدلوك الشمس** » . وجعل علة الصوم الظاهرة شهود الهلال « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » . وأمر **بالزكاة عند الغنى بملك النصاب** . وأضاف الحج الى البيت « **ولله على الناس حج البيت** » . وهذه أمور محسوسة يدركها كل انسان بالحس والمشاهدة . وباستقراء موارد التشريع نجد أن ذلك أمر مطرد فعلم الناس المشروعات فى يسر وسهولة . ولم يضع المولى لذلك علامات من القواعد العلمية ولم يعلق شيئا على أمر غامض . لان ذلك كله علامة ودليل على الحكم . والموجب له فى الحقيقة هو الله سبحانه . ولا طاقة للعباد الا فى الامور المحسوسة لأنها هى التى فى الامكان العام . وبهذا كان شرع الله سهلا ميسرا واضحا لايحتاج متعبد الى مالا علم له به . فتحقق بذلك العموم لجميع المكلفين .

التكليف : واذ قد وضع المولى شريعته لتحصيل مصالح عباده بأحكامها . وجعلها من الوضوح والظهور بحيث تكون فى متناول الامى الذى لم تزد معرفته على الفطرة ولم يضرب فى بحار العلوم بسهم . فانه قصد الى تكليف عباده بمقتضى الشريعة فألزمهم امتثال أوامره واجتناب نواهيه فيها . أى التزام التشريع والعمل به فى كل موارده مما يخص الانسان فى نفسه أو يربطه بغيره . وهى فى كل ذلك الطريق الصحيح لنيل السعادة الدنيوية والاخروية على السواء . ومن هنا كان شرط التكليف قدرة المكلف على ماكلف به فكل ماأمرنا الله به فهو مستطاع وفى الامكان عمله . وكل مانهانا عنه ففى امكاننا تركه من غير أن يلحقنا بذلك عناء أو مشقة

زائدة لاتطيقها النفس فجاء قوله تعالى « **لايكلف الله نفسا الا وسعها** » ، « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » ، « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر !** ولا تنافى بين التكليف والتيسير • لان التكليف وان كان فيه مشقة بالنسبة الى عدمه • كالصوم بالنسبة الى الافطار وغيره . لان التكليف فى الحقيقة الزام بما فيه كلفة • لكن الكلفة مستطاعة داخلة فى قدرة العبد مع المداومة عليها من غير أن تورث الناس سؤما أو تورث الجسم اعياء وكللا يعجز معه عن المداومة والاستمرار والحرج المدفوع هو المشقة الزائدة التى توجب العجز عن الاستمرار • ولهذا كان من هديه صلى الله عليه وسلم « **الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه** » وامر معاذ بن جبل بأن يخفف فى صلاته بالناس جماعة لانه كما قال « **فيهم الضعيف والمريض وذو الحاجة** » ــ وشدد عليه فى ذلك فقال له : « **أفتان أنت يامعاذ ؟** »

أما الامور التى تعجز النفس وتؤدى الى الملل والانقطاع عن الدوام فقد تكرم المولى على هذه الامة برفعها وبذلك كان صلى الله عليه وسلم « **ماخير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما** » ولم يرض لاصحابه التشدد فى العبادة والانقطاع اليها لئلا يشق على أمته وخشية أن تفرض عليهم فيعجزوا عنها مستقبلا مما يؤدى الى الحرمان من الثواب « **فوالله لايمل الله حتى تملوا** » يعنى لاينقطع عنكم الثواب حتى تنقطعوا عن العمل •

وعلى هذا الاصل يجب أن نفهم كل نص ورد عن الشارع مما يفيد ظاهره التكليف بما لايستطاع فهو مؤول بحمله على السوابق واللواحق . أى على الاسباب الممكنة والنتائج المستطاعة • كقوله تعالى « **ولا تموتن الا وأنتم مسلمون** » ـ فالمراد والله أعلم المداومة على الاسلام السابق على حالة الموت والحرص على استحضار الاسلام الحاصل قبل ذلك •

وتفريعا على هذا القصد وهو القدرة على المكلف به امتنع فى الشريعة النهى عن الامور الجبلية التى جعلها الله غريزة فى الناس • فلم ينه الله عن الشهوة ولا عن الطعام أو الشراب • اذ لاحياة بدون ذلك • فالتكليف يرد على الامور المكسوبة للناس • وهذه غرائز طبيعية • والدين لم يصادم الغرائز ولم يعمد الى كبتها واحراقها • بل نظمها وهذب من جموحها • فوجه الناس بالاوامر الى تقاضى هذه الطبائع بالادب والاعتدال والعفة • وأمر مع ذلك بما يحقق التمتع ونيل الضرورى ووضع لذلك قيودا تميز الانسان وتكرمه عن الحيوان • فجعلها خيرا ومصلحة • تطهر النفس عن الفساد وتحفظ عليه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه الاعراض والمقدسات من المال والنفس والعقل والدين • فهو حين يضع الشروط للزواج انما يطهره عن السفاح • وحين ينهى عن الزنا والسرقة والربا والقتل والقذف ويعاقب على ذلك فهو يصون الفرد عن الفساد • مع مايعود عليه من مصلحة أن يحفظ الناس ماحفظ لهم • فكلما ابتعد عن هتك حرمات الناس فهم كذلك سيحفظون حرماته . وبذلك يتصل الامن والصيانة بين الجميع • وهذا هو مجتمع الاسلام الذى أقامه المولى بالتشريع على أسمى المبادىء وأقوم الخلق وأزكى الاعمال •

دخول المكلف تحت أحكام الشريعة : هذا هو المقصد الرابع من مقاصد الشارع من التشريع وهو أن يكون الانسان متخلقا بأخلاق الشرع فيجعله حاكما على نفسه وتصرفاته وأفعاله فيبسط سلطان الشريعة على كل مايفعل ويترك • والشارع لم يترك أمرا من الامور التى يحتاج الانسان الى التلبس بها الا أتبعه بالبيان والهدى والارشاد • حتى فى آداب أكله ولباسه ونومه وحله وظعنه حتى أبسط الاشياء قد حظيت بالهدى الالهى والتوجيه الدينى والارشاد النبوى • وقد صاحب الانسان فى كل أطوار حياته • فالرحمن الرحيم معه بالرحمة والرعاية من ابتداء كونه نطفة فى الظهور تتلقاها الارحام . فقرر له حقه ومايصلحه وما يرثه . واودعه أمانة فى يد والديه . حفه برعايتهما طبعا وتشريعا • فمن أجله وشرف مصيره • أرشد الاباء الى تخير مقره ومستودعه • ونهى الامهات أن يدخلن على فراش ابيه من يلوث شرفه . وحفظه من السقيا الحرام ومن مأثور الحكم ألا يسقى ماؤه زرع غيره ــ بل ومن أجل شرف الانسان ورعاية حقوقه فرضت الشريعة الحدود وأقام الحكام بأمر الله العقوبات ــ ثم يتعهده التشريع رضيعا ومحضونا • وكلما بلغ أشده واستوى أتى اليه من أمر ربه مايخرجه عن دواعى الهوى والشهوة الى داعى العقل والدين •

وهكذا يستبين القصد الاخير عن الاول • فالقصد الاول للشارع يتضمن وضع نظام عام يكفل السعادة للعبد فى الدنيا والاخرة •

أما هذا الاخير فمعناه أنه سبحانه يطلب من عبده الدخول تحت هذا النظام والانقياد له لا لهوى نفسه وشهوة جسمه وشخصه تحقيقا لقوله سبحانه « **وما**

خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، وقوله سبحانه « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » وأخيرا يأمر المولى عباده بطاعته واقامة الصلاة لمناجاته والصبر على العبادة وبلوغ الطاعة ٠ وهو مادام كذلك فهو فى رعاية الله وفى حفظه . هو الذى خلقه وهو الذى رعاه وهو الذى كلفه من أجل مصلحته وحسن عاقبته ٠ لايحمل لنفسه هما ولا يرتب لشأنه وحياته رزقا يحفظه من الضياع ٠ بل أمره ووعده وهو سبحانه غالب على أمره كما أنه سبحانه أصدق الصدق فى وعده « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك » وهذا وثوق فى الحياة الفانية ٠ وطمأنينة لاتفوت معها الارزاق ولا تقل فى رحابها النعم ٠ أما الاهم والاعظم والدوام فى النعمة ٠ والخلود فى الرضا والمثوبة فقد أعطاها القادر العليم فى بلاغة أحنت هامات البلغاء ٠ وفى بشارة تذوب معها خيرات الدنيا تلك هى « والعاقبة للتقوى » ٠ كتب الله للمسلمين حسن العاقبة ٠ وهيأ لهم بفضل الله وطاعتهم عاقبة المتقين ٠٠ وحفظهم من عقوبة الضالين ٠

بقية مقال المساواة فى الحقوق والواجبات

أحق أن يتبع وأن الباطل لا يغنى من الحق شيئا فان كان منهم ذلك وتابوا فانى أزف اليهم بشرى] ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له) وان كانت الاخرى وأبو ألا اللدد فى الخصومة فى غير عدو فلهم ذلك والله يقول :(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ٠

غير أنى أدلهم ـ ان كانوا حقيقة يريدون ابطال الباطل ـ وأضع أيديهم على موضع الجريمة ولهم هناك متسع للهجوم واللوم ـ فهناك وفى أرقى دول العالم حضارة ومن يدعون العمل على حقوق الانسان ـ هناك سيجدون التفرقة بين الابيض والاسود ، وليعلموا قبل كل شىء أن هؤلاء السود احرار لم يقعوا فى العبودية بأى سبب ـ فهنا وهنا فقط يكون ميدان المنكرين للرق والباحثين عن حرية العبيد فدونكم وهذا واتركوا ساحة الاسلام فدون النيل منها خرط القتاد .

من أخلاق القرآن

الدكتور أحمد الشرباصى

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الاحقاف : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » ٠

وكلمة « الاستقامة » تفيد ـ كما فى لسان العرب ـ معنى الاعتدال والاستواء : يقال ، استقام له الامر ، أى اعتدل ، ومن ذلك ما ورد فى السنة بشأن الاصطفاف فى الصلاة ، وهو : « تسوية الصف من اقامة الصلاة » أى جعلها سليمة معتدلة ، وكلمة « الاستقامة » مشتقة من مادة « القيام » وفى هذه المادة معنى الملازمة والمحافظة والثبات ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : « الا ما دمت عليه قائما » أى ملازما محافظا ٠ ويقال : قام عندهم الحق ، أى ثبت ولم يبرح ، وكذلك جاء فى كتاب الله العزيز : « من أهل الكتاب أمة قائمة » أى جماعة ثابتة على الدين متمسكة به ٠

وقد تأتى المادة بمعنى الاصلاح والنهوض بالتبعات ، ومن ذلك قول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » ٠ وفى مادة الاستقامة معنى الدوام والاستمرار ، وقد جاء فى الحديث : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم » ٠ أى دوموا لهم على الطاعة ، واثبتوا عليها ، ما داموا على الدين وما داموا ثابتين على الاسلام ٠ كما جاء فى الحديث

الاستقامة...

« العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » قال العلماء ان القائمة هى الدائمة المستمرة، التى يتصل بها العمل ولايترك ، وبمثل هذا فسروا قول القرآن الكريم فى شأن المؤمنين : « ويقيمون الصلاة » أى يديمونها • ولقد روى حكيم بن حزام عن نفسه فقال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخر الا قائما » • أى لا أموت الا مستقيما ثابتا على الاسلام مستمسكا به •

ومن هذا البيان نفهم ان الاستقامة فى لغة القرآن هى الاقامة على الاسلام ، والدوام على هدى الله عز وجل ، والاستمرار فى التقيد بقيوده ، والوقوف عند حدوده ، والاستجابة لاوامره ، والانتهاء عن محارمه ، **وهذا هو عمر الفاروق يقول : « الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهى ، ولا تروغ روغان الثعلب »** •ومفهوم هذا أن خلق الاستقامة يبعد صاحبه عن التلون والتذبذب ، وعن النفاق والرياء ، فالمستقيم قد عرف طريقه ، وآمن بعقيدته ، ومضى على سبيله لا يميل ولا ينحرف ، ولعل هذا هو الذى جعل ابن تيمية يقول : « الاستقامة كلمة جامعة ، آخذة بمجامع الدين ، وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق ، والوفاء بالعهد ، والاستقامة تتعلق بالاقوال والافعال والاحوال والنيات » • **ويقول ابن القيم :** « اعظم الكرامة لزوم الاستقامة » لان من لازم الاستقامة فلم يخادع ولم ينافق ، يكون كريما على نفسه غاية الكرامة ، اذ لم يقبل لها أن تنحط الى درك التلون أو التذبذب ، ويكون كريما على ربه ، لان الله جل جلاله يختص برحمته ونعمته ومرضاته أولئك الذين يخلصون أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم لوجه ربهم سبحانه •

ولا عجب فى ذلك ، لان فضيلة الاستقامة هى التى تجعل صاحبها على الدوام يحاسب نفسه ، ويراقب ربه ، ويلتزم صراطه ، ويعمر سلوكه وتصرفه بخلوص النية لله ، وصدق التوجه الى الله ، فتكون استقامته نورا يسعى بين يديه فيهديه الطريق ، وروحا يضىء جوانب المستقيم ويصرفه التصريف القويم ، ومن هنا قال الهروى : « الاستقامة روح تحيا به الاحوال » •

وأساس الاستقامة فى الاسلام ـ كما يصورها القرآن المجيد ـ هو الاهتداء الى طريق الله سبحانه ، والايمان به موجدا وربا ، وافراده بالعبودية له والعبادة لوجهه ، وعدم الانصراف الى سواه ، لانه : **لا اله الا الله** ، هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ومهما تعددت السبل ، أو تكاثرت السبل ، أو ضل فى الكون ضالون ، فافتروا آلهة أو معبودات ، من انس أو جن أو حيوان أو نبات أو جماد ، فالمؤمن المستقيم ثابت على طريق

الوحدانية، دائم فى اخلاص العبادة لربه، ملازم طريقه وحده لايحيد عنه، وقد أشار القرآن الحكيم الى ذلك حين قال: «**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**». وحين قال: «**ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم**». **وحين قال، «وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم» وحين قال: «وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم»**.

وهذا هو ابو بكر الصديق رضى الله عنه يقول: «الاستقامة الا تشرك بالله شيئا» وقد قال العلماء انه يريد بذلك الاستقامة على محض التوحيد، لان من استقام على صدق التوحيد لله استوى على الصراط المستقيم فى أعماله وأقواله، وفى أفكاره وخاطره: «**صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون**».

وفى هذا الفلك يدور قول ابن تيمية عن أهل الاستقامة: «استقاموا على محبة الله وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة».

واذا كانت الاستقامة اعتدالا واستواء، وحفظا للحقوق، والتزاما بالواجبات، وتقيدا بالحدود، فان ضد الاستقامة يكون هو الطغيان، وقد استدلوا على ذلك بقول الله عز من قائل: «**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير**». وكلمة «استقم» فى هذه الاية الكريمة كلمة جامعة، تشمل العقيدة والعمل والقول والسلوك، فالله جل جلاله يطلب الى نبيه صلوات الله وسلامه عليه، ومن ورائه أتباعه، أن يكونوا معتدلين مستقيمين على الصراط، بحيث لا يميل الانسان الى أحد الجانبين قيد شعرة، ولا شك أن هذا الاعتدال ليس بالامر السهل أو اليسير، بل يحتاج الى مجاهدة ومعاناة، ولذلك ذكر بعض المفسرين للاية أن تحقيق الاستقامة المطلوبة هنا أمر صعب، والبقاء عليه مع العمل بمقتضاه أشد واصعب، وهذا هو عبدالله بن عباس رضوان الله عليهما يقول: «ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية اشد ولا أشق عليه من هذه الاية»، ولعل هذا يذكرنا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام: **؟ شيبتنى هود وأخواتها!**.

ويروى عن بعض الصالحين أنه رأى النبى فى النوم، فقال: يا رسول الله، روى عنك أنك قلت: شيبتنى هود وأخواتها. قال النبى: نعم. فقال الرجل: وبأى آية؟. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **بقوله فاستقم كما أمرت...**

واذا كان تحقيق الاستقامة المثالية أمرا صعبا وشاقا، فان هذا لا يسوغ التقاعس عن طلب الاستقامة، بل واجب الانسان المؤمن ان يتلمس اليها الوسائل، وان يتابع نحوها الخطوات، وأن يستعين على ذلك بالطاعات والقربات، وقد أشار الى ذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حين قال:

«**استقيموا ولا تحصوا: واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء الا مسلم**». ونفى الاحصاء فى هذا الحديث يراد به عدم الاطاقة لتحقيق كمال الاستقامة عند كل الناس، فلا أقل من السعى نحوها، ومحاولة القرب منها، والاستعانة على تحقيقها - كما ينبغى - بما يوصل اليها من عبادة وتقوى.

ولقد فسر الامام جعفر الصادق كلمة «**استقم**» **فى** الاية بقوله: «افتقر الى الله بصحة العزم» يعنى الوثوق به والتوكل عليه، والالتجاء اليه. واذا وجدت العزيمة فى نفس الانسان، وتبعها مواصلة الخطوات على طريق الحق والعدل، كان بلوغ القصد ميسورا بفضل الله وعونه، ولذلك قال الامام على رضى الله عنه: «من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع فى التيه». والظاهر أن الامام رضوان الله عليه قد قصد بالطريق الواضح الصراط المستقيم الذى ذكر الله عز وجل فى كتابه مرات كثيرة، والذى جعله الله سبحانه مطلبا للمؤمنين يرجون ربهم تحقيقه لهم، فيدعونه بذلك فى كل ركعة من صلواتهم حينما يقولون: «**اهدنا الصراط المستقيم**».

واذا كان الانسان محتاجا - دون شك - الى دليل يدله على طريق الاستقامة، والى رائد يرووده على ذلك الطريق، فان خير دليل وأصدق رائد فى هذا المجال هو كتاب الله الذى يقول فى شأنه رب العزة: «**ان هذا** القرآن يهدى للتى هى أقوم، **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**». فالاية تخبرنا - وهى قول أصدق القائلين - بأن كتاب الله تعالى يهدى الى الحالة التى هى أقوم الحالات، والى الطريقة التى هى أعدل الطرق، وهى طريقة الايمان بالله، وشهادة أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، والايمان برسله، والعمل بطاعته.

وقد أكد الله تبارك وتعالى لعباده هذا المعنى حين قال عن كتابه: «**ان هو الا ذكر للعالمين، لمن شاء منكم أن يستقيم**» **فهذا** القرآن بيان وهداية للناس جميعا، اذا أرادوا الهداية والرشاد، وانما ينتفع بهداية

القرآن الكريم من شاء من هؤلاء أن يستقيم : « انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون » .

وما دام تحقيق الاستقامة المثالية أمرا شاقا متعبا صعبا ، فلابد أن يكون الثواب عليه جزيلا عظيما ، وقد تكفل القرآن الكريم بتجلية هذا الثواب الجليل حينما قال فى سورة فصلت : « **ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ، ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم ، ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** » .

ولنلاحظ معا أن هذه الايات الكريمة قد جمعت لنا بين مفتاح الطريق الى الاستقامة ، والواجب على أهل الاستقامة ، والثواب العظيم الذى ينتظر أهل الاستقامة فى الدنيا وفى الاخرة ، فهى قد دلتنا على أن مفتاح باب الاستقامة هو الايمان بالله ، والدخول فى الاسلام ، والعمل بأوامره وتعاليمه ، والدعوة اليه ، فذكرت ان اهل الاستقامة هم الذين قالوا : ربنا الله ، وهم الذين التزموا الصراط المستقيم . وهم الذين دعوا الى صراط ربهم ، وهم الذين عملوا الصالحات ، وهم الذين اعتزوا بانهم من عباد الله المسلمين .

وذكرت لنا الاية ثواب هذه الفضائل التى يتحلى بها المستقيمون ، وهذا الثواب فى أن الملائكة تتنزل عليهم لتخبرهم بأن شأنهم هو الا يخافوا ولا يحزنوا ، ولتخبرهم بشرى دخولهم الجنة ، ولتخبرهم بالولاية الالهية لهم فى الدنيا والاخرة ، ولتخبرهم بأن لهم من الله ما تشتهى انفسهم وما يدعون فى جنات النعيم .

ولا ريب فى أن هذا حث قوى وتحريض بليغ على الاتجاه الى فضيلة الاستقامة والاستمساك بها .

ولقد ذكر بعض المفسرين عند تعرضه لتفسير الايات السابقة أن كمال الانسان فى هذه الحياة يتحقق بأمرين : أولهما العلم الصحيح ، والاخر العمل الصالح ، ورأس العلم الصحيح هو معرفة الله تعالى ، ورأس العمل الصالح هو الاستقامة ، اى الدوام على حالة « الوسطية » التى لا افراط فيها ولا تفريط .

ولقد جاء فى بعض الروايات أن هذه الايات نزلت فى شأن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، لانه وقع فى أنواع شديدة من البلاء والمحنة ، ولم يتغير البتة عن دينه ، فهو الذى قال : ربنا الله ، وبقى مستقيما لم يتغير لسبب من الاسباب ، واذا صحت هذه الرواية فانها لا تمنع أن تكون الايات شاملة كل من استقام على الايمان ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول العلماء .

ويقول القرآن الكريم فى سورة الجن : « **وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا** » أى لو **اعتدلوا وساروا على الطريقة المثلى لاسقيناهم الغيث** الكثير ، وهذا السقى كناية عن الانعام عليهم .

وكذلك يقول : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين** » . ويعود القرآن بعد ما ذكره فى سورة هود من مطالبة النبى وأتباعه بالاستقامة ، فيقول فى سورة الشورى : « **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب : وأمرت لاعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير** » .

ولقد استجاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل استجابة لهذا الامر الالهى ، فكان رسول الله هو المثل الاعلى فى الاستقامة ، استقام فى حسه ونفسه ، وفى قوله وعمله . وفى ظاهره وباطنه ، وفى أمره كله . وبعد أن ضرب القدوة السامية فى الاستقامة لاتباعه ، أخذ يحثهم على الاقتداء به ، والسير على سنته ، فقد روت السنة أن سفيان بن عبدالله قال : يا رسول الله ، قل لى فى الاسلام قولا لا أسال عنه أحدا غيرك . فقال له : قل آمنت بالله ثم استقم .

وقد ذكر العلماء للاستقامة فى هذا الحديث معنيين : أولهما المداومة على ترك الشرك ، والاخر المداومة على الطاعة ، ولو تدبرنا المعنيين لوجدناهما يكمل أحدهما الاخر ويقتضيه ، لان من داوم على ترك الشرك فقد داوم على الايمان بالله الواحد الاحد ، ومن أخلص فى ايمانه بالله الواحد الاحد داوم على طاعته ، فالاستقامة هنا صفة بعضها سلبى وبعضها ايجابى ، فالسلبى فيها هو البعد عن الاشراك ، والايجابى منها هو استمرار طاعة الله عز وجل .

ولقد تكلم الصوفية عن الاستقامة ، ومما قالوه فيها ما روى عن حاتم الاصم : « من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء فهو يتقلب فى رضا الله ، أولها الثقة بالله ، ثم التوكل ، ثم الاخلاص . ثم المعرفة ، والاشياء كلها تتم بالمعرفة

فليمض المؤمن المستقيم فى طريقه جاعلا نصب عينيه على الدوام قول ربه عز وجل : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها : لا تبديل لخلق الله : ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ! » صدق الله العظيم .

مع القرآن الكريم

الدكتور عبدالله محمود شحاتة

القرآن الكريم كتاب الاسلام الخالد ، وهو روح الدعوة الاسلامية وباعث فكرتها ، وقاموسها وسجل حركتها ، وقد أعطى الله الانبياء معجزات تناسب عصورهم وتؤيد رسالتهم ، أعطى موسى العصى تنقلب حية هائلة تلقف حبال السحرة ، واذا ادخل يده فى جيبه خرجت بيضاء بياضا ناصعا يغلب ضوء الشمس ، لان أهل مصر كانوا قد برعوا فى السحر فجاء موسى عليه السلام بمعجزة تفوق سحرهم ٠

اذا جاء موسى وألقى العصى

فقد بطل السحر والساحر

وأرسل عيسى عليه السلام فى عصر تقدمت فيه ابحاث الطب والعلاج ، فاعطاه الله معجزات روحية وطبيةفى علاج المرضى وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله ٠

وأرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم فى بلاد العرب وسط قوم أميين صناعتهم البيان وبضاعتهم القول الجيد من منثور ومنظوم ، وكان الشعراء والادباء يلتقون فى سوق عكاظ فى مؤتمرات ثقافية ومنتديات أدبية ، يعرضون فيها انتاجهم الفكرى والادبى ، واذااستحسنوا قصيدةعلقوها حول الكعبة تخليدا لها واعتزازا بجودتها ٠

الف العرب فى الجاهلية السجع وتشابه الفواصل والكلام الموزون المقفى والعناية بالادلة الخطابية ، ومخاطبة العاطفة، واستخدام أساليب البيان وتنويع العبارة استمالة للسامع واستثارة له .

وقد نزل القرآن المكى خطابا لهؤلاء العرب وهو كلام السميع البصير اللطيف الخبير الذى خلق الانسان وهو أعلم بما توسوس به نفسه ، فانزل الله القرآن فى الذروة العليا من أساليب البيان بل انه سار فى هذا الشوط الى مدى لا يشق غباره ولا يمكن محاكاته .

وحين اتهم العرب محمدا عليه السلام بصنوف الفرى وتقولوا عليه الاقاويل ، فاتهموه بالسحر وبالشعر وبالكهانة وبكتابة اساطير الاولين تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مفتريات أو بسورة واحدة منه ، ثم وصمهم بالعجز الابدى عن محاكاته متحديا لهم ولغيرهم مدى الازمان فقال سبحانه : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا **القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ٨٨ الاسراء .

القرآن المكى

بدأ نزول القرآن على النبى بمكة المكرمة ، واستمر نزوله بمكة ثلاثة عشر عاما يدعو أهلها الى الايمان بالله وتوحيد الخالق . ويحارب عبادة الاوثان والاصنام ويذكر الناس بالبعث والجزاء ويصف مشاهد القيامة ويعرض صور النفخ فى الصور والقيام من القبور وتوزيع الصحف ووزن الاعمال والمرور على الصراط ودخول المتقين الجنة ودخول الكافرين النار .

وكان القرآن يفصل وصف الجنة ونعيمها وما فيها من أنهار جارية وثمار دانية وحور عين وولدان مخلدين ...

كما يعرض وصف جهنم وما فيها من الوان العذاب وصنوف الالام فاهلها سود الوجوه ، يسحبون فى النار على وجوههم ، يأكلون الضريع والزقوم ويشربون ماء كالمهل يشوى الوجوه ، لا ينظر الله اليهم ولا يكلمهم ولهم عذاب اليم .

السور المكية والمدنية

اصطلح العلماء على أن ما نزل من القرآن قبل الهجرة الى المدينة يسمى مكيا ، وما نزل من القرآن بعد الهجرة يسمى مدنيا ، نسبة الى مكة والمدينة ، ومكى القرآن نحو ١٩/٣٠ منه ، ومدنى القرآن نحو ١١/٣٠ منه وعدد سور القرآن ١١٤ سورة (١)

منها ٨٢ سورة متفق على أنها مكية

ومنها ٢٠ سورة متفق على أنها مدنية

ومنها ١٢ سورة يتردد الترجيح بين مكيتها ومدنيتها .

فالسور العشرون المدنية هى : سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، والانفال ، والتوبة ، والنور ، والاحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والجمعة ، والمنافقون ، والطلاق ، والتحريم ، والنصر .

والسور المختلف فى مكيتها ومدينتها هى سورة الفاتحة ، والرعد ، والرحمن ، والصف ، والتغابن ، والمطففون ، والقدر ، والبينة واذا زلزلت والاخلاص ، والمعوذتين .

وما بقى من سور القرآن مكى باتفاق وعدده اثنتان وثمانون سورة .

سجل لكل سورة

سور القرآن ١١٤ سورة واذا تعرفنا على خصائص هذه السور وتاريخ نزولها وترتيب هذا النزول ادركنا ان جهدا كبيرا قد بذله العلماء الاولون حفاظا على هذا الكتاب العزيز ، وبيانا لما نزل منه اولا وما نزل منه تاليا ، وما نزل منه ليلا وما نزل منه نهارا ، وما نزل منه صيفا وما نزل منه شتاء ، وما نزل منه مشيعا بالملائكة ، وما نزل مفردا ، وما نزل مجملا وما نزل مفسرا ، وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية ، حتى ليكاد أن يكون لكل سورة سجل خاص بآياتها وتاريخ نزولها و سبب نزولها والاحكام التى حفلت بها وما فيها من ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، وعام وخاص ، والى جوار ذلك بيان بالايات المدنيات فى السور المكية والايات المكيات فى السور المدنية وما حمل من مكة الى المدينة وما حمل من المدينة الى مكة ، وما حمل من المدينة الى ارض الحبشة ، وما نزل بمكة وحكمه مدنى ، وما نزل بالمدينة وحكه مكى ، وما نزل بمكة فى أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة فى أهل مكة ، وما يشبه نزول المكى فى المدنى وما يشبه نزول المدنى فى المكى ، ... تلك بضعة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى ـ كما قال ائمتنا فى علوم القرآن ـ .

مراحل ثلاث للسور المكية

ومن خلال معرفتنا بسجل كل سورة وتاريخ نزولها وترتيب هذا النزول يمكننا أن نقسم السور المكية الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى :

وهى المرحلة المبكرة فى تاريخ الدعوة وتتمثل فى السور الاتية : سورة العلق ، المدثر ، التكوير ، الاعلى ، الليل ، الانشراح ، العاديات ، التكاثر ، النجم •

ومن خصائص السور فى هذه المرحلة شدة الايجاز وقصر الايات وتناسق الفواصل وتنويع الكلام بين أمر ونهى واستفهام وتمن ورجاء ، وانتقاء الالفاظ وتجسيم المعنويات وتشخيص الجوامد وخلع الحركة والحياة والحوار على الاشياء الجامدة ، وبذلك تحولت السور الى مشاهد موحية وعرض رائع نابض بالحياة والحركة ، ودعوة هادفة تأخذ سبيلها الى القلوب وتنساب فى حنايا النفوس فتهذهد من كبريائها وتقوم عوجها بماتعرضه عليها من حقائق ساطعة عن الكون ومشاهده ، والخلق والبعث والبدء والاعادة • كما ساق القرآن الكريم فى هذه الفترة قصصا قصيرا عن الانبياء السابقين والامم الخالية ليهدد به المشركين ويثبت به المؤمنين ، وبين ان الدين واحد فى أصوله وعقائده ، وان الاسلام دعوة عامة شاملة لجميع البشر •

المرحلة المتوسطة فى مكة :

وتتمثل فى السور الاتية :

سورة عبس ، التين ، القارعة ، القيامة ، المرسلات ، البلد ، الحجر • وقد حافظت السورة فى هذه المرحلة على قصر الايات وتناسق الفواصل الا أن بعض السور بدأت تجنح الى الطول وبعض الايات بدأت هى الاخرى تطول أيضا ، ويمكن القول بأن هذه المرحلة كانت توضيحا وبسطا لقضايا المرحلة الاولى : فقد عرض القرآن فى المرحلة الاولى قضية الايمان والبدء والبعث والجزاء والحساب والوحى بدون تفصيل أو اغراق فى الدليل ، وفى المرحلة المتوسطة عرض هذه القضايا مع شرح الفكرة وبسط الدليل والتأييد بالبرهان وسوق الادلة التاريخية والكونية والنفسية تأييدا للدعوة واستمالة لنفوس الناس بالحكمة والموعظة الحسنة •

المرحلة الختامية فى مكة :

وتتمثل هذه المرحلة فى السور الاتية :

سورة الصافات ، الزخرف ، الدخان ، الذاريات ، الكهف ، ابراهيم ، السجدة •

وفيها تميزت السور والايات بالطول وافتتاح طائفة منها ببعض الحروف المقطعة ، وتوجيه الخطاب الى الناس جميعا لا الى أهل مكة وحدهم وتوضيح شئون الغيب المتعلقة بذات الله ، أو بالملائكة والجن ، او بالانبياء والاولياء ، او بالمعجزات والكرامات ، وتصوير عقيدة التوحيد بأسلوب جديد ، والتذكير بطاعة الله ورسوله تمهيدا لما سيفصل فى المدينة من الفرائض والواجبات •

دفع شبهة :

ولا أحب أن اترك القلم قبل ان اوضح أن هذا التقسيم اجتهادى فردى مبنى على السمات الغالبة لا على الصفات المميزة ، فالقرآن فى مكة والمدينة من أوله الى آخر كلام الله تعالى العلى القدير وهو الخبير بمايناسب كل قوم ، والبصير برعاية أحوال المخاطبين فناسب أهل مكة قصر الآيات والدعوة الى الايمان ومكارم الاخلاق ثم تدرج معهم فى الدليل ، وبسط الفكرة كما يراعى المعلم حال تلاميذه فيبدأ معهم بقصار السور ثم بأوساطها ثم بالتى تليها تدرجا فى تعليمهم وتأليفا لقلوبهم •

على أنك تلاحظ آيات مدنية بين آيات سور مكية • وبرغم ذلك لا يكاد يحس أحد التفاوت أو التفكك والانقطاع ، بل يروعك مابين الجميع من جلال الوحدة ، وكمال الاتصال ، وجمال التناسق والانسجام ، مما يجعل القرآن كله على طوله سلسلة واحدة محكمة متصلة الحلقات ، أوعقدا رائعا منتظم الحبات ، أو قانونا رصينا مترابط المبادىء والغايات •

وان شئت فاعمد الى أى سورة من سور القرآن وتنقل بفكرك بين آياتها ، ثم ارجع البصر كرتين : كيف بدئت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت « وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطأ أولاها لاخرها .

ومن وراء ذلك كله يسرى فى جملة السورة اتجاه معين وتؤدى بمجموعها غرضا خاصا كما يأخذ الجسم قواما واحدا ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية .

أليس ذلك دليلا على أن هذا النظام القرآنى ليس من وضع بشر وانما صنع العليم الخبير ، وصدق الله العظيم •

(افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ٨٢ النساء •

فضائل النبى فى القرآن

فضيلة الشيخ عطية محمد سحات

تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم بتنزيل القرآن ، تشريف يفوق ما أوتى النبيون من كتب ومعجزات . اذ كان ما أعطوه عليهم السلام لا يعدو أن يكون خارقا من الخوارق ، ينتهى بانتهاء زمنه أو تشريعات ووصايا ، تختص بقبيل من الناس ، لا تجاوزهم الى غيرهم .

أما القرآن العظيم ، فهو معجزة الدهر ، وكتاب الزمن ودستور الحياة فى شتى نواحيها . يعلم الانسانية ، ويأخذ بيدها الى حيث رقيها وسعادتها ، يساير التقدم العلمى ، ويدعو الى تحرير الفكر والعقل من أغلال التقليد ، وأوهام الجمود . يصحح ما أخطأ فيه كبار الفلاسفة والمفكرين من الحقائق الكونية ويقوم ما انحرف عنه زعماء المتدينين من العقائد الدينية . أسس من النظم والقوانين ما لم يصل اليه فقهاء التشريع ، فى القديم والحديث . وسن مناهج للاخلاق وآداب السلوك ، قصرت عنها أنظار علماء الاجتماع ، فى أرقى الامم حضارة ، فى شرق الارض وغربها فاذا ما تتبعنا آياته — فى بضع وستين سورة — وجدناها تدل صراحة حينا وتلويحا حينا آخر على علو مكانته صلى الله عليه وسلم ، ومباينة منزلته لمنزلة سائر النبيين والمرسلين . ومن ثم أجمع علماء المسلمين على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقات على الاطلاق . لانه ليس من المعقول أن ينزل ذلك الكتاب العظيم ، على شخص يكون فى عالم الوجود من هو أفضل منه .

ونريد فى هذه الكلمة أن نشير الى بعض تلك الفضائل من خلال الآيات القرآنية التى يتيسر ايرادها هنا ، اعلاما لبعض الناس بمقدار عناية الله برسوله وتكريمه بمزايا لم يعطها قبله لمخلوق كائنا من كان .

فمن تلك الفضائل أخذ الميثاق على الانبياء قبله ان ظهر فى زمانهم أن يؤمنوا به وينصروه قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .

قال الامام تقى الدين السبكى : تفيد هذه الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء .

وبيان ذلك : أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين ، وأخذ اقرارهم على ذلك الميثاق واعترافهم به ، وأشهدهم عليه وشهد بنفسه معهم .

وتلك مزية خاصة به صلى الله عليه وسلم ، تشبه تقرير الله للخلق على ربوبيته فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)

ومنها أن الله أنزل الملائكة للقتال معه ، وجعلهم جندا من جنوده ، فى عدة غزوات .

ففى غزوة بدر يقول تعالى (اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) ويقول (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ... اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) .

وقال تعالى فى غزوة الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) فقد أمتن الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية على الصحابة بأن أرسل على عدوهم فى الغزوة المذكورة ريحا وجنودا من الملائكة ردوا عنهم عدوهم من غير أن يروهم .

وفى غزوة أحد يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه كأشد القتال ، مارأيتهما قبل ولا بعد ، يعنى جبريل وميكائيل رواه البخارى ومسلم . قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم : فى هذا الحديث بيان كرامة النبى صلى الله عليه وسلم على الله تعالى واكرامه اياه بانزال الملائكة تقاتل معه ، وبيان أن الملائكة تقاتل ، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه ، فهذا صريح فى الرد عليه وقد أشار القرآن فى آية أخرى الى أن نزول الملائكة للقتال خاص به صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وماكنا منزلين) قال الزمخشرى : المعنى : أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق — يعنى أن الله تعالى أهلك قوم حبيب النجار الذى آمن برسل عيسى ودعاهم الى الايمان به فقتلوه فأهلكهم بصيحة ملك — ثم قال : فان قلت : فلم أنزل الجند من السماء يوم بدر والخندق قلت : انما كان يكفى ملك واحد ولكن الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شىء على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار ، وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز مالم يوله أحدا . فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله (وما أنزلنا ... وما كنا منزلين) الى أن أنزال الجنود من عظائم الامور التى لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك انتهى ومنها : أن الله تعالى لم يناده فى القرآن الا بلقب يشعر بالتعظيم . مثل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ... يا أيها النبى اتق الله ... يا أيها المزمل قم الليل ... يا أيها المدثر قم فأنذر) على حين نادى غيره من الانبياء بأسمائهم نحو (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ... يا نوح انه ليس من أهلك ... ياابراهيم اعرض عنهذا ...يا موسى انى اصطفيتك ... يا داود انا جعلناك خليفة ... يا زكريا انا نبشرك بغلام ... يا يحيى خذ الكتاب بقوة ... يا عيسى انى متوفيك) وانما خصه بذلك النداء الفخم كرامة له وتشريفا ، وتنويها بفضله . ولا يقال قد جاء اسمه مصرحا به فى الاخبار دون وصف سابق عليه مشعر بالتعظيم كما فى قوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ...

محمد رسول الله) (وما محمد الا رسول) لانا نقول : المزية متحققة فى هذه الآيات ايضا .

فان اسمه ذكر فيها متبوعا بوصف التعظيم دون سائر الانبياء . الا ترى انه فى آية نفى التبنى لم يقتصر على اسمه مجردا بل أتبعه بوصفين عظيمين حيث قال مستدركا (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ومنها : قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فى هذه الآية تكريم النبى صلى الله عليه وسلم من جهة أنه تعالى جعل أمته عدولا يشهدون على أمم سائر الانبياء قبله يوم القيامة . ثم جعله مزكيا لشهادتهم ومصدقا لها .

ومنها : قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) تفيد هذه الآية تكريمه عليه الصلاة والسلام من جهة نفى الايمان عمن لم يحكمه من الناس فيما يعرض لهم من قضايا ومشاجرات قد تحدث بينهم ولم يرض بحكمه ويسلم له تسليما مطلقا واثباته لمن حكمه ورضى بقضائه وسلم له تسليما مطلقا ولم يجد فى نفسه حرجا مما قضى به وان خالف هواه . كما تفيد نفى الخطأ عنه فى أحكامه اذ لو كان مخطئا لما وجب التسليم لما يقضى به .

فانظر كيف أوجب الله فى هذه الآية التسليم لحكم نبيه والرضا به . وكيف خاطب داود عليه السلام بقوله (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية ففيها أمر داود بأن يحكم بالحق ونهاه عن اتباع الهوى . تدرك الفرق بين المقامين . ومنها : قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) كان الانصار فى مخاطبتهم له عليه الصلاة والسلام يقولون راعنا : أى انظرنا وأصغ الينا ، فاغتنمها اليهود فرصة وقالوها له عليه الصلاة والسلام يقصدون سبه وشتمه بالرعونة وهى الحمق حسب لغتهم فنهى الله المؤمنين عن قول تلك الكلمة فى مخاطبتهم له عليه الصلاة والسلام ليقطع بذلك على اليهود أى وسيلة ينفذون منها لنقصه عليه الصلاة والسلام وهذا دفاع من الله تبارك وتعالى عن نبيه تعدد فى مواقف أخرى منها قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) نزل لما قال المشركون له عليه الصلاة والسلام : سألنا اليهود عنك فزعموا أنهم لا يعرفونك فائت بمن يشهد لك . وهكذا لاتجد فى القرآن تهمة وجهها المشركون أو اهل الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم الا تولى الله الدفاع عنه وأبطلها على حين ترك غيره من الانبياء يدافعون عن أنفسهم قال تعالى (قالوا يا نوح انا لنراك فى ضلالة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ... قال الملأ من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين) هذا دفاع هود عن نفسه . وفى حق موسى لما قال له فرعون (وانى لاظنك يا موسى مسحورا) رد عليه موسى بقوله (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا) وزيادة فى تكريمه عليه الصلاة والسلام ، دافع الله عن أصحابه فى مواضع من كتابه مثل قوله تعالى (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أراد المنافقون بالسفهاء الذين ترفعوا أن يكونوا مثلهم فى الايمان وهم صحابته عليه الصلاة والسلام . فرد الله عليهم ابلغ الرد بقوله تعالى : (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) .

ولما قال المنافقون فى المدينة للانصار لا تنفقوا على المهاجرين الذين هاجروا مع الرسول الى المدينة وهم يومئذ فقراء حتى ينفضوا من حوله ويتفرقوا عنه . حكى الله ذلك منهم بقوله : (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) ورده عليهم بقوله (ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون) .

فاذا قرأت قوله تعالى حكاية عما دار بين نوح وقومه ، فى شأن الذين آمنوا به تجد أن نوحا عليه السلام تولى الدفاع عن أصحابه المؤمنين به . قال تعالى (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون أن حسابهم الا على ربى لو تشعرون) .

ثم اذا وازنت بينه وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجدت البون شاسعا والفرق واضحا .

١ – أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تكريما له . وقال فى حق نبيه عليه الصلاة والسلام (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال الامام سهل ابن محمد بن سليمان : هذا التشريف الذى شرف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أجمع وأتم من تشريف آدم عليه السلام بسجود الملائكة له . لانه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف . وقد أخبر الله تعالى عن نفسه هنا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عن الملائكة بالصلاة عليه

فتشريف يصدر عن الله ابلغ من تشريف يختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم فيه .

٢ – ابراهيم عليه الصلاة والسلام سأل الله تعالى بقوله اغفر لى خطيئتى يوم الدين فطلب المغفرة بنفسه – والنبى صلى الله عليه وسلم خاطبه الله تعالى بقوله (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فغفر له من غير سؤال .

٣ – سأل ابراهيم أيضا أن يجعل الله له ذكرا باقيا فى الامم بعده حيث قال (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) والنبى صلى الله عليه وسلم خاطبه الله بقوله (ورفعنا لك ذكرك) فقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عند نزول هذه الآية عن معناها ؟ فقال له جبريل ان الله تعالى يقول : « لا أذكر الا ذكرت معى » فأعطاه الذكر الباقى دون ما طلب .

٤ – لما أرسل الله موسى الى فرعون قال موسى سائلا الله عز وجل انشراح صدره وتيسير أمره (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) ورسولنا عليه الصلاة والسلام خاطبه مولاه فقال (ألم نشرح لك صدرك ... فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) فانظر رعاك الله تلمح الفرق بين المقامين حيث شرح الله صدر خاتم المرسلين لتحمل أعباء الرسالة العامة وأعطاه مع كل عسر يسرين .

٥ – يونس عليه السلام لما أعرض عن قومه حين لم يجد منهم استجابة وهرب الى الفلك المشحون وساهم فكان من جملة من ألقوا فى الماء حسبما تعودوا اذ ذاك . فالتقمه الحوت . عاتبه الله ولامه كما صورت الآية الكريمة ذلك (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم) ورسولنا عليه الصلاة والسلام سمح الله له تعالى له بالاعراض عن قومه وشهد له بتمام التبليغ ولم يلمه على ذلك كما حدث مع يونس عليه السلام (فأعرض عنهم فما أنت بملوم) (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) .

هذا الى جانب ما أثبته القرآن من تبشير الانبياء به قبل بعثته اما فى صورة دعاء وابتهال كما فى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عند بناء البيت المحرم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) واما فى صورة اخبار كقوله سبحانه (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) الآية ، وقوله حكاية عن عيسى عليه السلام (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

ولو أردنا أن نحصى فضائل النبى صلى الله عليه وسلم الثابتة له فى القرآن وحده ، فضلا عن السنة الصحيحة لضاق المقام ولكننا نكتفى بهذا النزر اليسير تعريفا بالذات المحمدية التى اصطفاها الله لمحبته وشرفها على سائر خلقه وأرسلها رحمة للعالمين وتوج ما لها من فضائل ومكارم بقوله سبحانه (وانك لعلى خلق عظيم) .

من أدب القرآن

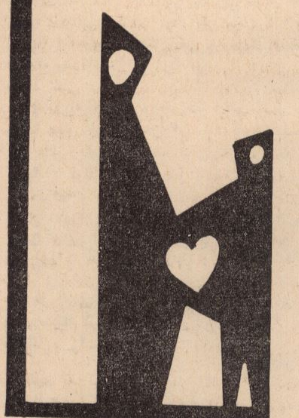

البرّ بالوالدين

للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

أقوال أئمة السلف الصالح من السادة علماء التفسير عما تضمنته هذه الايات الكريمة من المعانى للرعاية والبر بالوالدين وهى قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » الى قوله « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

عن الزجاج : « لاتقل لهما مافيه أدنى تبرم اذا كبرا ، بل تول خدمتهما » . وفى الحديث الشريف : « لو علم الله من العقوق شيئا أدنى من أف لذكره ، فليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار ، وليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة » .

وروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه وأخرجه الترمذى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنفه ، رغم أنفه ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخله » يعنى الجنة .

فالسعيد من ابتدر فرصة البر ، وسارع الى الرعاية بالوالدين ، حذر فوات ذلك بموتهما فيندم ولات ساعة مندم .

وعبر بخصوص مادة التأفيف ، مع أنها أدنى شىء وأردؤه ، لانها كلمة كما قال اللغويون مقولة لكل شىء مرفوض . ألا ترى الى قول ابراهيم عليه السلام لقومه : « أف لكم ولما تعبدون من دون الله » .

فاختصها بالذكر ، اذ بها يكون رفض الطاعة ، ورفض الطاعة كفر النعمة ، وجحود التربية ورد للوصية التى أوصى بها الله — جل شأنه — فى التنزيل الكريم .

وحيث نهى عنها وهى ادنى كلمة ، فليكن منهيا عن سائر انواع الايذاء بالاولى كما هو مقرر مبسوط ، وقد أفرد العلماء الاصوليون لهذه المسألة بحوثا وأبوابا .

ومعنى الضدية فى قوله تعالى : « اما يبلغن عندك الكبر » كونهما فى كفالة الابن وكنفه ، أعنى فى منزله وتحت اشرافه ، لانهما كبيران ضعيفان غير كاسبين .

وقد جرت العادة أن يكونا فى ظل رعايته حينذاك ، يمونهما ويعولهما ، فهى كما أسلفنا حالة علم الشارع الحكيم تغيرالطبع البشرى فيها بحصول الملل والتبرم .

ألا ترى أن الامر بالاحسان الى الوالدين فى قوله — جل شأنه — : « وبالوالدين احسانا » لم يقيد بحال أو وقت ، بل وجب على الاطلاق ، وفى كل الازمنة والاوقات ، فى منزله أم لا ، بلغا من الكبر أم لا ، وكذلك سائر التكاليف فى الاية جاءت بعد مطلقة عن قيد الضدية فبالله من أسرار القرآن الكريم .

هذا مااتسع له القول فى تفسير قوله تعالى : « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف » ، ولرعايةالله للابوين ، وعنايته بهما ، لم يكتف النظم الكريم بالنهى عن التأفيف ، فأردفه بالنهى عن النهر ، والنهر هو الزجر ، فالله سبحانه وتعالى بقوله : « ولا تنهرهما » ينهانا عن استقبال الابوين بكلام يزجران به . وما أجدرنا أن نتأدب بهذا الادب الرائع ، فيخاطب الابناء آباءهم برفق ولين ، وأدب وخشوع ، ماأجدرنا بذلك وما أحرصنا عليه ، وما أجدرنا أن يسود هذا المجتمع من الناس هذا الادب الغالى ، ويأخذون بهذا الخلق السامى ، فيخاطبون الاباء غيرضجرين ولا صائحين ، ولاجاهرين لهم بالقول كجهر بعضهم لبعض . ذلك مايوجبه كرم الاخلاق ، ونبل النفس ، وطهارة الاعراق ، وسمو شرف الابوين ،ويقتضيه جلال خطرهما ، ورفيع قدرهما ، ويضارع فضلهما ومحلهما من الابناء .

قال الامام أبو حيان فى معنى الاية : « لاتزجرهما عما لايعجبك مما يتعاطيان » . وذلك أشبه وأولى بمكانتهما ، الا فى محرم يقاربانه ، أو مكروه يقارفانه .

واختلف العلماء فيماذا يراد من النهر هنا ؟ ومجمل ماقيل فيه يندرج تحت النهى عن المعاملة الجافة الممقوتة التى لاتحتمل بالنسبة الى الاباء ، سواء أكان ذلك عن رد عليهما ، أم تكذيب لهما أم امتناع مما يطلبان .

واذا كان المولى جل شأنه ، نهى عن أدنىكلمة تقال ، أو تردد فى النفس ، فما بالك بما يحرج الصدر ، ويوغر القلب ، ويخفض من الشأن ، ويذهب بالمهابة !! وما بالك بما فيه افتيات على الحق ، وهضم للنفس .

باقل أمارات الضجر حتى أردفه بالمنع من اظهار المخالفة ،ولذا روعى الترتيب ، والا فالمنع من التأفيف ، يدل على المنع من النهر ، بل ذلك أولوى ، اذا فلا يكون ذكره بعده عبثا .

ولك ان تقول : صرح بما ينبىء عنه الكلام السابق بالاولية، تنبيها على عظم الامر ، وتاكيدا للرعاية ، وهو وجه حسن صرح به الامام البقاعى فى مناسباته فبلاغة القرآن هنا : ترقى من الادنى الى الاعلى ، ومن الشديد الى الاشد .

انتقل النظم الكريم اثر ذلك الى الامر بالقول الكريم للابوين، وذلك بعد أن نهى عن الاساءة تقديما لما تدرأ به المفسدة ، أمر بالبر جلبا للمصلحة فقال عز من قائل : « وقل لهما قولا كريما » يريد : خاطبهما بالخطاب المقرون بالتعظيم والوقار والاحترام ، وحادثهما بالقول الجميل السهل اللين ، كما يقتضى حسن الادب ، وجميل الفعال ، وطيب النجار ، وحسن الشمائل، بسطا للنفس ، وكرامة للابوين ، واعزازا لهما ، واكبارا لشانهما .

وما أهدى القرآن الكريم الى الخير ، وما أعرفه بطرق البر، وما أسلكه لسبل الاداب ومكارم الاخلاق ، وأتركه بالمرء لركوب الدنايا ، وامتطاء سفاسف الامور .

اللهم قد أدبت فأحسنت الادب ، ووعظت فأجملت العظة ، بآدابك يجمل الاثر ، وتحمد السير ، وتنقى السريرة ، وتطهر النفوس ، وتبعد القلوب عن أوضار الاثام . تقول الاية الكريمة: « وقل لهما قولا كريما ، أى لاتجهر لابويك كجهر بعض الناس لبعض ، الا لداعية افهام من ضرورة صمم . ومن القول الجميل الا تدعوهما بأسمائهما ، بل بيا أبتاه ، يا أماه ، وعن زهير ابن محمد : « اذا دعواك فقل لبيكما وسعديكما » ، والدعوة بالاسم فيها من الجفاء وسوء الادب مايخل بالمروءة .

وبهذا الدعاء خاطب ابراهيم عليه السلام أباه حيث قال له : « ياأبت » مع كفره ، حسن أدب ، وكرم خيم ، وأروع محجة فى أبدع حجة ، وانبجاس بالمعروف ، وتفتح بالبر ، ونفح بالاحسان ، واتيان بالجميل وحسن المعاملة . وعن ابن جريج يريد : « خاطبهما بكل مايجمع فضائل القول » ، اذ الكريم من كل نوع مايجمع فضائله . وعن أبى الهداج : قلت لسعيد بن المسيب : « كل ماذكر الله تعالى فى القرآن من بر الوالدين قد عرفته الا قوله تعالى : [وقل لهما قولا كريما] ماهذا القول الكريم ؟ قال ابن المسيب : قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ » .

ثم قال الله تعالى للابن : تواضع لوالديك ، والن لهما جانبك الذليل ، واخفضه ، لا للرغبة ، أو الرهبة فحسب ، بل لفرط رحمتك ، وبالغ شفقتك ، ووفرة الحنان والحدب ، بالغ فى ذلك برا بهما ، وكرامته لهما ، عظمهما فى خلوتك وجلوتك .

يقول الله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . ومن ذلك :

١ — ألا تمد اليهما بصرك ، فتلك هى نظرة الغاضب فعن عروة فى الاية : « لاتنظر اليهما شزرا ، فان أول مايعرف غضب المرء بشدة نظره الى من غضب عليه » . وفى الحديث : « مابر أباه من حد اليه الطرف » . ومنه :

٢ — ألا تمد يديك عليهما فى كلام ، وألا تحرمهما ، وألا تهجرهما ، فذلك ينافى التواضع ، وهو مظهر العقوق وصورة منه .

٣ — ألا تمشى أمامهما وألا تجلس قبلهما ، ولا تستتب لهما، فذلك ليس من التواضع فى شىء .

٤ — أن تترحم عليهما ، وأن تطلب الغفر لهما ، وان تسكت ان سباك ولعناك .

وبالجملة أمر الله الابناء أن يتقدموا الى الاباء بمزيد التواضع والرحمة حيث صارا مفتقرين اليه ، وقد كان أول عهده افقر خلق الله اليهما .

وعوز المرء الى من كان فى عوز اليه عكس للقضية ، وغاية فى الضراعة والمسكنة ، لذلك كان أمر الله بخفض جناح الذل. وقد قيل :

ما ذلة السلطان الا اذا

أصبح محتاجا الى عامله

وقد أثرت عن علماء السلف هنا معان جليلة . وفيما استخلصناه مقنع لمن أراد أن يذكر أو يتدبر فيتأدب بآداب القرآن .

والمراد بالذل هنا : اللين والتواضع دون هوان . وذلك أن يتذلل وليس بذليل فى الخلقة ، على أن الذل ضربان : ضرب يضع المرء ، وضرب يرفعه ، وقصد هنا الى مايرفعه . والعرب حين تصف انسانا باللين والسهولة تقول : « هو خافض الجناح ». وليت خفض الجناح والرحمة التى أمر الابن بهما كافيان ، لا وربك ، وأين هما من الرحمة الاخروية وللاخرة خير وأبقى ، ولاجرهما أعظم وأغنى .

ومن ثم أمر الله سبحانه الابن ان يدعو لابويه بالرحمة فى الاخرة ، وأن يمنحهما الكرم والمغفرة ، حبا بحب ، واحسانا باحسان ، فقال جل شانه : « وقل رب أرحمهما كما ربيانى صغيرا » . تعطفا عليه فى صغره ، ورحماه وربياه ، وجاعا وأشبعاه ، وتعريا وكسياه ، وعلى نفسيهما آثراه ، وأسهرا له ليلهما ، وأظمآ نهارهما ، حتى استقل بنفسه واضطلع بأمره

والابن وربى لن يجزيهما بعد ، ولو بلغا من الكبر الحد الذى كان فيه من الصغر ، فولى منهما فى الكبر ، ماوليا منه فى الصغر .

ومن محاسن النظم الكريم أن ذكر الله الابناء باخص مظاهر الابوة ، وهى التربية ، فهو جل شانه يذكره شفقة أبويه وتعبهما لعل ذلك يزيد منه اشفاقا وحنانا ، قال قتادة : « هكذا علمتم ، وبهذا أمرتم ، خذوا تعليم الله وأدبه » .

والان وقد أفعم القلب رجاء ، وازداد ايمانا بانتعاش الروح الدينية ، وانتشار شعب العلم فى شتى النواحى ، وامتداد ظلال الهداية فى هذا الوقت الذى نبتت فيه عند المواطنين من الشباب الصالح المؤمن التمسك بأهداب الدين الحنيف والاعتزاز به ليصل الى أبعد الغايات وأحب الثمرات .

والمسلمون بخير مااستمسكوا بدينهم ، فهو حبل الله المتين ، وما تزال الامم فى أمن وسعادة ، مااعتصمت بالاخلاق ، فانها الركن الركين « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » :

وانما الامم الاخلاق مابقيت

فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فاللهم هيىء للامم الاسلامية ، والدول العربية توفيقك ، والعمل على رضاك ، لجمع الصف ، وتوحيد الكلمة لاسترداد الاراضى المحتلة من العدو الغادر اللدود الذى يسانده الاستعمار العالمى ، وباعد بيننا وبين هوى النفس ، حتى تأمن غير الايام وصروف الزمن ، بك الاعتماد ومنك التوفيق .

من هدى القرآن

الأستاذ الرفاعي الباز

قال الله تعالى فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا – اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه – الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور [.

اخى القـــارىء

المتدبر لمعانى القرآن الكريم وقوة بيانه وبالغ حجته وسلامة منطقه يتبين آيات من الهدى والفرقان ويستمـــد منه ما يقوى شخصيته ويرفع روحه وكرامته ويجلعه عزيزا فى الدنيا مكرما فى الاخرة . فالقرآن الكريم ينادى طلاب العزة وابناء الاسلام من كان يريد العزة فى الدنيا ، ومن كان يريد العزة فى الاخرة ومن كان يريد العزة فى الدنيا والاخرة جميعا فليطلبها عند العزيز القوى المتين فهو وحده صاحبها ومالكها وواهبها وقد حرم الاسلام ونبى السلام على المسلم أن يستذل او أن يهدر كرامته ويخدش حياءه فى سبيل عرض زائل ودنيا لاتدوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » ان الاسلام يطلب من المسلم الا يقبل الضيم والظلم كما يحرضه على محاربته وأن يبذل كل جهده فى محاربته فان لم يستطع فليتحول عن دار الذل والهوان وينشد الكرامة والعزة فى اى مكان .

قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » قالوا فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جنهم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا » .

فالعزة والاباء والكرامة من أبرز الصفات التى جاء بها الاسلام وغرسها فى انحاء المجتمع الاسلامى فالعبادات كلها ، سرها وجهرها ، بدنية او مالية كلها تدعو الى العزة والكرامة وتنمى فى نفس المسلم الشعور بكرامته والاعتزاز بنفسه والثقة من الكبير المتعال الذى بيده الموت والحياة وبيده الخير والشر والنفع والضر وهو على كل شىء قدير – فمقيم الصلاة عزيز : لانه ينبذ وراء ظهره عوامل الافتتان ومظاهر الاغراء ويستقبل وجهه روحانية عالية ويقف أمام القوى العزيز يحتمى بقوته ويعتز بعزته ويطلب منه العون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » فما يكاد العبد يفرغ من صلاته حتى يكتسب عزة من عزة الله وحتى يبلغ جلالا من جلال الله أما المنفق فى سبيل الله فانه عزيز ايضا ، لانه يقوم عن الله خليفة فى طعمة المرحوم وصلة المقطوع واغاثة الملهوف والله عز شأنه يقول « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » وعزيز لانه يقرض الله قرضا حسنا . فهو يتعامل مع ربه ومعاملة العزيز عزة . وعزيز لان يده العليا قد أعزها الله بالغنى ، ولان اجماع الناس على حبه وحمده والدعاء له اعزاز له من أجل فضل الله الذى واتاهم به ، فهو عزيز فى نفسه ، وعزيز فى موته ، وعزيز عند ربه قال الشاعر :

يدالمعروف غنم حيث كانت
تحملها كفور أم شكور
ففى شكر الشكور لها جزاء
وعند الله ماكفر الكفور

والصائم عزيز فى ترفعه عن الاستجابة لشهواته واغراضـه وعن الخضوع لمآثم الهوى ومآرب الشهوات فهو بامساكه عن الطعام والشراب والجماع والشهوات قد تسامى الى مصـاف الملائكة الذين لايطعمونولايشربون ولايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

كذلك من يحج بيت الله ويفد ضيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويؤدى جميع شعائر الحج بنية خالصة ونفس طاهرة ووجه مشرق بالايمان الذى ينبع من القلب الطاهر الصـادق فهو عزيز فى الدنيا والاخرة .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وهكذا فكل تعاليم الاسلام تدعو الى العزة والكرامة والاباء والترفع عن الدنس والنقص وعدم الخضوع والخنوع لغنى أو ظالم او قوىَ او متكبر ولقد يسر الاسلام لابنائه وسائل العزة وعرفهم أن الكرامة فى التقوى وأن السمو والارتقاء فى العبـادة الخالصة لوجه الله الكريم وان العزة والرخاء والامن والطمانينة فى طاعة الله . والمؤمن الذى يستمد عزته من عزة الله وقوته من قوة بارىء الارض والسماء يجب أن يأخذ حقه كاملا غير منقوص فى الحياة فاذا غبنه أحد فى حقه أو طمع طامع فى شىء عن الحق الشخصى هو دفاع عن الحقوق العامة والمثل العـالية قال تعالى [والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين » وهكذا يهيب القرآن الكريم بالمسلمين أن ينتصروا اذا بغى عليهم باغ او اعتدى عليهم معتد والا يخضعوا أو يخضعوا أو يذلوا أولا يقبلوا الدنية فى دينهم ودنياهم فالاجال محـدودة والارزاق مقسمة ولايملكها الا الرزاق رب المشارق والمغـارب قال تعالى (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور ، أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور) بهذه التعاليم المشرقة والايات الباهرة دعا الاسلام ابناءه أن يطلبوا العزة من العزيز بصدق العقيدة وصالح العمل يقول المصطفى صلى الله عليه وسـلم « ان ربكم يقول كل يوم : أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز » وقال تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا » ندعو الله سبحانه وتعالى أن يكتب للمسلمين العزة والغلبة على أعدائهم وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وأن يبدل خوفهم أمنا وأن يجمع كلمتهم على الحق انه عزيز حكيم .

الرسول الإنسان

الأستاذ عبد المنعم حمادة

جادل كثير من الناس فى أمر الاسلام ، ولم يكن هذا الجدل ظاهرة لفترة من الزمن توقف بعدها ، وأذعن للحقيقة ، ولكنه عاصر الاسلام منذ أوحى الى الرسول الكريم حتى اليوم .. ولم يكن هذا الجدل راجعا الى عدم القدرة على تفهم أسرار الاسلام وما يهدف اليه من خير ، ثم محاولة الفهم لادراك أسراره ومقاصده فهو دين السماحة والبساطة ، ودين المنطق والواقع الملموس ، ثم ان العرب الذين بدأوا الجدل منذ أول ما **دعوا الى الاسلام ، كانوا أهل فصاحة وبلاغة لايغيب** عنهم تفهم معانى كتابه الكريم وان كانوا حقيقة لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ، أو بمثل سورة أو آية من سوره أو آياته ، ولم يكن هذا هو سبب الجدل ، وانما كان السبب يرجع الى عوامل كثيرة كان فى مقدمتها جميعا استعلاء العرب وقريش ، وعدم الرضوخ لامر مستحدث بالنسبة لهم جاء يهز حياتهم هزا عنيفا ، وينكر معتقداتهم الخاطئة ، ويسفه آلهتهم التى لاتملك لنفسها نفعا ،ولا تستطيع أن تحول دون ما قد يلحقها من ضرر .. ولقد كان من هذه العوامل أن الدعوة الجديدة التى جاء بها الاسلام ، نالت من العظمة التى تغمرهم ، والجاه الذين ينعمون به ، والسيطرة التى يتعالون بها ، وهم لا يريدون أن يتنازلوا عن شىء من هذه العظمة ، وهذا الجاه ، وهذه السيطرة لمجرد تلبية دعوة تساوى بين الناس جميعا ، ولا تفضل أحدا منهم على آخر الا بالتقوى ، والعمل الصالح ، وحسن معاملته للاخرين .. ولم تكن هذه العوامل هى وحدها سبب الجدل وانما كان السبب يرجع كذلك الى نوع من التحدى لامر يسفه ما وجدوا عليه آباءهم ، ويعيب عليهم تفكيرهم العقيم ، ونظرتهم السوداء الكالحة ، فى نفس الوقت الذى يعتز فيه كل عربى بنفسه ، وكرامته ، وتفكيره .

لم يكن هذا الجدل – كما قلنا – بالامر الجديد على الدعوة الاسلامية ، ولكنه بدأ منذ اليوم الاول الذى بدأ فيه النبى يبلغ رسالة ربه .. والواقع أن تقاليد قريش فى الزعامة ، وعقيدتها فى النبوة كان لهما أكبر الاثر فى عدم اندفاعها الى الايمان برسالة محمد بن عبد الله ، فقد كان للزعامة دور خطير فى المجتمع العربى ، حيث كان الزعماء يتمتعون بنفوذ واسع وسلطان مطلق ، يأمرون فيطاعون ، ويدعون فيجابون ، وينهون فلا يخالفون ، وكانت لهم الكلمة الفاصلة فى المشكلات والقضايا .. فلما أخذ النبى يدعو بدعوته ، ويبلغ عن ربه – ولم يكن بعد قد تجاوز سن الشباب بكثير ، ولم يكن كذلك بارزا فى مجال الزعامة – عظم عليهم أن يكون مثله داعية يستجاب له ، ومرشدا يهتدى به الناس ، ورسولا ينضوى الخلق تحت لوائه ، وقالوا : لو كان ما يدعو اليه محمد حقا لكانوا هم الاحق بأن يندبوا لهذه الدعوة ، وأن يكلفوا هذه المهمة ، لانهم هم الزعماء والناس لهم تبع .

واذا كانت الحقيقة الاولى ، وهى أن الاسلام دين الفطرة التى فطر عليها الناس ، وأنه الدين الخالد الذى يقوم أول ما يقوم على الايمان بالله الواحد الصمد ، وبأن لا اله الا هو خالق هذا الوجود كله ، وباعث الحياة فى جميع مخلوقاته ، وأنه الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، والذى له ما فى السموات وما فى الارض عالم الغيب والشهادة .. اذا كانت هذه الحقيقة الاولى قد دار حولها الجدل الى درجة الانكار والنيل منها بالقول والعمل ، فقد لقيت الحقيقة الثانية وهى نبوة محمد – صلوات الله وسلامه عليه – كثيرا من التصدى والنكران من هؤلاء المجادلين الذى وقفوا أنفسهم لحرب الدعوة الاسلامية .

وكانت هناك دوافع كثيرة لهذا التصدى وهذا النكران اللذين حاولت قريش أن تصبهما على النبى ، وحاول من بعدها – ولا يزال يحاول – كثيرون من الناقمين على الاسلام ، المتربصين به الدوائر .. لقد **كان الحقد والحسد من هذه الدوافع التى منعت قريشا** أن تعترف له بالنبوة ، وكان رجال من قريش يطمعون

فى هذه المنزلة ، ويرون أنفسهم أحق بها من محمد بن عبد الله ، وكان رجال يستكثرونها عليه ويقولون : « **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » ، وكان رجال ينفونها على عشيرته بنى عبد مناف ، وكان رجال يعتقدون أن **الرسول لا ينبغى أن يكون الا ملكا**

وكانت حداثة سن المصطفى دافعا آخر من الدوافع المتعددة التى زادت من حدة الانكار والمجادلة وأشعلت نيرانهما فى قلوب المتصدين والمنكرين من قريش ، فما أن بلغ عليه الصلاة والسلام سن الكمال ، واستقبل الاربعين من عمره ، حتى كان لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح ، وحتى كان تعبده فى غار حراء من أحب الافعال الى نفسه ، وحتى تنزل عليه جبريل فى محرابه يسأله بأمر من الله أن :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ٠٠ ثم يأتيه بعد فترة من الوقت يبلغه عن رب السماوات والارض ويقول له :

« **يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته** » ٠٠ لقد استعظمت قريش أن ينزل ملك من السماء على رجل فى عنفوان الشباب ، يعيش بينهم يتيما ، فقيرا ، لم تحنكه — فى نظرهم — التجارب ، ولم تصقله الاحداث ولم يجلس الى معلم ٠٠ استعظمت قريش ذلك فنقمت عليه ، وأنكرت رسالته ٠

ولم يكن الحسد ، ولم تكن حداثة السن هما وحدهما الدافع الى وقوف قريش من محمد ودعوته هذا الموقف الصعب ، فهناك الى جانب هذين الدافعين دوافع اخرى كثيرة لعلها لا تقل أهمية وأثرا عنهما ، فقد كانت قريش تنظر الى المال نظرة التقدير والاحترام ولم يكن محمد من الاغنياء ، بل كان من عداد الفقراء ، ولذلك ما كان يجب ـ فى نظرهم ـ أن يكون له حظ من الشرف والسيادة ٠٠ ولقد كان المال هو وحدة المقياس الذى يقيسون به أقدار الناس ، ولقد سيطرت عليهم هذه الفكرة حتى أصبحت عندهم فى منزلة العقيدة ، ومن أجل ذلك قال الوليد بن المغيرة : أينزل على محمد وأترك أنا ـ كبير قريش وسيدها ـ ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ؟ ٠٠ وقد حكى الله سبحانه وتعالى قولهم هذا ، ثم **خطا نظرتهم الى المال والى اعتباره مقياس الكرامة عند الله ، فما المال الا وسيلة من وسائل العيش فى الحياة الدنيا ، يناله الفاضل والمفضول ، والشريف والوضيع ، والمؤمن والكافر ، وليس تفاوت الناس فى الغنى والفقر الا ضرورة اجتماعية يتم بها نظام المجتمع البشرى ، ليخدم الناس بعضهم بعضا ، ويعاون بعضهم بعضا : أما منازل الكرامة التى يمن الله بها على من يشاء من عباده فشىء فوق مستوى المال ، وفوق مستوى الطبقات التى تعارف الناس عليها فى مجتمعاتهم ٠**

وكانت قريش تنكر على النبى نبوته التى ما كان يجب ـ فى رأيهم أيضا ـ أن تكون لبشر مثلهم يأكل الطعام كما يأكلون ، ويرتاد الاسواق كما يرتادون ، ويكد ويكدح فى سبيل الرزق ، وما كان يجب ـ فى رأيهم كذلك ـ أن تكون هذه الرسالة **لواحد من الناس يجرى** عليه ما يجرى على غيره من المرض والصحة ، ومن العنف والقوة ، ومن الفقر والغنى ، ومن الجهل بالغيب والعجز عن جلب المنفعة لنفسه ودفع المضرة عنها ٠٠ ولم يكن الرسول فى حاجة الى أن يرد عن نفسه ما يقوله المتقولون ، وما يرميه به الحاقدون ، وما ينشره الساعون بالفتنة ، فان القرآن نفسه كفاه عناء هذا الرد فى قول الله عز وجل : « **قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون** ٠ »

عادت قريش النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بدافع من هذه العوامل كلها ، وكبر عليهم أن يطيعوا بشرا مثلهم ، فشككت فى نبوته ، وما علمت **ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد اختار محمدا لرسالته ـ والله اعلم حيث يجعل رسالته ـ ليضرب باختياره الدليل القوى على حكمته ، وليكون من مولد الرسول وطفولته وشبابه وبعثه المثل الاعلى للشباب ، وليكون من تصرفاته واعماله القدوة الحسنة لكل فرد يريد العزة ، ويبغى الاصلاح ، وليكون محمد بشخصه ومنهاجه فى الحياة دليلا عمليا على ما فى الاسلام من حب وانسانية ومساواة ، ومن اشتراكية بناءة تحق الحق ، وتبطل الباطل ، وتعطى لكل جزاءه العادل** ٠

هناك اذن حقيقة أخرى خالدة سطعت فى أفق الوجود ، وحفرت سطورها المعجزات فى بطون التاريخ ، وامتدت عبر الزمن تبقى ذكراها على مدى الايام منذ الفجر الاول للاسلام الى اليوم الذى تتقلب فيه الوجوه والابصار ، ويبعث الناس من الاجداث ليوم الفصل العظيم تتمثل هذه الحقيقة فى شخص محمد الذى قضت الحكمة الالهية أن تبعث به خاتما للانبياء والرسل ، داعيا الى الحق ، مبصرا بكتاب الله ، هاديا الى الطريق المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا عوج ٠

فقد ولد النبى الكريم يتيم الاب ، ولم يبلغ السادسة من عمره حتى فقد أمه كما فقد أباه من قبل ، وهكذا نشأ النبى يتيما لم يتنسم عطف الابوة ، ولم تهدهد منكبيه كف الامومة أو يلثمه ثغرحنانها ٠ ٠فقد أباه ولما يخرج من بطن أمه ، وشاءت ارادة الله أن يكون يتم محمد خفقات فى ضمير الزمن ، ونبضات خالدة الدقات فى شرايين الحياة ، فهو أغنية فوق شفاه

البشر ، ولحن ترنمت به قيثارة الخليقة ، وفى ذلك يقول الشاعر أحمد عثمان المراغى :

واليتم اصبح بعد يتمك حلية
يزهى بحمل شعارها العظماء

ويقول الاستاذ أمين دويدار : ولكن الله ـ تعالت حكمته ـ أراد له هذا اليتم المبكر ، ليكون هو الذى يحوطه بعنايته ويكلؤه بعينه . ويكمله بمايرضى له من الاخلاق والاداب ، وليسبغ عليه من آيات فضله ما يجعله آية للناس ، ونموذجا للبشر الكامل ، الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وصنعه فأتقن صنعه ، وأعده لما أراد به من الكرامة .

وجاء محمد فقيرا ، فلم يكن له مال موروث يستطيع أن يعيش منه ، فكل ما تركه له أبوه خمسة جمال ، وقطيعا صغيرا من الغنم ،وجارية عرفت بأم أيمن .. وهى تلك الجارية الحبشية التى كانت تسمى بركة ، والتى لم تكن تزوجت بعد ، ولا أنجبت ولدها أيمن .. وجاء محمد أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكنه مع ذلك جمع العلم كله ، والحكمة كلها ، والبصر بالامور جميعها ، وكان ذلك فى حد ذاته احدى معجزاته التى حيرت العقول ، وأخذت على الناس تفكيرهم .

كان محمد يتيما ، فقيرا ، أميا ، ومع ذلك اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون أعظم الخلق ، وأخلد الناس على مدى التاريخ . وليضرب به المثل للبشرية على أن ميزان اختياره سبحانه لم يكن الغنى والفقر ، ولا الجاه والبؤس ، ولا القوة والضعف ، وانما كان ميزان القوة يتمثل فى الشخص نفسه بأخلاقه وصفاته وتصرفاته ، تلك الاخلاق والصفات والتصرفات التى لقنها الرسول لاصحابه وأتباعه الذين أنشأوا **أمة كانت خير أمة أخرجت** للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون الى مغفرة من ربهم .

وليس من شك فى أن قريشا آذت محمدا ايذاء لا مثيل له ، وأساءت اليه اساءات لا حد لها ، غير أن ذلك كله لم يزده الا اعتصاما بحبل الله ، ولم يزد أهله والذين آمنوا به الا وقوفا الى جانبه ، ودفاعا عنه ، وذودا عن دين الله ، ولم يزده ذلك الا عطفا واشفاقا على قومه الذين أبوا أن يذعنوا للحق ، وأن يسلموا للدعوة .. يصور الدكتور هيكل ذلك كله فى قوله :

« ولقد كان ما بذلت قريش من مجهود فى محاربة هذا الخارج عليها وعلى دينها ودين آبائها ، وما ثابرت وصابرت السنين الطوال للقضاء على هذه الدعوة الجديدة ، يعدو ما يتصوره العقل ، هددت محمدا وهددت أهله وأعمامه ، تهكمت به وبدعوته ، وسخرت منه وممن اتبعه ، أرسلت شعراءها تهجوه وتفرى أديمه ، نالته بالاذى ونالت من اتبعه بالسوء والعذاب ، عرضت عليه الرشوة وعرضت عليه الملك وعرضت عليه كلّ ما يطمع الناس فيه ، شردت أنصاره عن مواطنهم وأصابتهم فى تجارتهم وفى أرزاقهم ، أنذرته وأنذرتهم بالحرب وأهوالها وما تجنى وما تدمر ، وها هى ذى تحاصرهم أخيرا لتميتهم جوعا ان استطاعت الى ذلك سبيلا ، ومع ذلك ظل محمد يشتد فى دعوة الناس بالحسنى الى الحق الذى بعثه الله به للناس بشيرا ونذيرا . »

لقد كان محمد يزداد على أهله عطفا ، وعلى نجاتهم حرصا ، كلما ازدادوا ايذاءة ومساءة ، **فما أطيب هذا القلب ، وما أعظم هذه السماحة والانسانية** التى ملات قلب هذا النبى الكريم .

ونستطيع أن نتبين أخلاقه وصفاته التى كان عليها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى قبل أن يبعث بالرسالة ونستطيع أن نتبين اتساع قلبه لحب الناس من كان قريبا منه أو بعيدا عنه ونستطيع أن نتبين الصدق فى معاملتهم جميعا على قدم المساواة ، ومساعدة الضعيف ، واكرام الضيف ، ومد يد العون عند المتاعب .. نستطيع أن نتبين هذه الاخلاق وهذه الصفات التى حببته الى الناس ، ولما يصل بعد الى أن يكون رسول الله ، ورائد البشرية وزعيمها ، من حديث السيدة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ عندما عاد اليها من غار التحنث والعبادة وقد أخذته رجفة شديدة اهتز لها كيانه كله ، وأصابته رعدة الخوف عند نزول الوحى : « **أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، انى لارجو أن تكون نبى هذه الامة ، ووالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر** . »

كان محمد على هذه الاخلاق والصفات التى تقربه من قلوب الناس ، والتى تشعر هؤلاء الناس بأنه انسان مثلهم ، لا يتميز على أحد منهم ، وليس فيه من علامات التسامى ، أو الكبر ، أو الغطرسة ، أو التعالى ، فلما حمل الرسالة ليبلغها ويدعو الناس اليها بالتى هى أحسن ، لم يزد على أن يكون هو محمد الذى عرفته قريش من قبل ، والتى سوف يكون لها معه شأن من بعد ، بل ان أخلاقه وصفاته زادت حسنا على حسن بما اكتسبته من تعاليم الاسلام ، فقد بدأ يحس عظم المسئولية ، وثقل الاعباء التى سوف يكلف بحملها .. **انه رسول الله الى العالمين .. وانها الحياة الروحية القوية غاية القوة .. الحياة التى تأخذ بالابصار والالباب .. حياة التضحية الخالصة لوجه الله والحق والانسانية .. انها حياة الدعوة والتبعات .. انها الاخوة فى الله ، وانها الحب فى الله ، وانها المساواة التامة التى علمتهم اياها دعوة الاسلام ، وانها أخلاق الرسول وتصرفاته الانسانية التى جعلته يساوى بين الناس جميعا دون مفاضلة أو تميز الا بما يستحق أن يفاضل به الانسان من تقوى ، أو عمل ، أو تصرف ...**

وللبحث بقية .

الصوفية فى إلهامهم

المسبب والأسباب

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

اتخذ الاسباب اتباعا للامر، وهو المعطى عملا ، قال صلى الله عليه وسلم [لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا] فالغدو سبب والعطاء من الله ، والطير يغدو ملهما من حيث لا يدرى ، والمؤمن اذا اتخذ الاسباب متوكلا على الله يكون كالطير لا يدرى ما يتم به القضاء ، فلا يتحدى نظام الطلب ، ولا يذهب نفسه على رزقه حسرات وهو شديد الحرص على طلبه .

ذلك مما كتب شيخى وسيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه لتلميذه الصالح التقى الصديق السيد / سالم عمر جمعة مد الله فى عمره ، وفى نصيحة سيدى الشيخ توجيه الى اتخاذ الاسباب مع حسن التوكل على الله فى ثمراتها ، وهذه قاعدة من قواعد التصوف الحق ، الذى يقوم على هدى الكتاب والسنة ، ولذلك دعم الشيخ توجيهه بالحديث الشريف : لو توكلتم على الله حق التوكل ... ثم بين لتلميذه ان الطير يغدو فى طلب الرزق ولا يقعد فى عشه انتظارا لرزقه ، لان الله الهمه السعى عليه فى الفضاء الواسع خارج العش حيث يجد فى الزروع المختلفة ثمرات كل شىء ، وما يسره الله له أكل منه ما قدر الله ان يأكل ، فيعود شبعانا بعد ان كان غدا جائعا ، وسبحان من أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم « حق التوكل » يعلمنا ان نتوكل حقا ولا نتواكل جهلا ، فقد يترك شخص السعى على رزقه ، ويظن ان فى ذلك القعود توكلا على الله الذى تكفل بأرزاق عباده ، فى حين انه ينتظر ان يعطف عليه الناس ، فيرسلون اليه طعامه ، فيكون متوكلا على عطفهم من حيث يظن انه متوكل على الله ، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وقد قال رجل من هؤلاء الكسالى القاعدين للامام الجليل احمد بن حنبل رضى الله عنه : انى اريد ان احج ولا آخذ معى زادا لانى سأخرج متوكلا على الله ، فسأله الامام : تخرج وحدك أو تخرج مع القافلة ، قال : لا بل مع القافلة ، فقال الامام : أنت لا تتكل على الله بل تتكل على اخراج الناس .

ويقول السادة الصوفية ان التوكل محله القلب ، والحركة بظاهر الاجساد لا تنافى التوكل بالقلب ، ما دام العبد متحققا من أن التقدير من الله تعالى ، فان تعسر شىء فبتقديره ، وان تيسر فبتيسيره سبحانه وتعالى ، وهذا ما يفسر لنا كيف ربطت آيات القرآن الكريم بين التوكل والايمان فى مثل قوله تعالى [وعلى الله فليتوكل المؤمنون] وقوله تعالى [وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين] وقوله تعالى [ومن يتوكل على الله فهو حسبه] .

فالايمان بالله تعالى محله القلب ، وكذلك التوكل محله القلب ومقرون به ، والايمان بالله تعالى يستتبع الايمان بقضائه وقدره ، والايمان بالقضاء والقدر يستتبع الايمان بأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وقد أقام الله الاسباب بحكمته ، ولكن قد يتفق شخصان فى سبب من أسباب الرزق ، ويختلف رزق كل منهما مع اتحاد السبب ، ذلك تقدير العزيز العليم .

ومن هنا نفهم معنى مايقوله سيدى ابن عطاء الله السكندرى : فلابد لك من الاسباب وجودا ، ولابد لك من الغيبة عنها شهودا ، فأثبتها من حيث أثبتها تعالى بحكمته ، ولا تستند اليها بعلمك بأحديته .

وقد روى أنس رضى الله عنه فقال : جاء رجل على ناقة له فقال : يا رسول الله أدعها وأتوكل ؟ [أى يتركها من غير قيد ويتوكل على الله فى حفظها] فقال صلى الله عليه وسلم : أعقلها وتوكل — فأمره ان يتخذ السبب ويتوكل على الله ، لان اتخاذ سبب الحفظ لا ينافى التوكل على الحافظ جل جلاله ، والعقال فيه حركة الظاهر ، والتوكل فيه اطمئنان القلب بالله تعالى .

ويقول الامام سهل بن عبد الله : التوكل حال الرسول صلى الله عليه وسلم والكسب سنته ، فمن بقى على حاله ، فلا يتركن سنته ، ويقول أيضا رضى الله عنه : من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنه ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان . ويقول الامام الدقاق رحمه الله : للمتوكل ثلاث درجات التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض ، وقد شرحها رضى الله عنه فقال : التوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الاولياء ، والتفويض صفة الموحدين ، فالتوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخواص ، والتفويض صفة خواص الخواص . وقد شرحها مرة أخرى فقال رضى الله عنه : التوكل صفة الانبياء ، والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام ، والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أروع ما يقول السادة الصوفية قولهم : المتوكل كالطفل ، لا يعرف شيئا يأوى اليه الا ثدى أمه ، كذلك المتوكل لا يهتدى الا الى ربه . ولذلك هم يقولون : كن كما كنت فى بطن أمك ، مدبرا [بفتح الباء] غير مدبر [بكسر الباء] مرزوقا من حيث لا تحتسب .

وهذا التفويض الذى يذهب اليه السادة الصوفية يكون بالجزم القلبى واليقين الروحى بأنه ليس مع تدبير الله تدبير ، ولا مع ارادته ارادة ، ولا ينافيه اتخاذ الاسباب ، فانه تعالى يقول [فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه] فنسب المشى الينا سببا ورد الرزق الى تقديره جل وعلا ونسبه اليه سبحانه ، ومع انه

عز وجل قال [وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم] فانه امر باتخاذ اسباب النصر فقال تعالى مثلا [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم] وقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ..] ومن نصائح السادة الصوفية :

توكل على الرحمن فى الامر كله

ولا ترغبن بالعجز يوما عن الطلب

الم تر أن الله قال لمريم

وهزى اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها

جنته ولكن كل شىء له سبب

وعلى قدر ايمان المؤمن ويقينه تكون درجة توكله ، وقد سئل امامنا على بن ابى طالب عن رجل أغلق عليه [بضم الهمزة] باب الدار كيف يأتيه رزقه فقال كرم الله وجهه : كما يأتيه أجله ، فهو لم يقعد عن طلب الرزق انما حيل بينه وبين طلبه باغلاق الباب عليه وحبسه ، فأتاه رزقه من حيث لا يحتسب ، لشدة يقينه بالله ، وقوة توكله عليه ، كما رزق الله مريم بغير سبب وهى فى محرابها ، حين قالت لكافلها سيدنا زكريا عليه السلام : هو من عند الله . وذلك استثناء من ضرورة طلب الرزق من أسبابه ، ولا يصرفنا الله به عن اتخاذ الاسباب انما اراد الله به سبحانه أن يقوى بقصصه علينا حسن ظننا فى الله تعالى وتثبيت توكلنا عليه ، ولا يجوز ان نفهم منه التخلى عن الاسباب ، فقد أمر سبحانه مريم عليها السلام باتخاذها فى قوله الكريم [وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا] ، وهى بذاتها التى رزقها بغير سبب ، ومن ذلك نعلم ان الاستثناء لا يكون قاعدة متبعة فى العادة .

وكما ان اتخاذ الاسباب لازم فى أمر الرزق ، فهو كذلك لازم فى سائر الامور الدنيوية والدينية ، فمثلا العلم يكون بالتعليم ، والتقوى تكون بالطاعات والكف عن الشهوات ، والحياة بالطعام والشراب وهكذا ، ومع يقين رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه ، وحسن توكله عليه ، وتفويض أمره اليه ، بما لا مطمع لبشر فى مثله ، فانه قام الليل حتى تورمت قدماه ، وشد مئزره وايقظ أهله ، وقال لهم : لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى باحسابكم . ومن ذلك نعلم ان حسن الظن بالله تعالى والتوكل عليه ، يقتضيان ان يأخذ المؤمن دينه بقوة ، وان يكون فى عبادته من أهل الفتوة ، فلا يوسوس له الشيطان ان العبرة بالخواتيم، وليس حتما ان ترتبط الخاتمة بالاعمال ، فهذا قول حق من جهة ما قضاه الله ، وما قضاه الله وأراده بنا طواه عنا فى غيبه ، وما اراده منا اظهره لنا وطالبنا به ، ومن ثم لا يجوز ان نهمل ما اراده منا وقد علمناه استنادا الى ما أراده بنا ولم نعلمه ، ولا سبيل الى علمه ، وانما الغيب لله ، وهذا هو مناط التكليف.

ومما تقدم نرى ان القاعد عن طلب رزقه الدنيوى او الاخروى انما يتحدى الاوامر الالهية ، لانه يتحدى نظام الطلب ولذلك نهى الشيخ تلميذه عنه ، لانه طيب الله ثراه كان يربينا على الاداب الشرعية الصحيحة التى تربى هو عليها على يد شيخه وامام وقته القطب الكبير سيدى الحاج محمد ابو خليل ساكن ضريحه الانور بالزقازيق ، وكان كل منهما يكسب عيشه بجهده ومن الاسباب المشروعة ، وأنفق كل منهما ماله على عياله وعلى الدعوة الى الله عز وجل ، فجاءهما المال من حله ، وانفقاه فى مرضاة الله سبحانه ، وقد كان سيدى الامام ابراهيم بن ادهم يقول : عليك بعمل الابطال ، الكسب من الحلال والنفقة على العيال .

ويقول السادة الصوفية انه اذا اشتغل الصوفى بالمكاسب ، فيجب الا تلهيه عن أداء الفرائض فى أوقاتها ، كما يجب أن ينوى بها معاونة المسلمين ، فاذا فضل شىء من كسبه ونفقة عياله انفقه على المحتاجين ، فلا يجمع ولا يمنع ، وهم فى ذلك يتأسون بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أعطى رجلا غنما تسد بين جبلين حتى قال الرجل أشهد انه ما طابت بمثل هذا الا نفس نبى ، وحين كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، كان يعيش فى بيته عيشة الكفاف حتى قالت سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كنا نرى الهلال والهلال والهلال ولا نوقد نارا ، أى انهم لا يطبخون ، ولما سئلت ماذا كانوا يأكلون ، قالت كنا نعيش على الاسودين التمر والماء .

وفى حين رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيشة الكفاف لنفسه ولآل بيته كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون فى رمضان والبطون خاوية من اثر الصيام ، وفى حجة الوداع بلغ هديه الذى عقره للفقراء والمساكين فى منى مائة ناقة ، وقد عقر منه بيده الشريفة ٦٣ ناقة وعهد الى امامنا على بن ابى طالب بعقر الباقى ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم منك واليك ، أى ان المال من عطائك وانى أنفقه فى مرضاتك ، كما كان صلى الله عليه وسلم يقول للفقراء : من شاء فليقتطع أى يأخذ حاجته من اللحم .

فلا تعجب بعد ذلك ان يهب امامنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه كل ما ملكت يداه لله ، وحين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما الذى ابقيت لعيالك ، قال أبقيت لهم الله ورسوله ، وذلك الذى فعله لا يكون الا من أهل التمكين أى أهل الثبات واليقين . وقد وهب امامنا عمر بن الخطاب نصف ماله ، وقال : يا رسول الله هذا نصف مالى وأبقيت النصف لى ولعيالى . اما امامنا عثمان بن عفان فكان المخرج من ماله أحب اليه من الدخل ، وكان يقول : لولا أنى خشيت ان يكون فى الاسلام ثلمة أسدها بهذا المال ما جمعته ، ولذلك تراه مول جيش العسرة فى غزوة تبوك بسبعمائة بعير محملة بالزاد هى وما حملت وأعطى المقاتلين عشرة آلاف دينار من ذهب ، وجاء بألف دينار أخرى فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ صلوات الله وسلامه عليه يقلبها بين يديه ويقول : اللهم اغفر لعثمان . اما امامنا على فقد أوقف أرضه التى كانت له فى ينبع فى سبيل الله وزهد فى الدنيا وما فيها ، وكان يقف على خزانة بيت المال ويقول : يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ، وقد قنع بعيشة الكفاف .

هؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين ملكوا الدنيا ولم تملكهم ، وغلبوا الهوى ولم يغلبهم ، فكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم، صبروا عليها حين فقدت ، وآثروا الله بأموالهم حين وجدت ، فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين ، لحسن فهمهم عن الله تعالى حين قال [آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير] .

أما ما يقوله سيدى الشيخ : ولا يذهب نفسه على رزقه حسرات وهو شديد الحرص على طلبه ، فانما يوجه تلميذه فيه الى الرضا بما أعطى الله من الرزق وقسم ، فقد يجتهد المؤمن فى طلب الرزق ويتوقع الكثير فيأتيه القليل فيسخط على قلته ولو فى قرارة نفسه فيكون معترضا على ما قضى الله وقدر ، وليس ذلك شأن المؤمن التقى او الصوفى النقى ، بل تلك شيمة الجهلاء .

والرضا — كما يقول السادة الصوفية — باب الله الاعظم ، وجنة الدنيا ، وقد عرفوا الرضا فقالوا هو ان يكون العبد ساكنا تحت حكم الله عز وجل ، وقال ابن عطاء رحمه الله : الرضا نظر

القلب الى قديم اختيار الله تعالى للعبد ، بأن يعلم انه تعالى اختار له الافضل فيرضى به ويترك السخط . ولعل هذا الذى قالوه يقرب الينا فهم ما جاء فى الحديث الشريف لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب .

والرضا أو السخط يتوقف على حال العبد ولا يتوقف على ماله ، فقد يكون كثير المال ساخطا لانه يطلب الاكثر ، وقد يكون قليل المال راضيا لانه رد الامر فى قلة ماله الى حسن اختيار الله له ، وكذلك ليس الزهد بقلة المال فى اليد أو بكثرته ، فقد يكون كثير المال زاهدا ، وقد يكون فقير المال غير زاهد .

ويحكى السادة الصوفية فى هذه المناسبة ان رجلا بالمغرب كان من الزاهدين فى الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد ، وكان عيشه مما يصيده من البحر ، وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ، ويتقوت ببعضه ، فاراد بعض اصحاب هذا الزاهد ان يسافر الى بلد من بلاد المغرب ، فقال له الزاهد : اذا دخلت الى بلد كذا فاذهب الى أخى فلان ، واقرئه منى السلام ، واطلب الدعاء منه لى ، فانه ولى من اولياء الله تعالى .

قال فسافرت حتى قدمت تلك البلدة وسالت عن ذلك الرجل ، فدلونى على دار لا تصلح الا للملوك ، قال فتعجبت من ذلك ، وطلبته فقيل لى هو عند السلطان ، فازداد تعجبى ، فبعد ساعة ، واذا هو آت فى أفخر ملبس ومركب ، وكأنما هو ملك فى موكبه ، قال فازداد تعجبى أكثر من الاول ، قال فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ، ثم قلت لا يمكننى مخالفة الشيخ ، فاستاذنت فأذن لى ، فلما دخلت رأيت ما هالنى من العبيد والخدم ، والشارة الحسنة ، فقلت له « اخوك فلان يسلم عليك » ، قال :

جئت من عنده ؟ قلت نعم ، قال : اذا رجعت اليه قل له : الى كم اشتغالك بالدنيا ، والى كم اقبالك عليها ، والى متى لا تنقطع رغبتك فيها ، فقلت : هذا والله أعجب من الاول ، فلما رجعت الى الشيخ ، قال : اجتمعت باخى فلان ؟ قلت : نعم ، قال : فما الذى قال لك ؟ قلت لا شيء ، قال لابد ان تقول لى ، فاعدت عليه ما قال ، فبكى طويلا وقال : صدق أخى فلان ، هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها فى يده وعلى ظاهره ، وأنا آخذها من يدى وعندى اليها بقايا التطلع .

وشدة الحرص فى طلب الرزق ليست مجلبة للرزق ، لان رزق الانسان عن قدر من الله ، ورزقه لا يعطى لغيره ، كما أنه لا يعطى رزق غيره ، وقد جاء فى الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : « ان من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، وان تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، ان رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كره كاره ، ان الله بحكمته وجلاله ، جعل الروح [بفتح الراء) والفرج فى اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط » .

والحديث يجرنا الى حسن الاعتقاد فى الله تعالى والاطمئنان الى عطائه ، ويحذرنا من ان ننظر الى الاسباب وننصرف بها عن المسبب ، ولا شيء عليك اذ شكرت من جرت نعمة الله لك على يديه ما دام قلبك يعتقد ان العطاء عطاء الله ، وان الخلق أدوات يسخرها كيف يشاء لمن يشاء ، وقد قال تعالى [ان اشكر لى ولوالديك الى المصير] .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم « ولا يرده كره كاره » نهى عن أن يحسد بعضنا بعضا على نعم الله ، لان الحسد لا يرد الله عما قضاه ، ويبقى وزر الحسد فى صحيفة الحاسد ، ويأتى المحسود رزقه من الله على رغم الحاسد .

ويعلمنا الحديث الشريف ان القانع غنى وان جاع ، وان الحريص فقير وان ملك ، لان حرصه على الزيادة يورثه الشره فيملكه المال ، ويكون كل همه فيه ، وقد يجره الحرص على كسب المال من حرام فيهلك نفسه من حيث لا يدرى ، وعن أنس رضى الله عنه : « من أخذ من الدنيا من الحلال حاسبه الله به ، ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله به ، أف للدنيا وما فيها من البليات ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب » .

ويقول سيدى شقيق البلخى رضى الله عنه : ميز بين ما تعطى [بكسر الطاء] وتعطى [بفتح الطاء] ، ان كان من يعطيك أحب اليك فانك محب للدنيا ، وان كان من تعطيه أحب اليك فانك محب للاخرة . ويقول رضى الله عنه : عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الاخرة فاصبته فى حرفين ، وهو قول الله تعالى : [وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى] . وقد سئل رضى الله عنه : باى شيء يعرف أن العبد واثق بربه ؟ قال : يعرف بانه اذا فاته شيء من الدنيا يحسبه غنيمة ، واذا أبطأ عليه شيء من الدنيا يكون أحب اليه من أن يأتيه . ولذلك قال رضى الله عنه : اذا اردت ان تكون فى راحة فكل ما اصبت ، والبس ما وجدت ، وارض بما قضى الله عليك .

ويقول من الهامه الارتجالى استاذى وسيدى الشيخ على عقل فى الرضا بمواقع المقدور وفى اتجاهه لله تعالى دون خلقه :

قلبى اصبر لا تكن تشكو
ونفسى لا تئنى
ان أقل يا رب أنجح
فرضاه حسن ظنى
ان سألت الناس أحرم
ان سألت الله يغنى
ان سألت الناس ابعد
ان سألت الله يدنى
ان آيات التجلى
بالمعانى عرفتنى
آية الوجدان روضى
وشهود الله فنى

ويقول رضى الله عنه مرة أخرى الهاما وارتجالا :

لو ان الفتى فى الناس يبقى
عزيزا لا يمد يد الضراعة
ويذكر فقره فيقول ربى
ويذكر يسره فيقول طاعه
يتاجر فى الهدى بمقام صدق
ويجعل حبه البارى البضاعه
ويعلم انما الدنيا متاع
وليس تدوم فى الدنيا جماعه
يظل مؤيدا بالله ربى
عزيزا يرفع الرحمن باعه
وكم من مظهر علياء نفس
ويفسد حبه الدنيا طباعه
وكم من مدع فيها اقتناعا
ولكن فى شراهته فظاعه
فودع ما بايدى الناس طرا
على خلق الكرامة والقناعه
اما والله ما للخلق الا
رضاهم فالرضا كنز المناعه

الا رضى الله عن أسلافنا الصالحين ، الذين عملوا بما علموا ، فورثهم الله علم ما لم يعلموا ، فنظروا الى باطن الدنيا حيث نظر الناس الى ظاهرها ، وأهمهم آجلها حيث أهم الناس عاجلها ، وزهدوا فى الدنيا وان أقبلت عليهم ، وتحلوا بالرضا وان أدبرت عنهم [اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب] .

الإسلام و الحضارة العالمية

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

يقول الله تعالى :

[أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون) سورة النمل آية ٦٠

ثورة اخناتون على الشرك لاعادة التوحيد

كان لاحتفاظ الكهنة بالاسرار زعما منهم بان العامة لا تفهمها غطوا الاسرار الدينية التى تدل على التوحيد بالرموز ، ودارت الايام دورتها المعهودة وبعد عبادة آتون أو آتوم ، عبد المصريون [رع] ، أى الوهاب وجعلوها خصيصة من خصائص [آتون] ولكن الكهنة لا سيما كهنة آمون [قرص الشمس] الذى كان رمزا للنور الالهى الخفى بالنور المرئى فى الشمس الذى تقوم عليه الحياة والنماء للحيوان والنبات معا جعلوا من قرص الشمس معبودا حقيقيا وطلبوا من المصريين ان يجعلوا النذور والهدايا له وحده ، وقد اغتنى الكهنة بسبب تلك الهدايا والهبات حتى أصبحوا أغنى من الفراعنة أنفسهم وحصلوا على السلطة التى لم يحظ بها الجالس على العرش .

ولما تحكموا فى كل شىء عارضهم الملك أمونفيس الثالث الذى شيد معبدا لاتون بغية العودة الى التوحيد ، وفرح الشعب بعبادة الواحد الاحد مما جعل أمونفيس يسترد السلطة والنفوذ من كهنة آمون . ولما مات أمونفيس وجدت من آثاره ورقة بردية مكتوبة يقول فيها [أقسم بآتون الاله الواحد الاحد الحق ان تصرفات الكهنة التى رأيتها فى السنة الرابعة من حكمى ورآها من قبلى أبى وجدى كانت مدهشة للغاية حيث عدلوا بالناس من التوحيد الى الشرك] .

وتوفى أمونفيس الثالث سنة ١٣٧٠ ق م ، وكان أمونفيس الرابع قاصرا ولما بلغ سن الرشد قبض على زمام الملك لم يقم أى تمثال لامون أو [رع] بل بنى معبدا لمعبود الاله الواحد [آتون] الممثل نوره المعنوى الاقدس فى النور الذى يحمله قرص الشمس فكان بنوره الظاهر مثالا للنور الخفى الاقدس ، وهكذا نشات الثورة الدينية الكبرى فى مدينة طيبة ووضع أمونفيس الرابع [أخناتون] الاناشيد العديدة تنبيها للشعب تلك الاناشيد التى منها [أنت الاله الذى خلقت نطفة الانام وصورت منها الاجنة فى الارحام ورفقت بهم فى الارضاع والفطام ووضعت له الحنان فى قلوب الاباء والامهات كما وهبت الحياة لسائر المخلوقات وأطلقت ألسنتهم بالكلام على مختلف اللغات] .

ومنها « أنت الذى تهب النسمة للفرخ داخل البيضة وتحييه فيصيح وتفضلا منك خلقت الارض والسموات وأبدعت جميع المخلوقات فأعمالك لا تحصى وحسناتك لا تستقصى » .

ومنها [أنت الذى خلقت النيل لحياة أبنائه وانعشتهم بعذوبة مائه وأنت تسوق الارزاق للبلدان القاصية وتنزل الامطار على جبال عالية فتنحدر المياه الى الحقول لتحيى البلاد بخصب تربتها ما أجملك وما أقدرك أيها الرب الازلى وما أجمل حكمتك العالية]

واثبت العلماء بالمصرولوجيا من شرقيين وغربيين انهم قرأوا هذه الاناشيد فى أوراق بردية وضعها خون آتون [اخناتون] لتمجيد الهه الواحد الاحد .

وامتازت تلك الديانة التى خلقتها الثورة أو قل اعادتها الى التوحيد تحت اسم آتون أو آتوم ويريدون به الاله الغير منظور [فى معنى] وفى معنى آخر السيال الكهربائى الخفى العام ، وذلك لانه كان لكل لفظ من الفاظهم معنيان : معنى خفى ومعنى ظاهر . وقد قال العالم لبسيس [ان آتون هو الاله الواحد الاحد الذى لا شريك له ولا آلهة أخرى معه وأنه الاله الخالق الحى القادر على كل شىء] .

وأيضا وصف العالم بترى [انه لم يظهر قط فى العالم فى تلك الاونة مثل تلك التعاليم اللاهوتية السامية المنقوشة بتل العمارنة ، ولا شك فى ان هذه المبادىء التوحيدية جعلت الناس على تباين اجناسهم يعبدون الها واحدا وربطت الامم على اختلاف لغتهم بذلك التوحيد ووحدت ديانتهم وجعلتهم كلهم أخوة يعبدون الها واحدا بعقيدة متوحدة .

ومن رأى بعض العلماء المؤرخين الباحثين فى الاثار [ان المصريين لم يكونوا يعتقدون ان آتون الرمزى هو معبودهم وهو النور الظاهر فى قرص الشمس ، بل هو الجوهر الذى لا شكل له ، والنور الذى هو أصل كل شىء والذى أنزل المحبة على الارض وانما جعلوا رمزا له قرص الشمس الذى تتلالأ أشعته فى كل مكان .

وكان المصريون مع هذا يؤمنون بالحياة بعد الموت كما هو معلوم ذلك الامر الذى وضعوا لاجله التحنيط ليحفظ الاجسام فتقوم سليمة الى يوم الحساب .

والى القارىء مرافعة الميت عن نفسه بين يدى محكمة أوزوريس [أى المحكمة الالهية] حيث يقول الميت « سلام عليك أيها الاله العظيم الاله الحق الذى لا حق غيره انى جئت اليك يا رب خاضعا امامك لاعاين مجدك ، انى اعرفك وأعرف اسمك الخفى الصحيح فانت الاله الواحد الحق » .

« لقد أتيت اليك يا الهى متحليا بالحق متخليا عن كل خطيئة فانى لم أظلم احدا ولم اسلك طريق الشر ولم احنث فى يمين ولم اشته امرأة غيرى ولا مال سواى ولم أكذب قط ولم أخالف أوامرك الالهية ولم أسع فى ضرر عبد من عبيدك ولم أجوع أحدا ولم أسبب لاحد البكاء ولم أضمر لاحد غدرا ولم أبع القمح بثمن باهظ ولم أطفف الكيل ، يا الهى أنا طاهر أنا طاهر أنا طاهر وبما أنى مبرأ من كل الذنوب وأعرف اسمك الخفى الحقيقى فأرجو ان أكون من الفائزين » .

« فان خرج الميت فائزا من مجلس القضاة العدول الذين يرأسهم الاله تفتح له ابواب الجنة وتزفه جميع حراس السماء [الملائكة] .

واذا ظهر ان الميت من العصاة أو الاشرار أمر له بالجحيم حيث يلاقى العذاب جزاء اعماله الشريرة .

فاذا كان من الصالحين أمر له بدوام النعيم فى الجنة الخالدة .

ويقول الاستاذ ماسبيرو [ان السحر عند قدماء المصريين علم يرجع تاريخه الى أقدم العصور ، وكان للسحر مدارس بهرموبوليس [الاشمونين] وغيرها ، والسحر أيضا لم يكن هو المقصود انما كان مدخلا لعلم الاسرار : أسرار الروح والنفس والالوهية ، وكانوا يضعون لذلك علامة فى شكل أربعة أعمدة متحاذية لتكون رمزا للخلود] .

فياليت شعرى ما الذى أضل هذا الشعب وذهب برشد أهله حتى جعلوا التوحيد شركا والصواب خطأ وتوغلوا فى مفاوز الرموز والخزعبلات التى أدت بهم الى الشرك ؟ !

لهذا السؤال جواب ... وجواب واحد فقط هو أعمال الكهنة جلب منافع الارض دون السماء .

واذا أراد الله فتنة معشر   وأضلهم رأوا القبيح مليحا

وأعجب من هذا وذاك الرأى الاوربى القائل بان مصر أم الحضارة القديمة والتى أكملت الحضارة المصرية بالحضارة الاسلامية بعدما أفادت حضارة اليونان والرومان ، وناهيك بتعليمهم علم الزراعة وسائر الفنون والصناعات ، كيف يعتقد بعض ماديى اوربا ان المصريين القدماء كان لا دين حقيقيا لهم وكانوا يعبدون القردة والجعارين والكباش والعجول والابقار !!! البلد الذى مدن العالم قديما [مصر] وحافظ على التمدن فى جميع التراث الذى استفاده من آبائه بناة الاهرامات ومن العرب بعد الاسلام وان لم يستفد من الرومان واليونان شيئا هذا البلد كيف يعتقد عالم سواء كان ماديا او روحيا ان الشعب فى مثل هذا البلد من الغباء والجهل بهذا المقدار [عبادة الحيوانات] ولم لم يقل ذلك العالم الاوربى السطحى انها كانت رموزا لاسرار بعيدة هى أسرار الالوهية المنتشرة فى الكائنات ونكتفى بأبرز مثال منها وهو الشمس أليست هى النور ، أليست هى الحياة ، أليست هى الفيتامينات ، اليست هى اليخدور ، أليس من أطيافها سائر الطاقات الكهربية .

وكان من الاولى ان يقيس الاخذ من الاوربيين على المصريين القدماء ضلالهم القديم المزعوم ان دينهم بدأ بالتوحيد ثم تحدر على أيدى الكهنة كما حصل فى سائر الاديان ومنها المسيحية وغيرها حيث بدأ الدين قويا معترفا بالاله وتحكم فيه الكهنة وتداولته أيدى الوضاع حتى اننا الان لا نرى مسيحيا حقيقيا فى امريكا وأوربا ، اللهم الا خيار العلماء وكبار القلوب من القادة والحكام وهم قلائل وأما البقية فدينهم [المادة] والحرب والغصب والاستئثار بخيرات الغير ، أنانية منهم ليس فيها رائحة من الدين أو الانسانية .

وقدمنا ان هرمس او هرماكيس او أخنوخ او ادريس عليه السلام كان نبيا للمصريين وقد علمهم الحكمة ودون لهم الكتب فى سائر العلوم ثم رفعه الله الى السماء وقد انحدر هو وتلاميذه من بابل فحكموا البلاد قبل مينا تحت اسم حكم الكهنة الحورشوس او تلاميذ هوروس القديم وحتى مينا ان هو الا مصرايم بن سام بن نوح فهو أيضا من تلامذة هورمس او ادريس وبما ان ادريس عليه السلام كان مثلث الحكمة [اى العلم والحكمة والنبوة] تعددت الهرامسة وخصوصا على السنة المصريين واليونان والرومان والعرب وقد تنبأ هورمس او ادريس عليه السلام بما سيحصل لمصر والمصريين من الاحداث حيث قال يوصى تلاميذه : [يجب عليكم أيها الحكماء ان تستدركوا كل شىء وتعرفوا انه سيأتى وقت يترك المصريون عبادة الههم الواحد الحق فيغضب عليهم وتصير مصر بدون ديانة وتهمل الاشياء المقدسة ويعبد الله خفية ، ويقول أواه يا مصر : سيأتى عليك وقت لا يبقى فيك من دينك القديم الا الخرافات وتنحصر أخبارك فى احجارك وتسرق الكتب التى دونتها لك ويستوطنك البرابرة .

ثم يقول وأنت أيها النيل المبارك انبئك انه سيدنس مياهك المقدسة أمواج أخرى من الدم والباطل حيث يصير المصرى غريبا عن تقاليد ابنائه لاتباعه تقليد الاجانب .

ثم يقول فابك اليوم يا هورمس مصر وما سيقع فيها من أشياء محزنة تلك الارض التى كانت وطنا للانبياء والاتقياء والقديسين وبعدما كانت مدرسة للتقوى والعبادات ستصير مسرحا للشرور والموبقات فيكره العاقل الذى يعيش فيها تفضيل الظلام على النور والضلال على الرشد ولكن الاله يا هرمس سيكون فى عون مصر واحيائها مرارا . □

الأسرة العالمية الكبرى

العالمية والصهيونية : بعد بيان الهدف الواحد من رسالات السماء ووحدتها فى كل عصر فى مسارات الربانية وسلوكها بالبشرية السبيل الى تحقيق وحدتها الشاملة وربط جميع أفرادها وأممها برباط المشاعر ووحدة الشرائع وبناء الاخلاق على أسس مكينة من العقيدة والفطرة وتبسيط الوسائل للوصول بها الى غايتها عمليا وعن يقين وجدانى وعقلى لا تضل به الاهواء ولا تزيغ عنها الافئدة فى طهارة ونقاء ضمير ومرهف حس بواجب كل فرد نحو نفسه ونحو أسرته المحدودة ومجتمعه فى وطنه الخاص ونحو أسرته العالمية الكبرى فى تعاون ورحمة وبذل وايثار وقد نفت كل الشرائع أسباب الفرقة وتحلل الروابط من أنانية واستعلاء وتسلط وحرمت ما يؤدى بوحدتها ويوقع الخلف والشقاق بين بنيها فالخمر والميسر والربا والزنا وقتل النفس والظلم والحسد وقول الزور والغيبة والنميمة والظن الاثم والنفاق والخداع والفجور فى الخصومة والتعاون على الاثم والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل والتفاخر بالانساب والاموال والولد وكثرة الاتباع والخيانة والجبن والكذب وقبض اليد فى الانفاق على المصلحة العامة والقطيعة والمغالبة على غرض دنيوى شخصى من غير وجه ، وحب الذات والركون الى اللذة والهوى فى غير مباح والقعود عن النصرة فى الحق والقسوة على الضعيف من انسان أو حيوان والرضى بالذلة والخوف الا من الله والتغابن فى المعاملة كل أولئك مذموم وأسباب مباشرة للفرقة وتحلل الروابط والعداوة فى ضراوة والبغضاء والبعد عن هدى السماء وشرائع الانبياء .

لهذا أوجب دين الله الجهاد بالنفس والمال والقلم واللسان والطاقة والعلم لتطهير المجتمع الانسانى كله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله للمحافظة على الوحدة العالمية ومقوماتها والبعد بها عن موبقاتها وأسباب انحلالها ولهذا كان الجهاد سنام دين الله وأعلى مراتب العمل فيه وأقوم سبيل الى تحقيق الغاية منه ولا عبرة بايمان لا يدفع الى الجهاد والصبر على المكاره والتواصى بالحق وصدق الله العظيم فيما قال جل شانه : « والعصر أن الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » « وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الامور » آية ١٧ من سورة لقمان « أنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » آية ١٥ من سورة الحجرات

وقد حدد الحق تبارك وتعالى حدود الطريق وأوضح المسالك وبين العوائق فقال عز من قائل فى سورة الانعام « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » بعد ذكر المحرمات فى الايات قبلها . فهل فاءت البشرية الى رشدها وعلمت عن يقين أن دواءها فى رسالات ربها وشفاءها فى اتباع هداها ووحدتها فيما شرع لها رحمانها الرحيم بها من سعير الشقاق وجمر العداوة ولظى الخصومة . نعم أصاخت الدنيا حينا الى نداء رب العالمين فاستوعبته عن وعى وايمان وأخذت ما أتاها ربها بقوة فكان لها السلطان والدولة الربانية والوحدة العالمية والاسرة المجتمعة وشهد العالم تلك الانطلاقة التى لا مثيل لها فى التاريخ فى العصور الذهبية واظلت الدنيا سماء دولة الاسلام وطبقت العدالة الاجتماعية والمساواة والاشتراكية المؤمنة فى أدق مدلولاتها وسعى الايثار على قدمين بين أصحاب الرسالة وتنفس الناس رحيق الاخوة وعبير المودة وجاهد السابقون الاولون من الانصار والمهاجرين فى سبيل المثل العليا ليحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الفتنة والضلالة ويطهر القلب والعقل والعقيدة وأوطان الوحى من رجس الشرك وترهات اليهودية وعلت كلمة الله بصمود أهل الحق واخلاصهم دينهم لله وانكار ذواتهم وجنديتهم لدعوة البشرية ودين الاسرة الادمية والعمل به وله وفى حدود تعاليمه وحدة متماسكة يدا وقلبا وقيادة فرفرفت راية السلام وسعد الناس فى ظلها أحقابا مادة وروحا حتى لقد تحدث التاريخ فى صدق عن عهد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين أنه لم ترفع له من أقطار الدولة المترامية الاظلامتان هينتان وأن بعض عماله لم يجد من المسلمين أو الذميين من يأخذ الزكاة فأمره بان يضعها فى بيت المال حتى يجد لها منفقا وان مسلمة فى عهد المعتصم قالت وامعتصماه فجيش لها الجحفل الخميس لانقاذها من الاسر وكانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وان مفاتيح البحار والاقطار كانت فى قبضة جند الله وان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رد الحق الى ضعيفة استنجدت به

على عمرو بن العاص حين أخذ جزءا من بيتها فادخله فى المسجد ولا تزال فى مسمع الدهر قولته « والله لو عثرت بغلة فى العراق لوجدتنى مسئولا عنها يوم القيامة لم لم أمهد لهـا الطريق » وقوله لعمرو بن العاص « متى اسـتعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا » وانه فرض لليهودى المسن فى بيت المال ما يكفيه الفاقة ذلك هو نظام الاسرة العالمية ودستورها الخالد وما أراده الله للناس جميعا حرية ومساواة واخوة وعدل ورحمة وسلام وامن وتعاون ويقظةشاملة وعمل دائبوانكار ذات ووحدة شعور وتوجيه وسلوك نقى وضمير حى وتحمل مسئولية وحرص على المصلحة العامة للاسرة كلها ورقة قلب حتى على الحيـوان ونصفة للغير حتى من النفس وسمع وطاعة لقائد الاسرة وربها فاين هذه العالمية من الصـهيونية ؟

فالعالمية على هذا الفهم ما شرع الله وانزل على رسـله لتوحيد مجموع أفراد الاسرة الادمية على تباعد ديارهم وتنـوع معايشهم واختلاف أروماتهم وبيئاتهم بقطع النظر على الجنس واللون والاقليم والموهبة واللسان وتوحيد مصدر الثقافة ومنبع الاخلاق والسلوك ومجالات الفكر بعد تحريره من أوهام الطفولة البشرية فى العقيدة والتصور وترهات الضلالة واطلاق الطاقات وجعلها فى خدمة المجموع لنفعته ومنفعة أفراده جميعا .

والصـــهيونية

وعلى النقيض من ذلك كله كانت الفكرة الصهيونية والسـلوك اليهودى والعقيدة العنصرية فانها تستمد أصولها من الفكر اليهودى وترتكز على خيال ظل يداعبه آلاف السنين ويتراءى له مجسما فى أحلام اليقظة مبنيا على تصور أن اليهود شعب الله المختار فاستعلوا بذلك التصور على الناس من سائر الادميين فخرجوا على البشرية وعن العالمية وحصرواهممهم فى الوصول الى غاياتهم باى وسيلة وخالفوا العالم فى طرائقه والفطـرة فى هدايات ربها فتخلقوا وخلقوا الناس وطبعوهم على غير ما أراد الله لهم وخاتلوهم وشغلوهم عن مصدر سعادتهم واسباب وحدتهم وليست الصهيونية وليدة فكر هرتزل ومؤتمر بال ولكنها صراع أزلى قديم بين العالمية بالمعنى المفهوم الذى وضح أمام ناظريك وبين الفكر اليهودى حيث أله الاحبار واستمد منهم مقومات شرائعه واستحل بها دماء الناس وأعراضهم وأموالهم وديارهم واعتبر البشرية خـراف بنى اسرائيل الضالة وضرب بعرض الحائط كل مقومات الوحـدة الادمية وقيم الانسـانية ومثلها واخلاقها وما فطر الله بين الناس عليها وذلك هو السر فى محاولاتهم فى كل عصر ضرب الوحدة أيا كان نوعها ومكانها من العالم وتكذيب دعاتها وقتلهم والعمل فى دأب واصرار على تفتيت الامم وتهديم كياناتها وتحليل روابطها وتاريث العداوات بين بنيها واستباحة كل الموبقات وتيسير اسبابها والناس لاهون يتناولون ما يقدم لهم الفكر اليهودى فى طلاء خادع ودعوات براقة حتى اذا ترسب ما قدم فى أعماق اللاشعور وحان حصاد زرعه فى العقول والقلوب وجنى ثماره باغت فريسته (وهى العالم كله) واستعلن وعقد المؤتمرات جهرا بعد الاسرار ووضع البروتوكولات بعد أن كان قد مهد العقول والقلوب فيما مضى لتقبل توجيهاته فى السلوك والعقيدة وفرض عليهـا الخرافة والضلالة فتجرعتها وذلك بالتلمود ومن قبله بالتوراة الموضوعة

فضيلة الشيخ حسن صالح

والاناجيل التى زيف فيها وجاء الان يكذب صريح نصوصها بمـا حاول من استصدار وثيقة من المجتمع المسكونى الذى انعقد منـذ هنيهة فى روما وكان قـد حير العقل واللب فى رواياته المتناقضة فيها وبما أوضح فى المحيط الاسلامى من اسرائيليات

ووضع من أحاديث وقصص منمقة لا تزال آثارها عبر القرون فى خيال الناس وسلوكهم وعاداتهم

وقد خطط للمعركة بينه وبين العالم منذ آماد ورمى بكل ثقله فى جميع ميادينها الدينية والسياسية والاقتصاديةوالعسكرية والاعلامية وأقام الدعائم منذ البداية وأعد الاسلحة ونزل الى المعمعة مجهزا مستخفيا مستعينا بالغرائز وطبائع البشر فقدم لها ما يشبع نهمها بالاغراءوالفتنة وخيالهاباالاساطيروالملفقاتمن الاكاذيب والفرى وما اختلقه لتسعير الجدل واسباب الفرقة والحزبية والطائفية والشعوبية فالعالمية اذن ثورة السماء على الضلال والخرافة والجمود والتخلف والاستعباد فى حالكظلمات الجهالة للنهوض بالبشرية وتخليصها من كل عوائق التقـدم والحرية والعلم وشحذ ملكاتها لاستخدام كل طاقاتها ونتـاج عقولها والهامات فطرتها وهدايات رسلها فى اسعادها وكمالهـا ووحدتها والصهيونية هى الثورة المضادة اتخذ الفكر اليهودى فيها وضعه كقائد حرب على التقدم والحرية والعلم وقتل الملكات وحبس الطاقات وتضييع معالم الطريق بالضـلال والخرافة والتخلف والاسـتعباد واستعمار العقول والقلوب والمشاعر وسلب ارادة العالم وقدرته على الحركة باستنفاذ طاقاته فيما لاغناء فيه وبعثرة جهوده وتعويقه عن أهدافه العليا وتحقيق آماله فى الاستقرار والسعادة والوحدة الشاملة . والوثنيـة وعقائد الطفولة البشرية أقوى العوامل المساعدة للفكر اليهودى استغلها وحالفها فى الثورتين المتعاقبتين الربانيتين العيسوية والمحمدية فاستعان بها على الاولى فى حـرب الابادة الجماعية التى أججها على المسيحية بافناء معتنقيها ثم جمع مواعظ المؤمنين واناجيلهم واندس لهـا فى أقـدس عقائدها وروحانياتهـا كما فعل بهـا واستعملها كسلاح

من اجهزته العديدة فى القرون الاولى من عهد الاسلام وحروب الدفاع بين وثنية الجزيرة ومجوسية فارس وضلالة الروم وبين دعوة الحق والوحدة والسلام وصدق الله العظيم فيما يحدثنا به كتاب الوجود « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى » من آية ٨٢ فى سورة المائدة ثم فى هجومه على أوطان الهداية السماوية متمسحا باسم الصليبية ومتعاونا مع الاعصار المغولى أثناء هبوبه للقضاء عليها والاستيلاء على مهد الانبياء بعد اطفاء جذوة الحمية الدينية لدى أهل الديانة فى المعسكرين الاسلامى والمسيحى وكاد أن يقضى على روح التدين فيهما وفصل الدين عن السياسة وجعل الناس يتفلتون من ربقة الدين بعد أن صوره أغلالا وعادى بينه وبين العلم وتنادى المفكرون الاحرار فى أوربا باصلاح الكنيسة وفى الشرق بامعان النظرة المتعمقة فى الدين واجلاء جحافل العقائد الدخيلة عليه وتنقيته من آثار الفكر اليهودى والرجوع به الى مصادره الاولى من كتاب وسنة طاهرة وكان من آثاره تفشى الالحاد والتحلل وغلبت انطباعته على الفكر الغربى فى أوربا وأمريكا فتقيدنا بثقافته ومنهجه فى السلوك ودينها السمح الاصيل (دين المسيح عليه السلام) دين المحبة والاخوة والسلام والصدق فباعد بين قيمه وسلوك دوله وصار الاستعمار والفتك واستبعاد الناس والاستهانة بحقوق الاخرين والنفاق والعنصرية هو المنهج الرسمى والشعبى والفردى بقطع النظر عما يأمر به المسيح عليه السلام واستهوى بذلك دول الغرب وجرها الى ركابه واستعملها مطية اهوائه واستعان بها على دول الاسلام بعد أن خضد شوكتها وانهك قواها وفرط عقد وحدتها وبعثر طاقاتها فى خلافات مذهبية وشعوبية واقليمية وحصر المد الاسلامى فانحصر عن بقاع عمرت به أجيالا وكان الفضل فى يقظة أوروبا والنهضة الحديثة فيها وفى غيرها من أقطار العالم لروح البعث والانطلاق فيه ودعوته الى التجرد والنظر فى ملكوت السموات والارض وكما ورث الفكر الاسلامى والعربى الانسانية من كنوز المعرفة ونفائس العلم ومفاتيح البحث فى شتى المجالات فتفتحت العقول وزالت الحجب عن قلوب واستشرق من استشرق من رواد الفكر الحر فى أوربا وكان الصراع الدموى بين المعتقدات الكنسية والانطلاقة العلمية وذهب الناس يبحثون عن الحقيقة وانما صدهم عن مصادرها فى دين الله تلك الصورة الشوهاء التى عرضه فيها الفكر اليهودى أمامهم فانصرفوا عنه جملة واعتبروه مخدر شعوب وقيد على حرية البحث وعقبة فى سبيل التقدم وقليل منهم من لم يأبه لتلك الصور واطمان قلبه للحقيقة ولا زال بين العالم وبين الوصول اليها حواجز مصطنعة ورواسب قرون وآثار قبطية غابرة وخلافات عقيدية أوصلها الفكر اليهودى فى خبث ودهاء الى امتشاق السلاح باسم الدين بعد أن مذهب الناس فيه فتشيعوا فرقا وتفرقوا شيعا كل حزب بما ليهم فرحون

الفكر الاسلامى والفكر اليهودى

تستطيع بعد ذلك أن تجزم موقنا أن الفكر الاسلامى وعقل البشرية العام وروحها الخالد لم ينبع من وحى أرضى ولم يحرص على شعب بعينه يختص فيه بامتياز يستعلى به أو على أمة فى أى جيل من أجيال التاريخ سوداء أو بيضاء أعجمية أو عربية كثيرة منابع الثروة فيها أو قليلتها متقدمة أو متخلفة فى مضمار العلم والتكنولوجيا ونحن فى عصر النور والذرة والفضاء والمهادنة الدينية والمذهبية وحرية العقيدة فهلا يتخلص المفكرون الاحرار والمجددون من علماء الاديان من قبضة هذا الاخطبوط اليهودى ويهتكوا الاستار عن افاعيله بالبشرية فيما مضى حتى يكتشف للناس حقيقة زيفه وتسفله وما انطوت دخيلته عليه وما أسر بين جوانحه للعالم من حقد وضغينة

وان الفكر الاسلامى هو عهد الله للادميين منذ آدم يستمد أصوله ووجدانه ومجالاته من الربانية والوحدة وما انطبعت عليه الفطرة من حب الخير العام وحاجة المجتمعات الى جهود أفرادها وحاجتها بعضها الى البعض فى اطار الاخوة العامة والانتساب الى أصل واحد هو أبو البشر وأمه ورب واحد هو الله الخالق البارىء المصور المنزه عن كل نقص عن الشريك والولد والصاحبة والمثلية والجسمية والجهة والمتصف بكل كمال هدى الناس بالفطرة وخلقهم عليها مستقيمة مؤلهة « الست بربكم قالوا بلى شهدنا » من آية ١٧٢ سورة الاعراف « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » من آية ٢٥ سورة لقمان « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون » الآية ٨٧ من سورة الزخرف وآمن الرسل بما انزل الله عليهم من نور وارسلهم الى كل أمة برسالة السماء « أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » فكانوا هداة البشر وقادتهم الربانيين يسيرون بهم فى طليعة الركب الربانى على هدى وبصيرة بايديهم المنهاج منزهين عن الهوى والنقائص البشرية من لؤم الطباع وخسة الدنايا وما ينطقون الا عن وحى الله وتوجيهه

ومن نور العقل المتفتح المتقبل لليقين من عقيدة التاليه المنزهة وهداية الرسل وهى هداية الله والفطرة المودعة فى كتاب الوجود ودستور البشرية .

والفكر اليهودى منبت لا أرضا استحوذ ولا وحدة أبقى لا صلة له أصلا بشرائع السماء لايؤله ربا ولا يعترف برسول ولا رسالة ولا يؤمن بقيم ومثل ولا عقيدة له فى الجزاء ولا معبود لديه الا الذهب والمصلحة الشخصية يدور حول نفسه مجتثا ماله من قرار وانظر الى قول الحق جل شأنه فى سورة ابراهيم « الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار. يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء» الايات من ٢٤ الى ٢٧ فالفكر اليهودى مصدره الخرافة والوهم والخيال والسلاح عنده الكذب والنفاق والغدر والمخاتلة ولا وجدان لديه ولا وطن يأوى اليه اللهم الا أدمغة أساطينه وأربابه ولهذا حاول من أول أمره استعمار العقول والقلوب والافئدة والمشاعر فى البيئة الغربية أولا منذ ثورة المسيح عليه السلام فى بيئته وهيكله فطارد آثاره وحوارى دعوته والمؤمنين برسالته ثم حاول اتباع نفس الطريقة لما استعلن الاسلام وعم ضياؤه واقيمت دولة الاسرة العالمية الكبرى رغم أنفه فافلح فى التمزيق والتشويه والتشعيب والطوائف ثم وثب على مواطنه مستفسرا مستعينا بالاستعمار وهو ربيبه ودوله التى استعمر عقلها العام فيما مضى فليتدبر كل عربى ومسلم ومفكر حر ولينظر أين مكانه فى معركة المصير ولابد من وحدة الصف والهدف والعمل وحشد الطاقات واستخدام كل الامكانيات والله المستعان .

الجهاد والجندية فى تعاليم الإسلام

سماحة الأستاذ مبشر الطرازى الحسينى

لقد أثبتنا فيما سبق من مقالاتنا المنشورة على صفحات مجلة « منبر الاسلام » الغراء

أولا : ان الاسلام لم ينتشر باستعمال السيف وقوة السلاح ، وانما انتشر عن طريق الدعوة (الى الله سبحانه وتوحيده) بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن وانتشر بمبادئه القدسية التى تلائم طبايع عالم البشرية وتتمشى مع مقتضيات الطبيعة وبمثله العليا التى تتناسب مع مقام الانسانية .

ثانيا : لم تحدث فى العهد الاول للاسلام (عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أية حرب ومضت ثلاث عشرة سنة فى مكة المكرمة بدون حدوثها .

وانما حدثت بعد الهجرة النبوية الى المدينة ، وكانت لكل حرب علة وقد بيناها تحت عنوان (علل تشريع الحرب فى الاسلام) بنصوص الايات من القرآن المجيد ، التى قررت هذا الوضع قانونا حربيا قدسيا يجب على المسلمين اتباعه فى كل عهد من عهود حياتهم الاسلامية .

ثالثا : ان الاسلام أوجب على المسلمين الوفاء بالعهد ومراعاة مواد المعاهدة بكل اعتناء وأمر قواد الجيش الاسلامى بتنفيذها غير منقوصة .

رابعا : ومع ذلك كله لا يبيح الاسلام الانقياد للاستعمار بل ينهى أتباعه عن الركون اليه ، ويستوجب استقلال المسلمين فى بلدهم وشئونهم وكيانهم ، بحيث يعيشون فى ظل دولة اسلامية مستقلة تعتمد على دستور ينبنى على كتاب الله وسنة رسوله وعلى القوانين التى تستنبط من هذين الاصلين المقدسين .

ونريد الآن ان نفيد اخواننا العرب الأعزاء ، قراء مجلة منبر الاسلام الغراء ، باجمال عن الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام .

نعم : نريد ان نفيدهم فى هذه الاونة الحرجة الحاسمة التى تواجه فيها الامة العربية اعتداء اسرائيل وتحدياتها ، اعتداء يتكرر على مصر العزيزة وعلى الاردن وسوريا وغيرها ، وتحديا لا يقيم للانسانية وزنا ، ولا للنصح الانسانى قيمة ، ويدوس قرار مجلس الامن تحت أقدامه ولا يسمع الا مايريده . ويتمثل بقول الشاعر ويقول بلا حياء واباء :

أصم عن الشىء الذى لا أريده ــ واسمع خلق الله حين أريد

لقد فرض الاسلام الجهاد ، وأوجب الجندية على كل فرد [غير معذور] من أتباعه وانما ذلك فى سبيل الحفظ على استقلالهم والدفاع عن كيانهم ، ومجازاة الغادر على غدره والخائن على خيانته مما يطول الكلام ببيانه وكتابته .

اخوانى العرب !

انظروا نظرة سريعة الى تاريخ أجدادكم فى جاهليتهم واسلامهم ، فقد كانوا جنودا التزموا الجندية فى حياتهم الاجتماعية قبل كل شىء ، واعتنقوها اعتناق المبدأ فى سبيل عيشة شريفة ، وحياة أبية ، وكان كل فرد منهم جنديا يتدرب على الجندية ويتعلم حمل السلاح واستخدامه ولكن لا من مدرسة حربية او معهد حربى وانما من بيئة ومجتمع ، ولا من الزام واكراه وانما من طبيعته التى خلق عليها .

نعم : كان اجدادكم أيها العرب جنودا فى الجاهلية والاسلام ، جنودا مستعدين كل يوم وفى كل آن ، وفى كل زمان ومكان ، لتلبية داعى المجتمع .

كل فرد من المسلمين جندى

واذا نظرتم الى تاريخ الاسلام نظرة تجدونه قد أقر الجندية ، ثم وضع للجندية والتجنيد قواعد قدسية **جامعة يجب ان يتبعها قواد الجيش وجنوده ، فى ساحة الحرب وأثناء الفتح ، ومعاملة الشعوب المغلوبة .**

ولم يفرق الاسلام أى تفريق بين فرد وفرد فى التزام الجندية ، وكلهم سواسية أمام الله الخالق والقانون المقدس ، فكان المسلمون كلهم جنودا مطاوعين مؤمنين بواجبهم الايمانى ، وعلى رأسهم رسولهم وقائدهم الاعلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

نعم : كانوا جنودا حاضرين مسلحين بأسلحتهم الشخصية التى تدربوا عليها ، مستعدين لاجابة الداعى ، بحيث لا يقعد أحد منهم عن الذهاب الى ميدان الجهاد الا بأعذار معينة محدودة ٠

انهم كانوا يؤثرون طاعة الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله ، على آبائهم وأبنائهم واخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم ومساكنهم ٠

ذلك لانهم آمنوا بالله ورسوله حق الايمان ، واستمعوا انذار ربهم سبحانه حق الاستماع حيث قال :

« قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » الاية ٢٤ ـ سورة التوبة ٠

الشباب والجندية

واذا نظرنا الى تاريخ صدر الاسلام فى موضوع الجندية علمنا ان سن الجندية كان محددا بخمس عشرة سنة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما للدخول فى صف المقاتلين فى غزوة أحد وكان سنه أربع عشرة سنة ، وأذن له فى غزوة الخندق حينما بلغ من العمر خمس عشرة سنة ، حتى دخل فى الصف ٠ رواه عبد الله هذا عن نفسه ٠ ومع ذلك فان الشباب القصر الذين لم يبلغوا سن الجندية المحدد كانوا يبدون رغبتهم واصرارهم بكل حماسة فى الانسلاك فى صف الجندية ، مع أنه كان أمامهم أن ينشغلوا بالخدمات الثانوية (خارج صف القتال) مثل حفر الخندق ونقل التراب وغيرها من الامور التى تستوجبها تحكيمات (تحصينات) ميادين الحرب ٠ كما وقع فى غزوة بدر الكبرى ٠

وقد ثبت لنا فى الحديث ان رسول الله صلى الله استعرض جيش الاسلام فى غزوة أحد ، ورد الشباب القصر ولم يأذن لهم للدخول فى صف القتال ، وكان بينهم الشابان رافع بن خديج وسمرة بن جندب ، ثم اجاز رافعا لما قيل له انه رام [قناص] وعند ذلك بكى الشاب سمرة وقال أجاز رسول الله رافعا وردنى مع انى أصرعه فبلغ الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فأجازه أيضا ٠ مما يدل على حرص الشباب على الجندية ٠

نعم : كان المسلمون الاولون رجالا وشبابا مستعدين للجندية والدخول فى ميدان القتال لتادية فريضة الجهاد ، أينما حلوا وارتحلوا متحدين متضامنين ، لايريدون بجنديتهم الا القيام بواجبهم ضد العدو المعتدى ، والدفاع عن كيانهم وكرامتهم والذود عن دينهم الذى آمنوا به ومبدئهم الذى اعتنقوه ، وعن استقلال بلدهم وشئونها ٠

هذا مع أنه لم يكن مرتب للجندى فى ذلك العهد ، وانما كان يأخذ كل من الجنود نصيبه من أموال الغنيمة على حسب أسهام حددتها الشريعة الاسلامية ٠

الجندية والمرأة

كانت نساء الجاهلية صاحبات التمرين والمهارة فى أمور القتال ، وكن يؤدين واجباتهن فى الميدان ، كما يقمن باسعاف الجرحى وتمريض المرضى ، وبعضهن بنقل الطعام والماء الى المقاتلين فى الخطوط المتقدمة ويشجعن الرجال بالنشيدات المؤثرة وبعضهن يقمن بوظيفة الضرب على وجوه الرجال حينما يخرجون من صف القتال منهزمين كما قمن نساء المشركين عندما حميت الحرب فى غزوة أحد بضرب الدفوف وانشاد الاشعار الحماسية وكان ذلك تشجيعا لرجالهن ٠ كما كانت نساء الاسلام يحضرن فى ميادين القتال ويساعدن المقاتلين بتلك المساعدات التى كن يقمن بها فى الجاهلية ، ومنهم أم سليم ورفاده وغيرهما من نساء الانصار رضى الله عنهن وكانت أم سليم تحمل خنجرا فى غزوة حنين ، فرآه ابو طلحة رضى الله عنه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال لها : يا أم سليم ماهذا الخنجر ؟ قالت ابقر به بطن من جاء الى من المشركين رواه الامام مسلم ٠

ومنهن أم عطية رضى الله عنها ، فقد روى الامام مسلم عنها أنها قالت : انى غزوت فى معية رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فأصنع له الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى ٠

كما كانت بعض زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم معه فى بعض الغزوات حيث يقمن بخدماته ، منهن أم سلمة فى غزوة خيبر وفتح مكة ، وميمونه فى فتح مكة ، وعائشة (مع أم سلمة) فى غزوة بنى المصطلق رضى الله عنهن ٠

وكانت فاطمة رضى الله عنها مع ابيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد ولما كسرت رباعية الرسول وشج وجهه فسار بين سعد بن ابى وقاص وسعد بن عبادة رضى الله عنهما حتى وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان على رضى الله عنه يسكب الماء ٠

ومما يذكر : أن فاطمة رضى الله عنها كانت قد تزوجت (وهى فى العام الخامس عشر من العمر) بعلى كرم الله وجهه (وهو فى العام الحادى والعشرين من العمر) فى السنة الثانية من الهجرة وكانت غزوة احد فى الثالثة منها

(للبحث بقية)

الاجتهاد و الرأى و القياس و الاستحسان في الإسلام

الأستاذ اسماعيل كشميرى

ظهر علماء الحديث مع حركة جمع الاحاديث النبوية ، وكانوا يسوقونها عند اثارة أى مشكلة ، سواء كان ذلك تأييدا لها أو اعتراضا عليها . وقد استنكر الامام الشافعى اعمال الرأى بلا حدود وان كان قد لجأ اليه فى بعض الحالات وبدأ التنديد بالرأى على أساس الحديث فى الفترة التى أعقبت أيام الشافعى وقد ظهرت فى كثير من كتب الحديث الشريف فصول عديدة عن « استنكار الرأى والقياس » . ومن المعتقد ان « الرأى » انفصل عن « الحديث » خلال هذه المدة وفيها ظهرت مدرسة (أهل الظاهر) . وكان طبيعيا أن يشتد الخلاف بين الحديث والرأى الامر الذى نتج عنه انقسام العلماء الى (أهل الحديث) و (أهل الرأى) . وكان الشعبى (المتوفى عام ١٠٣ هـ) من معارضى الرأى ، وهناك كثير من الكتابات كلها ينسب اليه معارضته الشديدة للرأى . ولكن الملاحظ أنه لم يكن بين العلماء المتقدمين من اعتمد كلية على الحديث مع استبعاد الرأى . ومن الغريب أن اسم الشعبى يظهر فى (أسناد) كثير من الاقوال التى احتوت على قرارات وأحكام اتخذت على أساس الرأى . ويقول ابن سعد أن الشعبى عين قاضيا أيام خلافة عمر بن عبد العزيز . وهنا يتساءل المرء : كيف يتسنى لقاض أن يتجاهل أعمال الرأى ؟ ومن هنا يتبين أن الصورة التى قدمت لنا مصورة اياه بهذا الشكل لا تتمشى مع الواقع .

وكان الرأى هو الوسيلة الطبيعية الرئيسية فى حل المسائل الشرعية أيام أن ظهرت مختلف مدارس الرأى فى أيامها الاولى . وكانت الخلافات بين مختلف مراكز النشاط الشرعى ومؤيدى كل مدرسة من هذه المدارس حول أى مشكلة شرعية نتيجة لتضارب الرأى بصفة عامة . ويقدم لنا ابن المقفع صورة مخيفة للخلافات التى شجرت بين العلماء ويقول انها أحدثت بلبلة فى الافكار . وقد كان غريبا أن تختلف (الحيرة) مع الكوفة حول مسألة بعينها ، ففى حين كانت تعد الحيرة هذه المسألة شرعية تماما كانت الكوفة تعدها غير ذلك . بل كان الامر أدهى من ذلك ، اذ حدثت الخلافات حول المسائل المعينة فى الكوفة نفسها ، وفى حين عدت هذه فى بعض أحيائها متمشية مع الشرع ، عدت فى أحياء أخرى من نفس المدينة غير شرعية . وقد تمسك كل من علماء العراق والحجاز برأيه وراحوا يحطون من قدر بعضهم البعض .

ويشرح لنا سعيد بن المسيب الخلاف فى الرأى حول التعويض الذى يعطى نتيجة لاصابة أنياب بعض الناس بضرر الذى نشب بين عمر بن الخطاب ومعاوية . ففى حين أمر عمر بأن يكون التعويض بعيرا واحدا قرر معاوية أن يكون خمسة . ويعلق ابن المسيب على هذا بقوله ان المسألة لا تتعدى كونها اجتهادا ، وأن لكل مجتهد نصيبا .

وفى حين قرر عمر بن الخطاب بعيرا واحدا لاصابة انسان ما فى ترقوته أو أحد أضلاعه يتمسك أهل المدينة بقولهم بألا تحديد هناك لهذه الحالة وان الامر يمكن أن يتحدد بالاجتهاد . ويعترض الشافعى أشد الاعتراض على هذا الحكم ويقول ان (الدية) تحددت عن طريق الوحى الذى نزل على الرسول الكريم صلوات الله عليه ، ولما كان عمر قد حل محل النبى فى الخلافة على المسلمين فان الواجب ألا يتغاضى الانسان عما يقرره الخليفة .

وكما سبق أن قلنا فان اختلاف الرأى حول مسائل شرعية مدنية أحدث حالة من الفوضى فى بعض المناطق ، واذا كان الحال قد استمر على ذلك فقد كان من العسير الوصول الى وحدة فى الرأى على أى مسألة من المسائل. وقد دعت هذه الحالة العلماء الى الاتفاق على تشريع واحد ، وذلك عن طريق (الاجماع) • ولكى يتجنب ابن المقفع وجود هذه الخلافات اقترح الرجوع بالرأى الى (الامام) أى السلطة السياسية فى البلاد. وهو يرى أن الناس قد يقدمون للخليفة بعض المقترحات حول المسائل الشرعية التى تعرض لهم ولكن بدون أن يكون لهم الحق فى العمل حسب مايرون هم أنفسهم. ويعترض ابن المقفع على «تجميد» التشريع ويطالب باستخدام العقل والرأى الشخصى فى المسائل الدينية • ومع أنه يهاجم الرأى بسبب مايثيره من خلاف الا أنه لا يقول بالتخلى عنه • ويبدو انه يحاول أن يحد من تأثيره لكى يتجنب الفوضى التى يخلقها •

ومع أن هناك اختلافا بين (الرأى) و (القياس) الا أن القياس ليس الا شكلا من أشكال الرأى، وذلك لان الرأى طبيعة مرنة حية . فالرأى ينظر الى الامور بروح الاسلام وحكمته وعدالته ، وهو ليس الا (رأيا) متوازنا حكيما يصل اليه الانسان الذى يسعى الى الوصول الى قرار صحيح للموضوع • وكما يقول ابن القيم فان الرأى هو القرار الذى يصل اليه العقل بعد تفكير وتأمل وبحث صحيح للوصول الى الحقيقة فى حالة ما اذا كان هناك تصارع بين الاراء • وبعبارة أخرى فان الرأى هو القرار الذى يتخذه العالم استنادا على ما نزل به (الوحى) - ان كان قد نزل بخصوص هذه الواقعة المعينة - أو على ما كان النبى الكريم صلى الله عليه وسلم يقول به ان كانت مثل هذه الواقعة قد عرضت له • أما (القياس) فهو مقارنه بين أمرين متشابهين ، ولكن هذا التشابه ، وهو ما يعرف (بالعلة) ليس محدود الصورة فى كل الاحيان • والواقع ان القياس انما هو امتداد (للسابقة) ، وعلى هذا فنطاقه محدود وأضيق من نطاق الرأى • وفى الرأى نجد التركيز منصبا على الوضع الراهن فى حين ينصب فى القياس على المماثلة المجردة أو المعنوية مهما كان الوضع الراهن • ويسوق لنا ابن المقفع مثلا طيبا لتحديد القياس • لنفرض ان انسانا ما سألك عما يفعله فى شأن من الشئون ، هل يقول الصدق أو يكذب . فأول مايطرأ على ذهنك أن تنصحه بقول الصدق • وهنا يسألك هذا الشخص : وهل أقول الصدق فى كل الحالات حتى فى حالة اذا ما أراد شخص قتل شخص آخر، فهل يدل القاتل على أثر الهارب حتى يتمكن منه ؟ هنا يقضى القياس بأن يقول الرجل الصدق ، ولكن الرأى يسمح بمخالفة القانون وبعدم الافصاح عن الحقيقة وبعمل ما يعود بالصالح والخير • ومن هذا المثال يتبين كيف يعجز القياس فى كثير من الحالات بسبب تحديد نطاقه • وقد وضع الشافعى رضوان الله عليه قواعد للقياس قربته كثيرا من (النص) • ولكن القياس حل محل الرأى بعد الشافعى وصاعدا ، وكانت النتيجة أن ندد الناس بالرأى واستحسنوا الامتثال بالقياس •

والاوزاعى - مثلا - يعتمد فى القياس على ما أمر به الرسول الكريم صلوات الله عليه او على ما كان يفعله المسلمون • ومما لاشك فيه ان (الرأى) لم يذكر صراحة فى هذا الصدد ، وعلى كل فانه ليس من العسير أن نلاحظ ان الاوزاعى قد اعتمد على أفعال المسلمين المتقدمين وعلى الايات القرآنية فى تعزيز رأيه الشخصى • فهو يمارس القياس بصورة مبسطة للغاية . والمثال التالى يوضح لنا ما نقول .

يرى أبو حنيفة انه اذا اعتنقت أم الولد (الجارية الام) الاسلام فى دار العدو وهاجرت الى أرض المسلمين ، فانها تستطيع أن تتزوج هناك اذا أرادت ان لم تكن ذات حمل ولا تكون فى هذه الحالة خاضعة حكم (العدة) • ويقول أبو يوسف ان أبا حنيفة يقرر قراره هذا استنادا على حديث نبوى شريف . ولكن الاوزاعى يختلف معه فى هذا الامر ويقول انه اذا تركت امرأة وطنها مهاجرة فى سبيل الله احتفاظا منها بدينها فان شأنها فى ذلك شأن المرأة التى هاجرت الى المدينة ، فهى لا تستطيع أن تتزوج الا بعد انتهاء عدتها . وهو فى هذا يعتمد على ماحدث عندما أتى النبى الكريم بعض السيدات المهاجرات الى المدينة تاركات أزواجهن المشركين فى مكة • وقد حدث أن اعتنق بعض هؤلاء الازواج الاسلام وجاءوا الى أزواجهن واتصلوا بهن أثناء عدتهن ، وقد سمح لهم النبى بفعل ذلك . ومن هذا يتبين أن القياس كان فى العصور الاولى تتبع العمل بما حدث فى نفس الموضوع دون أى قيود من القيود التى فرضت فيما بعد •

ويقول مالك وهو يعرض لمسألة قطع يد السارق انه اذا سرق عامل من العمال او أجير من الاجراء ممن يعمل مع غيره من العمال او الاجراء شيئا من ممتلكاتهم وأموالهم فان يده لا تقطع . وهو يقول أن هذا الحادث لا ينطبق عليه ما ينطبق على السارق بل انه حادث اختلاس ، وفى الاختلاس لا تقطع يد من يفعله • وعلاوة على ذلك فانه يقدم لنا مثلين آخرين •

فاذا اقترض شخص مالا ورفض أن يرده فان يده لا تقطع ، وذلك لان مثل هذا الشخص مثل المدين الذى يرفض أن يسدد دينه ، فان يده لا تقطع • ومثال ثالث يسوقه • فهو يقول انه اذا جمع لص بعض الامتعة ووضعها فى مكان ما بالمنزل الذى دخله للسرقة مع عدم خروجه منه فان يده لا تقطع عملا بما اتفق عليه أهل المدينة. ومثله فى ذلك مثل الشخص الذى يضع الخمر أمامه ليشربها ولكنه لا يمسها ، فان (الحد) لا يطبق عليه فى هذه الحالة . وكذلك اذا جلس رجل أمام امرأة وفى نيته ارتكاب جريمة الزنا معها ولكنه لا يقدم على ذلك فان (الحد) لا يلزمه •

وهذه الامثلة ترينا كيف كان أهل المدينة يلجأون الى القياس ، مع ان القرآن الكريم حدد عقوبة السارق بقطع يده . ولكن مالكا يخفض هذه العقوبة فى كثير من الحالات استنادا على القياس • ولكن الامثلة التى يسوقها مالك على القياس - كما وردت فى الحالات السابقة - أمر قابل للمعارضة وقد فعل الشافعى كثيرا من هذا حين عارض وانتقد (قياس) أهل المدينة •

أما (الاستحسان) فقد ظهر فى العصور الاولى بوصفه أحد أنواع (الرأى) ، وهو عبارة عن أعمال الرأى مع الابتعاد عن المماثلة والمشابهة لتحقيق مصلحة عامة أو اشاعة العدالة أو اتباع الرحمة والرأفة • والاستحسان - من جهة أخرى - هو « تفصيل غير منطقى » لقانون موضوع وتطبيقه فى بعض الحالات ، أو قرار يقوم على العقل وليس على المنطق المتشابه • على ان (الاستحسان) ليس نزوة من النزوات أو رأيا تعسفيا ولكنه وسيلة لاتخاذ قرار صريح يتمشى مع مقتضى الحال • وقد استعمل هذا اللفظ كثيرا بواسطة المشرعين العراقيين القدماء ، على ان هناك كثيرين غيرهم من رجال الشريعة ممن خالف القياس وعمل بما يتمشى مع ما تقتضيه حالة معينة • والواقع ان الاجتهاد الذى قام به عمر مثل منع قطع يد السارق أيام المجاعة ، وتطليق الزوجة ثلاثا ومنع بيع أم الولد ومنع الزواج من أهل الكتاب فى بعض الحالات المعينة وغير ذلك ليس الا من قبيل الاستحسان . ومع أن هذا اللفظ لم يستعمله أحد قبل علماء العراق الا أن فكرته كانت هناك قبلهم. والواقع ان ما حدا بعمر الى أن يتخذ قرارات فى هذه الاحوال التى ذكرنا مما تعارضت مع القاعدة المرعية كانت رغبته فى تحقيق المصلحة العامة • وفى رأينا أن أبا حنيفة كان أول من استخدم هذا اللفظ •

ويسوق المشرعون العراقيون القدماء أمثلة كثيرة على الاستحسان منها انه لو شاهد الامام - أى الحاكم - شخصا وهو يرتكب جريمة السرقة أو الزنا أو شرب الخمر ، فانه لا يستطيع أن يقيم عليه الحد الا اذا قدم الدليل المادى على ذلك • وهم يستندون فى هذا على (أثر) روى عن أبى بكر وعمر • أما اذا طبقنا القياس على هذه الحالة فان مثل هذا الشخص يخضع للعقاب لمجرد مشاهدة الحاكم نفسه لفعله • والواقع ان الوضع الاول وضع معقول لانه قد يعمد الحاكم فى غيبة الدليل أو الشاهد الى القضاء على أى شخص وليكن خصمه أو عدوه ، استنادا على ما شاهده هو نفسه •

وقد أعرب أبو حنيفة عن عدم موافقته على (الاشعار) - وضع علامات فى جسم حيوان الاضحية - فى موسم الحج لان مثل هذا العمل يسبب تشويها مؤلما للحيوان. ويشرح السرخسى وجهة نظر أبو حنيفة فى هذا الموضوع بقوله أن لا يعارض (الاشعار) الذى تضمنه حديث نبوى شريف الا لان أهل العراق تجاوزوا الحد المعقول فى رسم هذه العلامات الى درجة أن مات بعض الحيوانات من تأثير الالم الذى يحدثه فيها خاصة فى جو الحجاز الحار الخانق • ويقول ان من شأن هذا العمل أن يجذب الذباب وأن يلحق بالضحية آلاما فظيعة ، ولذلك فهو يعارض هذا الاجراء . وهذا مثل من امثلة (الاستحسان) الذى لجأ اليه ابو حنيفة ليجنب الاضحية الالام والاوجاع •

ويقول أبو يوسف انه اذا دخل أحد المشركين أرضا اسلامية ولجأ الى حماية المسلمين وقام أحد هؤلاء بسرقة ماله أو قطع يده ، فان يد المسلم لا تقطع • ويقول وانه وان كان من الواجب قطع يد المسلم - استنادا الى القياس - الا انه يفضل أن يلجأ فى هذه القضية الى (الاستحسان) ليجعل رأيه متمشيا مع رأى غيره • والواقع ان هذا المثال مثال غريب للاستحسان ليس هناك ما يبرره ، والسبب الذى يسوقه أبو يوسف لا يبدو أنه سبب ملزم ، ويبدو لنا أنه لم يقرر ما قرره الا ليحول دون دخول الغرباء الى أرض المسلمين ليظل مجتمعهم بمأمن من بسط نفوذهم عليه •

وكان اهل العراق يطبقون لفظ (القياس) بمعناه الحرفى الدقيق ، ويطلقون عليه اسم الاستحسان اذا ماارادوا توسيع هذا المعنى • ويمكن اننرى استخدام لفظ الاستحسان بصورة واضحة فى المثال التالى : اذا طلب اهل مدينة من المدن او سكان احدى القلاع او الحصون الحماية من المسلمين وشملوا الاتفاقية المعقودة لذلك هذه المدينة او هذا الحصن ، فان القياس يقضى بأن تشمل الحماية المدينة او الحصن فقط دون مايكون بداخلهما • ولكن الشيبانى يقرر انه استنادا الى الاستحسان فان الحماية تمتد لتحمى البلد او الحصن ومابداخلهما ايضا ، وذلك لان (العرف) جرى بأن يمتد معنى القلعة او المدينة الى سكانهما فضلا عن كل مابداخلهما •

وقد يحدث احيانا ان تنتهى نتيجة القياس ونتيجة الاستحسان فى نقطة واحدة من وجهة النظر المادية ولكن يلاحظ ان القرار الذى اتخذ على اساس الاستحسان يدعم وجهة النظر التى اتخذت على اساس القياس • والمثال التالى يوضح لنا ذلك : يطلب الشارى فى عملية من عمليات (السلم) ـ الشراء مع دفع الثمن مقدما ـ تسليم البائع مابا ع فى بيت الشارى فى وقت محدود • هذه العملية اذا نظرنا اليها من وجهة نظر القياس او الاحاديث النبوية فانها غير مستحسنة وذلك لانها بيع مشروط • ولكن الشيبانى يؤيد هذه العملية على اساس الاستحسان ، ويقول انه حتى اذا لم يكن هناك شرط صريح فان على البائع ان يسلم مابا ع للمشترى فى بيته • وعلى ذلك فأن هذا الشرط لا يضيف جديدا على أى عملية بيع غير مشروط طالما انه كان على البائع ان يسلم السلعة فى بيت المشترى • ومن هنا يتبين ان الشيبانى يعالج البيع غير المشروط على اساس القياس والبيع المشروط على أساس الاستحسان • ويبدو انه يعتقد بأن عد البيع المشروط على أساس الاستحسان قائم على أساس أن العملية برمتها كان يمكن الا تتم اذا ماعالجناها على أساس القياس •

واذا قام الجيش الاسلامى بهجوم على احد الابنية او على قلعة من قلاع المشركين وطلب بعض هؤلاء فرض الحماية على أسرهم وعلى ممتلكاتهم وثرواتهم بعد ان يتعهدوا بفتح ابواب هذه المحال أمام المسلمين ، فان الواجب فرض الحماية على هؤلاء الناس أنفسهم رغم انهم لم يشيروا الى ذلك ساعة ان طلبوا الحماية لاقربائهم • وحين يخرج الناس الذين وعدوا بالحماية وقرروا وعددوا ثرواتهم وممتلكاتهم فان هذا البيان ـ عملا بالقياس ـ لا يقبل الا اذا شهد بذلك مسلمون معروفون بالصدق والامانة • ولكن الشيبانى يقرر الا محل للقياس فى هذه الحالة لان من الصعب العثور على مسلم صادق امين يستطيع ان يدلى بشهادته فى هذه القضية قبل ان يفتح باب المبنى او القلعة • وعلى هذا فان مبدأ الاستحسان هو الذى يطبق هنا ، ويقول الشيبانى انه على هذا الاساس فان حدث ان شهد الاسرى الذين يدعون بقرابتهم لصاحب المبنى فى صالح الدعوى فالواجب قبول هذه الشهادة كما أن الواجب فرض الحماية عليهم شأنهم فى ذلك شأن غيرهم. ومن هذا يتبين أنه حتى قواعد الطبيعة الرئيسية يمكن التغاضى عنها فى ظروف خاصة اذا مادعت الضرورة الى ذلك •

ومع ان الامام مالك لا يستخدم لفظ الاستحسان فى (الموطأ) الا ان الدلائل والقرائن لا تستبعده منه وكذلك فان الاوزاعى لا يستخدمه ايضا ، وليس هناك فيما وصلنا من احكامه مايفيد انه يفضل المصلحة العامة على قواعد القانون المرعى •

الجُنَّة

القضاء والقدر والكلام فيهما :

ولا يرى غير الذى قدره فى ملكه فجل من دبره •

القدر : مايقع من العبد مما قدره الله أزلا خيره وشره منه بخلقه وارادته ، ماشاء كان ومالايشاء فلا يكون •

تنبيه : الخالق لافعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسبا فى أفعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل الى العبد فى قولنا فعله ، قال الامام ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقه الاكبر مانصه : **وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة ، والله خالقها** » قال شارحه يعنى أن أصل الفعل بقدرة الله تعالى ، والاتصاف بكونه طاعة أومعصية بقدرة العبد وببيان آخر أن العبد يوجه ارادته الى الفعل ، ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سببا لاتصافه به كبقية الاسباب فى جانب مسبباتها وهذا من العبد هو الكسب ، والله تعالى عندذلك يوجده بقدرته وهذاهو الخلق • وهذا هو المذهب المتوسط بين الافراط والتفريط فلا نقول بأنه لا دخل للعبد فى جميع أفعاله ، ولا نقول بأنه لا دخل لله فى أفعال العباد الاختيارية بل نقول ان الله تعالى خالق أفعالهم وهم يكتسبونها ، وعلى كسبهم يثابون أو يعاقبون •

ولقد أمرنا بالايمان بالقضاء والقدر ونهينا عن الخوض فى مباحثهما ولكن لابد من تعريفهما • والمنقول عن الماتريدية فى تفسيرهما ان القدر هو تحديد الله أزلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر الى غير ذلك • أى علمه تعالى أزلا صفات المخلوقات فيرجع الى صفة العلم ـ وان القضاء ايجاد الله تعالى الاشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها فى الازل فقد تبين أن القدر والقضاء راجعان الى تعلق العلم الالهى الازلى بالاشياء وتعلق القدرة الالهية بها •

في شرح عقيدة أهل الجنة

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

لايصح الاحتجاج بالقدر :

واعلم أنه وان وجب الايمان بالقدر لايجوز الاحتجاج بهقبل الوقوع توصلاالى الوقوع بأن يقول الشخص قدرالله علىكذا وغرضه بذلك التوصل الى الوقوع فيه ، وللشرع الحجة عليه فى ذلك اذ يقال له وما أدراك أنه قدر عليك حتى تقدم عليه فاقدامك لشهوتك وجراءتك فوجبت معاقبتك ـ كما لايجوز الاحتجاج بالقدربعد الوقوع تخلصا من الحد الشرعى بأن زنا وقال : قدره اللهعليه فيقال لهأقدمت ولا علم لك بما قدر عليك فاقدامك لشهوتك فوجبت معاقبتك ، والله أعلم ٠

قال شيخنا الامام الشيخ سلامة العزامى : وقد أوجز النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : المؤمن القوى خيروأحب الى اللهمن المؤمن الضعيف وفى كل خير ـ احرص على ما ينفعكواستعن بالله ولاتعجز، واذا فاتكشىء فقل : قدرالله وماشاء فعل ، ولا تقل لو فان لو تفتح عمل الشيطان ٠ أخرجه مسلم وغيره ٠

والمراد أن المؤمن القوى والضعيف اشتركا فى أعظم الخيرات وهو الايمان ولكن المؤمن القوى الذى يأخذ أموره بحزم وعزم فيعد أسبابها ويسعى فى تنفيذها مستعينا بالله حتى اذا عجز دفع وسوسة الشيطان بقوله : هذا ماقدره الله وماشاء فعل أحب الىالله من المؤمن الضعيف الذى يتهاون فىأموره ولا يأخذ فى أسبابها اتكالا على ماقدره الله ، ولما قيل له عليه السلام أنتكل على كتابنا وندع العمل « قال اعملوا فكل ميسر لماخلق له ، ورضى الله عنأصحابه الكرام ما ادق فهمهم فانهم حينما سمعوا هذا قال قائلهم : ما كنا اذا سمعنا هذا الحديث بأشد اجتهادا منا قبل أنسمعه ـ وقد أوضح صلى الله عليه وسلم هذا كل الايضاح حين قيل له : **يارسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها وتقى نتقى بها اترد من قدر الله شيئا ؟ فقال عليه الصلاةوالسلام : « هى من قدر الله »** .فانعم بهذا الجواب الذى يحفز الهمم الى العملَ النافع ويهيب بالناس الى اتخاذ الاسباب ، وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليه ، وكم لقى من ايذاء المشركين ـ فلم يهن عزمه عن أن يعد العدة لرد عدوانهم اتكالا على القدر ـ بل قاوم وبذل وسعه لينحى المشركين عن طريقه حتى نصره الله ٠ وهذا من قدر الله ٠ فعلى العاقل أنيعلم أن القدر سابق ، وأن ماكتب له أو عليه غير معلوم له وأن أسباب الخير والشر فى الدنيا والاخرة قدأرشده اللهاليها على ألسنة الرسل عليهم السلام وما وضع فى العقول وأنه لايأتى الخير الا بسببه ، ولا يحدث الشر الا من طريقه ـ فليشمر كل التشمير للسعى فىطرق الخير التىأمر بها ، وليبعد كل البعد عن سبل الشر التى نهى عنها معتمدا فى انجاح مساعيه على اللهتعالى ٠ واذاوفق لطاعة تيقن أن الله وفقه لفعلها فالحمد له ، ولا يحبطها بعجب أو من تثيرهما رعونات النفس واذا وقع فى معصية فليسرع بالمتاب الىالتواب ، ولايحتج لنفسه بما سبق من الاقدار ٠ فان حسن الاعتذار سبيل الاخيار من النبيين والصديقين وأهل البصائر أجمعين ٠

وانظر لادمأبى البشر عليه السلام حينقال الله له ولزوجه (**ألم أنهكما عن تلكما الشجرة**) ـ هل احتجا لانفسهما حاشاهما ـ بل قالا (**ربناظلمنا أنفسنا**) ، وقال رسول الله نوح عليه السلام (**رب اغفر لى ولوالدى**) وقال الخليل (**والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين**) وقال الكليم (**ربانى ظلمت نفسى فاغفر لى**) وصح عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم : « **يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا اليه فوالله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين ـ وفى رواية ـ أكثر من سبعين مرة** » ـ ومن الناس الا هؤلاء السادة،وفيهم للمؤمن خير أسوة اما التمسح بالقدر فهو طريق ابليس اللعين ٠ ألا تراه قال (رب بما أغويتنى) ـ فان قلتأليس قداحتج آدم بالقدر حين لامه الكليم موسى عليه السلام كما رواه

البخارى قلت : بلى ولكن فى دار التشريف وبعد صدق التوبة . فان قلت ألا جعل الكل موفقين . قلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، واذا قيل فى المخلوقين : (ما على المحسنين من سبيل) . ألا يكون ذلك فى أحسن الخالقين ورب العالمين - وان لله فى أقضيته حكما لو اطلعت عليها لاسترحت اليها وعلمت أن الحق للحق فتب لربك ، واحذر مايغضبه ، واتهم عقلك فيما يحاوله ، (فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين) وقف متأملا قول رب العالمين : (لايسئل عما يفعل ، وهم يسألون) تكن من الراشدين والحمد لله رب العالمين وقلت :

وليس المرء مجبورا ولكن
له فى فعله نوع اختيار
يفكر فى الذى يبغى ويمضى
الى الامر الذى أمضاه بارى

ونعتقد أن الله لايغفر خطيئة الكفر المتصل بالموت ، وقد يجود بغفران غيرها من الذنوب ان شاء قال الله تعالى : (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) .

وغير باق فى العذاب العاصى
ولو أتى بأكبر المعاصى

ونعتقد أن الله لايخلد العاصى فى النار اذا عذب بها بل نقطع بخروجه منها وادخاله الجنة قال صلى الله عليه وسلم : من قال لااله الاالله نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ماأصابه . رواه البزار والطبرانى واسناده صحيح .

أشد سكان الجنان فقرا
نصيبه منها كدنيا عشرا

وان أفقر أهل الجنة ، وهو آخر من يخرج من النار نصيبه فى الجنة مثل الدنيا عشر مرات ، ولا خراب فى الجنة بل كلها عامر بخلاف الدنيا . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لاعلم آخر أهل النار خروجا منها أو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله عز وجل : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله عز وجل له ، اذهب فادخل فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول : أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك ؟ قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقول : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة - رواه البخارى ومسلم .

حكمة ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

وأرسل الرسل مؤيدينا
بخارق العادات معصومينا

الله تعالى خلق الخلق فلايجب لهم عليه شىء ولكنه ارسل رسله اليهم ليبشروهم بما اعده لاهل طاعته ، وينذروهم ما أعده لاهل مخالفته - وأيدهم بالمعجزات الباهرات . **والمعجزة :** أمر خارق للعادة بأن يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار الماء من بين الاصابع .

عصمة الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام :

والرسل والانبياء معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها فالذنوب المنسوبة اليهم فى الكتاب والسنة ليست ذنوبا حقيقية ، وانما هى ترك الاولى بالنسبة لمناصبهم العلية ولعل ماعد فى حقهم ذنوبا يكون من أفضل الحسنات فى حق من دونهم من المقربين بله عامة المؤمنين .

مايجب للرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام

وواجب الرسل الامانة
والصدق والتبليغ والفطانة
ويستحيل الكذب والعصيان
والعيب والغفله والكتمان

يجب للانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهى :

الامانة والصدق والتبليغ والفطانة . ومعنى الامانة فى حقهم كون ظواهرهم وبواطنهم محفوظة من الوقوع فيما لايرضى الحق الذى اصطفاهم على سائر الخلق ، ومعنى الصدق فى حقهم كون خبرهم مطابقا للواقع ونفس الامر فلا يصدر منهم كذب أصلا ، ومعنى التبليغ كونهم بينوا للناس كل ماأمرهم الله ببيانه أحسن بيان فلم يكتموا من ذلك شيئا ، ومعنى الفطانة كونهم أكمل الخلق فى النباهة والفهم .

ويستحيل على الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهى :

الكذب والعصيان والكتمان والغفلة - وكذلك يستحيل عليهم كل مايعدها العقلاء من العيوب ، وان لم تكن من الذنوب كدناءة الحرفة والنسب أو تنافى حكمة البعثة كالصمم والبكم .

فان قيل اذا كان العصيان مستحيلا فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف أكل آدم من الشجرة التى نهى عنها - فالجواب أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة بطريق النسيان قال تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » والناسى غير عاص ولا مؤاخذ ، وأما نسبة العصيان اليه فى قوله تعالى : « **وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** » - فلصدور صورة المخالفة عنه بناء على النسيان الناشىء عن عدم التحفظ التام منه . والمخالفة التى تصدر نسيانا لاتعد فى حق الناس عصيانا ، وعدت معصية فى حق آدم نظرا لعظم رتبته ، والخطأ الصغير يستعظم من الكبير . وأما مؤاخذة المولى سبحانه وتعالى لادم على ذلك باهباطه الى هذه الديار واعتراف آدم بالذنب ، واشفاقه ومثابرته على الاستغفار فذلك لتزداد درجته علوا ، ويقاس على ذلك ماينسب لسائر الانبياء من المعاصى فانها معاص بالنسبة الى كمال طاعتهم وعظم منزلتهم لانها صادرة منهم عليهم السلام اما على طريق التأول أو السهو واما اعترافهم بها واستغفارهم منها فلزيادة معرفتهم وتقواهم وليزدادوا حظوة لديه ، وكرامة عليه .

فضيلة التفكير فى آيات الله

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

ضياء الايمان التفكير فيما خلق الخالق ، والفكرة مرآة المؤمن يرى فيها حسناته وسيئاته .

والتفكر هو التأمل العميق . للعظة والاعتبار والاستنباط — وحقيقة الفكر أن يعمل الانسان خاطره فى الشيء ويكون قلبه منشغلا معه فى طلب ذلك الشيء — والفكر . قوة تسلك بالانسان طريق العلم الى المعلوم . والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل . وهذا خاص بالانسان دون الحيوان — والامام الغزالى يقول — الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار . وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهم .

وقد أمر الله عباده بالتدبر والتفكير فى آياته . لتكون أدلة ناطقة وشاهدة على قدرته . فقال تعالى فى قرآنه الكريم — ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون — سورة البقرة — هذه الآية الكريمة مسوقة لتعليم البشر على كيفية الاستدلال على وحدانية الخالق الصانع . وردهم الى التفكير فى آياته والنظر فى عجائب صنعته . ففى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه المخلوقات لاستحال اتفاقهما على أمر واحد وامتنع فى أفعالهما التساوى فى صفة الكمال . فيثبت بالتفكير والتأمل فى هذه العلامات الظاهرة أمام أعين البشر الذين ينظرون بصفاء عقل . ويتفكرون بقلوب سليمة أن الصانع والمدبر لكل هذه الاشياء اله واحد ليس كمثله شيء .

وآيات الله ونعمه كثيرة . فمن تفكر فيها آمن بصانعها وبقدرته وتمام نعمته على عباده — قال تعالى — وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون — آية ٣ و ٤ سورة الرعد — براهين حية من الحياة يشاهدها الاحياء بأعينهم ويحسونها بوجدانهم ويلمسونها بأيديهم .

فاذا تفكروا فها وتأملوا فى كيفية صنعها . استدلوا بها على خالقها . ووحدانيته . لانه بالصنعة يستدل على الصانع وبالسبب على المسبب — قال عز وجل — ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون — آية ٩٥ سورة الانعام — فاخراج العود الاخضر من الارض الميتة وانشقاق النواة عن النخلة والحبة عن السنبلة . وتنويع المحاصيل الزراعية . واختلافها فى الطعم واللون . وتفضيل بعضها على بعض فى الاكل مع أنها تسقى بماء واحد كل هذه دلائل وعلامات ظاهرة شاهدة على عظمة الخالق الواحد الاحد — والتفكير يكون فيما خلق الله لا فى ذات الله لان ذلك يستدعى الاحاطة بمن هو بكل شيء محيط . ولعدم الوصول الى كنه عظمته تعالى شانه وجلت قدرته سبحانه لا يصفه الواصفون ولا تحويه الانظار ولا يغيره الليل والنهار ولا يحده العارفون وهو الحى القيوم . لا يصح التفكير فى ذاته — وكل ماورد فى القرآن من دعوة الناس الى التفكير ليس فيه شيء الى دعوتهم الى التفكير فى ذات الله . وانما كل الآيات القرآنية تدعو الى التفكير فى مخلوقات الله . وقد ورد النهى عن التفكير فى ذات الله فى أكثر من حديث نبوى شريف . فقد روى عبد الله بن سلام قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون . فقال : لاتفكروا فى الله تعالى ولكن فكروا فيما خلق — وعن عمرو بن مرة قال : قال رسول الله : تفكروا فى آلاء الله تعالى ولا تفكروا فى الله .

والبحث عن سر ذات الله تعالى يؤدى الى الالحاد . وجمهور علماء المسلمين يمنع البحث عن معرفة حقيقة الله ذاتا — ويقول : أرسطو — كما ترى العين عند التحديق فى جرم الشمس ظلمة

بقية المقال صفحة ٩٠

مثل رائعة من بطولات النساء العربيات

الأستاذ عبد المغني المنشاوي

أيها الاخ المؤمن الغيور على دينه ، المنافح المكافح عن حوزة وطنه ، نفاحه وكفاحه عن حوزة شرفه ، ومناط كرامته ، وعناصر انسانيته جميعا ، لا اخالك الا ان تكون اياى قد شد ولا يزال يشد انتباهك ، واحتوى ولايزال يحتوى وجدانك ، دوى صواريخ هذه المعركة الضارية الباغية ، التى تدور رحاها ويحتدم لظاها على أديم أرض الوطن الحبيب ، بين الخير والشر ، بل بين الحق والباطل ، بل بين الموت والحياة فما أرخص الارواح تتهافت تهافت الفراش على نيران وطيسها ، وماأرخص الانفس تسيل على حد ظباتها ، ولا عجب .

فمن يخطب العلياء لم يغلها المهر
ومن يطلب الموت توهب له الحياة

ان حب الوطن ايها الوطنى المؤمن ، عنوان صادق لحب الله ، والجهاد فى سبيل تحويطه وتحريره جهاد فى سبيل الله ، وكتاب الله يقول ،

(قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)

وماأمره هنا الا عقوبةيرصدها الله ، لمن عدل بحبه وحب رسوله والجهاد فى سبيله حب ما عداه ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ان شرع الله الحكيم شرع لنا من تعاليم السماء ، ما يوفر لنا كل عناصر الخير والسعادة والكرامة فى ميادين هذه الحياة وما بعد هذه الحياة فى جنات صدق عند مليك مقتدر .

كتب شرع الله على جماهير المؤمنين من عباده ان يكون جهادهم فى سبيل الله وفى سبيل أوطانهم فرض كفاية يهيب بالعدد الكافى من ابناء الامة ، ان ينفروا خفافا وثقالا الى ميادين القتال ، ومعارك الصيال والنزال ، وهم يحملون أرواحهم على أكفهم ، ويقبلون على لقاء أقدارهم فى ساحة العزة والكرامة ، فاما الى نصر مؤزر عظيم ، واما الى استشهاد مشرف كريم ، يبوئهم فى رحاب ربهم أسمى درجات التنعيم والتكريم .

أما اذا جاوز الظالمون المدى ، ووطئت ارض المسلمين اقدام العدا ، واستحرت المعركة حتى جاوزت مستوى التعبئة العامة أو الزحف العام ، اذن فقد حق الجهاد وحق الفدا ، على كل مسلم ومسلمة ، واصبح على الجميع فرض عين بعد اذ كان فرض كفاية ، يتطلب من الجميع شيبا وشبابا ، رجالا ونساء ، ان يرخوا الاعنة ، ويقوموا الاسنة ، ويهجموا على العدو هجمة رجل واحد ، تقوض أركانه ، وتهد بنيانه ، وتزحزح عن أرض الوطن الطهور أرجاس طغيانه ، وكابوس زوره وبهتانه — **الا يكن** ، فماحكمة الشارع الحكيم ، فى أن يأذن للزوجة ان تستجيب لصوت النفير ، فتنفر معهم الى ساحة الوغى دون انتظار لاذن زوجها انها

من الشارع الحكيم لحكمة بالغة، تتكشف لكل ذى عينين عن أن الموقف جد خطير، لانه موقف حياة للجميع أو مذلة للجميع ان المرأة المسلمة لم تكتف - فجر الاسلام - بمعالجة اساليب المقاومة السلبية، او أثارة العزائم الفتية فى صدور الرجال عند مصاولتهم الاعداء البغاة فى ميادين القتال بل أرضت ربها وأراحت قلبها بعد اذا نالته حظه من شرف المقاومة الفدائية، التى تتسامى الى معانى التضحية والبذل والفداء، وتحتوى كل سمات الجرأة والاقدام.

ذلك بأن الاسلام يعلمنا جميعا رجالا ونساء، شيبا وشبابا، أن المعركة الممتدة عبر الزمان بين الايمان والطغيان، معركة الجميع ومن أجل الجميع، لانها معـركة الدفاع عـن الحريات وصيان الحرمات، واستخلاص الوطن السليب من براثن أعداء الله، وأعداء عباد الله، فواجب الجميع ان يسهموا فى تحقيق مافيه الخير والحرية والكرامة للجميع.

من أجل هذا لم يكن بدعا ان تستقطب جميع هذه العناصر الخيرة للمرأة المسلمة على عهد رسول الله عليه صلوات الله، وان يتاح لنا ان نلمح أطيافها عبر التاريخ، وقد شمرت عن ساعد الجد، بعد اذ قوى ساعدها واستد وقامت نهاضة بأعباء الحراسـة واعـداد الزاد والعتاد، ثم وقفت مرابطـة خلف الصفوف المناضلة، تسـقى العطشى، وتـداوى الجرحى، وتمرض المرضى، ولا عليها ان رأت المعركة فى حاجة اليها، ان تتقحم ميادين القتال لتنال وسام شرف النضال مع ابطال الرجال.

ولقد ازدهت صفحات التاريخ ببطولة أسماء نساء لامعات، بتن عبر الدهور وهن فخر التاريخ، يزدهى سجل التاريخ ان يحتفظ لهن بين دفتيه بذكريات لهن نفاحة، وسير لهن لماحة، تشع نورا يضىء الطريق أمام كل مسلمة تنزع نفسها المؤمنة الطموح، وقلبها الكبير الجرىء ان تحتاز عز الدنيا ونعيم الاخرة.

من بين هذه الاسماء المشرقة اللامعة، يطالعنا اسم: أم أيمن بركة بنت محصن زوجة زيد بن حارثة، التى أسلمت فجر الدعوة، ونالت شرفى الهجرتين، مضافين الى شرف مبايعة رسول الله عليه صلوات الله. والى شرف مشاهدة غزوتى بدر واحد ومن بين هؤلاء المسلمات المجاهدات الفارعة بنت مالك، وهى أخت أبى سعيد الخدرى، شهدت بيعة الرضوان وهى البيعة التى عاهد المسلمون فيها ربهم ورسولهم على الموت فى سبيل الله، الذى هو سبيل نصرة الحق، والترحيب بالموت فى سبيل احياء الحق، وياما أكرمها من بيعة يقول كتاب الله فيها، وهل بعد كتاب الله مجال قول لقائل:

«لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فانزل السكينة عليهـم وأثابهم فتحا قريبا»

كما يقول فيها كتاب الله سبحانه:

«ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما.

ومن بين من شرف بهن ميدان الجهاد فجر الاسلام نجمان لامعان فى سماء النبوة من أمهات المؤمنين، هى عائشة وأم سلمة عليهما الرضوان.

قال أنس: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى عليه صلوات الله وسلامه، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سـلمة، وانهمـا لمشـمرتان أرى خـدم سوقهما، تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانها فى افواه القوم، ثم ترجعان فتملانها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم.

هذا ولعل الموازين القسط التى تتحرى مبادىء النصفة والعدل، تتقاضانا ان نخلع أبرادا موشاة بألوان خاطفة من الاعجاب والاطناب، على هذه الصحابية الجليلة، المجاهدة المضحية: أم عمارة، نسيبة بنت كعب بن عمرو الانصارية وهى من هى النموذج الفذ والمثل الاعلى تزدان به طليعة نساء المدينة اللواتى سارعن الى الدخول فى دين الله، وأشعت فى آفاق قلوبهن شمس الاسلام، فقد كانت أم عمارة احدى امرأتين رحلتا مع طلائع الانصار الى مكة حيث كانت مبايعة الانصار لرسول الله عليه صلوات الله فى بيعه العقبة الثالثة.

خرجت نسيبة الى غزوة أحد مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب وعبد الله، أى ان اربعة الافراد الذين تتكون منهم هذه الاسرة الانصارية المجاهدة كانوا فى طليعة من استجابوا لله ورسوله، اذ خرجوا جميعا يؤدون ضريبة الجهاد، حتى يتأدى بهم واجب الوفاء والمضاء فى سبيل الله.

وياما أسعدها أسرة يلمحها رسول الله عليـه صلوات الله، وهى تدلف فى خطوات وئيدة رزينة سديدة، كما تدلف الكتيبة الصامدة وهى تتقدم الى الميدان، وعلى ثغور أفراد هذه الاسرة المجاهدة المحاربة، بسمات فاتنة مشرقة، تشف عما تحتويه قلوبهم المؤمنة المطمئنة من عنصرى ثقة ويقين، بناصر المؤمنين المجاهدين، وعندها لا يتمالك رسول الله عليه صلوات الله ان يقول لهم وهو المعجب بهم: رحمكم الله أهل بيت، بارك الله فيكم أهل بيت: فلا تدع أم عمارة هذه الفرصة الطائرة، وهذه النهزة الخاطفة تفلت من بين يديها بل تسارع فتقول فى لهفة اللهفان، وظمأة الظمآن يارسول الله، ادع الله ان نرافقك فى الجنة، فما يسع الرسول عليه الصلوات الا ان يقول اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة.

هنالك يستبد الفرح بقلب نسيبة فيجب قلبها وجيبا يصعده الى أعلى صدرها فيالها من صورة للفرح والشوق بارعة رائعة، كأنما كان ينظر اليها بعين الغيب قول الشاعر المبدع

تثب القلوب الى الصدور اذا دنت
وتطل من حدق العيون وتنظر

ثم تمضى نسيبة بعد اذ أطربتها نبرة هذه الدعوة النبوية الشريفة لها ولزوجها ولاولادها ، فتقول وهى الصادقة فيما تقول : والله ماأبالى ماأصابنى من أمر الدنيا بعد ذلك

ثم دارترحى المعركة ، وتقحمت أم عمارة ميادينها فى شجاعة وجرأةقلما تتوافران لانثى مثلها ، ومضت رواحة غداءة فى نواحى المعركة ، غير مبالية مايثخن جسمها من جراحات نيفت على اثنتى عشرة جراحة ، مابين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

وهذه أم سعد بنت سعد بن الربيع ، تلقى بعد ذلك بنسيبة ، فتسألها عن ذكريات جهادها ونضالها وتقول لها :

ياخالة ، أخبرينى خبرك يوم أحد ـ فتقول أم عمارة

خرجت أول النهار أنظر الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الىرسول الله عليه صلوات الله ، وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين اذ كانوا حينئذ منتصرين فلما انهزم المسلمون بعد اذ تخلى النبالة عن مواطنهم التى كانوا يحمون فيها ظهور جيش المسلمين ، وخالفوا عن أمر رسول الله تعجلا لكسب المغانم ، انحزت الى رسول الله عليه صلوات الله ، وقمت اباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى بالقوس ، حتى خلصت الجراح الى .

فسألتها أم سعد عن جرحا العميق فى كتفها قائلة لها ـ من أصابك بهذا ؟

قالت : ابن قمئة : اقمأه الله : اى اذله وحقره . لما ولى الناس عنرسول اللهعليه صلوات الله ، أقبل ابن قمئة يقول ـ دلونى على محمد ـ لانجوت ان نجا ـ قالت أم عمارة .

فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله عليه صلوات الله ،فضربنى هذه الضربة التى ترين أثرها العميق الغائر فى كتفى ـ ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان متدرعا بدرعين فما نالت منه الضربات وهكذا تكاد تلمس ، ايها الاخ المؤمن فى هذا القصص الصادق بيديك ، وترى بعينيك ، أن أم عمارة ، وهى ربيبة الاسلام ، والمنشأة فىمحاريب الايمان ، لم تطر نفسها شعاعا لاى لون من ألوان الضرب والطعان ، بل أقبلت على الرغم من أنوثتها هادرة ثائرة فى ثوب بطولتها ، عازمة ان تبذل كل طاقتها فى سبيل الدفاع عن دينها وحريتها ، والذود عن كرامتها وأمتها .

قابلت أم عمارة ـ عليها السلام ولها التكريم ـ ضربة العتل البغيض الاثيم ، ابن قمئة اللئيم ـ بضرباتلها قوتها وشدتها ونسيتأمعمارة عندهاكل شىء الا أنها فى ميدان يحتاج الى وفاء وفداء ، فمضت تطعنوتضرب ،حتى قال فيها رسول اللهعليهصلوات الله ، ما التفت يمينا ولا شمالا ، الا رايت أم عمارة تقاتل دونى) ولقد رأى رسول الله عليه صلوات الله فى غزوة أحد رجلا معه ترس لا يتترس به وأم عمارة ليس معها ماتحمى به نفسها فقال الرسول عليه الصلوات لذلك الرجل مشيرا الى أم عمارة : ألق ترسك لمن يقاتل ، وأعطاها الرجل ترسه فتترست به ، ومضت تستأنف القتال وتعالج النضال ، وتبتدر من يجالدها بالضربة البكر القاطعة القاتلة طعنت ام عمارة طعنات كثيرة ورأى رسول الله عليه صلوات الله الدم يسيلمن جسمها ، فنادى أبنها ليعاونها قائلا :

(يابن أم عمارة أمك ، أمك ، اعصب جراحها بارك الله عليكم من اهل بيت ، مقام أمك ، خير من مقام فلان وفلان) .

وحين جرح ابنهاعبد الله ، أخذالدم يسيل منه بغزارة فقال له النبى : اعصب جرحك ، وسمعت أم عمارة قولةرسول الله ، وكان معها عصائب قد علقتها فى وسطها فاخذت منها ، وربطت لابنها جرحه ، ثم قالت له : انهضفضارب القوم : فقال النبى لها معجبا بها ومن يطيق ماتطيقين ياأم عمارة ؟

ثم شاهد النبى بعدقليل منأصاب ابنها فأشار عليه الصلوات اليه وقال لها : هذا ضارب ابنك ، فسارعت نحوه ، وضربته فى ساقه ، فوقع على الارض ثم أجهزت عليه ، فقالرسول الله عيه صلوات الله : الحمد الله الذى أظفرك واقر عينك من عدوك ، وأراك ثارك بعينيك .

وفى معركة اليمامة علمت أم عمارةبمصرع ابنها حبيب ، اذ قتله مسيلمة الكذاب فنذرت الا يصيبها غسل حتى تقتل مسيلمة ، وخرجت الى المعركة مع ولدها عبد الله ، وكانت الحريصة الحرص كله ، على ان تقتل مسيلمة بيدها ، ولكن القدر شاء ـ ولاراد لما شاء القدر ـ ان يكون القاتل له ، هو ابنها عبدالله ، الذى ثار لشقيقه حبيب ، تقول أم عمارة

تقطعت يدى يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة ، وماكان لى ناهية ـ اى مانع ـ حتى رأيت الخبيث مقتولا ، واذا ابنى عبد الله يمسح سيفه بثيابه فقلت له أقتلته قال نعم فسجدت لله شكرا أما بعد فهذه صفحة مشرقة لبطلة مسلمة سبقت بصفحات مشرقات لبطلات مسلمات ، فماأحرى فتياتنا ان يتشبهن بهن وان يتاثرن خطواتهن ، فى ميادين الشجاعة والبطولة ، وبحسبهن ان ينزعن الى أمهن البطلة الفذة ـأم عمارة ـ فانواجب الدفاع عن الحوذة وتخليص الارض المحتلة من براثن أعدائها النجسه ليهيب بهن ان يطرحن اساليب التطرية والتحلية ، وان يستبدلن بأدواتها أدوات النضال والقتال ، وان يسهمن مع الرجال فى كل مجال ومصال ، حتى نظفر ـ ولو بعد جهد جهيد ، وقتال شديد ، بأرض الوطن طاهرة نقية ، حرة أبية ، تنتظم جوانبها أسباب الرفاهة ، وتشرق فى آفاقها شموس الحرية .

قلنا ان مقالة خلق القرآن : يهودية اصلا ومصدرا ، ولم يكن ذلك رأيا نستنبطه اجتهادا مما قد علمناه من كيد اليهود المتصل ، وانما كان دليلا مستمدا من حقيقة يؤكدها مؤرخون ثقات ، ومنهم « ابن الاثير » الذى يقول فى كلامه علىاحمد بن ابى داود قاضى القضاة ، وأعلى الشيوخ رأيا وموضعا فى مجلس المأمون :
« انه كان داعية الى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة ، واخذ ذلك عن بشر المريسى ، واخذه بشر عن الجهم ابن صفوان ، واخذه الجهم عن الجعد بن درهم ، واخذهالجعد عن أبان بن سمعان ، واخذه ابان عن طالوت بن اخت لبيد بن الاعصم وختنه ، واخذه طالوت عن ختنه لبيد بن الاعصماليهودى

فهى كما ترى ــ نفثة يهودية مدبرة منذ أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اخذت تتسلل عبر السنين والعهود تسلل الافعى ، حتى بلغت مأمنها فى عهد المأمون ، فقاءت سمومها فى غطش الاراء والفلسفات الوافدة ، ومن خلال المذاهب والمقالات المحدثة التى تولى كبرها المعتزلة والمتكلمون واصحاب الاهـواء والمنازع الشتى ! ...

وواضح ان دعاتها الذين ذكرهم ابن الاثير ، تتابعوا عـلى مختلف عهود الدولة الاسلامية طوال القرنين الاول والثانى وصدرا من القرن الثالث ، فمسارها كان متلاحقا فى غير ما انقطاع ولا توقف ، وان يكن طريقها قد طال ، واعتورتها عليه صعاب وعثرات ، فانها مع ذلك ، واصلت خطوها دون يأس ولا نكوص ؟!

وقد حدث فى عهد هشام بن عبد الملك الخليفـــة الاموى [١٠٥ ــ١٢٥ هـ] ان اظهر الجعد بن درهم هذه المقالة ، فأمر بالقبض عليه ، وأرسله موثقا بالقيود الى خالد القسرى امير العراق ليقتله ويشهر به هناك ، ففعل ..

ويستوقف النظر هنا : دقة الحساسية الدينية ، والتطير بالاراء المريبة ، والتعجيل بالقضاء عليها لاول بادرة .. وهـذه الملاحظة فى وقتها [فى اوائل القرن الثانى وفى عهد الخليفة الاموى العاشر] تقدم دليلا على أن افتراق امر المسلمين ــ بعد الفتنة الكبرى التى اعقبت مقتل الخليفة عثمان ــ لم يكن يتجاوز نطاق التنازع على سلطان الحكم بين اسرتين [هاشميينوامويين] ، اما الدين : جوهرا ولبابا ، وعقيدة وسلوكا ، فلم يزل فى المسلمين كافتهم ، تراثا مصونا ، مقدسا ، مناطه فيهم القرآن وسنة الرسول ، لا يحيدون عنهما ولا يتزيدون فيهما ؟ ..

فلم تجد هذه المقالة [اليهودية مولدا] فرصة الخروج من مكامنها سافرة الوجه آمنة ، الا فى عهد المأمون الخليفـــة العباسى ، ذلك لان المعتزلة قد احتضنوها ودعوا اليها ، وهولوا فيها على الناس ، الى حد تكفيرهم من لا يقول بها ! . وكان المأمون قد دان بمذهب الاعتزال آخذا عن استاذه ومؤدبه يحيى ابن المبارك الزيدى الذى كان من مشيخة المعتزلة ، وآخذا كذلك عن صديقه واعز الناس منزلة فى نفسه ، ثمامة بن اشرس ، زعيم المذهب الثمامى فى الاعتزال ، وغير هذين ممن كانوا يحيطون به كأحمد بن أبى داود ، وقد حاول المأمون لاول عهده بالخلافة [١٩٨ هـ] أن يجعل القول بخلق القرآن مذهبا عاما للدولة ، ولكنه اضطر أن يمسك عن ذلك ، اول الامر ــ اجتنابا لما قد احس به من معارضة قوية توشك أن تنتشر عليه فلا يستطيع التغلب عليها ، ولابد انه لم يكن قد نسى أن أباه الخليفة هارون الرشيد ــ وعهده به جد قريب ــ كان قد ترامى اليه أن بشر بن غياث [illegible]ى ــ اليهودى اصلا ــ يردد هذه المقالة ، فانكرها مغضبا [illegible]اخطا على بشر ، وبعث فى طلبه قائلا : « لئن اظفرنى [illegible]ه به لاضربن عنقه » .. وتوفى الرشيد قبل أن يلقى بشر على يده ، مصير سلفه الجعد بن درهم على يد هشام ابن عبد الملك ؟!

فالمقالة الى عهد الرشيد كانت امرا نكرا : مشنوءة منالخلفاء بله علماء السلف ، وفقهاء السنة ، وجمهرة المسلمين ، وعقاب القائل بها التكفير .. والقتل !! .

وكذلك كان أمرها بعد الرشيد وفى عهد المأمون نفسه باستثناء شخصه وملهميه من المعتزلة ، فقد ظل المأمون فى موقف الحيرة زمنا طويلا بين اقدام واحجام ، وقال لسائليه انه يخشى معارضة « زيد بن هارون » وكان شيخا يجتمع اليه الناس فى

واسط ، فذهبوا الى هذا الشيخ يعرضون عليه رأى الخليفة وفى ظنهم أنه سيعطيهم الموافقة خوفا أو مجاملة ، ولكنه ما ان استمع اليهم حتى صاح فيهم مستنكرا ، وجمع الناس فحدثهم حديث المقالة ، وأوضح لهم ما فيها من ضلال وكفر ، وخرق فى الدين ، فضجوا واحتجوا .. وكادت تكون ثورة !.. ومن هنا كان خوف المأمون وحذره .

يقول السيوطى : « اظهر المأمون القول بخلق القرآن فى سنة ٢١٢ — اى بعد انقضاء اربعة عشر عاما من خلافته — فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتتن ، ولم يلتئم له ما اراد من ذلك ، فكف عنه الى سنة ٢١٨ » .. ففى هذه السنة الاخيرة — وبعد عشرين عاما — اعلن المقالة فى صراحة والحاح ، ومن ورائه شيوخ الاعتزال يباركون ويحرضون ، وكانوا قد تبوأوا فى عهده المناصب العالية وامسكوا بزمام الامور فى الدولة ، معزوا واستطالوا .. وفى غير تردد ، نضا المأمون عن نفسه الثوب البراق الذى كان قد طلع به على الامة من قبل ، مرقشا بالاخلاق الحسان ، من لين ورفق ، وعلم وصلاح دين ، واحترام رحراح لحرية الرأى والعقيدة ، حتى لقد كان يبيح للمسلمين وغير المسلمين أن يتجادلوا جهارا فى ادق معتقداتهم الدينية دون تثريب ، وبلا حدود ، ثم تبلغ به نزعة التحرر حد التقارب من العلويين ومصافاتهم ومبايعة احدهم بالخلافة ؟ الى غير ذلك من صفات كثيرة كان الناس قد عرفوه متجملا بها ، ومهما يكن الرأى فيها فان شيئا منها لم يكن قط لينم على ما قد تكشف بعد ذلك من انسلاخه عنها الى نقيضها ذاهبا فيهم مذهب الحاكم المستبد ، متنقصا اقدارهم بوصفه اياهم فى كتبه الى عماله بانهم : « حشو الرعية ، واهل جهالة وعمى ؟! » .

ثم ينقض عليهم بمقالة خلق القرآن ، عنيفا مشتدا ، ليؤمنوا بها كانها تنزيل من التنزيل ، واصل من اصول الدين ، وما كانت الا بدعة مقحمة ، ورأيا متهما ، ومفسدة ظاهرة ، وقد انكرها ابوه هارون الرشيد وامر بقتل قائلها ، وكان هذا — على الاقل — خليقا ان يصرفه عنها وفاء بحق ابيه ، وتحرجا من ادانته بالكفر والمروق من الدين ؟!

ووقعت المحنة ، وتضرمت ، وتعددت ضحاياها ومآسيها .. فتبهجت بها نفوس اليهود المتربصين ، وكانوا قد بلغوا مواضع الحظوة والتقديم عند العباسيين فاولوهم الاعمال الهامة كالطب وترجمة العلوم القديمة ، وبعضهم — كما يقول الاستاذ احمد امين (تستر بالاسلام) (وبعضهم) دعا دعوته فى علانية ... الخ) .

كانت فصول المحنة ، على صورتها المفجعة ، قد بدات — كما ذكرنا — فى سنة ٢١٨ هـ ، وهى نفسها السنة التى مات فيها المأمون بطرسوس ، حيث كان قد ذهب اليها لمقاتلة الروم ، ففى هذه المدة القصيرة ، ووسط مشاغل الحرب ، بعيدا عن عاصمة الخلافة ، كان يكتب الى عماله فى الامصار ليجمعوا [القضاة والمحدثين وأرباب الفتوى من العلماء] ويمتحنوهم فى القول بخلق القرآن ، فمن لا يوافقون ، أو من يوافقون فى تردد او على وجل ، يرسلون اليه مكبلين بالحديد ، ليعلنوها لديه موافقة صريحة قاطعة فى غير ما جمجمة ولاشك ، والا فليس غير النطع والسيف ، والقتل ، عقابا لا مناص لهم منه .. فسلكوهم فى قيودهم ، وارسلوهم اليه ، ولكنه مات قبل ان يصلوا اليه ، فاعيدوا الى بغداد : بعد ان مات منهم فى الطريق ، من ارهقته الاغلال ، والمرض ، والشيخوخة !..

وجاء المعتصم بعد المأمون ، فمضى فى هذا الامر على نهج اخيه ، غير آل جهدا ، وكان المعتصم دون المأمون علما ، بل لقد كان الى الامية اقرب منه الى العلم فى ادنى درجاته ، فنظر فى المقالة ، نظرة [الوارث] لا نظرة [المستقصى الدارس] وكان احمد ابن ابى داود ، فى موضعه القريب ، يلهب مشاعره ويستحثه على البطش بالمخالفين ، والمترددين ، ويقول له : « امض فى طريقك ، واقتل من تشاء ، وفى عنقى دماؤهم يوم الحساب !.. » .. فيؤتى بهم اليه من محابسهم ، راسفين فى قيودهم ، فيسالهم منذرا متوعدا ، فمنهم من يجيبه فى غير اقتناع ابتغاء السلامة ، ومنهم من يتوقف متحرزا ، او يجادل ولا يوافق ، فهؤلاء يأمر بتعذيبهم ، فان ثبتوا بعد ذلك على مخالفتهم امر بقتلهم وصلبهم ؟!..

ومات المعتصم بعد تسع سنين شداد ، وجاء ابنه الواثق [٢٢٧ هـ] فسار سيرة ابيه اكراها للناس على المقالة ، وتعذيبا ، ثم قتلا ، لمن لا يقولها !..

وجاء المتوكل بعد الواثق [٢٣٢ هـ] وكانت المحنة ، بعد اربعة عشر عاما ، قد بلغت اقصى مداها ، وجماهير المسلمين فى هذه الاثناء تتفجر ثوراتهم ، وتخترق اصواتهم المدوية ، الاسوار العالية ، التى اقامها المعتزلة بين الشعب والخليفة .. عندئذ رأى المتوكل ان يتوقف لينظر فى الامر ، نظرة متانية ، اكثر بعدا ، وعمقا ، وفهما .. فاستبان له الخطأ الفادح الذى سار عليه اسلافه الثلاثة ، فابطل من فوره المقالة المشئومة المدخولة على الدين ، ثم انقبض عن ابى داود وعن المعتزلة واجتواهم جميعا ، واظهر السنة وتجمل للناس ، وفى ايامه كان ختام المأساة ؟!..

وكان من ضحاياها ائمة اعلام ، يتنضر بهم وجه التاريخ الاسلامى ، منهم :

١ — الامام الصالح محمد بن نوح ، وكان شيخا هرما ضعيف البنية ، ارسلوه الى المأمون فى طرسوس موثقا بالحديد فى يديه وقدميه ، ومنعوا عنه الشراب والطعام ، فمات فى الطريق ، منهوكا ، ظامئا ..

٢ — والفقيه الحجة ابو يعقوب البويطى ، صاحب الشافعى ، بعثوا به من مصر الى بغداد فى كبول الحديد ، فكان يقول : والله لاموتن فى حديدى هذا دون الحق الذى اومن به حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون انه قد مات فى هذا الامر قوم فى حديدهم ، وقد صرح برأيه شجاعا فى وجه الواثق ، فاغلظ فى تعذيبه والتشهير به بان امر فاركبوه بغلا وفى عنقه غل وفى رجليه قيد ، وبين البغل والقيد سلسلة فولاذية فيها ثقل من الحديد زنته أربعون رطلا ، ثم طافوا به ، والقوه بعد ذلك فى السجن ، فمات فيه !..

٣ — والامام الورع : نعيم بن حماد ، جئ به من مصر كذلك ، مكبلا فى الحديد فجادلهم وامتنع عن مقالتهم ، فعذبوه ، ومات فى سجنه !..

٤ — والفقيه الثبت احمد بن نصر الخزاعى ، تلميذ مالك بن أنس ، واستاذ يحيى بن معين اعلن رأيه فى المقالة مخاصما القائلين بها ، واحتشد حوله الناس ، فاستمعوا له وتابعوه ، فقبض عليه ، وعذب ، وقد جاوزت سنه التسعين ، فاصر على رأيه ، وموقفه ، فقتله الواثق ، وأمر فحمل رأسه فنصبت على جذع مائل بالجانب الشرقى ببغداد ، وظلت هكذا سنوات الى أن جاء المتوكل فامر بانزالها ؟!..

الى كثير من طرازهم وعلى مثالهم من الضحايا والشهداء .. ومن مفظعات المحنة ، مالقى الامام احمد بن حنبل من التعذيب والنكال الشديد لموقفه المعارض ، وحسبنا منه هذا المشهد الذى نقله الذهبى مرويا عن صالح ابن الامام عن الامام نفسه ، قال الامام :

« لما جئ بالسياط نظر اليها المعتصم وقال : ائتونى بغيرها .. ثم قال للجلادين : تقدموا .. فجعل يتقدم الى الرجل منهم

ليضربني ســـوطين فيقول له : شـــد قطع الله يدك ..
ثم ينتحى ، ويقوم الاخر فيضربنى سوطين ، وهو يقول فى كل ذلك : شد قطع الله يدك ، فلما ضربت تسعة عشر سوطا ، قام الى – يعنى المعتصم – وقال : يا احمد ، علام تقتل نفسك ؟ وانى والله عليك لشفيق ، قال : فجعل عجيف – احدالجلادين – ينخسنى بقائمة سيفه ويقول : اتريد ان تغلب هؤلاء كلهم ؟.. وجعل بعضهم يقول : ويلك ، الخليفة على رأسك قائم ، وقال بعضهم : يا امير المؤمنين دمه فى عنقى ، اقتله ، وجعلوا يقولون : يا احمد ما تقول ؟ فاقول : اعطونى شيئا من كتاب الله ، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول به ، فرجع وجلس وقال للجلاد : تقدم واوجع ، قطع الله يدك ، ثم قام الثانية فجعل يقول : ويحك يا احمد ، اجبنى . فجعلوا يقبلون على ويقولون : يا احمد امامك على رأسك قائم ، وجعل عبدالرحمن يقول : من صنع من اصحابك فى هذا الامر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك اجبنى الى شىء لك فيه ادنى فرج حتى اطلق عنك بيدى ، فقلت : يا امير المؤمنين ، اعطونى شيئا من كتاب الله ، فيرجع ويقول للجلادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ويضرب سوطين وينتحى ، وهو فى خلال ذلك يقول : شـد قطع الله يدك ، قال : فذهب عقلى ، وافقت بعد ذلك فاذا القيود قد اطلقت عنى ، فقال لى رجل ممن حضر : انا كببناك على وجهك وطرحناك على ظهرك ، ودسناك فما شعرت بذلك ، واتونى بسويق ، فقالوا لى : اشرب وتقيا ، فقلت لا افطر ثم جىء بى الى دار اسحق ابن ابراهيم فحضرت الظهر ، فتقدم ابن سماعة فصلى ، فلما انفتل من الصلاة قال لى : صليت والدم يسيل فى ثوبك ، فقلت : قد صلى عمر ، وجرحه يثعب دما .. الى آخر الحديث ..

فهذا المشهد وحده فى تعذيب شيخ جليل ، واهن البدن ، كالامام احمد بن حنبل يصور مبلغ ما كان يلقاه المعارضون بعامة ، وبخاصة من هم اقل منه مرتبة وزعامة ، وكانوا كثرة لا تحصى عـــدا ..

ولقد كان المتوقع ، بعد اصراره ، رغم هذا التعذيب ، ان ينتهى نهاية الاخرين الذين وقفوا مثل موقفه ، فيموت ميتتهم مكبلا بالحديد فى اعماق السجن او مصلوبا على جذع ، ولكن الجماهير الغاضبة ، كانت قد احتشدت فى ثورة منذرة بالخطر ، فخشى المعتصم عاقبة الامر ، واستدعى عم الامام ، وطلب منه ان ينادى فى الثائرين بأن الامام بخير لم يصبه سوء ولا شر ، ثم أمر بطبيب خاص يلازمه ويرعاه ويضمد جراحه ، واعاده الى داره فى حفاوة ظاهرة خالعا عليه خلع التشريف والتكريم ، متقربا بذلك الى الناس ليرضوا ، وتسكن ثائرتهم ، وقد عف الامام ع خلع الخليفة وهداياه ، فبيعت وتصدق بثمنها عـــلى الفقـــراء !!..

فالمسلمون – شعبا ورأيا عاما – هم الذين قالوا كلمة الحق والدين ، وكانت هى الكلمة القوية الحاسمة والاخيرة فى هذه المحنة الدامية ..

ومن الحق ان يقال ان المحنة فى تأججها ، واستعارها قـــد محت زيوف الاراء والمذاهب التى حاول الاخباث المتآمرون ادخالها على العقائد الاسلامية الصحيحة ، للبلبة والافساد ، مثلما تمحو النار الشوائب والقشور ، عن الذهب المصهور ، وكانما كانت النفير الذى ايقظ المسلمين من غفوتهم ، فرأيناهم بعد احتشادهم للثورة ، يتابعون تأكيد وعيهم ، وصدق ايمانهم ، فهم يلتفون حول الامام احمد ويزدادون اقبالا عليه ، واجلالا لمعانى البطولة فى شخصه ، ولا يغيبن عنهم ان هذا مما يسخط الخليفة واعوانه ، ولكنهم لا يبالونهم ، وقد حدث ان خرج الامام احمد ذات يوم ليعود مريضا من تلاميذه [فلم يبق مصل فى مسجد ولا تاجر فى متجر ، ولا صانع فى معمل الا ترك ما فى يديه وسار فى الحشد الحاشد وراءه ، يتتبع خطاه الواهنة ، مبتهج النفس فرحا بالمسير خلف الامام ، ولم تبق عذراء فى خدر ، ولا سيدة فى منزل ، الا اطلت برأسها لتنظر هذا الموج المحتشد من الناس تتراكب لججه المزبدة ، لجة فوق لجة] .. الى آخر الوصف الذى قرأناه لبعض مؤرخى سيرة الامام .

ومات الامام احمد ، فكانت جنازته شيئا عظيما لم يرو التاريخ له مثيلا .. وهال الخليفة المتوكل هذا الطوفان المتدفق من الخلائق ، فامر بان يقاس المكان الذى وقف فيه الناس للصلاة عليـــه ، فبلغ مقاسه الفى الف وخمسمائة الف ؟ وقال ابو الحسن اليمنى : (لقد مكثت اياما ، رجاء ان اصل الى القبر فلم اتمكن – للزحام – الا بعد اسبوع ؟!] .

لقد أعظم المسلمون احمد بن حنبل اماما وفقيها ، وشيخا ورعا ، ومثلا اعلى فى الصبر على الاذى حفاظا على دينه وعقيدته ، ولهذه المعانى الجليلة نفسها ظلوا على اعظامهم له بعد رحيله عن الدنيا ، ومما يذكر فى الدلالة على ان ابا جعفر محمد بن جرير الطبرى [٢٢٤ – ٣١٠ هـ] كان قد ذكر فى كتابه [اختلاف الفقهاء] كثيرا من الفقهاء كأبى حنيفة والشافعى ومالك والاوزاعى وغيرهم ، ولم يذكر الامام احمد ، وحين سئل فى ذلك ، قال انه يرى الامام احمد محدثا ، لافقيها ، فثارت عليه جماهير المسلمين ، واتهموه بالرافضية ، ورموه بمحابرهم ، وكانت – كما قيل – الوف المحابر ؟.. ففر منهم الى داره ولزمها ، ولكنهم زحفوا على الدار فمازالوا يرمونها بالحجارة حتى صارت الحجارة حولها تلالا !.. فاضطر أن يكتب كتابا آخر فى الاعتذار اليهم ، ذاكرا الامام احمد بما ينبغى له من تجلـــة وتكريم ، شاديا بمذهبه واعتقاده الخ ...

وثمة لمحات مضيئة تشير الى الصلة القائمة بين المحنة والنشاط العلمى الذى تتابع فى اثرها غزيرا على ايدى علماء السنة الخالدين : البخارى [المتوفى ٢٥٦ هـ] ومسلم [٢٦١ هـ] وابن ماجه [٢٧٣ هـ] وابن داود [٢٧٥ هـ] والترمذى [٢٧٩ هـ] والنسائى [٣٠٣] وهؤلاء هم اصحاب الكتب الستة التى تعد بحق اصح كتب الحديث ، الى غيرهم من العلمـــاء النابهين ، ومنهم بخاصة ابو داود الظاهرى [٢٧٠ هـ] صاحب المذهب الظاهرى الذى يأخذ فى معرفة الفروض والتكاليف والحلال والحرام ، بظواهر القرآن والحديث ، وفيها غناء وكفاية ...

وقد كثر اتباع مذهب ابى داود بالعراق وفارس والاندلس ، وكان من اثاره أن اجتنب المسلمون القياس ، والتعليل العقلى ، والجدل المنطقى ، سدا لذرائع الشك وخوف الزلل والانحراف ، وانتشرت ، وقتذاك ، الكلمة التى ذهبت مثلا [من تمنطق تزندق !..]

ومن العلماء الجديرين بالذكر فى هذه الحقبة ايضا ، ابن قتيبة الدينورى [٢٧٦ هـ] وكان من اشد المعارضين لمقالة خلق القرآن وقد عاش احداثها فى صباه الباكر ، فالف فى تفنيدها كتابا اسمه : [الرد على القائل بخلق القرآن] ..

وهكذا اجهضت المقالة ، وجعل الله من شرها خيرا ، وذهبت بددا ريح فتنتها التى اثارها اليهود ، ليوقعوا بها العداوة والبغضاء بين المسلمين !..

[ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين] ..
ولكن اليهود فى طبعهم الخبيث ، ونواياهم السود ، لم يكفوا ، ولم يتوقفوا ..

وللحـــديث بقيـــة ....

في رحاب

القرآن العظيم

فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري

جمع القرآن فى عهد ابى بكر وسببه

جمع القرآن تطلق هذه الكلمة على معنيين ٠ الاول حفظه فى الصدر ٠ والثانى كتابته وتدوينه وقد تحقق كلا المعنيين فى عهده صلى الله عليه وسلم ٠ اما المعنى الاول فقد تحقق بحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم فى صدره وانتقاشه على صحفات قلبه ٠ وكذلك بحفظ كثير من الصحابة فى حياته صلى الله عليه وسلم منهم الاربعة الخلفاء وطلحة وسعد وحذيفة بن اليمان وسالممولى أبىحذيفة وابو هريرةوابن عمرو ابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبيروعبد الله بنالسائب وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء من المهاجرين ٠

وحفظه من الانصار فى حياته عليه السلام أبى بن كعب ومعاذبن جبلوزيد بنثابتوابو الدرداء ومجمع ابن حارثة وأنسبنمالك وغيرهم. واما المعنىالثانى فقد تحقق فىحياته صلىالله عليه وسلم أيضا بكتابته كله وتدوينه بين يديه وان كان مبعثرا فى الاحجار والرقاع وغيرهما كما سبق ، فلم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى الا والقرآن كله محفوظ فى صدور معظم أصحابه ومسجل فيما كتبوه فيه من العسب واللخاف وغيرهما ٠ ثم قام بأمر المسلمين بعده أحق الناس به أبو بكر الصديق رضى الله عنه بمبايعة الصحابة له ، فحدث فى عهده مانبهه الى وجوب جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد خشية عليه من الضياع ، فقد نشبت الحرب بينه وبين أهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب وغيرهم . وكان من أكبر الملاحم التى اشتبكت فيها جموع المسلمين بجموع المرتدين موقعة اليمامة المشهورة وفيها قتل كثير من قراء الصحابة ، فلما وصل المدينـة هال ذلك عمر بنالخطاب فدخلعلى أبى بكر فاخبره الخبر وبين له مايخشاه من ضياع القرآن اذا كثر القتل فى قراء الصحابة واقترح عليه جمع القرآن فتردد أبو بكر اولا لان ذلك أمر محدث لم تكن له سابقة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ وكان أبو بكر أحرص الناس على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجانبة كل مالم يفعله ولكنه بعد نقاش طويل مع عمر رضى الله عنه اقتنع بصواب رأيه وظهرت له المصلحة فيما يعرض عليه وعلم أن ذلك الجمع وان لم يفعله الرسول من أكبر وسائل حفظ القرآن الكريم وصيانته من الضياع فأقدم على تنفيذ رأى عمر مراعاة لتلك

المصلحة • وكان موفقا غاية التوفيق فيها كما كان موفقا فى غيرها من عظائم الامور التى قام بها • فأرسل الى زيد بن ثابت بعد استشارة عمر يدعوه لكتابته وجمعه فى مكان واحد • وانما آثر الصديق زيدا بهذه المنقبة مع أن فى الصحابة من هو أكبر منه سنا وأقدم اسلاما وأكثر فضلا لانه كان من أشهر الصحابة اتقانالحفظ القرآن الكريم كله ووعيا لحروفه واداء لقراءته وضبطا لاعرابه ولغاته وكان مداوما لكتابة الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم وشهد العرضة الاخيرة للقرآن فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك كاملا ورعا مأمونا على القراءة غير متهم فى دينه ولا خلقه فاجتمع فيه من المزايا والخصائص مالم يجتمع لغيره من أكابر الصحابة فلذلك اختاره أبو بكر للقيام بهذه المهمة العظمى ، فلما عرض عليه أبو بكر فكرة جمع القرآن واقترح عليه أن يتولى تنفيذها تردد زيد فى ذلك وناقش أبا بكر وعمر فى هذه الفكرة فمازال به أبو بكر حتى أقتنع بصوابها ووجوب تنفيذها وشرع فى ذلك فكان يتتبع القرآن ويجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ويتحرى ان يكون جمعه مما كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريا دقيقا حتى اتم جمعه فى صحف ، وانما كان زيد يتتبع المكتوب فى هذه الاشياء مع حفظه القرآن كله زيادة فى الاحتياط ومبالغة فى الضبط فتكون الكتابة معاضدة للحفظ مناصرة له •• وفى ذلك يروى البخارى عن زيد بن ثابت أنه قال : ارسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده • قال أبو بكر رضى الله عنه ان عمر أتانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر كيف نفعل مالم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان اثقل على مما امرنى به من جمع القرآن • قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابى بكر وعمر • فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الايتين • فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله • ثم عند عمر ثم عند حفصه بنت عمر •

فأنت ترى من هذا الحديث أن جمع القرآن فى مكان واحد لاول مرة كان فى عهد أبى بكر رضى الله عنه وكان قبلذلك متفرقا فىالعسب واللخاف وغيرها مما كانوا يكتبون فيه • وكان محفوظا فى صدور الرجال وقد ندب أبو بكر لجمعه زيد بن ثابت لانه اجتمع فيه من المناقب ماأوجب تقديمه على غيره واختصاصه بهذا الامر الجليل كما سبق . ولما شرع زيد فى جمعه اعتمد على مصدرين • الاول ماكان مكتوبا فى عهد الرسول الاعظم • والثانى ماكان محفوظا فى صدور الحفاظ وكان يتوثق فى الاخذ من المكتوب غاية التوثق حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدى الرسول عليهالسلام وأنه مما ثبت فى العرضة الاخيرة ولم تنسخ تلاوته . ولذلك لم يكن يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول صلى الله عليه وسلم يدلك على ذلك ماأخرجه ابن أبى داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال قدم عمر فقال من كان تلقى منرسول اللهصلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والالواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان . قال السخاوى المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده • ولذلك قال فى آخر سورة براءة انه لم يجدها مكتوبة الا معه مع أنه كان يحفظها وكان كثير من الصحابة يحفظونها ولكنه كانيريد انيجمع بين الكتابة والحفظ زيادة فى التوثق ومبالغة فى الاحتياط .

وقد راعى زيد فى كتابة هذه الصحف أن تكون مشتملة على مايثبت قرآنيته متواترا • واستقر فى العرضة الاخيرة ولم تنسخ تلاوته وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعا .

وتم جمع القرآن على هذا النحو من صدور الحفاظ ومما كتب بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم باشراف أبى بكر وعمر وكان جمعه فى عهد الصديق رضى الله عنه منأجل مناقبه وأفضل مزاياه لانه ضمن

للمسلمين حفظ كتابهم من التفرق والضياع . ولذلك قال رضى الله عنه . أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر رحمة الله على أبى بكر هو اول من جمع كتاب الله تعالى .

واذا امعنت النظر فى صنيع أبى بكر فى كتابة القرآن وجمعه لا تستطيع الحكم عليه بأنه من الامور المستحدثة ولا من البدع الضارة المعقوتةبل هومستمد من القواعد التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بتشريع كتابة القرآن واتخاذ كتاب يكتبون له الوحى المنزل ،ولذلك قال الامام ابو عبد الله المحاسبى«كتابة القرآن ليست بمحدثة » فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا فى الرقاع واللخاف وغيرها فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء . اه

ظلت هذه الصحف التى جمع فيها القرآن فى رعاية الخليفة الاول أبى بكر مدة خلافته . ثم انتقلت بعده الى رعاية الخليفة الثانى عمر بن الخطاب مدة خلافته ثم عند حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها وبقيت عندها الى أن ولى مروان المدينة فطلبها منها فأبت ، فلما توفيت حضر جنازتها وطلبها من أخيها عبد الله فبعث اليهفامر باحراقها وقالانما فعلت هذا لانى خشيت ان طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب .

ولم يأمر مروان باحراق هذه الصحف الا بعد أمر عثمان رضى الله عنه بنسخ المصاحف العثمانية وارسالها الى الامصار وأمره باحراق كلماعداها من المصاحف والصحف والله أعلم .

بقية مقال « فضيلة التفكير فى آيات الله »

وكدرة تمنعها عن تمام الابصار كذلك تعترى العقل عند ارادة اكتناه ذاته سبحانه حيرة ودهشة تمنعه عن اكتناهه سبحانه .

وروى ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : ما لكم لا تتكلمون . فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل . قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها . مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين . قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم . فقال : ما يدرون خلق الشيطان أم لا . قالوا من ولد آدم . قال : لا يدرون خلق آدم أم لا — والله عز وجل دعا عباده للتفكير فيما خلق ليدلهم على الطريقة التى بها يستدلون على ماينفعهم فى الدنيا والآخرة . لانهم اذا تفكروا فى صنعه . علموا أن لهم الها واحدا وخالقا قادرا ومدبرا حكيما . لان عظم الآثار والافعال تدل على عظم الخالق — وفى ذلك المعنى يقول الشاعر :

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه واحد

وما استنارت القلوب ولا استضاءت العقول ولا تقدمت الامم وما عرفت النهضة الا بالتفكير الصحيح الذى ينساب عذبا سلسلا كالماء فيصبح الوجود وما فيه فى متناول معرفة الانسان . وها نحن نرى الآن تقدم العقل البشرى فى أبحاث غزو الفضاء . وما ذلك كله الا نتاجا لتفكير الانسان — والشريعة الاسلامية تدعوا الى الفكر مع العلم والعمل . وأن يأخذ المسلمون بأسباب التفكير السليم لتسعد الامة الاسلامية — والباحث عن عظمة أى دولة ناهضة يجد أن ذلك راجع الى فكر أبنائها وعلمهم وعملهم .

والفكر السليم مفتاح كل خير فما العلم والحضارة والرقى والتقدم فى كل ميادين الحياة الا ثمرة للتفكير الصحيح والعمل البناء — ووسائل التفكير هى النظر فيما صنع الخالق . ودوام البحث والابتكار والتجديد والتنقيب فى بطون الكتب وقراءة كتب الاقدمين فى التفسير والفقه والتاريخ والادب والاطلاع على أحدث النظريات الرياضية — وقديما قيل . فكر ساعة خير من عبادة سنة — وكان لقمان الحكيم يطيل الجلوس وحده . فقيل له : يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك . فلو جلست مع الناس كان منس لك فقال لقمان : ان طول الوحدة . أفهم للفكر . وطول الفكر دليل الجنة.

والله سبحانه وتعالى . أثنى على المفكرين . فقال تعالى — الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك — آية ١٩١ آل عمران .

وعن بعض الادباء . قال : الفكر مقلوب من الفرك لان الفكر مستعمل فى المعانى . وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها — وقالت الحكماء — الفكرة تذهب الغفلة . وتحدث للقلب الخشية . وما جلبت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة .

والفكر المذموم هو ما يكون فى فساد حياة الناس فى دنياهم . ودمار البشرية وقضاء على حضارة البشر . وفساد لهم فى أمور دينهم .

والفكر المحمود هو ما يكون فيه صلاح الدنيا والدين وسعادة البشر فى الدارين .

التاريخ الإسلامى

ماذا تعرف عن العالم الإسلامي ؟

دول وشعوب

جمهورية إفريقية الوسطى

الدكتورة عنايات الطحاوي

مقدمة :

كانت جمهورية أفريقية الوسطى احدى ولايات أفريقية الاستوائية الفرنسية الاربع تحت اسم « أوبانجي شاري » ٠

وفي أول ديسمبر سنة ١٩٥٨ غيرت اسمها الى أفريقية الوسطى وأصبحت جمهورية داخل نطاق الجماعة الفرنسية ثم استقلت سنة ١٩٦٠ ٠

أولا : الموقع والظروف الطبيعية :

تقع جمهورية أفريقية الوسطى فى وسط القارة الافريقية بين خطى عرض ٤ ، ٣٠ ، ١٠ درجات شمالا وتحد من الشمال بجمهورية تشاد ومن الغرب بجمهورية الكمرون ومن الجنوب بجمهوريتي كينشاسا والكونغو برازافيل ومن الشرق بجمهورية السودان ٠ وتقدر مساحتها بـ ٦١٧ ألف كيلو متر مربع (٢٣٨ الف ميل مربع) ٠

ومن ناحية السطح يمكن تقسيمها الى ثلاث مناطق :

منطقة تنصرف مياهها شمالا الى تشاد ونهر شارى ٠

ومنطقة تقسيم المياه بين الكونغو ونهر شارى وهى هضبة شبه مستوية يقدر منسوبها بنحو ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ٠ وتغطيها تربة اللاتريت ٠

أما المنطقة الثالثة وهى أهمها فتضم حوض الاوبانجي أحد روافد الكونغو الرئيسية وهذه المنطقة فى أقصى جنوب أفريقية الوسطى ونهر أوبانجى غير صالح للملاحة على مدار السنة لتغير تصريفه ومستواه على مدار السنة من ناحية وانتشار السدود فى قاعه من ناحية أخرى ٠

وفيما عدا نهرى شارى وأوبانجي تجرى فىأفريقية الوسطى روافد عديدة تتصل بنهر شارى ٠

والسطح مرتفع يصل فى المتوسط الى ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهناك مرتفعات تصل الى ٤٠٠٠ قدم ٠

من حيث المناخ : فهو شبه استوائى ويسقط المطر معظم العام تقريبا ، ولكنه يقل كلما اتجهنا نحو الشمال أو الشمال الشرقى حيث يقتصر على فصل الصيف ٠ وتنمو الغابات الاستوائية فى المنطقة الجنوبية الغربية ـ كما تنموغابات الدهاليز على طول وديان الانهار ٠ بينما تغطى السافانا بقية أجزاء الدولة ٠

ثانيا : الانتاج الاقتصادى :

تعتبر أفريقية الوسطى بأعشابها الغنية أكثر الجهات ملاءمة للانتاج الرعوى ولغلات المناطق الحارة ٠

أ ـ أما الثروة الحيوانية فتتوافر فيها الماشية والاغنام والماعز وهى تعتبر احدى دول افريقية الاستوائية الفرنسية التى كانت تحتوى على ٥ر٢ مليون رأس من الماشية الكبيرة ، ٥ر١ مليون رأس من الاغنام ، مليون رأس من الماعز ، مليون رأس من الابل ، ٠٠٠ر٦٨ رأس من الخيول ، ٠٠٠ر١٠٥ من الحمير .

ب ـ الثروة الزراعية :

تزرع بأفريقية الوسطى الغلات ذات القيمة التجارية كالقطن والفول السودانى والبن والسمسم وزيت النخيل والكاكاو .

هذا فضلا عن انتاج الغابات من الاخشاب والصمغ والمطاط . كذلك فهى تنتج من الغلات الاستهلاكية البطاطا واليام (فى مساحة ١٦ ألف هكتار) كما تزرع الكسافا فى مساحة تقدر بحوالى (٢٠٠ الف هكتار) والذرة الشامية فى مساحة قدرها ٧٠ ألف هكتار ومتوسط انتاجه السنوى ٣٠ ألف طن أما الذرة الرفيعة ، فتزرع فى مساحة قدرها ٨٠ ألف هكتار وتغل ٥٠ ألف طن .

أما البن فيبلغ انتاجه ١٣ ألف طن .

ويزرع السمسم فى مساحة قدرها ٣٥ ألف هكتار ويبلغ انتاجه حوالى ٩ آلاف طن .

وزيت النخيل يبلغ انتاجه حوالى أكثر من ألف طن .

أما الفول السودانى فيزرع فى مساحة قدرها ٩٠ ألف هكتار وينتج حوالى ٧٥ ألف طن .

والقطن بدىء فى زراعته فى سنة ١٩٢٩ باجراء تجارب نجحت وعمت زراعته فى مساحة تقدر بـ ١٥٠ ألف فدان .

والمطاط يبلغ انتاجه حوالى ألف طن .

أما الاخشاب فانتاجها أكثر من مليونى متر مكعب .

والمنسوجات القطنية يقدر انتاجها سنويا بأربعة ملايين من الامتار وأهم الفواكه الموز ويزرع فى مساحة قدرها ١٧ ألف هكتار .

وتعد الكسافا الغذاء الرئيسى للسكان أما الغلات التجارية فأهمها القطن وهو أهم الصادرات وتنتشر زراعته فى وديان الانهار شمالى العاصمة (بنجوى) . وتعد منطقة القطن هنا امتدادا نحو الجنوب الشرقى لمنطقة زراعته فى تشاد .

ولم يقبل السكان على زراعته فى بادىء الامر لانه أدخل قسرا من ناحية ولشدة اقبالهم على زراعة الفول السودانى من ناحية أخرى . ولكن بعد استقلال أفريقية الوسطى اهتمت بالغلات التجارية وبخاصة زراعة القطن الذى نجحت زراعته .

ويعتبر البن الغلة التجارية الثانية بعد القطن ويزرع فى المنطقة الجنوبية .

جـ ـ الثروة المعدنية :

يعتبر الماس أهم أنواع الثروة المعدنية فى جمهورية أفريقية الوسطى وقد عثر عليه فى الاودية الفيضية لروافد نهر الاوبانجى وخاصة عند التقاء نهرى كوتو ، جى على بعد حوالى ٦٠ كيلو مترا شمال بلدة (بريا) وقد أخذت الشركة الاستوائية للمناجم فى استغلاله ابتداء من سنة ١٩٣٠ وقد تكونت شركة فرنسية أخرى للبحث عن الماس فعثرت فى سنة ١٩٤٨ عليه فى غرب الجمهورية فى وادى كويلو . وقد أخذت هذه الشركات فى استغلاله بأحدث الآلات . وقد كان انتاج الدولة من الماس ٦٠٠٠ قيراط سنة ١٩٣٧ ثم أخذ يتزايد باستمرار حتى بلغ سنة ١٩٥٥ حوالى ٠٠٠ر١٥٢ قيراط ، ثم هبط فى سنة ١٩٥٧ الى ٠٠٠ر١٤٧ قيراط ولكنه ارتفع ثانية سنة ١٩٦٢ ووصل الى ٠٠٠ر٢٦٣ قيراط والماس فى أفريقية الوسطى من النوع الممتاز الذى تصنع منه الجوهرات فضلا عن استخدامه فى الاغراض الصناعية الاخرى .

وفضلا عن الماس يوجد الذهب فى مناطق النيدال وبريجراتى ويبلغ مايستخرج منه حوالى ٤٠٠ كيلو جرام سنويا وذلك تبعا لاحصاء (١٩٦٢) .

وتعد طرق النقل أكثر تقدما فى أفريقية الوسطى عن شقيقاتها وتربطها السكك الحديدية بالكمرون .

والعاصمة (بانجوى) وتقع على نهر أوبانجى على الحدود مع الكونغو كينشاسا من جهة ، والكونغو برازافيل من جهة أخرى وتتصل بالاقطار المجاورة لها بواسطة الطرق البرية ، كما أن بها مطارا جويا .

ثالثا : السكان :

يبلغ عدد السكان تبعا لاحصاء سنة ١٩٦١ (٣ر١) مليون نسمة وربما يصل اليوم الى حوالى ٥ر١ مليون نسمة ، وهذا العدد قليل بالنسبة للمساحة وامكانيات الانتاج الاقتصادى بالجمهورية .

وقد فقدت أفريقية الوسطى الكثير من سكانها فى غارات المستعمرين ، والقوات الفرنسية التى وصلت اليها من منطقة بحر الغزال فتكت بالكثير من القبائل . كما أن نظام السخرة والنقل الاجبارى الى الدول المجاورة بواسطة الشركات الاستعمارية الاحتكارية كل هذه المساوىء أدت الى حالة الفقر الشديد والبؤس الذى خيم على أفريقية الوسطى وجاراتها جابون والكونغو برازافيل فى عهد الاستعمار الكريه .

ومن الناحية الجنسية فان أفريقية الوسطى يوجد بها جنس الازاندى الذى يتوزع فيما بين الكونغو والسودان ويقدر عدد الازاندى جميعا فى الوقت الحالى بحوالى مليون نسمة منهم نصف مليون فى أعالى الكونغو ، ٠٠٠ر٢٧٠ فى حوض بحر الغزال ، وحوالى ٠٠٠ر٢٠ فى جمهورية أفريقية الوسطى .

ويمتاز الازاندى بالصفات الزنجية ومتانة الجسم

ومرونة العضلات ولذلك فهم دائما يجندون للمشروعات الدفاعية وللاعمال التى تتطلب القوة والمجهود ٠

والازاندى فى أفريقية الوسطى يوجدون فى النطاق الجنوبى على حدود الكونغو ٠

ومن أهم خصالهم النظام والاحترام والروح الحربية والنظام العسكرى ثم مهارتهم فى الاعمال اليدوية وقوة احتمالهم وشجاعتهم وأخيرا محافظتهم على مظاهر النظافة ٠

ويمارس الازاندى التدخين ، وهم ينظرون الى الجماعات التى تمشى عراة نظرة ازدراء ومع ذلك فان ثيابهم بسيطة ٠ والزى الاساسى عندهم قطعة من النسيج الذى يتخذونه من لحاء الشجر وقد يكون الثوب من الجلد ٠ كذلك يلبس الازاندى على رأسه قبعة من الخوص ويمسحون جلدهم بالدهن أو الزيت خوفا من التشقق ٠

وهم مهرة فى كل مايصنعونه بأيديهم فهم يتقنون صنع الاسنة والرماح والخناجر والحراب ٠ كما يحسنون صنع السلات والحصير والفخار ٠ كذلك يقومون بنحت الخشب والعاج ولهم براعة فى صنع التماثيل ٠

وهم فوق ذلك لم يهملوا فن الموسيقى فقد برعوا فى صناعة أنواع الدفوف والقيثارات والطنابير ويتقنون صناعة الطبول ٠

ومنازلهم اما أكواخ متقنة لمتوسطى الحال أو منازل واسعة جيدة البناء مزينة بالرسوم وتستخدم فيها ثلاثة ألوان هى : الاسود والابيض والاحمر ٠ وهذه هى منازل الزعماء والرؤساء ٠

والازاندى يقوم بواجباته الزراعية كاملة فهو يرتاح للعمل الزراعى ٠ والمطر متوافر فى أوطانه فى جنوب أفريقية الوسطى ٠ ويقوم بالزراعة فى المواسم الملائمة وهو يبذل كل جهده فى الاعمال الزراعية مع اتباع نظام الزراعة البدائية الخالية من التسميد ومن حسن الحظ أن الارض متوفرة وفيها متسع للزراعات الجديدة دائما ٠ ولكل زوجة مزرعتها تنهض بأعبائها من اعداد وبذر وحصاد ٠ وتتنوع المحاصيل كالذرة بأنواعها والفول السودانى والبطاطا والكسافا والقرع العسلى ٠ وقد أدخلت أيضا زراعة القطن وكذلك زراعة المانجو ٠

والمرأة فى المجتمع الزاندى تقوم بأعباء تفوق مايقوم به الرجل ومع ذلك فان منزلتها فى المكان الثانى بعده ٠

وفيما عدا الازاندى نجد فى شمال أفريقية الوسطى وبالقرب من حدود جمهوريتى تشاد قبائل حامية ومتزنجة وكذلك بالقرب من حدود الكميرون وقد انتشر الاسلام بين هذه القبائل ٠

رابعا : الاسلام فى جمهورية أفريقية الوسطى :

ينقسم السكان الى أربع مجموعات زنجية كبرى هى :

فانجيابيا _ باندا _ مباكا _ الازاندى .

غالبيتهم وثنيون وفيهم أقليـة من المسيحيين ، والمسلمون يزيدون على نصف عدد السكان .

ويقال عن الوثنيين فى أفريقية الوسطى من الازاندى أنهم يعبدون كائنا أعلى اسمه (مبورى) ويقولون انه على كل شىء قدير وأنه خلق الارض والهواء والنار والماء والحيوان وسائر الكائنات . وليس للزاندى كهنة أو قسس أو هياكل أو طقوس أو مظاهر تقديس خاصة بهذا الاله .

وأقصى مايتمناه الزاندى أن تكون له مزرعة عظيمة وزوجة أو زوجتان وقليل من المساعدين لمساعدته فى الزراعة .

وهذه الامانى جميعها يمكنه تحقيقها فى اعتناقه الدين الاسلامى السمح الغير معقد ، ولذلك فهو يقبل على الاسلام اقبالا كبيرا ، وخاصة بعد نيله الاستقلال .

ويتوزع المسلمون فى أربعة مناطق هى

أ _ منطقة كوتو الشمالية حيث قبائل الباندا ويعود الفضل فى اعتناقهم الاسلام الى الثائر (رابح السودانى) .

ب _ منطقة موبومو ، حيث يعيش الزاندى .

جـ _ المنطقـة الشرقيـة ، حيث تعيش قبائل (مانجابايا) . ولاكاس وبعض مهاجرى الفولة .

د _ منطقة العاصمة (بانجوى) وهى أهم مناطق المسلمين حيث يختلط فيها قبائل الفولة والباجرمى والبورنو والهوسا .

وكان يقدر عدد المسلمين فى الجمهورية تبعا لاحصاء (سنة ١٩٤٩) بحوالى ثلاثين ألف نسمة ، ولاشك أن هذا العدد قد تضاعف وتضاعف حتى وصل اليوم الى أكثر من ٧٥٠,٠٠٠ نسمة أى أكثر من ٥٠ ٪ من عدد السكان .

وقد بدأ الاسلام يغزو هذه البلاد فى بداية القرن الثامن عشر بواسطة التجار الوافدين من الامارات الاسلامية فى الشمال من دارفور ووداى وباجرمى . وفى سنة ١٨٦٠ اتصل بها السودانيون الوافدون من الخرطوم أو من مديرية بحر الغزال . وممن ساهموا بنشر راية الاسلام « رابح بن فضل الله » وذلك فى حوالى عام ١٩٠٠ وقد اشتهرت غزواته بين عامى ١٨٧٣ ، ١٨٩٠ .

وتذكر أيضا (محمد السنوسى) فيما بين عامى ١٨٩٠ ، ١٩١١ .

خامسا : الاوضاع السياسية لجمهورية أفريقية الوسطى :

استقلت أفريقية الوسطى فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٦٠ . وكانت احدى ولايات أربع ضمن أفريقية الاستوائية الفرنسية تحت اسم « أوبانجى شارى » .

وفى أول ديسمبر سنة ١٩٥٨ غيرت اسمها الى (أفريقية الوسطى) وأصبحت جمهورية داخل نطاق الجماعة الفرنسية . ثم استقلت سنة ١٩٦٠ .

وفى سنة ١٩٥٩ كونت الوحدات الاربع (جابون والكونغو برازافيل وأفريقية الوسطى وتشاد) وحدة اقتصادية جمركية ودخلت الامم المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ .

وقد دخلتها القوات الفرنسية فى أواخر القرن التاسع عشر وأصبحت أقليما من أقاليم فرنسا فى سنة ١٨٩٤ .

وقد انبثقت الدعوة الى وحدة دول أفريقية الاستوائية من هذه البلاد ومن مدينة بانجوى العاصمة وانطلق صوت الزعيم القوى الراحل (بوجندا) يدعو الى ولايات متحدة أفريقية .

وبوجندا الراهب السابق أصبح الزعيم القوى الذى استطاع أن يجمع كلمة الشعب حوله وشكل حزبه الواحد الذى اكتسح انتخابات الجمعيه الوطنية فى أفريقية الوسطى ، وتميز حزب (ميسان) بأنه كان قاصرا على أفريقية الوسطى ، ولم يكن تابعا لحزب آخر .

وتمكن بوجندا من القضاء على كل التيارات المعارضة وأن يجعل من الوحدة القومية فى أوبانجى حقيقة تتبلور حول شخصيته القوية .

ولم يفتأ الاستعمار يناهض بوجندا فى دعوته وكأنما تحالفت قوى الشر مع الاستعمار فقضى الرئيس بوجندا نحبه فى كارثة جوية ومعه ثلاثة من معاونيه فى مطلع شهر ابريل سنة ١٩٥٩ .

وبعد بوجندا بدأت أفريقية الوسطى تشعر بعوامل الانقسام وتوشك أن تتغلب عليها النزعات المتعارضة حتى قدر الله لها الرجال والزعماء الذين استكملوا مابدأه الزعيم بوجندا . وتغلبوا على نزعات الصراع الحزبى ، ووحدوا صفوفهم ووصلوا بأفريقية الوسطى الى بر السلامة والامان ، فتحقق استقلالها فى أغسطس سنة ١٩٦٠ .

نتمنى لها دوام النهوض والرقى .

مؤسسة

دار التحرير للطبع والنشر

اكبر مؤسسة متكاملة للصحافة والاعلان والطباعة والنشر

دار الجمهورية للصحافة

تصدر
الجمهورية - المساء - الإچبشيان جازيت
الإچبشيان ميل - لبروجريه إچيبسيان

شركة الإعلانات المصرية

أضخم مؤسسة
للخدمة الاعلانية فى الشرق الأوسط تتولى
الإعلان عن طريق الصحف العربية والأفرنجية
ملصقات - سينما - راديو - تليفزيون - وكالة الاعلان
نيون : استعداد كامل لتصميم وتنفيذ الإعلانات المضاءة

شركة الإعلانات الشرقية

مطابع ضخمة
للطبع التجارى بكافة اللغات

شركة التوزيع المتحدة

تتولى توزيع الصحف والمطبوعات
داخل وخارج الجمهورية ..

القاهرة
٢٤ شارع زكريا أحمد / ت ٧٥٥٠٠ (١٠ خطوط) ص.ب ٤
الإسكندرية
٢٣ شارع سعد زغلول / ت ٣٢٨٣٦

مراسلون ومكاتب فى جميع محافظات ومدن الجمهورية
العربية المتحدة ومعظم عواصم الأقطار الشقيقة ..
وممثلون فى عواصم الدول الأجنبية ...

قضية فلسطين

من بدايتها الى ذروتها

الأستاذ عثمان عبد السميع العدل

* خطة « دالات » تكشف عن اسرار جديدة وراء مذابح عام ١٩٤٨ فى فلسطين

* قائد العصابات التى نفذت مذبحة دير ياسين يصبح نائبا لرئيسة وزراء اسرائيل .

* اليهود يغتالون وسيط الامم المتحدة فى اليوم التالى لمطالبته بحق الفلسطينيين فى العودة الى اراضيهم اوالتعويض عنها.

* حق العودة للفلسطينيين اقرته الامم المتحدة بعشرات القرارات ، فمن الذى يمنع تنفيذه ؟ !

على طريق الالام الطويل لشعب فلسطين ، كانت مذبحة دير ياسين يوم ٩ ابريل عام ١٩٤٨ بداية لمرحلة جديدة .. فقد كانت بداية برنامج تنفيذى واسع النطاق لاجلاء شعب بأسره عن ارضه . وكان الاسلوب الجديد قد احتوته خطة تسمى خطة « دالات » (بالعبرية) وهومايقابل فى اللغة العربية « د » .

الدليل على وجود هذه الخطة قدمه البروفيسور اليهودى « خليدى » فى كتاب نشر عن « مخطط دالات الصهيونى » ، ويقول المؤلف اليهودى انه أستقى معلوماته من المصادر الصهيونية نفسها . ويقول ان هذه كانت خطة القيادة الصهيونية العليا الخاصة بالعمليات العسكرية فى ابريل واوائل مايو من عام ١٩٤٨ . واستهدفت الخطة « تدمير كافة العرب بفلسطين وطرد غالبية العرب الذين كانوا يعيشون فى المناطق التى دخلت فيما بعد نطاق دولة اسرائيل .

كانت خطة « دالات » الصهيونية فى الواقع تستهدف احتلال كل فلسطين دون اهتمام حتى بقرار التقسيم الذى صدر من الامم المتحدة ، ورغم ان القرار نفسه كان مؤامرة استعمارية تحت اسم المنظمة الدولية . .

ومن هنا يتضح احد الادلة القاطعة على نوايا التوسع التى تبيتها الدولة الصهيونية منذ كانت بعد مخططا تنفذه العصابات الدموية .

ومهما يكن من أمر فلقد كان تدخل الجيوش العربية هو الذى اوقف التوسع وقتذاك ، ولكن خطة « دالات » اسفرت من توغل خطير للعصابات المسلحة اليهودية فى قلب القرى والمدن العربية .. وكان من بين عملياتها التى تمت بنجاح الاستيلاء على حيفا وطرد سكانها العرب (كانوا اغلبية السكان) ، واحتلال مدينة يافا العربية وطرد سكانها ، واجلاء العرب من الجليل الشرقية وتدمير القرى التى تصل المنطقة بطبرية ، واحتلال بيسان وطرد تجمعات القبائل البدوية المجاورة واحتلال المناطق السكنية العربية فى القدس الجديدة ، واحتلال اكرى وطرد السكان العرب غربى الجليل (وكانت منطقة عربية طبقا لخطة التقسيم من الامم المتحدة) .

كان قائد عصابة الهجاناه من عتاة المجرمين الذين يلذ لهم سفك دماء الاطفال والنساء ، كان ذلك الرجل هو « ايجال آلون » (نائب رئيسة وزراء اسرائيل الان) . وقد نقل عنه البروفيسور خليدى وصفه للتكتيك الذى استعمله فى حملة الجليل .

يقول « ايجال آلون » ، « لم يكن امامنا سوى خمسة ايام عن ساعة الصفر لاعلان اسرائيل يوم ١٥ مايو ، ورأينا الحاجة الى « تطهير » الجليل الداخلى وخلق منطقة مخصصة لليهود فى الجليل الاعلى باكمله ، وكانت المعارك قد اضعفت قواتنا ..ولهذا بحثنا عن وسائل لاتضطرنا الى استخدام القوة لاجبار عشرات الآلاف من العرب الذين بقوا فى الجليل على الهرب . فجمعت كل المختارين (يقصد

العمد) اليهود والذين لهم صلات بالعرب فى القرى المختلفة ، وطلبت منهم بأن قوة يهودية ضخمة قد وصلت الى الجليل وانها سوف تحرق قرى المنطقة كلهـا ، وانهم « يقترحون » على العرب ، « اصدقائهم » ان يهربوا فى فسحة من الوقت . . . وقد وصل هذا التكتيك الى هدفه كاملا .. وكانت المساحات الواسعة كلها قد اخليت من سكانها العرب » ..

وهنا يتبين أمران جوهريان بين سطور هذا الصهيونى قائد عصابة الهجاناه :

اولا : انه برغم قوة تسليح القـوات الصهيونية فان المقاومة العربية كانت قد انهكتها .. او كادت .

ثانيا : كان اسـلوب الخـديعة بين الاساليب التى استخدمت لاشاعة الرعب بين السكان العزل فى فلسطين .. ولكن الخداع كان على كل حـال فى مقدمة الاساليب التى اتبعها اليهود على مدى تاريخهم الاسود الطويل مع المجتمعات التى عاشوا بين ظهرانيها على مر العصور ..

الاهم من ذلك ان الايهام بالرعب وحده لم يكن ليكفى لاجلاء السكان العرب من مساكنهم ، « وعلى عجل » ، كما يقول « جون دافيز » ... فلقد كانت تسبقه جماعات السفاحين من العصابات الصهيونية ، القصص المحزنة عن النساء اللائى ذبحن ، او بقرت بطونهن ، وعن الاطفال الذين تتلوا قتلا على مرأى ومسمع من آبائهم ..

كانت مذبحة دير ياسين وغيرها تتحول انباءها الى قصص مفزعة تأتى فعلها فى اهالى القرى النائية الفقراء العـزل من السلاح ... ولولا هذه الحقيقة ما استطاعت الخديعة التى دبرها ايجال آلون ان تأتى باية نتيجة ..

ومن هنا يصح القـول بأن اسـلوب الخديعة لم يكن سوى امتدادا طبيعيـا لخطط الارهاب الدموى والمذابح المنظمة التى راح ضحيتها آلاف من السكان العرب فى فلسطين ..

ومن ثم فقد كانت « الخطة د » حربا دموية ونفسية لارغام الاهالى العزل على الهـرب من اراضيهم ، اراضى ابـائهم واجدادهم منذ آلاف السنين .

ان نتيجة تلك الخطة وغيرها من عمليات الطرد الجماعى ، كانت انه لم يأت سبتمبر عام ١٩٤٨ حتى كانت مئات الالاف من السكان العرب قد فقدوا منازلهم وممتلكاتهم ووسائل اعاشتهم ..

وبرغم الدعـايات الصـهيونية وابواق الاستعمار التى كانت تشوه الصورة فى الخارج ، وتخفى انباء المذابح الجماعيـة واعمال القمع ، فقد كانت هنـاك بعض الدوائر على صلة بما يجرى ، ولقد تحركت بعض الضمائر ، واهتزت لهول ماحدث . كان من بين هؤلاء وسيط الامم المتحـدة « الكونت فولك برنادوت » ..

فقد اعلن برنادوت يوم ١٦ سـبتمبر ١٩٤٨ « أن حق الابرياء الذين انتزعت منهم منازلهم بواسطة الارهـاب الحـالى وفظائع الحرب هو ان يرجعوا الى منازلهم ، ان هذا الحق يجب ان يؤكد وينفذ » . (وثيقة الامم المتحدة ٩ ــ ٤٨) ..

ولم يكن هذا الموقف من وسيط الامم ليسعد العصابات الارهابية ، فما كـاد المداد الذى كتب به برنادوت التقرير الذى رفعه الى سكرتارية الامم المتحدة ، حتى كانت الايدى الاثمة تمتد اليه بوابل من الرصاص ليذهب « برىء آخر » ضحية الارهاب .

كانت هذه العصابات تعلم مـدى حجم الجريمة التى دبرتها باحكام ونفذتها دون رحمة ، وكانت تظن انها باغتيالها الكونت فولك برنادوت يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ قد اخرست الالسنة ، واخفت عن انظار العالم تلك الصورة البشعة ..

ولكن تقرير برنادوت كان قد وصل فى نفس اليوم الى مقر الامم المتحدة ، ومن ثم فان المنظمة الدولية لم تلبث ان تبنت القرار رقم ١٩٤ (١١١) فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، والذى نص بين اشياء اخرى ، على القرار التالى :

١ ــ الجمعية العامة ..

٢ ــ قررت ان اللاجئين الراغبين فى العودة الى منازلهم والعيش فى سلام ... يجب ان يسمح لهم بذلك فى اقرب وقت ممكن ، وان السلطات والحكومات المسئولة يجب ان تدفع تعويضـات عن الممتلكات لاولئك الذين يختارون عدم العودة ، وتدفع من اجل الخسائر او الاضرار التى حاقت بالممتلكات طبقا لقواعد القانون الدولى » ..

كذلك اهاب القرار بلجنة الهـدنة ان تسهل اعادة تسكين اللاجئين واستقرارهم وضمان حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ودفع التعويضات لهم .

وبالرغم من هذا القرار ، فقد مضت اسرائيل فى تنفيذ خطتها ، لتأكد وجودها ، وتؤكده بمزيد من الدماء تروى بها الارض ..

ولم يكن الكونت برنادوت وسيط الامم المتحدة سوى ضحية جديدة ، فى قائمة طويلة من ضـحايا عصـابات الارجـون والهجاناه ..

وظل تقريره ، وقرار الامم المتحدة الذى بنى عليه مجرد حبر على ورق ، وكـانت الامم المتحدة تصدر كل عام قرارا جديدا ، او مجددا ، تؤكد به حق الفلسطينيين فى العودة الى اراضيهم وممتلكاتهم ، وتلقى تعويضات عن الخسائر التى حاقت بهم ، لكن اسرائيل كانت لا تلتفت كثيرا الى مثل هذه القرارات ، فلم يكن المجتمع الدولى يهمها ، فمن ورائها تقف قوى عاتية ، هى قوى الاستعمار بشكليه ، القديم والجديد ..

كانت قوى الاستعمار هذه هى فى الوقت ذاته قوى الضغط المؤثر داخل اروقة الجمعية العامة ومجلس الامن . وبذلك ظلت الامم المتحدة عاجزة تماما عن وضع اية برامج فعالة لتنفيذ سياستها .

اما الحكومات العربية فقد حاولت ــ قدر ماكانت امكانية الحركة متاحة لها ــ ان تؤكد فى كل مناسبة حق اللاجئين فى العودة الى فلسطين ، وتؤيد رفضهم قبول تعويضات عن ممتلكاتهم الا لو كانت مقرونة بفرصة الاختيار الحر للعودة .

وبالاضافة الى هـذا فان الحكومات العربية طالبت بدفع ايجار سنوى للاجئين من كل الفترة السابقة التى استغلت فيها اسرائيل ممتلكاتهم . ورفضـت اسرائيل باصرار مبدأ حرية العودة ، كمـا رفضت مبدأ دفع الايجار السنوى .

ويقول جون دينيز انه « نتيجة لهذا فانه خلال اكثر من عشرين سنة فان سـكان اسرائيل احتلوا واستغلوا الممتلكات التى تخص الفلسطينيين بدون دفع قيمة ايجارية أو تعويضات وبدون اعطاء ضـمان لهم بالعودة .

وليس من شك أن حياة الشعب الذى تحول الى لاجئين طوال تلك الفترة تستحق ان تسجل فى صفحات التاريخ دليلا حيا على بطولة شعب واصراره على البقاء ، واصراره على مغالبة الالام ... على طريق طويل ، لم تكن خطة « دالات » أو « د » هى بدايته كما انها لم تضع نهاية لشعب فلسطين .. ولم تكن تلك الفترة ، فترة الضياع هذه الا معبرا الى مرحلة جديدة من الصراع الكبير ..

« للبحث بقية »

فكر وفن

أدب • شعر

قصة • مسرحية

فن

إسلامي

زمن الليل

الاستاذ حسين الطوخي

● اشتد الشقاء بقريش مما أصابها فى عداوة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ومن أسلم معه منهم ، فاغروا به سفاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، والرسول مظهر لامر الله ، مكاشف لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه اياهم على كفرهم وما يضمرون له من كراهية وبغضاء ..

قالوا فى نواديهم ومحافلهم : لقد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم .

ولما رأى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، لمنزلته من الله تبارك وتعالى ، ومكانته من عمه ابى طالب ، وانه لا يقدر على أن يمنع عنهم ماهم فيه من بلاء ومحنة ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه .. فخرج عندئذ المسلمون من أصحاب رسول الله الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فكانت اول هجرة فى الاسلام .

وفى الحبشة ، أصاب المسلمون بها دارا وقرارا وجاوروا بها خير جوار للنجاشى الذى أمنهم على دينهم فأخذوا يعبدون الله جهرة من غير أن يؤذيهم أحد أو يسمعوا ما يكرهون .

وانقضت سنوات عصيبة على الرسول فى مكة وهو

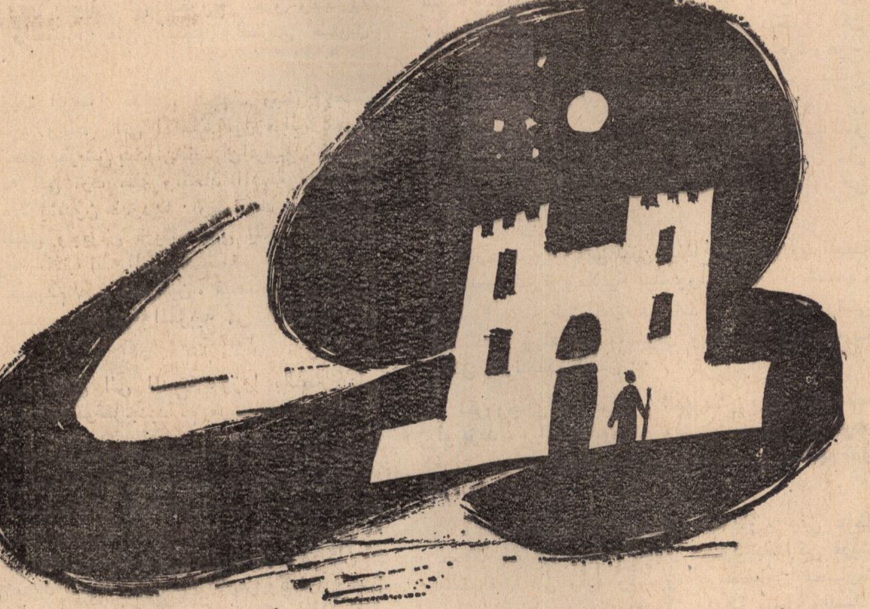

بعاني وصحابته من عنت قريش وايذائها له مالايطيقه ويصبر عليه الا أشداء الرجال • وحين استأذن « ابو بكر » رضوان الله عليه رسول الله فى الهجرة الى المدينة ، قال له صلوات الله عليه : لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحبا • ثم أمر رسول الله اصحابه من المهاجرين من قومه الذين عادوا من الحبشة ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وهو يقول لهم « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها »فخرجوا ارسالا ، واقام صلوات الله عليه بمكة ينتظر اذن ربه فى الخروج منها والهجرة الى المدينة •

وان هى الا أيام معدودة ، ثم اذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة ، فصحب معه ابابكر حيث قدمها فى شهر ربيع الاول ، وبنى له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له اسلام هذا الحى من الانصار ، ولم تبق دار من دور الانصار الا أسلم أهلها عدا ما كان من بعض قبائل الاوس فانهم اقاموا على شركهم وانكارهم للاسلام •

لكن الرسول صلوات الله عليه رغم اطمئنان قلبه وراحة نفسه بالانتقال الى المدينة ، وان الاسلام جعل يفشو فى القبائل ، وخاصة بعد اسلام عمر بن الخطاب ، الا أنه صلوات الله عليه رأى نفسه فى مفترق طرق تكتنفها الصعاب وتهب عليها تيارات تثير فى النفوس زوابع الغيرة ورياح السيادة التى تتنازعها القبائل العربية من قديم الزمان •

ويختلى الرسول بنفسه فى أخريات الليل ، ويتطلع الى السماء مناجيا ربه وخالقه وباعثه بالهداية ، ينير لبصيرته دياجير تلك الدروب التى يوشك ان يسلكها مكلفا بنشر الرسالة وداعيا الناس الى الخروج من ظلمات جاهليتهم الى نور الاسلام الباهى الوضاء •

وحين يطلع الصباح ، يتجه الى المسجد ويؤدى فريضة الصلاة مع صحابته ، ثم يتجه الى سوق المدينة ويدعو الناس الى كلمة سواء •

ويكتب صلوات الله وسلامه عليه كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود المدينة وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم •

ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وان لهم دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من أظلم وأثم فانه لا يهلك الا نفسه وأهل بيته •

لم يكن بد من موادعة يهود المدينة فهم فى كثرة من العدد ووفرة فى الاموال ولهم تجارات وصناعات تمتلىء بها الاسواق والقوافل ويرتزق منها الناس كبيرهم وصغيرهم وغنيهم وفقيرهم على السواء •

المدينة أيامئذ تعج وتصطخب بقبائل اليهود من بنى النضير وبنى قريظة وبنى النجار وبنى قينقاع وبنى عوف وبنى ساعدة وبنى جشم وغيرهم وكلهم بعضهم لبعض ظهير ، واذن فقد كانت حصافة من النبى ان

يوادعهم وهو بسبيله الى الخروج للغزو ومحاربة المشركين والقضاء على افكهم والطريق طويل وشاق ..

ويستجيب الرسول لداعى الجهاد ويخرج من المدينة غازيا وداعيا الى الاسلام بين قبائل العرب ويشتد الحنق بقريش بعد انظنت أن الرسول قد قنع من دعوته الى ترك مكة واتخاذ المدينة مقاما له ولانصاره لا يتعدون حدودها . وتتصاعد الحرب بين جيوش النبى وجيوش قريش حتى يلتقى الجمعان فى « **بدر** » ويكتب الله النصر للمسلمين فيشتد أزرهم ويتضح خطرهم على المشركين ، فيحسون ان تغييرا كبيرا سيصيب الجزيرة العربية من أدناها الى أقصاها .

ثم يعود النبى الى المدينة مؤزرا بالنصر على المشركين ليواجه موقفا جديدا لم يعرض له من قبل .

وجد الرسول صلوات الله عليه ان اليهود رغم ما خصهم من النعمة والكرامة ، كانوا يضمرون البغضاء له وللمسلمين ، وان أحبارهم نصبوا له وللمسلمين العدواة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم (من العرب) ثم كان ان مال الى يهود المدينة رجال من الاوس والخزرج ممن كانوا ممعنين فى جاهليتهم وشركهم ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث .

بادر بنوقينقاع باظهار عدواتهم للرسول وقومه بعد أوبته من غزوة بدر ، وطفقوا يتداولون وقائع هذه الغزوة ويقولون : لم يلق محمد من يحسن القتال ، ولو لقينا لاقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد ، وأظهروا نقض العهد .

يومئذ جمعهم النبى بسوق بنى قينقاع وقال فيهم : يامعشر اليهود ، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم ، وفى عهد الله اليكم .

ورد اليهود على النبى يقولون يامحمد ، أترى اننا كقومك ! لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، وأنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس ..

انصرف النبى يومئذ عائدا الى بيته وقلبه يضطرم بأحاسيس شتى . انه اليوم يرى امامه عدوين لا يقل خطر أحدهما عن الاخر . جبهتان ضاربتان لم يجد النبى مناصا من مواجهتهما معا . جبهة تعلن عدواتها سافرة غير متوارية هى جبهة المشركين فى قريش ، واخرى مستترة تتوارى فى مسوح دهائها وخبثها ، وهى جبهة يهود المدينة الذين ينفثون سم احقادهم فى المحافل والنوادى ويثيرون الشكوك والشائعات بين المسلمين حتى يتركوا هذا الدين الجديد ويعودوا الى دين الاباء والاجداد .

وينزل جبريل عليه السلام على النبى بهذه الاية : « **واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء** » فلما فرغ جبريل من هذه الاية ، قال الرسول صلوات الله عليه : انى أخاف من بنى قينقاع . لكن الله تبارك وتعالى شد من عزمه فحزم أمره ، وخرج مع اصحابه من المسلمين وحاصر يهود بنى قينقاع خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ، ثم نزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم ، ثم كلم فى شأنهم فأمر باجلائهم من المدينة ومصادرة ما يملكون من مال ومتاع وسلاح وآلات صياغتهم حيث كانوا يعملون فى صناعة الذهب والحلى .

أثارت غزوة النبى لبنى قينقاع ثائرة يهود المدينة فاجتمعوا سرا وعلانية ليأججوا البغضاء ضده ، ويؤلبوا عليه المشركين فى المدينة وفى مكة وفى الطائف ، ويمدونهم بالاموال وبالسلاح وبأخبث ما يتفتق عنه ذهنهم اللعين ..

لكن رجلا واحدا من كبار اليهود كان يعدل الفا منهم أو يزيد .. انه « أبورافع » شيخ دهاتهم ، وأكثرهم ثراء ، وأشدهم بغضا للنبى ودعوته ، وأفحشهم أذى لرسول الله .

وعند « ابى رافع » بأرض الحجاز ، وفى داخل حصنه المنيع ، يجتمع احبار اليهود بمشركى قريش يستمعون الى رأيه ومشورته ويخططون لمحاربته والقضاء على دعوته بعد أن يمدهم بالمال والسلاح والرجال .

كان النبى يدرك خطر « ابى رافع » ولا يستهين بشأنه ، لكنه كان يتخير الظرف المناسب للخلاص منه ومن شروره وآثامة ومما يبيته للاسلام والمسلمين من العداوة والبغضاء .

ويصل الى علم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما انتوى عليه « أبو رافع » بعد أن بلغه اجلاء بنى قينقاع من المدينة ، فيبعث اليه رجالا من الانصار على رأسهم « **عبد الله بن عتيك** » ينذره بأن يكف عن ايذاء المسلمين ومناصرة كفار قريش ، او تكون بينهما حرب ضارية لا يكون الخاسر فيها غير ابى رافع ..

ويصل الرجال المسلمون الى موضع الحصن ، ويطلب « ابن عتيك » الى رجاله ان يبقوا بعيدا عن المكان ريثما يحاول الدخول بمفرده الى حيث يجد ابا رافع .

وكانت غبشة الغروب تزحف حثيثا على الكون والكائنات وابن عتيك قد دنا من باب الحصن متقنعا بثوبه ، فظنه البواب . واحدا من سمار صاحب الحصن الذين يتوافدون ليقضوا معه ساعات الليل يقصفون ويمرحون ويسفهون الدعوة الجديدة على رنين الكئوس وغناء الجوارى والندمان .

قال حارس الباب لابن عتيك : ياعبد الله : انكنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن اغلق الباب .

ساعتئذ تهللت اسارير ابن عتيك وهو يجتاز بوابة الحصن متمتما بالتحية الى حارس الباب ، ولما ان جاوزها كان الظلام قد أطبق على المكان ، فاسرع ابن عتيك الى مربط الدواب • وانزوى فى ركن قصى منها ريثما تحين فرصته لتنفيذ ما اعتزم عليه •

وانقضى وقت طويل على ابن عتيك وهو فى مكمنة • وكانت أصوات القصف والغناء والسمر تتناهى الى سمعه فيحس كأنها مطارق ثقيلة تهوى على رأسه وتكاد أن تصيبه بالدوار •

وينفض سامر ابى رافع ويأخذ السمار فى مغادرة الحصن والفجر يوشك ان يطلع •• ولما استوثق ابن عتيك من انصراف آخر زائر ، وان حارس الباب قد احكم اغلاقه ، تسلل من مكمنه على أطراف أصابعه وكلما صادف بابا فتحه فى هدوء ثم اغلقه من ورائه حتى وصل الى القاعة المنشودة فأبصر أبا رافع يتهيأ للنوم وسط عياله •

ساعتئذ نادى ابن عتيك : يا أبا رافع • أجابه اليهودى : من هذا ؟ اقترب ابن عتيك من مصدر الصوت ثم أهوى بسيفه نحوه فلم يلبث ان سمع صياحا تبعه انين وحشرجة فأدرك أن السيف قد أصابه فى مقتل •

وعاد ابن عتيك أدراجه وأخذ يفتح بابا فبابا حتى انتهى الى درجة ما أن وضع رجله عليها حتى هوى الى الارض فانكسرت ساقه فسارع بعصبها بعمامته ثم انطلق الى باب الحصن وجلس متواريا فى مكان لا يراه فيه أحد •

وطلع النهار ، فسرى النبأ الى جميع من بالحصن وقام الناعى عليه واعتلى سور الحصن • وقال : أنعى أبا رافع رباح أهل الحجاز • مات ابو رافع يامعشر اليهود •• واحزناه ••

وانطلق ابن عتيك الى اصحابه يحمل اليهم النبأ ويقول : النجاء ! قد قتل الله ابا رافع •

وعاد الانصار الى المدينة يحملون ابن عتيك حتى دخلوا على النبى صلوات الله وسلامه عليه ، فحدثه بما جرى ، فقال صلوات الله عليه : ابسط رجلك ، فبسطها ثم مسحها النبى بيده الكريمة فكانما لم يشتك منها ابن عتيك قط ••

من التراث الفني الإسلامي

عمارة المسجد

الدكتور حسن الباشا

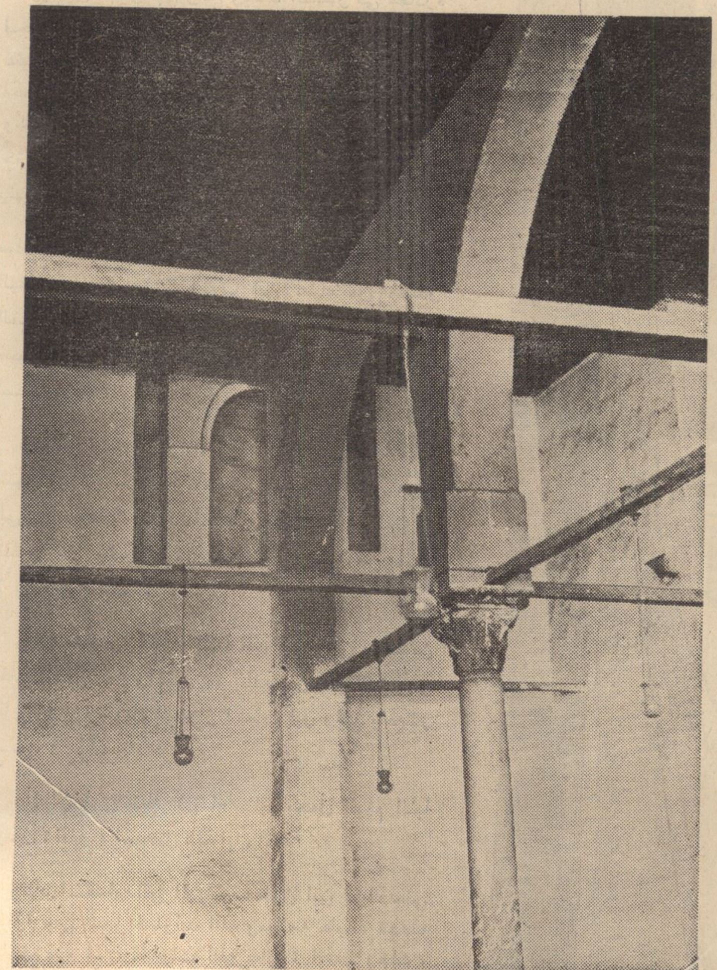

عمود برواق القبلة بجامع عمرو بن العاص

جامع عمرو فى العصر الفاطمى

اتخذ جامع عمر بن العاص تصميمه الرئيسى بعد العمارة التى أجريت فيه على يد عبدالله بن طاهر فى سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م (حيث بلغ حدوده النهائية التى ظل عليها الى الان .

ولم يتم بالجامع منذ ذلك التاريخ حتى دخول الفاطميين مصرفىسنة٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) أية عمائر **مهمة تغير من معالمه تغييرا جوهريا .**

ومع ذلك فقد ألحقت به فى تلك الفترة زيادتان فى خارجه : أضيفت أولاهما فى سنة ٢٣٧ هـ على يد الحارث بن مسكين عند توليه القضاء من قبل المتوكل على الله : اذ أمرببناء رحبةالى جانب جدار الجامع الايمن) أو الجنوبىالغربى) ليتسع بها الناس ، وقد صار الناس يتبايعون فيها يوم الجمعة . وقد أضيف الى هذه الرحبة فى سنة ٣٥٧ هـ رواق مقداره تسع أذرع أو حوالى ستة أمتار ونصف ، وقد بدأ بناء هذا الرواق على يد أبى بكر محمد بن عبدالله الخازن ، وتم فى شهر رمضان سنة ٣٥٨ هـ على يد ابنه على ابن محمد . وزود هذا الرواق بمحراب وشباكين .

أما الزيادة الثانية التى أضيفت الى الجامع فقد تمت على يدأبىايوب أحمدبن محمد بن شجاع : أحد عمال الخراج فى عهد أحمد بن طولون . وكانت هذه الزيادة أمامواجهةالجامع الرئيسية ، وصارت تعرف برحبة أبى أيوب ، وكان فى غربيها محراب ينسب الى أبى أيوب أيضا .

وعلى الرغم من أن أحمد بن طولون انتهى فى سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) من تشييد جامعه الضخم الذى لا يزال باقيابمعظم معالمه الاصليةحتى اليوم فقد احتفظ جامع عمرو بمكانته باعتباره الجامع العتيق ، وأول جامع بنى فى مصر وذكر فيهاسم الله تعالى ، كما ظل الجامع الاساسى الذى تقام فيه الصلوات ، وتعقد فيه الجمع والجماعات ، ويقصده المسلمون من سائر أنحاء مصرللصلاة فيه ،ويحرص القادمون الى مصر على زيارته لمشاهدته والتبرك به .

وقد حدث فى عهد ابن طولون أن سطا أحد اللصوص على بيت المال فى جامع عمرو وسرق منه بعض الدنانير ثم قبض عليه ابن طولون . وكان بيت المال هذا قد بناه بالجامع أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بمصر فى سنة ٩٧ هـ ليحفظ به مال الدولة ، أو ليودع به أموال اليتامى .

وقد حاول البعضنهبه فىسنة ١٤٥ هـ أثناء ولاية يزيد بن حاتم المهلبى ، غير أنهم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يحصلوا منه على شىء كثير ثم انتهى أمرهم بعد أن انفذ اليهم الوالى من تصدى لهم .

وقد شاهدبيتالمال بجامععمرو الرحالة ابن رسته الذى زاره فى القرنالثالثالهجرى ووصفه فى كتابه « الاعلاق النفيسة » بأنه يقع أمام المنبر ، وأنه على هيئة حجرة فوقهاقبةوترتكز على أعمدة من حجارة ، وكان منفصلا عن سطوح المسجد ، ولا يمكن الوصول اليه الا عن طريققنطرةمن الخشب كانت تجر بالحبال حتى يستقر طرفها على سطح المسجد ، وكان له باب من حديد بأقفال . وواضح من وصف ابن رسته أن بيت المالكان فىرواق القبلة ،غير أنه يبدو أنه لم يأت القرن الخامس الهجرىحتى كان بيت المال قد نقل الى الرواق المواجه لرواق القبلة .

وفى عهد خمارويه بن احمد بن طولون اجتاح جامع عمرو حريق فى سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) دمر معظم عمارة عبدالله بن طاهر والرواق الذى عليه اللوح الاخضر ، فأمر خمارويه بعمارة الجامع وترميمه واعادته الى ما كان عليه . وقد تكلفت هذه العمارة ٦٤٠٠ دينار ، وتم فيها تزويق أكثر أعمدة الجامع ، ووضع لوح أخضر بدل اللوح الذى كان قد دمره الحريق .

وظل جامع عمرو أيضا موضع عناية الاخشيديين : ففى عهد الاخشيدذهبت أكثرعمده فى سنة ٣٢٤ هـ : ولم يكن بالمسجد قبل ذلك عمد مذهبة غير أربعة عمد حول قبلة المسجد كان قره بن شريك قد ذهب رءوسها .

وفى سنة ٣٣٦ هـ بنى فيه غرفة فى السطح ليؤذن فيها المؤذنون وذلكعلى يدأبىحفص العباسى وكان قد ولى قضاء مصر .

وأضيف الى رحبة الحارث رواق فى سنة ٣٥٧ هـ كما سبقت الاشارة الى ذلك •

ولم يفقد جامع عمرو مكانته بعد دخول الفاطميين مصر فى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) •حقا أن الفاطميين أسسوا عاصمة جديدة فى شمال شرق الفسطاط هى القاهرة التى اتخذوها مركزا لاقامة الخليفة وحاشيته ومقرا لحكومته، وبنوا فيها مسجدا جديدا هو الجامع الازهر الذى اعتبروه منذ البداية أشبه بالجامع الرسمى لهم •

ولكن مع ذلك ظل جامع عمرو هو المسجد الجامع للفسطاط أو لمصر كما كان الفسطاط يسمى ، ولاسيما اذا تذكرنا أنه كانت قد خربت على يد العباسيين مدينة القطائع التى بناها أحمد بن طولون مما أدى الى اهمال جامع ابن طولون كما كان الولاة العباسيون قد رجعوا الى الاقامة بالفسطاط بعد القضاء على الطولونيين •

وقد ظلت مدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى المدينة الرئيسية من حيث العمل وسكنى الشعب ومن ثم ظل جامع عمرو محط العناية والرعاية من الحكومة الفاطمية ومن الشعب على السواء •

وقد وصف الجامع فى بداية العصر الفاطمى الرحالة أبو عبدالله محمد بن احمد المقدسى البشارى صاحب كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » الذى زاره قبل سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) • وقد ذكر المقدسى أن جامع عمرو كان يسمى السفلانى تمييزا له من جامع ابن طولون الذى بنى على تل مرتفع ، كما ذكر أنه جامع فخم حسن البناء فى حيطانه شىء من الفسيفساء ، وتعتمد اسقفه على أعمدة رخام ، وبه منبر حسن البناء ، وأنه أعمر موضع بمصر ، والازدحام فيه كثير •وذكر أن الاسواق تحيط به الا أن بينه وبينها دار الشط وخزائن وميضأه •

وقد حرص الفاطميون على عمارة جامع عمرو وتجميله وتزويده بالاثاث الفخم حتى بلغ أوج ازدهاره فى عهدهم •

ففى سنة ٣٧٨ هـ فى خلافة العزيز بالله ثانى الخلفاء الفاطميين بمصر شيدت فوارة تحت قبة بيت المال ، كما أضيفت مساقف خشب حولها ، ونصب فى الفوارة حباب الرخام للماء • ويقال ان هذه الفوارة كانت أول فوارة تبنى فى جامع عمرو •

غير ان أهم اعمال التعمير التى أجريت بجامع عمرو فى العصر الفاطمى تمت فى عهد الحاكم بأمر الله • وقد شملت هذه عمل عمائر وتأثيث وتجميل •

فمن حيث العمارة والتجميل أجرى بالمسجد فى سنة ٣٨٧ هـ بعض ترميمات على يد برجوان الخادم • وكان من ضمن هذه الترميمات تجديد بياض المسجد ، وقلع جزء كبير من الفسيفساء بأروقة المسجد ، وتبييض مواضعه •

وفى سنة ٤٠٦ هـ أمر الحاكم بعمل رواقين فى صحن المسجد •وقد أقيم هذان الرواقان على عمد من حجر بدلا من عمد من خشب كان قد نصبها ابو أيوب احمد بن شجاع فى سنة ٢٥٧ هـ بناء على أمر احمد بن طولون وجعل عليها ستائر لتقى الناس من حرارة الشمس • ويقال ان الحاكم اراد أن تدهن هذه العمد الخشب بدهان أحمر وأخضر فلم يثبت عليها الدهان، فأمر بقلعها وجعلها بين الرواقين • وقد ذكر ابن دقماق انه باضافة هذين الرواقين كملت عدة أروقة الجامع فصارت سبعة فى مقدمه ، وسبعة فى مؤخره ، وخمسة فى شرقيه ، وخمسة فى غربيه ، وبذلك اتخذ الجامع التصميم الذى يمثل فى نظر العلماء المحدثين أكمل مراحله •

والى جانب عمارة الجامع اهتم الحاكم بالتأثيث : ففى سنة ٤٠٣ هـ أمر بأن ينزل اليه من القصر بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات منها ما هو مكتوب كله بالذهب ، وقد مكن الناس من القراءة فيها •

كما أمر الحاكم بصنع تنور ضخم لانارة الجامع ، وقد تم صنع التنور وكان فيه مائة الف درهم فضة • وكان هذا التنور من الضخامة بحيث تعذر ادخاله من باب الجامع الا بعد قلع عتبتى الباب • وقد علق التنور فى الجامع فى احتفال كبير حضره جمع غفير من الناس •

وفى سنة ٤٠٥ هـ أمر الحاكم بتزويد جامع عمرو بمنبر كبير • ومما تجدر الاشارة اليه أن جامع عمرو ظل محتفظا بالمنبر الخشب الذى كان قد نصبه قره بن شريك به فى سنة ٩٤ هـ والذى كان يعتبر أقدم منبر فى الاسلام بعد منبر النبى صلى الله عليه وسلم وبقى هذا المنبر بالجامع حتى قدوم الفاطميين الى مصر • ثم قام يعقوب بن كلس فى عهد الخليفة العزيز فى سنة ٣٧٩ هـ بقلع منبر قرة وكسره ، وجعل مكانه منبرا مذهبا • وقد قام الحاكم بنقل هذا المنبر المذهب الى جامع عمرو بالاسكندرية ،وجعل مكانه المنبر الكبير الذى سبقت الاشارة اليه • ولم يلبث أن وجد هذا المنبر ملطخا ببعض القاذورات فوكل به من يحفظه ، ثم عمل له غشاء من أدم مذهب .وقد غير الحاكم خطيب الجامع اذ صرف بنى عبد السميع عن الخطابة بعد قيامهم بها نحو ستين سنة وأسند الخطابة بالجامع الى جعفر بن الحسن بن خداع الحسينى الذى خطب على المنبر وهو مغشى •

وقد بدأت فى جامع عمرو فى عهد الخليفة

المستنصر سلسلة من أعمال التعمير والتجميل . ففى سنة ٤٣٨ هـ عملت منطقة فضة فى صدر المحراب الكبير اثبت عليها اسم الخليفة ، وجعل لعمودى المحراب اطواق فضة .وقد بقيت هذه الفضة بالجامع الى أن نزعت فى عهد صلاح الدين ضمن ما نزع من مناطق الفضة من جوامع القاهرة .

وفى سنة ٤٤١ هـ تم تذهيب الجدار القبلى ، وفى سنة ٤٤٢ أجريت بعض أعمال العمارة والتجميل منها تعمير غرفة المؤذنين بالسطح واقامة مطلع للسطح من الخزانة المستجدة فىظهر المحراب الكبير . وقدكشف حديثا عن باب على يمين المحراب الاوسط يرجح أنه كان باب الخزانة المستجدة .

هذا ولقد زارناصرىخسرو الرحالة الفارسى جامع عمرو فى حوالى ذلك الوقت وبالغ فى الاشادة به وبفخامته . وقد وصف ناصرى خسرو الجامع بأنه قائم على أربعمائة عمود من الرخام ، وأن الجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بالواح الرخام الابيض التى نقش عليها آيات من القرآن الكريم بخط جميل . وذكر ان المسجد كانت تحيط به الاسواق من جهاته الاربع ، وكانتابوابه تفتحعليها .وقال انه كان يوقد فيه فى ليالى المواسم أكثر من سبعمائة قنديل ، كما ذكر أن المسجد كان يفرش بعشرطبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض ،ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك .

وفىعهد المستنصرزودجامع عمرو ببعض قطع من الاثاث تعتبر ظاهرة مهمة فىأثاث الجوامع : ذلك أنه فى شهر ربيع الاخر من سنة ٤٤٢ هـ عملت لموقف الامام فى زمن الصيف مقصورة من خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل ، وكانت هذه المقصورة تقلع فى الشتاء اذا صلى الامام فى المقصورة الكبيرة . ويذكرنا هذا الاثاث الخشبى بالمحاريب الخشبية التى يمكن نقلها والتى اقتصر ظهورها على العصر الفاطمى ، وقد وصلنا منها ثلاثة محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

هذا وقد تم فى عهد المستنصر أيضا تزويد جامع عمرو بمئذنة فى سنة ٤٤٥ هـ على يد القاضى ابى عبدالله احمد أبى زكريا.وقد شيدتهذه المئذنة وسط الجدار القبلى . كما شيدت بالجامع مئذنتان اخريان فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) فى عهد الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى : احداهما صارت تعرف باسم المئذنة الكبيرة ، وكانت فى الطرف الايسر من جدار القبلة حيث يوجد الان الضريح الذى يطلق عليه اسم ضريح عبدالله بن عمرو ، والثانية المئذنة السعيدية وكانت وسط الواجهة البحرية ، وربما كانت فى الموقع الذى تشغله الان المئذنة القائمة فوق باب الجامع أو ربما كانت فوق الباب الثانى الاوسط بنفس الواجهة .

وقد ارتبط بجامع عمرو فى عصر العباسيين وعصر الفاطميين بعض أمور وعادات صارت من التقاليد المرعية من ذلك انه اشتهر به بعض اماكن صار يتبرك بها الناس وصار يستحب الصلاة والدعاء عندها مثل بعض ابوابه ، ومحراب صغير كان فى جدار الجامع الغربى ، وخرزة البئر واللوح الاخضر ، وسطح الجامع ، وزاوية كانت تسمى زاوية فاطمة نسبة الى فتاة اسمها فاطمة ابنة عفان كان ابوها قد أوصى بأن تترك فى الجامع فتركت فى هذا المكان فعرف بها .

وكان من العادات المتبعة ألا يغلق الجامع فيما بين الصلوات وقد حدث أن أمر أحد الولاة فى سنة ٢٩٤ هـ باغلاق المسجد وعدم فتحه الا فى أوقات الصلوات

جزء من الرواق المواجه لرواق القبلة بجامع عمرو ويشاهد به بابان من أبواب الجامع ..

وقد نفذ هذا الامر عدة ايام فضج اهل المسجد ففتح لهم .

ولم تكن صلاة العيد تقام بجامع عمرو فى القرون الثلاثة الاولى ، ولكن فى بداية القرن الرابع الهجرى بدأت به صلاة الفطر ، ويقال ان ذلك كان فى سنة ٣٠٦ هـ أو ٣٠٨ هـ وذلك حين صلى فيه رجل يعرف بابن أبى شيخة .

وقد بدأفىعصر الفاطميينتقليد ظل مرتبطا بجامع عمرو فترة طويلة وهو : اقامة صلاة آخر جمعة فى رمضان به ، وكانت عادة الخليفة أن يصلى الجمعة الثانية فى جامعالحاكم ، والثالثةفى الجامع الازهر ، والاخيرة فى جامع عمرو ، وكان الخليفة يذهب الى الجامع فى موكب فخم . وقد بطلت هذه العادة بعد الدولة الفاطمية ثم بعثت من جديد فى عهد مراد بعد اصلاح الجامع فى سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) .

دموع الإيمان

الشاعرة روحية القليني

أنا فى الهجير اذا شربت الماء أذكر خالقى
ظمأى يروينى بعذب السلسبيل الرائق
واذا نظرت الى السهول لكل صخر شاهق
واذا نعمت بصحتى وبكل حسن فائق
واذا غفوت وما يؤرقنى ضجيج الناعق
واذا انقضى يومى سلاما دون صعب عائق
واذا الجميع احبنى فاهتز ودا خافقى
واذا النجوم تناثرت دررا بحسن شائق
واذا تحققت الامانى بعد يوم ضائق
واذا الغيوم تقشعت فى صفو ليل بارق
والليل يبدو كالصباح بنور بدر آلق
واذا الغصون تمايلت بتباعد وتوافق
واذا الزهور سرت نسيما بالعبير الدافق
والمعجزات تحدت الدنيا بقدرة واثق
فبكل ثانية تمر أنا أمجد خالقى
لبهائه لجلاله وبكل حسن آنق
انى أحب الله حبا فوق حب الوامق
وينوب دمعى ــ حين أشكر ــ عن لسانى الناطق

يارب هذا نشيدي

الشاعر عبد الله شمس الدين

الليل طال على روحي .. واجهدني
والقلب أعياه مايغشاه من حزن
يارب والفتنة البكماء قد نطقت
والعقل أوشك أن يهوى مع الفتن
يارب : أى زمان نحن نشهده
لهفي على كل من عانى معى زمنى

•••

لهفي على الكوكب الارضى .. ترجفه
قوى التسلط والارهاب والمحن
العلم سخر للتدمير .. وا أسفى
وأصبح الشر قاموسا من الفطن
ضل الانام على علم .. فقد جهلوا
حقيقة العلم جهلا غير مؤتمن
والعلم في كنهه هدى ومعرفة
ونهضة وارتقاء حافل المنن
ولايرى النور عمي في بصائرهم
ضلوا بأوهامهم في مهمه عفن

•••

يارب : هذا نشيدى جئت أعزفه
وأنت حسبى ترعانى وتسمعنى
انى عييت بأيامى وعالمها
صافيتها .. وهى تأبى أن تصافينى
حييت أعصر من روحى لها نغما
لعلها بصفاها بعد تؤثرنى
فما استجابت كما أبغى . وما انعطفت
كما أريد .. وقد باتت تحاورنى
يارب أنت لقلبى .. أنت خالقه
وأنت لى سند فى السر والعلن

من وحى صمود الشعب

الطوفان

الشاعر احمد عثمان المراغى

اخى فى الله • قم صل معى من أجل أوطانى
فقد صلى على أرضى • بنور الله وجدانى
وفى محراب ايمانى • سرت أضواء ايمانى
تجوب مشارف الدنيا • ليشهد كل انسان
مدى حقى الذى يبدو • وقد حياه طوفانى
وفى عزم مشى ركبى • باصرار لشطآن
وشق الصعب جبارا • ولم يذعن لطغيان
ولم يرهب قيود الظلم • أو يركع لسجان

•••

وسار يعانق الامواج • لحن النصر يشجيه
وفوق اليم • قد غنى أناشيدا تواسيه
وتلقى حوله الازهار • تحكى عن أمانيه
وفى تيه بدا الفجر نديا فى حواشيه
وأرخى النور فضفاضا عليه فى مغانيه
ولاحت شمسه بالنصر • رغم الصعب تهديه
فهذا موكب الشعب ومن للشعب يثنيه
عن الامال والتحرير • فالدنيا تذكيه

•••

حقوق الشعب ياوطنى عيون ترقب النصرا
وترصد خطوة الاحرار حرا يدفع الحرا
الى الميدان يلقاه ابيا صادقا برا
فقد صاغ الوفاء الجم ياوطنى هنا زهرا
يبث اريجه الممدود فوق قناتنا عطرا
ويفرش أرض أجدادى بحب يصنع الصبرا
باقلام من الاصرار • هبت تطلب الثأرا
وتنقش آية النصر على هام الورى طرا

•••

فياعرقى الذى كم سال من وجهى على صدرى
وكم غطى أكف الاهل من رسغ الى ظفر
وكم قد ألبس الفلاح أثوابا من الحر
فذابت حوله الشمس ومال الفأس للصخر
يعانقه • يقبله • ويحكى قصة العمر
لشعب هد معوله حصون الظالم الغر
وفاض ليغرق الطغيان فى بحر من الجمر

فن المدائح النبوية .. بين النشأة و التاريخ

الاستاذ محمد دياب

هذا فن من فنون الادب الاسلامى نابض وغزير .. فن جذب اليه الائمة والشعراء .. وأثار فى الناس نوازع الروح والعاطفة وضروب السحر والفنون ، ومنحهم الوانا من الثقافة الادبية والدينية الصادرة عن قلوب مترعة بالحب والصدق ، ملهمة بتلك الاقباس الروحية التى سكبها نبى الاسلام فى فؤاد الوجود .

ومع كل ذلك ، فان هذا الفن مازال يعانى كثيرا من الغربة والتجاهل .. مازال فنا مجهولا لايعنى به انسان ، ولا يهتم به احد من الباحثين فى تاريخ الفن الادبى قديما وحديثا ، على كثير ماشغل به اولئك الباحثون من القشور والتفاصيل .

كيف نشا هذا الفن .. وكيف تطور ؟ ماهو تاريخه ومن هم اصحابه وفرسانه ؟ ثم ماهى غايته ورسالته ؟

لا احد يجيب !

مرة وحيدة .. حاول رجل ان يجيب .. ان يكشف النقاب عن هذا الفن المجهول .. ان يؤرخ له من بدء ظهوره الى اليوم .. ان يشيد بالشخصيات القوية التى نشرت أعلامه فى تاريخ اللغة العربية .. وأن يكشف عما فى آثار هذا الفن من الالفاظ والتعابير والمصطلحات .. وان يحلل قصائده التى اثرت فى البيئات الشعبية .

ثم وقف الرجل بعد محاولته الجسور ينادى كل الباحثين فى تاريخ الادب ان يواصلوا بعده المحاولات .. ان يضيفوا جديدا .. ان يدرسوا هذا الفن لان فيه بدائع من القصائد والموضوعات ، ولان لاصحابه غايات دينية وادبية خليقة بان تدرس ، وبان يرفع عنها اصر الخمول .

ثم يهيب بهم الا ينصرفوا عنه كما انصرفوا عن درس البلاغة الدينية ، مع انه اجود من بعض ماشغلوا به ، كتشبيهات ابن المعتز ومدائح البحترى وخمريات ابى نواس .

ومع ذلك ، ظل هذا الرجل الى اليوم يسجل وحده قصب السبق ، ويملك وحده حق اكتشاف المنجم .

••

الفن الذى نعنيه اسمه « المدائح النبوية » .. والرجل الذى كشف عنه النقاب وأرخ له — لاول وآخر مرة — هو فقيد الادب العربى الدكتور زكى مبارك .

عندما قدم زكى مبارك الى الجامعة المصرية كتابه عن « اثر التصوف فى الادب والاخلاق » ، الفت الجامعة لجنة لدراسة هذا الكتاب مكونة من الدكتور منصور فهمى والاستاذ مصطفى عبد الرازق والدكتور عبد الوهاب عزام .. وأعجبت اللجنة اعجابا غير محدود بهذا الكتاب .. ولكن بابا واحدا منه نال من اللجنة ماهو اكثر من الاعجاب .. لقد قررت ان يصدر هذا الباب وحده مستقلا فى كتاب خاص ، باعتباره اول دراسة من نوعها ترسم خصائص المدائح النبوية فى الادب العربى .

والمدائح النبوية كما ترسمها لنا تلك الدراسة

الرائدة ، فن من فنون الشعر التى اذاعها علم التصوف ، وباب من الادب الرفيع يعبر عن العاطفة الدينية المشبوبة بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب آل بيته الكرام .

وليس هناك فن ارقى واغنى من فن يستلهم وحيه من ذلك الروح العظيم الذى سيظل شعلة مشرقة بالنور .. ذلك الانسان الكامل الذى ستظل شمائله على قمة التاريخ مثلا اعلى لعظمة الروح .. وكلمة نابضة بالحجة الباقية .. حجة القرآن التى يلجا الى موردها الظمأى فى عالم العقول والقلوب والاذواق .

ولقد كانت المدائح النبوية اول الامر نوعا من المدائح التى تجرى على الطرائق الجاهلية .. ثم ترعرع هذا الفن فى البيئات الاسلامية .. وانتظم كثيرا من فحول الشعراء .. واشتمل على طوائف من النوازع الروحية .. ثم انتهى الى فن ادبى رفيع هو فن البديعيات الذى اشاع فى الناس الوانا من الثقافة باهرة وممتعة .

وقد شهد نشوء هذا الفن وتطوره .. كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يمدح كما يمدح الرؤساء فى شعر الاعشى وكعب بن زهير .. وكيف مدح بشىء من روح العطف والحنان فى شعر حسان .. وكيف مدح تدينا فى خطب على بن أبى طالب .. ثم كيف درج الشعراء بعد ذلك على الجمع بين مدح النبى ومدح آل البيت .. وكيف بلغ هذا الفن اشده فى القرن الرابع كما فى شعر الكميت ودعبل والشريف الرضى ومهيار الديلمى .. ولعل من أهم الشواهد على ازدهار المدائح النبوية ونضجها فى ذلك العصر ، ان الثعالبى جمع منها شذرات فى كتابه « سحر البلاغة » .

وفى القرن السابع ، انشد الامام البوصيرى بردته فى مدح الرسول ، فكانت اهم القصائد بين المدائح النبوية ، وكانت مصدر الوحى لكثير من الشعراء الذين انشدوا بعد البوصيرى فى مدح الرسول .

ويحدثنا البوصيرى نفسه عن سبب وضعه للبردة فيقول :

« كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله ، منها ماكان قد اقترحه على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير .. ثم اتفق بعد ذلك ان صاحبنى فالج ابطل نصفى ، ففكرت فى نظم قصيدتى هذه ونظمتها ، واستشفعت بها الى الله تعالى ان يعافينى ، وكررت انشادها ودعوت وتوسلت ونمت ، فرايت النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسح وجهى بيده المباركة والقى على بردة ، فانتبهت ووجدت فى نهضته ، فقمت وخرجت من بيتى ، ولم اكن اعلمت بذلك احدا .

« ولقينى فى الطريق واحد من الفقراء ، فقال لى : اريد ان تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله .. فقلت : ايها ؟ فقال : التى انشاتها فى مرضك .. وذكر أولها :

امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

« ثم قال بعد انشاد البيت : والله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله — ورايت رسول الله يتمايل وأعجبته ، والقى على من انشدها بردة !

« فأعطيت الرجل الفقير قصيدتى .. وذكر الفقير ذلك وشاع المنام » .

وقد ظلت قصة منام البوصيرى تطوف باطيافها فى اذهان الصوفية .. فقد خلق منه حب النبى قيثارة نبوية .. وجه ايمان الصوفية بيمن قصيدته احلامهم الى رؤية الرسول فى المنام بفضل الاكثار من تلاوة البردة مصحوبة بالصلاة على خير خلق الله .. وكانت البردة عند بعض الناس مفتاحا للمثول بين يدى الرسول .. ورؤيا النبى حق عند الصوفية وعند الفقهاء .

● ●

بردة البوصيرى تقع فى اثنين وثمانين ومائة بيت .. وتشتمل على عدة عناصر .. ففيها النسيب ، يليه التحذير من هوى النفس .. ثم مدح النبى والكلام عن مولده ومعجزاته .. ثم القرآن والاسراء والمعراج والجهاد .. ثم التوسل والمناجاة .

انظر مثلا الى دقة نظرته فى سياسة النفس .. كالتحذير من دسائس الشبع والجوع .. وتشبيه النفس بالطفل :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وهو يرى ان اداء الفرائض رتبة صغيرة لاتصل به الى درجات الاصفياء .. ويقول :

ولا تزودت قبل الموت نافلة
ولم أصل سوى فرض ولم أصم

ثم انظر الى هذه الوثبة الشعرية فى تصوير شخصية الرسول :

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وانه خير خلق الله كلهم
اكرم بخلق نبى زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر فى ترف والبدر فى شرف
والبحر فى كرم والدهر فى همم
كأنه وهو فرد فى جلالته
فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

ثم اقرأ فى بردة البوصيرى أجمل ما يوصف به القرآن الكريم ٠٠ وكيف انه ظهر « ظهور نار القرى ليلا على علم » وان المديح لايتطاول الى مافيه من كرم الاخلاق والشيم ، وان آياته :

لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن ارم

دامت لدينا فقامت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم

وتكلم البوصيرى عن الجهاد ٠٠ فوصف النبى واصحابه بالباس والقوة ، واوضح ان الاعداء سقطوا من صدمة الرعب والفزع :

راعت قلوب العدا انباء بعثته
كنبأة اجفلت غفلا من الغنم

مازال يلقاهم فى كل معترك
حتى حكوا بالقناالحما على وضم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

تمضى الليالى ولا يدرون عدتها
مالم تكن من ليالى الاشهر الحرم

ثم يصف البوصيرى جند الرسول :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم فى كل مصطدم

المصدرى البيض حمرا بعد ماوردت
من العدا كل مسور من اللمم

والكاتبين بسمر الخط ماتركت
اقلامهم حرف جسم غير منعجم

شاكى السلاح لهم سيما تميزهم
والورد يمتاز بالسيما من السلم

كانهم فى ظهور الخيل نبت ربى
من شدة الحزم لا من شدة الحزم

ومن تكن برسول الله نصرته
ان تلقه الاسد فى آجامها تجم

أحل أمته فى حرز ملته
كالليث جل مع الاشبال فى اجم

هكذا كانت البردة انشودة المدائح فى القرن السابع وما تلاه من قرون ٠٠ وكان لها تاثيرها البعيد المدى فى الجماهير الشعبية ٠٠ وفى التاليف ٠٠ وفى الدرس والاشعار والبديعيات وساد سلطانها بين الخواص والعوام ٠

ولعل فرصة مواتية اخرى تحين لاستجلاء ماقدمته لنا دراسة الدكتور زكى مبارك فى البردة وغيرها من المدائح النبوية فى الادب العربى ٠٠

واهم من هذا ٠٠ لعل الباحثين فى تاريخ الادب يولون هذا الفن الاسلامى الجليل ماهو خليق به من عناية ودرس ٠٠

مواقف خالدة

قال مروان آخر خلفاء بنى أمية لعبد الحميد بنيحيى الكاتب والاديب المشهور : قد احتجت ان تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى ، فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تحوجهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت ان تنفعنى فى حياتى ، والالم تعجز عنحفظ حرمى بعد وفاتى ، فقال عبد الحميد : ان الذى أشرت به على أنفع الامرين لك واقبحهما بى ،وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله عليك او أقتل معك وأنشد :

أسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

• • •

« اسباب التنزيل ولزومها لمن رام علم القرآن »

اتهم عمر قدامة بن مظعون بشرب الخمر وأرادعمر جلده فقال قدامة : والله لو شربت الخمر كما يقولون ما كان لك ان تجلدنى لان الله تعالى يقول :« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملو الصالحات ثماتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » وأنا منهم ٠

قال عمر : ألا تردون على هذا ؟

فقال ابن عباس : ان هذه الآيات أنزلت عذراللماضين وحجة على الباقين ، لان الله يقول « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلامرجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ٠ فان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقواوأحسنوا فان الله قد نهى أن يشرب الخمر ٠ قال عمر : صدقت ٠

مشكلة التربية والثقافة..

لقد صار من الامور المألوفة التى تلوكها الالسنة وترددها الاصوات فى كل صباح ومساء ان العصر الذى نعيش فيه الان هو عصر جديد يختلف عما سبقه من العصور اختلافا كليا باختراعاته التى تبهر الابصار : وابتكاراته التى يصم دويها الاسماع • وذلك بسبب الحظ المعجز الذى ظفرت به العلوم الطبيعية والكيميائية لاسيما بعد الحرب العالمية الثانيه ، وبسبب الدوار الذى مثلته تلك العلوم فى زلزلة الارض التى كانت البشرية تعيش عليها هادئة ساكنة ، والتى كانت الى ماقبل هذا العصر راسية راسخة ، وبسبب تلك الهزات العنيفة التى أحدثتها نتائج البحوث المعاصرة فى أمزجة بنى الانسان وأعصابهم وطباعهم ومعاملاتهم المتبادلة فيما بينهم : وبسبب تعلقات بعضهم بالبعض الاخر رغم الاستقلال الظاهرى الذى ليس سوى اردية شفافة ، وصورا براقة للحرية الزائفة التى يخدع بها الجميع انفسهم وغيرهم ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون •

حقا أنها حقبة جديدة تعلن بالحاح عن حقها فى تجديد التفكير والادراك ، وفى تطوير التعليم والتثقيف • وهى تحاول ان تطغى فتعرض المعارف التقليدية للخطر بسبب الطوفان الذى لاتنقطع امواجه العاتية ، ولاتقف تياراته المتباينة ، بل المتضاربة ، وما تقذف به الى عالمنا من مجتليات تتحدث كلها عن الكشوف العلمية التى اقلها نافع ، واكثرها مدمر ، والتى هى – فى اكثر الاحايين لسوء حظ الانسانية – بين أيد شريرة ، ومملوكة لنفوس خبيثة

ومما لاشك فيه أن هذه الزلازل المجتاحة، تقتضى من الصفوة المصلحة العناية بالمبادىء السامية اكثر من ذى قبل ، وتتطلب منها دقة مزج تلك المبادىء بالمواد التعليمية على صورة فنية عميقة ..

غير ان مشكلة التعليم فى الاونة الراهنة فى كل مكان ، تغلى وتفور وتقذف بالوان من العنف تباغتنا قوتها فى الظروف العادية فضلا عن ظروف المناورات السياسية التى تنسجها الايدى المغرضة التى تحركها من وراء ستار الاحداث المدرسية الخاصة ، او اصلاحات البرامج المحلية أو تأمين مستقبل الشباب وما الى ذلك من زوائف براقة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ولكن لاينبغى البتة ان يفهم من هذا ان الشباب ليس له مشاكل خاصة تقتضى سرعة الحل فهذا امر لايعارض فيه عاقل ويجب على الدولة ان تعتنى به اشد الاعتناء •

من أجل هذا كله كانت مشكلة التجديد الحادة

بين استقرار المبادئ و تطور العلم ودور الإسلام في ذلك

الدكتور محمد غلاب

المدبية الشائكة عسيرة او غير ميسورة الحل فهنا ـ كما فى كل مكان آخر ـ نشاهد احدى المعضلات الرئيسية تفرض نفسها بهيئة اجبارية لايمكن تجنبها ٠ وهى معضلة التوازن الذى يجب تثبيته بين قوى التقاليد او معرفة القواعد الاساسية ، والمبادىء الراسخة التى عليها تعتمد الحياة الجوهرية البشرية من جهة ،والقوى التجديدية التى تتألف من تطورات العلوم ، ومن النظريات الاجتماعية المعاصرة من جهة ثانية ٠

ومما لاريب فيه أن هذه القوى تتصادم فى صلابة وقسوة ٠ واذا لم تنجح فى ان تتبادل الانسجام وان تتسق فيما بينها اتساقا كافيا ، فانها سوف تتبادل الهدم والتحطيم ٠

ومن ثم لم يكن بد من اتحاد جميع الجهود ، اى جهود الشباب الحادة السريعة الانفعال والمندفعة الى العمل الفورى المباشر ، وتضافرها مع جهود اخوتهم الذين أنضجتهم سابقية المعارف وتجارب الحياة لكى تنهى على خير وفى نجاح تلك المهمة الضرورية التى تشغل ، بل تقلق من بيننا من هم اكثر وفاء للصدارة الثقافية وحسن القيادة التقدمية ٠

حقا : نحن الآن فى حقب التطور والانتقال ٠ وفى مثيلات هذه الحقبة يحتاج العقلاء دائما الى الاسترشاد بأضواء القيادات الحكيمة ، والاستنارة بانوار القدوة المعصومة حتى لا يهيموا فى متاهات التخبط، ولايضلوا فى صحروات الاضطراب والارتباك ٠ فهل نستطيع فى هذه الحالة ان نستعيد ذكريات العصور الاسلامية الاولى التى تجمع بيننا وبينها الان ثورة بناءة وتطور هائل ٠ وان كان تطور الامس يمتاز عن تطور اليوم بانه لم يكن يسترشد بمختلف الاهواء وتباين النزعات وانما المعارضة الرجعية هى التى كانت تقف فى طريقه خاضعة للعلل والاعراض فاذا استعدنا ذكريات تلك الحقب الذهبية ، ألفينا بديا ان الاسلام قد مزج بين المعارف النافعة والموروثات الصالحة من تراث الشرق والغرب وأفاض عليها من أنوار الوحى وأضواء السماء ماجعلها قمينة بخلق أمة عظيمة صالحة للبقاء والسيادة ، ومدنية رفيعة خالدة ٠ وكأنه قد حقن جميع الشعوب التى اعتنقته بحقن حيوية جديدة هى ينبوع عملاق من ينابيع العلم والفن والمعرفة والثقافة ، كما كانت مصدرا للعقيدة الثابتة والايمان الراسخ ، والقيم الاخلاقية العالمية ، والمبادىء الانسانية السامية ٠

لذلك كله لايستطيع المسلمون اليوم ان يبقوا فى معزل عن أية صورة من صور التجديدات العقلية، أو التطورات الاجتماعية ، فى المهمات الاساسية للاسلام الذى هو فى الوقت ذاته عقيدة وتشريع ان يستمر دون أدنى توقف فى أن يكون يقظا حذرا متأهبا لان يمنح

كلمة القدر معنى جديدا ، وان يتولى على الدوام قيادة تحديد المصير ، وأن يرأس — دون أى تخل — ذلك التوازن الضرورى بين التقاليد المتوارثة ، والمعارف الجديدة . وذلك لان الحلول الغريبة المستوردة التى تقدم الينا لا تلتئم معنا لان الطوابع المميزة لمجتمعنا تتباين فى أكثر اتجاهاتها ومناهجها مع طوابع الغرب وهى الطوابع الاستعمارية بصورتيها القديمة والجديدة ، والراسمالية القائمة على الانانية البغيضة والجشع المقيت . واذن فطبائع الاشياء من جهة ، واملاء الحاجة الملحة من جهة اخرى ، هما اللذان يقتضيان ان تكون مبادئنا الاسلامية هى الاسس الثابتة التى تعتمد عليها الاتجاهات الثقافية والانظمة السياسية عندنا .

ومعنى هذا فى وضوح تام ان من الداخل وحده ينبغى ان تنبثق حلول مشاكلنا التى ننقب عنها ، بل التى نتحرق شوقا اليها ، وهى اقرب الينا من حبل الوريد .

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول

ولا ريب أن هذا لا يتطلب منا سوى أن نفتح عيون عقولنا على القرآن الكريم حتى نجد فيه على مستوى افهام القادة المثقفة — مايمكن ان يطلق عليه اسم مفاتيح المفاهيم الرئيسية لجميع ابواب المناطق الروحية والثقافية ، والسياسية والاجتماعية ، والاقتصادية . وهو مبدأ الاعتدال أو الوقوف فى نقطة التوسط بين استقرار العدالة السماوية الابدية ، ومرونة التطورات الانسانية .

ولقد حدد ارسطو هذا التوسط تحديدا عدديا يخضع للحساب والارقام الى درجة انه عين رقم الفضيلة الذى لو تجاوزته الى اعلى او الى ادنى لصارت رذيلة او اقرب الى الرذيلة . وقد افتتن كثير من العقول بهذا التحديد الحسابى الارسطى ، ولكن القرآن وتتميم شرحه بالاحاديث النبوية قد وضعا لهذه النظرية احكم القواعد واسماها ، واكثرها قابلية لتناول البشرية ، وادخلها فى باب الامكانيات العملية وايسرها فى التطبيق مما جعل تلك القاعدة الرقمية الارسطية تتراجع باهتة منهارة امام تلك التعاليم السماوية الخالدة التى نستطيع اجمالها فى ان التوسط لا يزيد عن كونه نوعا من الاعتدال البشرى النبيل الذى يجب ان يقترب من الكمال فى كل شىء بقدر المستطاع ، وان يصحبه فى سيره هذا ، كثير من الامل والمرح كما يشير الى ذلك الحديث الشريف « ان الدين يسر ، ولن يشاد هذا الدين احد الا غلبه . فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ... » (رواه البخارى) .

والحق أننا اذا تأملنا تأملا دقيقا فى نظرية أرسطو وفى مبدا الاسلام ووزانا بينهما الفينا ان الاولى مدموغة بطابع البشرية الارضية الناقصة المعيبة ، وان الثانى تشع منه أضواء الكمال اذ أننا لو حددنا موضوع الانفاق او الاعطاء مثلا بارقام التوسط الارسطى ، فكيف نتصرف فى تحديد من يستحق الاعطاء ؟ وكم ينبغى ان يعطى ؟ ومتى ؟ ولأية غاية ؟ .

لاشك فى ان ذلك الرقم الذى حدده حكيم استاجيرا سيقف واجما مبهوتا امام هذه الاسئلة السالفة التى حددها الاسلام واجاب عليها بأن ماينبغى عمله فى هذه المواقف هو الاجتهاد فى الاقتراب من الكمال بقدر ما تتسع له الطاقة البشرية .

فى هذا العصر القلق المعذب يجب ان يبرز دور الاسلام الذى تشمل تعاليمه الناحيتين : الروحية والماديه ، او الدين والدنيا ، وان يقوم بمهمته الجوهرية وهى الاحتفاظ بوجهى المدنية اللذين تهددهما بالزوال ازمة الضمير المعاصر على التعاقب وهذان الوجهان هما : الدينامية الروحية والاخلاقية من جهة ، والعلم من جهة أخرى .

وليس المراد بالعلم هو تكنولوجيته التى تنتقل بطريقة آلية فحسب ، ولكن المقصود على الاخص هو مناهجه وروحه التى تتنبا وتصنع الفروض ، وخصائصه ، وعقيدته فى مقدرته ، وامتداد متناولاته ومحتوياته .

ولما كان استيفاء التفكير فى هذا الموضوع الحيوى الهام ، او رسم لوحة أمينة للثقافة النافعة والتثقيف المفيد ، يحتاج الى عرض آخر ، فقد آثرنا أن نكتفى اليوم بأن نعيد الى ذاكرة شبابنا عامة ، وشباب المدارس والجامعات خاصة حتمية العناية بواجباتهم الضرورية نحو انفسهم قبل كل شىء ، فكل ماعدا هذه الواجبات يتعلق بها ، لان الشخصيات اذا كانت مصابة بالرذيلة او ضعيفة ، او فقيرة الينابيع ، فان كل ماتزاوله أو تمسه من قريب أو من بعيد ، وبالتالى كل تصرفاتها تكون مدموغة بطابع هذه الخطايا المتأصلة او بالوهن المتغلغل فى الاعماق .

ولما كنا قد اشرنا آنفا الى الواجبات الضرورية ، فانه ينبغى لنا ان نجمل هذه الواجبات هنا فى فضيلتين هامتين وهما الشجاعة والامانة المثالية أو الوفاء للمبدأ ، وهما اساسيتان فى تكوين العقليات ، وفى محيط الرياضة البدنية الجماعية التى تعد

الجسم لان يكون وعاء صالحا لجميع الانتاجات المعنوية . ومن ثم كانت هاتان المهمتان متلازمتين تلازما كاملا .

ومعنى توافر الشجاعة والامانة فى العقليات هو الوصول الى جعلها مرنة الى حد المقدرة القصوى على فهم العالم والقوى التى تغمره ، وادراك الفكر والوقائع التى يكتظ بها . واحداث الماضى والحاضر ، وجميع تجارب العلوم الحية ٠ وهى تتناول كذلك عدم التقهقر أمام عقبات العقل ومتاعب الفكر عندما يتعلق الامر بالبحث عن الحقيقة ، ومن ثم ينعت القرآن من يأتى بالحق ويؤمن به بأنه فى مقدمة الاتقياء الفضلاء : « والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون » (اية ٣٣ من سورة الزمر) ٠

ومما يدخل فى محيط هاتين الفضيلتين البعد عن كل مايعرض الانسان للمواقف المشتملة ، على انصاف الحلول ، او انصاف الرذائل الشائنة اذا صح هذا التعبير ، او المتشابهات القائمة بين المباح والمحظور » ومن حام حول الحمى اوشك ان يقع فيه » ٠

ومجمل هذا كله ان يكون المرء بريئا نظيفا فى كل ما يفعل او يقول ؟ **يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » ٠ (آية ١١٩ من سورة التوبة) اى ان يتطابق القول والعمل اتم التطبيق واكمله دون ادنى لف او دوران ٠

واخيرا تتناول الشجاعة والامانة جراة الشباب على أن يريدوا وأن يعرفوا ، وأن يفهموا فهما ذاتيا اى انهم يكونون رجالا لا اطفالا ، ورؤوسا لا اذنابا ،وان لايتصرفوا البتة فى تناقض مع اقوالهم « **يا ايها الذين امنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون** » ٠ (ايتى ٢ و٣ من سورة الصف) ٠

وهنا يتحتم علينا أن نتذكر أن الطلاب يظفرون بميزة خاصة لا تتيسر لغيرهم ، وهى مهمة التعلم الذى يسلحون به عقولهم مدى الحياة بعض الوسائل التى يملكونها ، والهدوء الذى يمكنهم من تأدية رسالتهم العلمية ، والتى لايملكها الاخرون ٠ واذن فعدم الاستفادة من هذه المهمة ، او استغلالها فى اهداف نفعية خالصة كلاهما مشؤوم على الصالح العام .ومتنافر مع روح الاسلام الذى يأمر بالاعتدال والاخذ بطرف كل من الروحية والمادية « **ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين** ! ٠ [آية ٧٧ من سورة القصص] ٠

ومن هذا يتبين فى وضوح ان جانبا هاما من مصير الوطن يتعلق بالتكوين العقلى والخلقى والجسمى للشباب ولهذا يجب على الناضجين ان يبذلوا جهودا جبارة ، بل ان يفرغوا كل ما فى وسعهم من قوة للعناية بهذه الناحية من نواحى الحياة ٠

حقا اننا نعيش اليوم فى عالم شديد القسوة مفرط فى الواقعية، بل يكاد يكون خلوا من العواطف والرحمة ولكن لا ينبغى البتة ان ننسى أن الروحية عليها دائما طابع الدوام والاستقرار الذى لا يزول ولا يحول ٠ ونحن لانجد فى هذا الصدد مثلا نقدمه الى شبابنا اروع من مثل اشقائهم الفلسطينيين الذين اتقد ايمانهم بالكرامة والحرية فى صدورهم ثم انبجس من اعماق هذا الايمان رجال جدد أوفياء لوطنهم تتمثل حرارة وفائهم فى قلوبهم والسنتهم وسواعدهم ٠ وقد اقتادهم هذا الايمان الى البطولة والتضحية فى حماسة نبيلة لاتكل ولا تمل . بل هى من عالم الابدية ، وكان البطل الفرنسى شارل فيجى يصفهم فى قصيدته الشهيرة الخالدة التى انشاها قبيل اشتعال الحرب العالمية الاولى ثم قتل بعد شهر واحد من احتدام لهيبها ، والتى نترجم منها هذه النبذة ٠

« سعداء اولئك الذين ماتوا من اجل اراضيهم ـ ولكن بشرط ان يكون ذلك فى حرب عادلة ـ سعداء اولئك الذين ماتوا فى سبيل الدفاع عن قطعة محدودة من الارض ـ وسقطوا صرعى فوقها تحت النظرات الالهية ـ سعداء أولئك الذين استشهدوا من اجل مساكنهم وممتلكاتهم الابوية المتواضعة ٠٠

فليضع الله منهم فى كفة العدل ملء حبره ـ وضحوا بحياتهم من اجله كقبضة من التراب وقليل من اوراق العنب وجزء من هذا التل ـ وشىء من تلك الوحدة الوحشية المنعزلة ٠٠

فلينعتوا بالشرف كما يستحق انبل ابناء الوطن ـ وليستقروا فى اسمى المساكن وفى حقول القمح والذرة ـ وليكونوا من جديد رعاة من ذوى القيم الكبرى ٠٠

رسائل لا تنسى

من رسول الله الى هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس

الأستاذ عبد الحكيم النجار

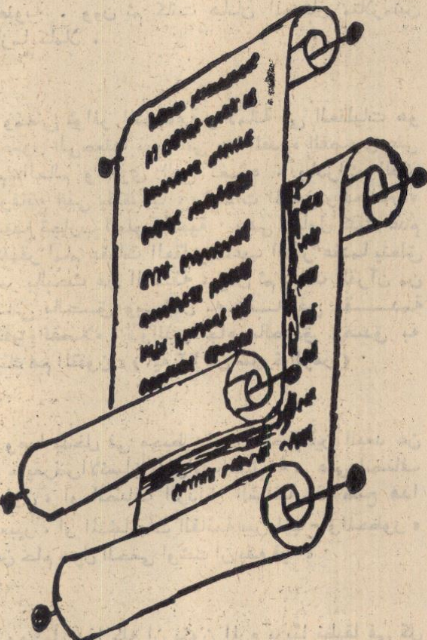

بعد ان استقر بالرسول العظيم المقام فى المدينة بعد الهجرة .. رأى بثاقب فكره ، ونفاذ بصيرته تنظيم المجتمع الجديد .. مجتمع ما بعد الثورة التحريرية الكبرى مجتمع المدينة .. فآخى بين المهاجرين والانصار ... وسعى لتنظيم العلاقات الاجتماعية والانسانية بين المسلمين وبقية السكان .

وقد فتح الله عليه ونصره نصرا عزيزا بعد قتال مرير وكفاح متصل ٠٠ من أجل اعزاز الحق وتدعيمه بمنطق القوة ٠٠ وبهذا الانتصار المتوالى استطاع الرسول أن يأمن غدر اليهود وشرهم ومكرهم فى بادىء الامر ٠٠ وان يرهب قريشا وغيرها من القبائل العربية التى كانت تراهن على انتصار اليهود ، نظرا لاعتبارهم القوة السياسية والاقتصادية التى كانت تحسب لها حسابها فى شبه الجزيرة العربية ، وقد تمكن الرسول أخيرا من القضاء على اليهود واستراح وأراح هذا المجتمع الجديد من مكرهم ٠٠٠

ونحن نؤكد ويجب علينا أن نؤكد ان اليهود الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا أصحاب عرق سلالى تاريخى فى هذا الوطن العربى الاسلامى المغتصب ٠٠ بل هم سلالات قوميات متعددة وابناء أمم متشعبة ٠٠

ومنذ فجر الاسلام استكملت فلسطين عروبتها واسلامها شأن سائر البلاد الاسلامية وانهى الاسلام الحكم الرومانى فى فلسطين ٠٠

ان الذين يسمون أنفسهم (دولة اسرائيل) نريد منهم أن يسلسلوا انسابهم أو يضبطوا طوائفهم (تاريخيا) حتى يصلوا بها الى ما يثبت صحة دعواهم بانهم (بنو اسرائيل الحقيقيون) علما بأن العرب كانوا يسكنون فلسطين قبل بنى اسرائيل بالاف السنين ٠٠ وليس ابتداء من الفتح الاسلامى لفلسطين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠٠ هذا الفتح كان لدخول الاسلام الى فلسطين : وليس لدخول العرب اليها الذين كانوا فيها قبل الاسلام بعشرات القرون ٠٠٠

صفحة جديدة ٠٠

ان واجب العالم الاسلامى ٠٠ الذى يتقدمه شبابه المناضل ٠٠ يواجهون محنة ٠٠ قاسية وامتحانا رهيبا ٠٠ واجبهم اليوم ان يشهروا كل سلاح فى وجه اليهودية التى تحالفت بالدم والروح والفكر مع الاستعمار الجديد ضد الاسلام فى المقام الاول ٠٠

ان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه : الذى حمل الرسالة الخالدة الى الشعوب والامم بأسرها مبشرا بالاسلام كقاعدة فكرية ٠٠ نظم الحياة على أساسها ليسترد الانسان انسانيته وتحترم حقوقه ويصان عرضه ويحقن دمه ٠٠

وفى هذه الرحاب الشاسعة الواسعة انطلقت الدعوة الاسلامية كالطود الشامخ ٠٠ تصنع التاريخ وتفتح للبشرية صفحة حياة كريمة جديدة ٠٠

ثم تولى الرسول القائد أعنة السياسة وانطلق الى رحاب الكون ليجسد الاسلام ومثله الرائعة فى واقع الحياة فيطبقه فى الداخل وينشره فى خارج الجزيرة ٠٠ هذه الامجاد ٠٠ هذه البطولات ٠٠ هذه الفتوحات ٠٠ تذكرنا بالحياة التى رسمها رسول الانسانية الاعظم ٠٠ فكانت حياة تفيض بالعدل والحرية والمساواة فى كل شىء ٠

ولما عاد محمد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية ٠٠ كتب الى الروم وقد أمره الله تعالى بان يتبع اسلوب الاقناع والاقتناع فى نشر دعوته الخالدة ٠٠ خلود الزمن ٠٠

الى هرقل ٠٠

« من محمد ٠٠ رسول ٠٠ الله ٠٠ الى هرقل عظيم الروم ٠٠ سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى ادعوك بدعوة الاسلام ٠٠ اسلم تسلم ، يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين. «يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله . ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» ٠٠ وقد ارسله مع دحية الكلبى، فغضب ابن أخ قيصر غضبا شديدا ٠٠ وقال ارنى الكتاب فقال وما تصنع به انه بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ٠٠ فقال له عمه ٠٠٠ والله انك لضعيف الراى ٠٠ تريد أن أرمى كتاب رجل يأتيه الناموس لئن كان رسول الله ٠٠ انه لا حق ان يبدأ ٠٠ وصدق أنا صاحب الروم ثم أمر بانزال دحية واكرامه ٠ ٠٠ والمعروف ان هرقل كان راغبا فى الاسلام ، وانه تحدث فى شأن هذا الدين العظيم ، وقد تظاهر بحرصه على المسيحية ، أمام مجلس رجال الكنيسة ، وكان مشغولا بحروبه مع الفرس ٠٠ وشغلته هذه الحروب عن قبائل الصحراء ٠٠

الى كسرى ٠٠

ثم كتب الرسول الى كسرى يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ٠٠ رسول الله ٠٠ الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ٠٠ وشهد أن لا اله الا الله وحده

لاشريك له ،وان محمدا عبده ورسوله ،ادعوك بدعوة الله عز وجل ٠٠ فانى رسول الله الى الناس كلهم لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ٠ أسلم تسلم ، فان توليت فعليك اثم المجوس » ، وبعث الكتاب الى كسرى مع عبد الله بن حداقة السهمى ، فلما قراه ٠٠ مزقه ٠٠ فبلغ ذلك رسول الله ٠٠ فقال مزق الله ملكه ٠٠ وأما قيصر فلما قرأه ٠٠ طواه ثم رفعه فقال عليه الصلاة والسلام ٠٠ ثبت الله ملكه وملك هرقل »

الى النجاشى ٠٠

وكتب سيدنا رسول الله الى النجاشى : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ٠٠ رسول الله ٠٠ الى النجاشى ملك الحبشة ، أما بعد فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ٠٠ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ٠٠ واشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته الى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ،وانى ادعوك الى الله وحده لا شريك له ،والموالاة على طاعته ،وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله ، وانى ادعوك وجنودك الى الله تعالى ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتى ، وقد بعثت الكتاب مع عمرو بن أمية الغمرى ٠٠ » فقال النجاشى اشهد بالله انه النبى الامى الذى ينتظره أهل الكتاب ، وان بشارة موسى براكب الحمار ، كبشارة عيسى براكب الجمل .

ثم كتب النجاشى جواب الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذى لا اله الا هو الذى هدانى للاسلام ٠٠ أما بعد فقد بلغنى كتابك يارسول الله ٠٠ فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لايزيد على ما ذكرت وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ٠٠ وقد بعثت اليك بابنى وان شئت اتيتك بنفسى فعلت يا رسول الله ، فانى اشهد ان ما تقوله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ٠٠

الى المقوقس ٠٠

وكتب الى المقوقس عظيم القبط بمصر ٠٠ يدعوه الى الاسلام ٠٠ وبعثه مع حاطب بن ابى بلتعة ٠٠ فأخذ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسلمه الى المقوقس ٠٠ ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠ لمحمد بن عبدالله من مقوقس عظيم القبط ٠ أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرته وما تدعو اليه ، وقد علمت ان نبيا بقى وقد كنت أظن ان يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ٠٠ وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » ولم يزد على ذلك ولم يسلم ٠٠

أعلام النصر ٠٠

هكذا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم : على نشر دعوة الاسلام بعد مرحلة من مراحل النضال الطويل فى سبيل تمكين هذه الدعوة العالمية ٠٠ وبعد ان اتسع بمرور الوقت نفوذ الرسول فى الجزيرة العربية وخارجها ٠٠

هذا وقد استعمل الرسول العظيم هذه الوسائل السلمية الدبلوماسية ٠٠ فأرسل بكتبه التى لا تنسى ٠٠ وهى خالدة الى هؤلاء الملوك والامراء ٠٠ يدعوهم الى اعتناق الاسلام ٠٠ وقد كان هؤلاء ابرز الملوك الذين كتب اليهم الرسول القائد ٠٠ موجها ومرشدا ٠٠

وقد كان يكتب هذه الرسائل التى كان يمليها الرسول ٠٠ ابو بكر الصديق ٠٠ وعمر بن الخطاب ٠٠ وعثمان بن عفان ٠٠ وعلى بن ابى طالب ٠٠ وطلحة بن عبيد الله ٠٠ والزبير بن العوام . وغيرهم ٠٠ وكان معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم بذلك وأخصهم به صلوات الله عليه وسلامه .

ومما يذكر أن الرسول قد اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة اسطر (محمد ٠٠ رسول ٠٠ الله) ٠

وهكذا عرضنا صفحة من عظمة رسولنا الكريم الحبيب ٠٠ وهى بما فيها من نضال وسلام وحرية ٠٠ وما دعت اليه سيرة حية من قيم ومبادىء ومثل عليا ٠٠ سوف تظل البشرية على وجه الارض تقتبس منها ٠٠ فتغذى القلوب والعقول بأشعة الهدى والايمان .

ونحن على طريق النضال لتحقيق الامال الكبار للامه الاسلامية العربية ٠٠ والحفاظ على وجودنا وحياتنا وتراثنا وحاضرنا ٠٠ نتذكر ما لرسول الله وصحبه من القدوة والاسوة الحسنة ، وما ضربوا لنا من اروع صفحات الكفاح الاسلامى ، حتى كانوا رهبان الليل وفرسان النهار ٠٠٠

وغدا يشرق فجر النصر ٠٠ وترتفع اعلامه ٠٠ فى كل شبر من أراضينا العربية المقدسة الحبيبة العزيزة ٠٠ والله ناصرنا وموفقنا ٠٠ وهو نعم المولى ونعم النصير ٠٠٠

القاهرة فى عيدها الألفى

الدكتور على حسنى الخربوطلى

يحتفل العالم الاسلامى فى هذه الايام بالعيد الالفى لمدينة القاهرة ، التى كانت ولاتزال حصنا للاسلام ، وقلعة للعروبة ، ومنارا للحضارة العربية الاسلامية • ويرتبط انشاء القاهرة ببناء الجامع الازهر الذى كان نقطة تحول كبيرة فى الفكر الاسلامى والثقافة العربية والذى أصبح الان جامعة كبرى • ولم يقتصر دور القاهرة على مر العصور التاريخية على الجوانب الحضارية والفكرية بل نجح حكام القاهرة فى صد المغول والصليبيين ، وقاوموا الحكم العثمانى فى العالم العربى ، وأحبطوا الغزو الفرنسى للشرق العربى ، وقاوموا كل أطماع استعمارية فى العالم العربى والاسلامى • وبذلك أصبحت القاهرة رمزا للحرية والتحرر دائما ، وعلى مر جميع العصور •

ويرتبط انشاء القاهرة بانتقال الخلافة الفاطمية من بلاد المغرب الى مصر • والدولة الفاطمية من أعظم الدول الاسلامية ، وعصرها من أزهى العصور الحضارية ، وقد أصبح البحر المتوسط فى عهدها بحيرة عربية اسلامية •

انشأ الفاطميون القاهرة ، فأصبحت رابع عواصم مصر فى العصر العربى الاسلامى • وفكر جوهر الصقلى فى انشاء حاضرة للدولة الفاطمية منذ اللحظة الاولى للفتح الفاطمى لمصر ، فقد دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الاسلامية الاولى ، فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وفى نفس الليلة ارسى جوهر قواعد القاهرة •

رأى جوهر أن الفسطاط التى أنشأها عمرو بن العاص ، والعسكر التى أنشأها صالح بن على العباسى ، والقطائع التى أنشأها أحمد بن طولون ، لم تعد تصلح لتكون حاضرة للفاطميين • ويشبه موقف جوهر هذا وتفكيره فى تأسيس عاصمة جديدة تفى بأغراض الدولة الفاطمية ، موقف أبى جعفر المنصور عندما فكر فى بناء بغداد •

يدأ جوهر بناء المدينة الجديدة بأن وضع أساس قصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى • وقد اختطت كل قبيلة من قبائل البربر خطة سمتها باسمها حول هذا القصر ، ثم أقام جوهر سورا ، وأطلق على المدينة الجديدة اسم المنصورية نسبة الى المنصور والد المعز ، ولكن المعز حينما قدم الى مصر أطلق عليها اسم القاهرة •

وتقع القاهرة المعزية شمالى الفسطاط ، وكانت

وقت انشائها تمتد من منارة جامع الحاكم الى باب زويلة • وكانت حدودها الشرقية هى حدود القاهرة الحالية • أما الجهة الغربية فلم تتجاوز خليج أمير المؤمنين ، وتحد شمالا بباب النصر ، وجنوبا بباب زويلة ، وشرقا بباب البرقية والباب المحروق (الدراسة الان) ، وغربا بباب السعادة وباب الفتوح وباب الخوخة . وكانت القاهرة المعزية تشمل أحياء جامع الازهر والجمالية وباب الشعرية والموسكى والغورية وباب الخلق • وكانت هذه المدينة الجديدة محاطة بسور من آجر كبير الحجم • وقد اختط طريق عام يخترق وسط القاهرة من باب زويلة جنوبا ، ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيما بين القصرين حتى باب الفتوح ، وكان يوصل الى الفضاء الواقع فى الشمال ، والى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة يقع الجامع الازهر • وبلغت مساحة مدينة العزيز حوالى ٣٤٠ فدانا (الفدان ٤٢٠٠ متر مربع) ، وكان القصر يشغل ٧٠ فدانا •

اختلف المؤرخون فى سبب تسمية مدينة القاهرة بهذا الاسم • فقال ابن دقماق أنها سميت كذلك لان أساسها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء السبعة الذين كانوا بديار مصر ، وهو كوكب (القاهر) . بينما يقول المؤرخ المقريزى أن القائد جوهر لما اراد بناء القاهرة احضر المنجمين وعرفهم انه يريد بناء حاضرة جديدة يقيم فيها الجند الفاطميون ، وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس ، فاختاروا طالعا لوضع الاساس ، وطالعا لوضع السور ، وجعلوا بدائر السور قوائم خشبية ، بين كل قائمتين حبل فيه أجراس ، وطلبوا من العمال ان يضعوا الأساس حين يسمعون صلصلة الاجراس • وبات العمال يترقبون ، واذ بغراب يقع على حبل فتحرك الاجراس كلها ، وظن العمال أن المنجمين قد حركوا الحبل ، فبدأوا فى وضع الاساس ، وكان المريخ حينئذ فى الطالع ، وهو قاهر الفلك ، فسموا المدينة الجديدة القاهرة .

وقيل أيضا أنها سميت القاهرة لانها تقهر كل من خرج على أمرائها • وقد تكون تسميتها مشتقة من العبارة التى قالها الخليفة المعز لدين الله لقائده جوهر عند خروجه لفتح مصر وهى « ولتدخلن فى خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تقهر الدنيا » •

اتسعت القاهرة فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى ، الذى خلف أباه المعز ، وأصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية الكبرى ، فتطورت مبانيها وشوارعها وأسواقها وسكنتها جماعات مختلفة من المصريين وخاصة أرباب المهن والحرف والتجار ، ونزح اليها كثير من أهل الفسطاط • كما كان لتحويل العزيز الجامع الازهر الى جامعة أثره فى جذب آلاف الطلاب من جميع أرجاء العالم الاسلامى •

وكانت القاهرة محاطة بسور من آجر كبير الحجم ، وقد تخلل السور فضاء متسع أطلق عليه فيما بعد اسم (بين القصرين) وكان يسع عشرة آلاف من الجند ، ومازال بعضه يعرف اليوم بسوق النحاسين • والى الشرق منه يقع قصر الخليفة ويعرف جزء منه الان بخان الخليلى ، وآخر بمسجد الحسين ، وأطلقت هذه التسمية (أى بين القصرين) بعد أن بنى الخليفة العزيز بالله قصرا أصغر من القصر الذى بناه جوهر لمولاه المعز على جانبه الغربى ، عند مبدأ هذه الحديقة التى أنشأها كافور الاخشيدى •

والى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة يقع الجامع الازهر الذى شرع جوهر فى بنائه فى ٢٤ جمادى سنة ٣٥٩ هـ بعدأن وضع أساس العاصمة الجديدة . والى الجنوب والشرق منه كانت تقع مدينة الفسطاط التى ظلت مركز الحركة التجارية وموطن الاهالى • والى الغرب تقع المقس وكانت تمتد الى النيل ، وكانت ميناء القاهرة •

وأنشأ الخليفة العزيز بالله كثيرا من المنشآت العامة بالقاهرة كالفنادق والحمامات ، وكانت كلها ملكا خاصا للخليفة ، وكانت الدكاكين فى القاهرة كذلك ملكا خاصا له • يتراوح ايجار كل منها مابين دينارين وعشرة دنانير فى الشهر • وكانت الدور محكمة البناء مبنية بالحجر لا باللبن ، يفصل معظمها عن بعض حدائق بهيجة •

قبل الفتح الفاطمى ، كان فى مصر ثلاثة مساجد جامعة هى جامع عمرو بن العاص الذى أنشىء بعد الفتح الاسلامى سنة ٣١ هـ ، وجامع العسكر الذى بناه الوالى العباسى الفضل بن صالح سنة ١٦٩ هـ ، وجامع احمد بن طولون الذى شيده صاحبه بعد استقلاله عن الدولة العباسية سنة ٢٦٣ هـ •

وبعد ان انتهى جوهر الصقلى من فتح مصر ،

وتاسيس مدينة القاهرة ، رأى ألا يفاجىء السنيين فى مساجدهم بشعائر المذهب الشيعى حتى لا يثير مشاعرهم ضد الحكم الفاطمى الجديد ، ولذا رأى أن ينشىء جامعا جديدا يكون مركزا للدعوة الفاطمية الشيعية ورمزا للسيادة الفاطمية ، فبدأ بناء الجامع الازهر فى يوم السبت ١٤ من رمضان سنة ٣٥٩ هـ ـ (٩٧٠ م) وتم البناء فى عامين تقريبا ، واقيمت فيه الصلاة لاول مرة فى ٧ من رمضان سنة ٣٦١ هـ ـ .

واطلق جوهر ، فى بادىء الامر ، على الجامع الجديد اسم (جامع القاهرة) نسبة الى العاصمة الجديدة ، ويرى البعض أن الفاطميين سموه بالازهر تخليدا لذكرى جدتهم (فاطمة الزهراء) بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . ويرى فريق ثالث أن الجامع الازهر قد سمى بهذا الاسم لما سيكون له من أثر كبير فى ازدهار العلوم به .

تطور الجامع الازهر فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى تطورا كبيرا ، فقد أقام جوهر هذا الجامع ليكون كغيره من المساجد لاقامة الشعائر الدينية ، ولكن العزيز بالله طوره حتى اصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم من كل أرجاء العالم مختلف العلوم والفنون . ففى سنة ٣٧٨ هـ أشار الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بتحويل الازهر الى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية .

وعمل الخلفاء الفاطميون على جذب طلاب العلم من كل مكان ، بما كانوا يقدمون اليهم من مسكن ومأكل ووسائل الحياة والراحة ، فاقاموا مساكن للطلاب تحيط بالمقصورة والصحن من الجهات الاربع ، كما حبسوا على الجامع كثيرا من الاوقاف غير الهدايا القيمة من وقت لاخر .

وكان الخليفة العزيز بالله أول من بنى بجوار الازهر دارا لجماعة من الفقهاء عدتهم خمسة وثلاثون ، كانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة ويقرأون القرآن الكريم الى صلاة العصر ، وأغدق الخليفة العزيز ووزيره يعقوب بن كلس عليهم الصلات والارزاق . واهتم العزيز بالاحتفال باقامة الصلوات بالجامع الازهر فى أيام الجمعة والاعياد ، وكان كثيرا مايؤم بنفسه الناس فى الصلاة ويخطب فيهم ، كما شهد الجامع كثيرا من الاحتفالات الدينية طوال عهد العزيز .

وعلق المستشرق (ستانلى لينبول) فى كتابة (سيرة القاهرة) على تطوير الجامع الازهر حتى اصبح جامعة كبرى ، فقال : وفى عام ٩٨٨ م أصبح العلماء يؤمون الجامع الازهر من كل حدب وصوب ، ومنذ ذلك الحين صار ذلك الجامع من أهم الجامعات الاسلامية كافة ، يجتمع فيه عدد وفير من الطلاب من جميع أنحاء العالم الاسلامى من ساحل الذهب حتى ولايات الملايو ، ولكل شعب رواق خاص به . ويتلقى هؤلاء الطلاب على أيدى الشيوخ دروسا فى مختلف فروع الثقافة العربية مثل القرآن والحديث والتفسير والفقه والقواعد وعلم العروض والمنطق والبلاغة والجبر وما الى ذلك . ويتعلم هؤلاء الطلبة بالمجان ، ولم يبخل اهل العلم والادب فى القاهرة بعلمهم وثقافتهم على طلابهم وكان الطلاب الاجانب لايتلقون العلم بدون مقابل فحسب ، بل كانوا يعطون قدرا من الطعام وينفق عليهم من أوقاف بيت المال .

وكان الجامع الازهر يتوسط العاصمة الجديدة القاهرة ، ويشتمل على مكان مسقوف للصلاة يسمى مقصورة ، واخر غير مسقوف يسمى صحنا ، عدا الملحقات التى تتبع المساجد عادة من منارات وميضاة وغيرها . أما المقصورة التى بناها جوهر الصقلى ، ففيها ستة وسبعون عمودا من الرخام الابيض اللون فى صفوف متوازية . أما صحن الجامع فهو مكان متسع غير مسقوف مرصوف بالحجر يقيمون فيه الصلاة عند ازدحام المقصورتين ، ويحيط بالمسجد من جهاته الاربع بوائك مقامة على أعمدة من الرخام على مثال جامع عمرو بن العاص ، وزينت جدرانه بالايات القرآنية المنقوشة بالخط الكوفى الجميل . وأنشأ جوهر بالمقصورة محرابا يسمى الان القبلة القديمة. وكان للجامع منبر واحد مصنوع من الخشب المخروط الجميل الصنع . وكانت مساجد القاهرة تتبع فى الاذان أصوات المؤذنين فى الازهر .

هذه هى صورة للقاهرة وللجامع الازهر فى عيدهما الالفى . وان ماشهدناه من ماض تليد ، هو فى الحقيقة يرتبط بحاضرنا المجيد ، مما يدفعنا الى بناء مستقبل مشرق سعيد . وان القاهرة كما قهرت أعداءها جميعا بالامس ، ستقهر أعداء الاسلام والعروبة فى القريب العاجل ، وستحتفل القاهرة ان شاء الله قريبا جدا بالنصر والفوز ، كما احتفلت بهما دائما على مر العصور التاريخية ، والله عز وجل ولى النصر والتوفيق .

اعرف عدوك

الاستاذ إسماعيل السوسى

كنت مقدرا لهذا المقال ان يكون التسلل الاسرائيلي فى آسيا ومدى استغلال اسرائيل بعض الظواهر الاجتماعية والدينية فى القارة الاسيوية : ولكن بناء على بعض الخطابات التى وصلتني والتى يطلب فيها القراء الكتابة عن المجتمع الاسرائيلي .. اعود فاقول

لقد كانت النكسة سببا فى فيض من البحث والجدل حول اوضاعنا الداخلية ، وكان ذلك امرا طبيعيا ومجديا فى الوقت ذاته ولكن صراع المصير الذى نخوضه يفرض علينا واجبا اخر ، واجب ان نعرف العدو علينا اذن ان نعوض نقصا شديدا فى هذا المجال وان نحاول أن ندرك باقصى ما يمكن وما امكن من بعد عن العواطف وبأعظم ما يتيسر من قدرة على التحليل العلمي للابعاد الحقيقية للمواجهة العربية الاسرائيلية .

ان التهوين من شأن العدو يحمل على المغامرة بما لها من نتائج مدمرة فالنظرة السطحية للامور تظهر ان العرب يقاربون المائة مليون عددا ويقطنون ارضا رحبية من المحيط الى الخليج وتضم ثروات طائلة فى حين ان اسرائيل اصلا شريط ضيق من ارض معظمها قفر لايزيد سكانها عن المليونين الا قليلا — ولكن الاحداث اثبتت ان الواقع بعيد عمايبدو للوهلة الاولى .

اما المبالغة فى تقدير قوة العدو فانها تورث اليأس وتغذى الدعاوى الانهزامية فالحديث الذى تنشره اسرائيل عن عبقرية قوادها وصلابة جنودها وقدراتها التكنولوجية وبراعتها التى تقارب السحر لا تستهدف الا تلك الغاية .

ولكن التحليل العلمى يكشف عن ان اسرائيل وما يتجسد فيها من خطر على مستقبل الامة العربية ظاهرة بالغة التعقيد ليس لها من تفسير وحيد وبسيط وانما لابد من الغوص فى اعماقها والتنقيب عن مختلف جوانبها وفهم العلاقات المتشابكة بين تلك الجوانب ونجتزىء هنا مثلا واحدا على خطر التفسير المبسط وهو علاقة اسرائيل بامريكا فالبعض يقول ان النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة هو الذى يجعل واشنطن تساند اسرائيل بلا قيد ولا شرط والبعض يسخف هذا القول مؤكدا ان اسرائيل تعيش عالة على امريكا ولهذا فلا يتصور ان يقضى هذا القول لها امرا والحقيقة اكثر تعقيدا من كل ذلك فامريكا تساند

حقيقة العدو...

اسرائيل لانها قاعدة لنفوذها الاستعمارى ، وراس حربةضد حركةالتحرر العربىوهذا هو الاساس،ولكن نفوذ الصهيونية فى امريكا له ايضا دوره ان لم يكن فى مبدأ المساندة فعلىالاقل فى حجمها او اسلوبها، واسرائيل من حيثانها قوة اثبتت وجودها واحرزت نجاحات معينة لها مصالحها الخاصة التى يمكن ان تتمايز الى حد ما عن المصالح العامة للاستعمار الامريكى على نطاق الكرة الارضية كما انها تحاول استغلال دورها فى خدمة امريكا فى الضغط على واشنطن .. وهكذا .

لكل ذلك لابد من نظرة شاملة وعميقة ومتعددة الجوانب للظاهرة الاسرائيلية .

الحقيقة الكبرى

ولكل ظاهرة بشرية مهما تبلغ من التعقيد طابع اساسى له الغلبة والتاثير البعيد وذلك الطابع فى حالة اسرائيل هو حقيقة ان الدولة الصهيونية امتداد عنصرى للغرب الاستعمارى فى قلب الوطن العربى ـ انها اخر محاولات الاستعمار الاستيطانى التى قام بها الغرب والتى اتخذت دائما شكل هجرة بعض مئات الالوف من الاوروبيين الى ارض اجنبية يسيطرون عليها وينشئون منها دولة اوربية «فيما وراء البحار» كما كان يقال بلغة القرن الماضى ولكن الظروف التى احاطت بتكوين اسرائيل تاريخيا اسهمت فى طمس هذه الحقيقة الاساسية ، وساتعرض لاهم هذه الظروف ، ولكن لابد قبل ذلك من ان نذكر سريعا بوقائع تؤكد تلك الحقيقة لقد نشأت الحركة الصهيونية فى اوروبا الغربية فى الربع الاخير من القرن الماضى حين كانت اديولوجية الفتح والاستيطان وتكوين الامبراطوريات هى القيم العليا فى المجتمع الغربى واكد زعيمها الاكبر هرتزل منذ ١٩٠٨، ان « دولة يهودية فى فلسطين او سوريا ستكون امتدادا للحضارة الغربية وحصنا ضد الهمجية الشرقية » .

ووعد بلفور صدر عن بريطانيا وعصبة الامم المتحدة التى كانت الدول الاستعمارية تسيطر عليها هى التى حاولت اعطاءه صفة دولية والانتداب البريطانى هو الذى افسح المجال للهجرة اليهودية ـ والهجاناه ـ نواة الجيش الاسرائيلى تكونت كجزء من الجيش الثامن البريطانى وابا ايبان وزير خارجية تل ابيب كان ضابطا فى الجيش البريطانى (ادارة المخابرات)

باسم الميجور رايفانز وكان مقر عمله اثناء الحرب العالمية الثانية فى القاهرة ولقد تولت فرنسا التسليح الاساسى لاسرائيل ثم تلتها المانيا الغربية اما دور امريكا فغنى عن التعليق ٠

النزعة العنصرية

ولكن الحركة الصهيونية لها اكثر من وجه وتتحدث باكثر من لسان ولهذا فهى قد وفرت لمشروع الاستيطان الاوروبى من فلسطين اساسا عنصريا متميزا عن فكرة الغرب ولقد صحب كل حركة استيطان استعمارى اساس معين فغزاة امريكا الجنوبية من الاسبان « الكونكوبستبادور » كانو مغامرين جذبهم ذهب بيرو وفضة الارجنتين - والمهاجرون الانجليز الاوائل الى الشمال الشرقى من الولايات المتحدة كانوا يريدون الاحتفاظ بمذهبهم الدينى فرارا من الاضطهاد وسكان استراليا الاوائل اجبروا على الهجرة اليها كبديل للسجن من جرائم عادية ومهما اختلف الاساس فالهدف فى جميع الاحوال واحد : القضاء على سكان البلاد الاصليين والاستيلاء على اراضيهم ٠

ان الصهيونية لاتقتنع باعتبار اليهود قومية واحدة وهو اعتبار يكذبه واقع انهم لا يتكلمون لغة واحدة ولا يعيشون معا وانما تعتمد على نفس الاساس العنصرى الذى اعتمد عليه هتلر والذى لا يستند الى اى سند علمى كل ما هناك هو ان الصهيونية تجعل من العنصر الذى وصفه هتلر فى الدرك الادنى من سلم السلالات البشرية ، العنصر الاسمى والشعب المختار ٠

ولقد كانت الدعوة العنصرية مدعوة للنجاح فى اوربا ارض كل النزعات العنصرية - لقد عزلت اوربا الاقطاعية اليهود عن الحياة العاملة والزمتهم احياء معينة وحرمت عليهم وظائف الدولة والحرف النبيلة فأجبرهم ذلك على التماسك والتمايز ، ولما كانت اللغة دائما مقياس تمايز الشعوب فقد ادى هذا الوضع الى ان أنشأ اليهود فى اوربا لغتان « اليديشن » وهى تحوير عن الالمانية مع اضافة بعض المفردات والتراكيب العبرية ويتكلمها يهود شرقى اوربا الذين يسمون (اشكنازى) واشكناز بالعبرية معناها المانية - واللادينو - وهى تحوير عن الاسبانية ويتكلمها اليهود المطرودون من اسبانيا والبرتغال فى القرن السادس عشر والمنتشرون فى شمال افريقيا والبلقان وجنوبى اوربا والذين يسمون (السفاراديم) وكلمة سفاراد بالعبرية تعنى - اسبانية وفى مواجهة ذلك كان اليهود فى البلاد العربية يتمتعون بحريات واسعة - كان من بينهم ابن سيمون تلميذا لابن رشد وطبيب صلاح الدين ومؤلف «المشناة توراه» ويوسف ابن سعيد الفيومى الفيلسوف الذى تسميه اليهود «ابن سعديا » وكانت لغتهم الوحيدة اللغة العربية ٠

ولما تفجرت الثورة الرأسمالية فى اوربا الغربية وانتشرت مبادىء الحرية والاخاء والمساواة أصبح اليهود فى فرنسا مواطنين عاديين وتم نفس الشىء تدريجيا فى بريطانيا وكذلك فى امريكا ولكن الاوضاع الاقطاعية المتخلفة فى شرقى اوربا ولا سيما روسيا القيصرية ابقت على التمايز والاضطهاد وصانت بذلك جذوة القيصرية عن الخمود والتقى الحكام العنصريون على فكرة هجرة اليهود من روسيا وبولندا الى فلسطين ثم كانت موجة عنصرية النازية الهوجاء فأزكت هذا الاتجاه ودعمته الى ابعد الحدود ٠

ولكن العنصرية جرثومة تفسد جسد كل تجمع بشرى ولهذا كان طبيعيا ان تمتد العنصرية الى داخل اسرائيل نفسها - وهى لا تقتصر على العمل الدءوب على تصفة الاقلية العربية وانما تظهر فى التمييز العنصرى بين اليهود انفسهم - فاليهودى الاوربى له مكانة ممتازة بالنسبة لليهودى الشرقى وداخل يهود اوربا يحتل الالمان والبولنديون الاشكناز - اعلى المراكز اما « الفلاشمة » يهود الحبشة سمر الوجوه وبنى اسرائيل يهود الهند فغير مرغوب فيهم فى ارض الميعاد - وهكذا بدل ان تعطى العنصرية اليهودية طابع الاستيطان الاوربى تسهم فى النهاية فى فضيحة من حيث اعلانها لتفوق العنصر الاوربى تماما كما فى جنوب افريقيا او روديسيا او الولايات المتحدة ٠

استغلال الدين

ولم تتردد الصهيونية فى استغلال الدين أسوأ استغلال ومع ان الكثيرين من قادة اسرائيل (لادينيون) فانهم لا يتورعون عن الاستشهاد بالتوراة والحديث عن ارض الميعاد بل انهم يبررون طرد العرب من وطنهم بالقول بأن الوعد الالهى بأرض كنعان لبنى اسرائيل كان يعنى طرد اهلها منها ولكن الملحوظ فى هذا الشأن أن عددا كبيرا من اليهود المتدينين يعارضون وجود دولة اسرائيل او على الاقل سياستها العدوانية - وفى سبيل استغلال الدين عمد قادة اسرائيل الى اضفاء طابع (نيوقراطى) على

الدولة بحيث يكون لكل يهودى يعود الى اسرائيل الحق فى جنسيتها فى حين لا يمكن ان يكون لغير اليهودى حقوق المواطنين كاملة فى داخلها ، وهم كذلك يريدون ان يتخذوا من الدين مبررا لاطماعهم التوسعية ويحاول امثال بن جوريون ان يعيدوا بناء ملك سليمان الحكيم - ألم يسمه احد اتباعه فى كتاب شهير « النبى المسلح » .

بل ان الصهيونيين فى استغلالهم للدين لايقصرون جهدهم على اليهود انهم يحاولون الاستفادة من اهتمام البروتستانت بالعهد القديم - وان يروجوا الدعوى ان انشاء اسرائيل ايذانا بعودة السيد - المسيح ..

الغرب والعرب

غير ان الارض التى يجنى منها الصهاينة اغنى الثمار هى ارض المواجهة الحضارية بين الغرب والعرب لقد عاشت اوربا وامريكا الشمالية طوال قرون تقدمها وازدهارها تعتنق فكرة التفوق الحضارى الغربى المطلق - انهم لم يدركوا ان حضارتهم على روعة منجزاتها ليست الا لحظة تقاس بقرون معدودة فى تاريخ الحضارة البشرية الطويل الذى يمتد الى عشرات الالاف من السنين منذ وطئت قدم الانسان وجه الارض فالحضارة عندهم ظاهرة غربية ولدت فى اليونان واستكملت على يد الرومان ثم مرت بعشرة - قرون من الظلمات لتزدهر من جديد منذ عصر النهضة وكان بوسع الاوربيين ان يتجاهلوا حضارات الشرق الاقصى فهى بعيدة ولكن دور العرب على الضفة الاخرى من البحر المتوسط كان تكذيبا حيا لدعوى الا حضارة الا فى اوربا والغرب - لقد اينعت الحضارة على ضفاف النيل والفرات قبل اليونان بآلاف السنين وحين كانت اوربا فى العصور المظلمة (القرون الوسطى) كانت الحضارة العربية الاسلامية فى اوجها وحين خرجت اوربا للسيطرة على بقية المعمورة كانت البلاد العربية اخر من وقع تحت سيطرتها واول من ثار عليها .

لكل ذلك نجد القوى اليمينية المتطرفة والاتجاهات الفاشية والعنصرية فى اوربا وامريكا تحقد على العرب حقدا كبيرا - ونجد النازيين السابقين والجدد يؤيدون اسرائيل حتى قال احد المثقفين المتقدمين الفرنسيين ان (اللاسامية الان تعنى العداء للعرب) واسرائيل تقدم نفسها لهذا الغرب الرجعى كجزء منه وامتدادا طبيعيا له - وفى اكتوبر الماضى اظهرت نتائج استفتاء للرأى العام ان اكثر من ٦٠ فى المائة من الفرنسيين يعتبرون اسرائيل جزءا من الغرب .

الاشتراكية المزعومة

ولا تقف الصهيونية عند هذا الحد بل ان لها جناحا يساريا متخصصا فى مخاطبة القوى التقدمية فيقولون ان الاسرائيليين فروا الى فلسطين من معسكرات الابادة النازية والواقع ان نسبة المهاجرين الى فلسطين من المانيا فى الفترة من ١٩٣٣ الى ١٩٣٩ لا تتجاوز ١٠ فى المائة من سكان اسرائيل اما الهجرة التالية للحرب العالمية - وهى الاكثر عددا فقد تمت بعد سحق النازية - وقد جاءت اساسا من بلاد شرقى اوربا الاشتراكية ولا يكفى لتبرير ذلك الحديث عن ذكريات الاضطهاد فقد عم الاضطهاد النازى اوربا كلها على انها مزارع جماعية تقدم نوعا جديدا .

النمو الاقتصادى السريع

وازاء العالم الثالث تحرص الصهيونية على تقديم اسرائيل على انها احدى دوله وانها النموذج الرائع فى التنمية الاقتصادية ألم تحقق معدل نمو بلغ احيانا ١١ فى المائة فى السنة الواحدة الم تحول صحراء النقب الى جنات من زروع واعناب الا تملك العدد الطائل من اهل الخبرة ؟

اما استصلاح بعض اراضى صحراء النقب فالامر الملحوظ ان اسرائيل لم تنشر اطلاقا اى ارقام عن تكاليف الاستصلاح ونسبة العائد اليها - والواقع ان المنجزات الاقتصادية فى اسرائيل لا تفهم الا فى ضوء الحجم المذهل للمساعدات الخارجية - لقد تدفق على اسرائيل خلال السنوات الخمس عشرة الاول من حياتها حوالى سبعة الاف مليون دولار منها اكثر من النصف فى شكل معونات وتبرعات وهبات (اى لا تحمل اى عبء تسديد) وهذا يعنى ان كل مواطن اسرائيلى قد تلقى خلال هذه الفترة حوالى ١٧٥٠ دولار هبة من الخارج ولوطبقنا هذه النسبة على مصر لكان معنى ذلك حصولنا على هبات تساوى تكاليف انشاء السد العالى اربعين مرة ..

دين و دنيا

الاستاذ محمد المتولى النظامى

خلق الله الانسان وخلق له من الكائنات ما به يتحقق هناؤه واسعاده ، وتقضى حوائجه ومصالحه ، وأرسل له رسالات تضبط غرائزه ، وعن طريقها يميز الخير من الشر ويهتدى الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، وأودعه أمانة العقل وميزه به عن سائر الكائنات ، وبهذا العقل يصبح أهلا للتكليف بالاوامر وتحمل المسئولية ، واستحقاق الثواب والعقاب ، وبه تتحقق مصالحه وينال الخير والنعيم ، وعن طريقه وبتوفيق من الله تكتسب المعرفة ، وتسخر المادة ، ويحدث الاكتشاف العلمى والاختراع ، ويكون الابتكار والابداع ، فما الاكتشاف العلمى فى واقع أمره الا استغلال لما أودع الله فى الكون من أسرار وما خلق فيه من أشياء ، يتوصل العلماء اليها بهدى من علمهم، واشعاع من تفكيرهم ،وتوفيق من ربهم ، خالق العقل المفكر وخالق الكون ومبدعه ، وخالق مابه من أسرار قال تعالى « خلق لكم ما فى الارض جميعا » وقال « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وقال : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ،فقال : انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم قال : الم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والارض ، وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون » وقال « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، ألا الى الله تصير الامور » وقال « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان » وقال النبى عليه السلام « خلق الله آدم على صورته » وقال « أول ماخلق الله العقل ، ثم قال الله عز وجل ... وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا اكرم منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك اعاقب والله ختم رسالاته بالاسلام ، وجعله شريعة ماديات ومعنويات ودين أمور حسية وعقلية وعقيدة حضارة ورقى ، اذ أن وسائل الحضارة والرقى من علم وعمل، وايمان وخلق من مبادئه ، اذ ان معجزته الكبرى وهى القرآن معجزة عامة خالدة ، يرجع سر عمومها وخلودها الى أنها معجزة علمية عقلية تضىء القلوب ، وتربى العقول ، وتحيى الضمائر ، وتهذب الغرائز وتلبى حاجة الفكر والقلب والشعور ، وحاجة الروح والجسد ، وتسخر المادة لخدمة الروح والجسد ، وتجعل المعرفة وسيلة للايمان ، وتقرن الدين بالعلم ، وتدعو الى العلم المحصن بالدين ، اذ الايمان الحق بالخالق ووحدانيته انما يكون عن طريق المعرفة بالنظر الى آثاره ، والتفكير فى بديع صنعه، حتى نصل عن طريق الايمان به سبحانه الى الايمان بخلود الروح ، وبأن هناك حياة أخرى فيها الحساب والثواب والعقاب تحقيقا للعدالة على أن الدين ان لم يقترن بالعلم والمعرفة فهو دين نظرى تقليدى تلقينى يخلو من الجانب العملى ، وتصبح الاخلاق فيه مظهرية ترتبط بالمصلحة ، وتختفى أن فقدت المصلحة ، وأمن صاحبها من العقاب ، واذ العلم بدون ايمان يصبح وسيلة افناء وتدمير ، أما العلم المقترن بالايمان فانه يحمل صاحبه على التحليق فى مجالات الارتقاء الروحية والخلقية والاقتصادية والاجتماعية ، ويجعل الانتاج مقترنا بالخير ،ويسعد الفرد والمجتمع ويحمل العالم على مراقبة الله فيما ينتج ، وفيما يخترع . قال تعالى « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » وقال « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسى ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » وقال « أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والارض ، وما خلق الله من شىء ، وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » وقال « يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » وقال « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم

يؤمنون ۞ والذين هم بربهم لايشركون ۞ والذين يؤتون ما اتوا ۞ وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ، اولئك يسارعون فى الخيرات ، وهم لها سابقون » .

ولقد حث القرآن أتباعه على التزود من علوم الدين والدنيا بجميع أنواعها ، قديمها وحديثها ، والحصول على قدر أوفى من الثقافة والمعرفة ، حتى يتحقق التكامل الفكرى فى المجتمع ، وينتقل الى حياة افضل ، وكانت أول آيات نزلت من القرآن تدعو الى القراءة والكتابة والتعلم ، وقد ذكر لفظ العلم فيه ماينهاز المائة مرة ، وذكرت مشتقاته اضعاف ذلك ، كما ذكر العقل باسمه أو بافعاله أزيد من خمسين مرة ، وذكر أولى الالباب أى العقول بضع عشرة مرة ، كما ذكر أولو النهى مرة فى آخر سورة طه ، وبين القرآن فى اكثر من موضع مكانة العلم فى تقدم الامم ، ورفعة قدر العلماء فى الدنيا والاخرة . قال تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقال سبحانه مبينا قدر العلماء ، ومشيرا الى أغلب العلوم والفنون ، الحديثة والقديمة ان لم يكن جميعها « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض ، وحمر مختلف الوانها : وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء » فالمقصود بالعلماء هنا العلماء بالعلوم الكونية الطبيعية ، العلماء باسرار الخلق والكون ، وأسباب اختلاف الاجناس والانواع ، وأسباب اختلاف الوان الانواع ، وآيات الله وحكمه فى هذه الالوان والانواع ، وهذا يشمل أكثر العلوم والفنون ان لم يكن جميعها ولا شك أن العلم باسرار الخلق يرفع قدر العلماء ، ويحمل العلماء المؤمنين على خشية الخالق ، كما أن طلب هذه العلوم يعود على الانسان بمنافع مادية كثيرة ، عن طريق استخدام حقائق العالم بواسطة العلم فى انتفاع الفرد والمجتمع .

وقال تعالى مشيرا الى العلم النظرى العقلى ومطالبا به « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » فالمراد بالعلم هنا العلم العقلى لاالعلم النقلى أو السمعى حيث قابل سبحانه العلم ، بالكتاب المنير ، وبالهدى الذى هو هدى الدين والوحى ، فدل ذلك على أن المراد بالعلم هنا العلم العقلى .

وما القرآن الا تبصير الهى من روح الله ، وأثر من مثاليته، وقبس من عظمته ، يدل كل مافيه على سماويته وعلويته ، احتوى على أكبر مجال للعقل ، وأعظم مورد للفكر والبحث ، بما أورده من وصف لما وراء الطبيعة من ذكر للخالق والروح، والاجرام السماوية ، والحياة الاخروية ، والجنة والنار . وما اشار اليه من ذكر للخليقة والسموات والارض ، وعلاقة الانسان بالخالق ، الى جانب ماذكره حول المطر وتكوينه ونزوله ، وما حواه من قصص تاريخى ملىء بالاحداث والعبر ، الى جانب ماتفرع عنه من علوم دينية كالفقه والتفسير والحديث ومقارنات الايمان ، الى جانب ماحوى من أهداف سامية ومعان خالدة وكلام عربى معجز تفرعت عنه علوم شتى من نحو ولغة وبلاغة وأدب ، وعروض ورواية وغير ذلك مما يحقق للحضارة الازدهار، وللبشرية السعادة فى الدنيا والاخرة .

حرية الرأى والفكر :

والاسلام دعوة تقوم على العلم والتفكير ، وتدعو الى استعمال العقل وتثقيفه وبنائه بالمعرفة المرتبطة بالقيم الخلقية والفكرية ، وتجعل اهمال استعمال العقل سببا للعذاب ، وتحارب التقليد الاعمى الذى ياسر العقل ويقيده ، وتدعو الى حرية العقل فى التفكير توصلا الى المعرفة ، وتمدح المتفكرين الذين يتوصلون الى المعرفة عن طريق التفكير ، حيث التفكير هو الوسيلة لارتقاء البشر ، وبجودته تمتاز العقول ، وتتفاوت الاقدار ، ويقدر الله حق قدره ۞ قال تعالى ۞ أولم يتفكروا فى انفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى » وقال « او لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض ! وما خلق الله من شىء » وقال « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال « وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم ! وقال « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »

والاسلام دين العلم والبحث ، والمعرفة والفكر . أشرق فى عصر سادت فيه الجهالة بمآسيها ، فقرر العقائد السليمة ، وطهر العقول من المزاعم الفاسدة التى كانت حجر عثرة فى سبيل حرية الفكر والعقل ، ونادى بحرية الرأى ، وعدم الحجر على التفكير والتعبير وحض فى أكثر من موضع على البحث عن المعرفة ، وطلب الثقافة ، وذلك عن طريق استعمال الادوات الموصلة الى التفكير الصحيح والمعرفة الحقة ، من عقل وسمع وبصر فى الوقت الذى دعا فيه الى احسان استعمال هذه الادوات فى التوصل الى المعرفة المرتبطة بالقيم ، والتى تعود بالخير والنفع العام على المجتمع والافراد ، وأوجب التمسك بما يهتدى اليه من المعرفة الحقة ، والعلم القائم على الاستدلال عن طريق هذه الادوات ، ومحاربة ما ليس بحق من بدع باطلة، وعقائد فاسدة من صنع البشر قال تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » وقال « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ » . وقال ناعيا على المشركين انزالهم الظن والتخمين منزلة اليقين ، واصفا لهم بالكذب « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون » وقال مشددا النكير على المقلدين الذين يتمسكون بالرأى ، لا لانهم بحثوه بحثا قائما على الاستقرار المدعم بالبراهين ثم عقلوه ، ولكن لانهم اختلقوه أو قلدوا فيه ، ثم اعتنقوه قال تعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون » وتوعد الجاحدين الذين الغوا آلات المعرفة التى انعم عليهم بها فقال تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل» وقال « و لا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » أى لاتتبع مالم يثبت عندك علمه ثبوتا يقينيا عن طريق الروايات السمعية والبصرية ، والبراهين المنطقية القطعية ، فان الله سيحاسبك على التقليد الاعمى ، وسوف يسالك عن آلات المعرفة التى انعم بها عليك فلم تعملها فيما خلقت له . وقال « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم » وقال « فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » .

الثقافة الاسلامية :

والاسلام دين عقل وعلم ، حث على البحث العقلى ، وشجع المجهود الفكرى ، ودعا الى الاقبال على العلم ، والاغتراف من جميع انواع المعرفة ، وطلب الاعمال الجليلة ، والتزود من القيم النافعة ، ولم يترك وسيلة من وسائل الرقى الا ودعا اليها ولم يترك طريقا من طرق الاصلاح الا حث عليها .

ولقد استجاب الاباء لدعوته فتفقهوا فى حقائق الاسلام ، وعملوا بمبادئه واحكامه ، وخلقوا الامة العزيزة القوية ، واستزادوا من العلوم المختلفة ، والفنون الكثيرة ، ونقلوا المعارف الفارسية والاغريقية والهندية ، وكانوا يكافئون المترجم بوزن ما يترجم ذهبا واخذوا من الثقافات الاجنبية واعطوها ، محتفظين فى الاخذ والعطاء بقوميتهم العربية ، وبشخصيتهم الاسلامية المتميزة وأخرجوا من العلوم المتنوعة ثقافة اسلامية فريدة ، وكانوا كالنحل امتص الرحيق فاخرج منه شرابا مختلفا الوانه فيه شفاء للناس ، واصبح المسلمون اساتذة العالم ، ولمع من بينهم علماء افذاذ سجل التاريخ لهم علومهم وأبحاثهم ومخترعاتهم ، وكانت ثقافتهم

نابعة من مصدرين ، مصدر الكتاب والسنة ، وما تفرع عنهما من علوم وآداب وفنون ، ومصدر العلوم والمعارف التى اقتبسها المسلمون عن طريق الترجمة ، واضافوا اليها وطبعوها بطابع اسلامى جعل منها مصدر خير ونور ، ثم قدموا للانسانية جمعاء الثقافة الاسلامية ، وجعلوها حقا مشاعا لجميع الناس : وامتدت حتى شملت العالم كله وعم ضوءها الجميع لانها تستهدف الى خير الجميع ، وانتقلت من الشرق الى الغرب كما ينتقل النور ، واستمرت زهاء ثلاثة عشر قرنا تحمل مبادىء العدل والخلق ، وتحقق السلام والامان ، واثرى منها العلماء فى الشرق والغرب اثراء منقطع النظير ، وطبعت فى تاريخ التقدم الانسانى آثارا لا تمحى على مر السنين ، وكانت من اقوى الوسائل دعاية للاسلام وعزة للمسلمين . قال تعالى : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وقال : « تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » وقال النبى عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقال : « قليل العلم خير من كثير العبادة » وقال : « اجودكم يوم القيامة رجل علم علما ، فنشر علمه ، يبعث يوم القيامة أمة وحده » وقال : « تناصحوا فى العلم فان خيانة فى العلم اشد من خيانة فى المال » ولقد قال جوستاف لوبون المفكر الغربى فى كتابه حضارة العرب « كان تاثير العرب المسلمين على الغرب عظيما ، واليهم يرجع الفضل فى حضارة اوربا ، ولم يكن نفوذهم فى الغرب أقل مما كان فى الشرق » .

ونحن يجب أن نكون خير خلف لخير سلف ، نغترف من محيط القرآن ، ونتمسك بمبادىء الاسلام ونحقق أهدافه ومراميه ونراقب الله فى التصرفات ونأتمر بالاوامر التى تحفز على التضحية والبذل ولقاء الموت حتى نحرز التقدم ، ونحقق النصر ، فالامة التى لاتقبل على التضحية أمة جبانة ، والامة التى لا تبذل فى سبيل حقها لا تستحق الحياة . ونحن فى معركتنا يجب أن نتسلح بالعلم والمعرفه وان يكون تخطيطنا قائما على العلم والمعرفة وان نتخذ من العلم والمعرفة وسيلة لاعداد أنفسنا بالقوة ولزيادة الانتاج وبذل أقصى جهد ممكن لدعم الاقتصاد القومى الذى يخدم المعركة ، الى جانب الوقوف ضد الحرب النفسية ، والتصدى للشائعات ومقاومتها حفاظا على صمود الجبهة الداخلية ، ووصولا الى نيل الحق بسواعد تسانده ، تؤدى دورها بايمان وثقة ، وثبات قدم . . قال تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » وقال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

ونحن فى مرحلة تقدمنا الثقافى يجب أن يؤدى كل منا دوره فى مقاومة الصهيونية ، وأن نقضى على أسلوب الفردية والسلبية ، وأن نشارك فى بناء المجتمع مشاركة فعالة تعم المجتمع كله ، وتعطى الانتاج الثقافى تأثيرا وعمقا وبقاء ، وتفيد من التراث الانسانى ، وتمده بما يزيد من خبراتنا وينميها . اذ ان الفكر حق مشاع للناس جميعا ، والثقافة كتاب مفتوح للانسانية نقرا منه فتفيد وتستفيد .

ونحن فى تقدمنا أمة تؤمن بالعلم فى نفس الوقت الذى تؤمن فيه بالشعب ، وبأن الثقافة يجب أن تنتشر على النطاق الشعبى ، حتى نحقق تكافؤ الفرص للجميع ، ومزيدا من المعرفة والعدالة الفكرية لعامة الشعب ، وأن تكون الثقافة وثيقة الصلة بالبيئة والمجتمع ، تتجه نحو الواقعية ، وتكون مرآة صادقة لالام الامة وآمالها ، وتعالج ما يتطلب العلاج بروح ثورية ، وتلحق بركب التفكير الثورى ، وتساير التطور . ولقد حدد الرئيس جمال عبد الناصر معالم ثورتنا الثقافية حينما قال : « ان الثورة الثقافية تضع نفسها فى خدمة الثورة السياسية ، وفى خدمة الثورة الاجتماعية ، ونحن فى سبيل بناء مجتمع على أساس من الكفاية والعدل ، لابد لنا من ثورة ثقافية معادية للاستعمار ، معادية للرجعية معادية للاقطاع ، معادية لسيطرة رأس المال ودكتاتوريته ، معادية للاستغلال بكل معانيه ، ثورة ثقافية هادفة الى ان يعرف الشعب مكاسبه وآماله ، ثم يعرف من هم اعداؤه ومن هم اصدقاؤه » .

البنك الأهلى المصرى
يضع أوعيته الادخارية فى خدمتكم

صندوق التوفير
يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ١/٢ ٪ سنويا

شهادات الاستثمار
بانواعها الثلاثة
• ذات القيمة المتزايدة مجموعة "أ" • ذات العائد الجارى مجموعة "ب" • ذات الجوائز مجموعة "ج"

ودائع لأجل
بفائدة تصل إلى ٤٪ سنويا

بنك المدرسة
لطلبة المدارس
يقبل الودائع من ٢٠ مليما

البنك الأهلى المصرى
خبرة الاعوام فى كافة الأعمال المصرفية

بعد عامين من المعركة

الاستاذ ابراهيم مصباح

يجدر بنا أن نلقى نظرة شاملة على تطور الامور فى مدى العامين التاليين لمعركة الخامس من يونيو حزيران عام ١٩٦٧ . وليس ذلك من قبيل الالتفات الى الوراء ولكنه من ضرورات تحليل الواقع على ضوء الحقيقة لكى تستبين الخطوط التى نسير عليها والغاية التى تؤدى اليها ..

ومنذ التاسع والعاشر من يونيو فى عام المعركة والشعب يتطلع الى اللحظة التى يستطيع فيها أن يعود أقوى وأصلب مما كان حتى يسترجع أرضه وثقته ويواصل النضال من جديد من أجل عرب فلسطين وقضية فلسطين وعروبة فلسطين :

كان التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ بمثابة اعلان من كل الشعب العربى والاسلامى برفض النصر السريع الزائف الذى أحرزته اسرائيل . ودعوة لتجديد الذات والوسائل والاساليب ومجاراة التقدم العلمى الذى لا يمكن بغيره أن تكسب المعارك ..

وبدأت معركة التجديد والتغيير والتبديل والتعديل ليس من أجل التبديل لذاته . ولكن سعيا وراء هدف عظيم هو التمكين لقواتنا من أن تصبح على درجة من القدرة والفعالية تستطيع بها أن تتخطى الواقع الى النصر المبين ..

ولقد حدث التغيير فى مستويات كثيرة أهمها القوات المسلحة المصرية والتنظيم الشعبى حيث أعيد بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب الحر المباشر من القاعدة الى القمة .. وتمت تعديلات كثيرة فى المؤسسات الاقتصادية لكى نصل فى الانتاج الى أقصى طاقة ممكنة حتى تؤازر الجبهة الداخلية جبهتنا العسكرية . وباختصار كان برنامج الثلاثين من مارس آذار سنة ١٩٦٨ والذى وافق الشعب عليه بالاجماع برنامجا محددا للتغيير من أجل المعركة .. ولكى يبقى صوت المعركة مرتفعا فوق أى صوت آخر . وضرورة المعركة مقدمة على أية ضرورة أخرى ..

بيد أننا لا يجب أن نحصر زاوية الرؤية فى هذه النواحى فقط على أهميتها القصوى لان هناك عدة عوامل برزت فى المحيط الداخلى والمحيط العربى بل والمحيط العالمى لا بد أن نذكرها ونحن نرصد معطيات الواقع ومسيرته بعد عامين .

فلقد كان هناك جهد سياسى — ولا يزال — قامت به الجمهورية العربية المتحدة والشقيقات العربيات .. من أجل ابراز حقيقة الكيان الاسرائيلى وضرب الادعاءات الصهيونية والتزييف والتلفيق الذى بلغ أشده قبيل المعركة . وهذا الجهد لم يتم فى العواصم العربية ولكنه تم بصورة أخرى هى أننا تحركنا من مكاننا الى مراكز الثقل السياسى فى العالم .. الى واشنطن ونيويورك وموسكو وباريس ولندن ودول آسيا ودول أمريكا اللاتينية والدول الافريقية ونتيجة هذه الحركة السريعة والمدروسة والمثابرة استطعنا أن نغير من الموقف الرسمى لدول كثيرة كانت تصوت ضدنا فى الامم المتحدة كما استطعنا أيضا أن نبعد دولا أخرى من التحيز الاعمى لاسرائيل كما واكب هذا الجهد السياسى جهد اعلامى يحاول أن يصلح من خطأ الاعلام العربى فى الماضى وأن يواجه متطلبات نجاحه من تحديد خطة مدروسة والاتصال بالاوساط الجامعية والعمالية والنقابية والجمعيات المختلفة الى آخر وسائل الاعلام الفعالة .. وأيضا استبدال أسلوب العاطفة الحماسية فى الاعلام الى أسلوب علمى موضوعى منطقى يهواه العقل الاوربى ولا تستطيع الصهيونية عندئذ أن تتسلل بأكاذيبها وافتراءاتها .. ونتيجة هذا الجهد الاعلامى تكونت جماعات من المثقفين فى بعض الدول الاوروبية تنادى بضرورة حل قضية فلسطين على أساس عادل واعادة اللاجئين الى ممتلكاتهم وتعويضهم .. ومعنى ذلك أن العقل الاوربى الذى استنام الى الدعاية الصهيونية سنوات طويلة قد بدأ يفيق ويفهم الخداع الذى كان فريسة له على أيدى الدهاقنة من الصهيونيين الذين اتهموا العرب بمعاداة السامية والعرب ساميون والذين اتهموا العرب باضطهاد اليهود . واليهود المقيمون فى البلاد العربية آمنون طالما ابتعدوا عن الاضرار بالدولة ومصالحها .. شأنهم فى ذلك شأن أى مواطن آخر . وقد سأل مدير تحرير جريدة نيويورك تايمز الرئيس جمال عبد الناصر سؤالا حول اسرائيل وهل ينتظر منها أن تقبل عودة الاعداد العربية الكبيرة الى أرضهم .. فأجاب الرئيس :

ولماذا لا ؟ ان اليهود والعرب والمسيحيين والمسلمين كانوا

يعيشون هنا فى الشرق الاوسط منذ قرون .. آلاف السنين . لقد عاش اليهود هنا فى مصر . ويعيشون هنا فى مصر . على الرغم من الدعاية التى استخدمت ضدنا فى بلادك من اننا لانعامل اليهود معاملة حسنة . يمكنك ان تجوس فى البلاد كلها ، وان ترى اليهود لقد طلب بعضهم مغادرة البلاد ووافقنا ، ولكنهم عادوا ورفضوا مغادرة البلاد وقالوا انهم يريدون البقاء هنا ، لقد قبضنا على يهود حوالى ثمانين يهوديا ، ولكننا بعد الحرب قبضنا أيضا على مسلمين ومسيحيين لدواعى الامن فى البلاد ، والاسرائيليون يعتقلون حاليا أكثر من سبعة آلاف عربى من الاراضى المحتلة وغزة ، ولذلك أريد ان اقول مرة أخرى ان اليهود والعرب من مسلمين ومسيحيين يعيشون هنا منذ قرون ، لقد كنا نعيش معا ، ولم تكن هناك كراهية وقلنا ان هذا معروف جيدا ، ولكننى أعتقد أن بعض الناس قد نسوا اننا واليهود ننتمى الى الاصل السامى ، وموسى ولد هنا فى مصر ، ولقد كنا نعيش دائما على احسن حال ، فلماذا اذن لا يعيش المسلمون والمسيحيون العرب سويا مع اليهود ..

ونرصد أيضا أنه فى خلال هذين العامين قامت حركة متميزة من بعض اليهود المثقفين فى أمريكا وفرنسا على سبيل المثال لكى تناهض دعوى اسرائيل بانها مسئولة عن كل يهود العالم . وفضحت هذه الجماعات اليهودية الضغط الاسرائيلى على يهود العالم لكى يكون ولاؤهم لاسرائيل مقدما على ولائهم للدولة التى يعيشون عليها ويحملون جنسيتها . وقد ذكر المثقفون اليهود الفرنسيون فى بيانهم انهم مستعدون للدفاع عن اسرائيل اذا وقع الظلم عليها . ولكنهم مستعدون بنفس القدر للدفاع عن أى بلد آخر يقع عليه ظلم . حتى ولو كان الظلم من اسرائيل .. ولقد قامت اسرائيل تلعن هؤلاء وتصفهم بالمروق . ولكننا نسجل هذه الظاهرة التى نشأت عن الجهد العربى لتبصير الرأى العام بالحقيقة . كما نشأ أيضا بفعل حماقات اسرائيل المتكررة والتى بلغت ذروتها فى الهجوم على الدول العربية واحتلال أجزاء من أراضيها والاصرار على رفض الانسحاب الا بالمساومة واستغلال الموقف من أجل توسيع رقعة اسرائيل وخريطة العدوان .

ومن الظواهر الرائعة التى ظهرت فى العامين الماضيين اشتداد ساعد قوات الفداء العربية والتنظيم الجديد الذى تم فى هياكل منظمة التحرير الفلسطينية . ولم يقتصر العمل الفدائى على الابطال الفلسطينيين ولكن برزت الى الوجود أيضا منظمة سيناء العربية التى استطاعت أن تنزل بالعدو ضربات قاصمة .

ولا جدال فى ان العمل الفدائى قد تخطى عقبات كثيرة . وانه يستطيع أن يلعب دورا خطيرا فى معركة التحرير . ولا جدال أيضا فى أن الوعى العربى لهذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا سوف يسلح قوات المقاومة بزاد مستمر من التأييد المعنوى والمادى حتى تكتسح كل العقبات وتستبسل فى سبيل الله والارض .

وبعد هذه الجولة السريعة التى رصدنا منها أهم الخطوط العامة التى تشير الى ما وقع من ايجابيات فى مدى عامين نعود لنتحدث بشىء من التفصيل عن القوات المسلحة والعمل القادر على الجبهة ثم على معركة الانتاج .

فعلى مدى العامين الماضيين تم جهد اسطورى فى مجال القوات المسلحة .. نستطيع قياسه بعدة مؤشرات ..

اولا : معارك المدفعية التى كبدت اسرائيل خسائر ملحوظة فى الارواح والمعدات ومنعتها وتمنعها باستمرار من تحصين الخط الامامى المسمى بخط بارليف وتدمير ما يقرب من ستين فى المائة من هذا الخط ..

ثانيا : الانتقال من مرحلة الصمود الى مرحلة الرد ثم مرحلة الردع . وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر . كان الجندى المصرى الذى يطلق رصاصة على اسرائيل بعد ١٩٦٧ يحاكم . والآن .. من يرى اسرائيليا ولا يطلق عليه رصاصة فانه يحاكم

ثالثا : من المؤشرات الهامة ذات الدلالة الفائقة على التغيير استشهاد المرحوم الفريق أول عبدالمنعم رياض على الخط الامامى بالجبهة .. ولقد تحدث الكثيرون من المدنيين والعسكريين على السواء . فى الداخل والخارج أيضا عن بطولة وشهامة رياض . وعن الروح الجديدة التى تسرى فى القوات المسلحة المصرية .. ووصفه القائد الرئيس بانه ذلك الجندى الشجاع الذى أعطى حياته فى ميدان القتال وضرب مثلا أعلى لشرف العسكرية المصرية .

رابعا : ظهور منظمة سيناء العربية وقيامها بعمل ممتاز وسط ظروف بالغة الخطورة .

خامسا: الوحدات الخاصة التى قامت باعمال ناجحة وخطيرة والتى تدل بحركاتها ودقة تنفيذ خططها على اتباع تكتيك جديد يوحى بقدرة المواجهة .

واذا نظرنا الى معركة الانتاج فلسوف يبرز على الفور هذا المشروع الاساسى وهو مصنع الدرفلة الجديد الذى افتتحه الرئيس ووصفه بانه من العلامات البارزة فى صناعة الحديد والصلب التى هى أساس بناء الصناعات الثقيلة . ولقد تكلف هذا المصنع ٦٧ مليونا من الجنيهات وشارك فى بنائه عشرة آلاف عامل مصرى. ولقد سجلت الخطوط البيانية لحركة الانتاج ارتفاعا مستمرا قدر بنسبة ١٢ ٪ . وسجل هذا العام زيادة فى الانتاج الصناعى عن العام الماضى بنسبة ١٤ ٪ . وظهر قطاع البترول بارزا اذ سجل ارتفاعا قدره ٥٧ ٪ .

ودلالة هذه الخطوط المتصاعدة كبيرة بين الخريطة العامة للعامين .. فهى تدل على أن الشعب المصرى استطاع أن يرفض الهزيمة عسكريا واستطاع أن يصمد اقتصاديا أيضا بل وأن يحقق زيادة فى الانتاج مستمرة .

واذا كنا لا نبغى الاحصاء لذاته وانما لدلالته فان الاحصاءات ورصد الوقائع والجزئيات تحملنا الى قضية كلية . وهى أن هذا الشعب المؤمن قد استطاع فى مدى العامين الماضيين ان ينجز الكثير الذى يحقق له شحذ سلاحه لمعركة التحرير .. كما ان هذين العامين . اذ يسجلان صعوداً فى قوانا ودعما لموقفنا فانهما يسجلان عكس ذلك لعدونا .. خلافات حادة فى الداخل حول الانسحاب أو البقاء .. خلافات حادة بين موشى ديان والزعماء الآخرين على الزعامة .. ازدياد البطالة . هبوط الانتاج ازدياد الرعب فى نفوس الاسرائيليين وتدمير اسطورة الجيش الذى لا يقهر هبوط ارصدة اسرائيل لدى الرأى العام العالمى .. تدمير الامن الاسرائيلى الذى حاربت اسرائيل من أجل توفيره .. وأخيرا .. غارات فاشلة وكاذبة على الاهداف الاقتصادية وغارات على المدنيين واعتقالات ومحاكمات .. كل ذلك وسط ضربات المقاومة التى لا تهدأ يوما واحدا .. والتى فشلت اسرائيل فى القضاء عليها وسيتأكد فشلها يوما بعد يوم ..

ان هذين العامين يؤكدان المنطق العام الذى ساد هذه المنطقة منذ عهد بعيد .. ان هذه الارض لاهلها وأصحابها . وأن الهزيمة قد تلحق بأهلها بعض الوقت ولكنهم بايمانهم بالله يستطيعون دائما ان يحولوا الهزيمة الى نصر كبير .

رجال صنعوا التاريخ

الأستاذ محمود الجرسي

كان بطلا ملء اهابه منذ تفجر هذا الاهاب ببواكير الشباب ، وكان قلبه يفيض بشجاعة لا تقهر ، وارادة لا تلين .. !!

كان متوثبا مقداما ، يقتحم الهول وهو اهدأ ما يكون روعا ، ويتحدى الخطوب وهو أملك ما يكون لزمام نفسه وزمام طبعه .. !!

وكان فيه من سمات الوراثة كثير ، فهو من قبيلة ذهبت بكل محامد الشجاعة والاقدام ، واجتمع لها في الجاهلية « رياسة القبة وأعنة الفرسان » لانها كانت أشجع في الفروسية من كل قبائل قريش وكان فرسانها هم صناديد قريش في كل معترك ، وفي كل نزال ..

وكان ينحدر من أصلاب لها في المجد صفحات ، وفي الفخر مآثر ، وفي الشجاعة ذكر لا يطوى : فأبوه الوليد بن المغيرة ، الذي كانت تلقبه قريش بالعدل تارة ، وبالوحيد تارة أخرى ، لانه كان يكسو الكعبة وحده سنة ، وتكسوها قريش كلها مثل كسوته سنة اخرى ، وعمه الفاكه بن المغيرة صاحب أكبر بيت للضيافة يأوي اليه الناس بغير استئذان ، حتى أصبح بجوده مضرب المثل وعمه هشام بن المغيرة قائد فرسان قريش في حرب الفجار ، وفارسها المعلم ، وقد أرخت قريش بوفاته كما تؤرخ بالاحداث العظام ، وعمه أبو حذيفة الذي اشترك مع رؤساء قريش في ارساء الحجر الاسود في مكانه من الكعبة ، حين احتكمت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، عندما دب بينها الخلاف .

فهو بطل من أبطال ! ورجل اجتمعت فيه كل صفات البطولة والمجد والفخر والاعتداد ، لانها كلها كانت تجري في دمائه ، وتشده الى اعراق زكية طيبة ، انحدرت اليه من بني مخزوم ..

ولكن الله لحكمة ارادها ، ادخر هذا الرجل لتظهر بطولته في اجلى صورها ، وتتجلى شجاعته في اقدس ميادينها عندما يضيء قلبه بنور الاسلام ، فلم يبلغ نضجه الحربي الا بعد أن لامس الاسلام شغاف قلبه ، ولم تدن الدنيا بعبقريته الحربية الا بعد ان طهر الاسلام نفسه ، وزكى روحه ، فسدد الله في سبيل الحق ضربات سيفه : حتى لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيف الاسلام ، وحتى أصبح القائد العبقري الذي لا يقهر ، وأعظم فاتح في تاريخ الاسلام .

ولقد طال لبث خالد بن الوليد في الجاهلية ، واشتد على المسلمين بلاؤه ، وكان أحرى بهذا البطل ان يسرع الى دعوة الاسلام كما أسرع أخوه ، لولا ما ركب في طبعه من طبائع الفارس وخلائقه ، فطبيعة الفروسية الاصيلة تأبى الاستسلام الا حين يتضح لها أن الاستسلام لا يثلم شرفا : ولا يجلب عارا ، لانه استسلام الشريف للشريف ، ولذلك ظل على عداوته للاسلام الى ما بعد صلح الحديبية ، حتى اذا انبلج أمامه نور الحق ، واتضحت المسالك ، وعرف أن الله غالب على أمره ، تفتح قلبه للدين الجديد ، وعرف أن مكانه الصحيح انما هو بين صفوفه ، وتحت راية جنده .

وأنت حين تستمع الى كلام خالد بن الوليد وهو يروي بنفسه قصة اسلامه تبهرك من خلال هذه القصة روح البطل المعتد بقبيلته وعروبته ، وتلمح في ثناياها — مع الاعجاب الشديد — خلق الفارس الذي لا ينتهز غرة من عدوه ، وصورة الرجل الذي يشده الايمان الى طريق النور ، فيخرج به من المعارج المزلقة الى الرحاب الواسعة ، الذي يجول فيها باسم الدين ، وينافح فيها من عقيدة رسخت في قلبه رسوخ الجبال .

ورواية خالد لقصة اسلامه — من أجل ذلك — جديرة بأن تحتل مكان الصدارة في تاريخ هذا البطل ، وبان نرويها بعد ذلك للاجيال التي نعدها لحمل التبعات ، حتى يتأسون فيما يقرأون بالابطال ، ويدركون مدى التأثير الروحي لتعاليم الاسلام في نفوس العظماء .

يقول خالد بن الوليد : « لما اراد الله بى ما اراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام ، وحضرنى رشدى فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس فى موطن اشهده الاوانصرف وانا ارى فى نفسى انى موضع فى غير شىء ، وأن محمدا سيظهر فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله فى أصحابه بعسفان ، فقمت بازائه وتعرضت له ، فصلى باصحابه الظهر اماما ، فهممنا ان نغير عليهم ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على ما فى انفسنا من الهم به ، فصلى باصحابه العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا ، وقلت الرجل ممنوع ، فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا ، وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشا بالحديبية ، ودافعته قريش بالراح ، قلت فى نفسى : اى شىء بقى ؟ اين اذهب ؟ الى النجاشى ! فقد اتبع محمدا وأصحابه عنده آمنون . فاخرج الى هرقل ؟ فاخرج من دينى الى نصرانية او يهودية !! افاقيم فى عجم ؟ او اقيم فى دارى بمن بقى ؟؟ فانا فى ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليهوسلم مكة فيعمرة القضية : فتغيبت فلم اشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى فى عمرة القضية ، فطلبنى فلم يجدنى ، فكتب الى كتابا فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد ، فانى لم ار اعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام ، وعقلك عقلك ، ومثل الاسلام يجهله احد « وقد سالنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك » وقال : « اين خالد ؟ » فقلت : ياتى الله به ، فقال : ما مثل خالد يجهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين لكان خيرا له ، ولقدمناه على غيره . فاستدرك يااخى مافاتك منه ، فقد فاتتك مواطن صالحة » .

« فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الاسلام : وسرنى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى .. فلما اجمعت الخروج الى رسول الله قلت : من أصاحب الى محمد « فلقيت صفوان بن أمية فقلت : أما ترى يا أبا وهب ؟ اما ترى ما نحن فيه ؟ انما نحن أكلة رأس « وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا عليه فاتبعناه ؟ فان شرف محمد شرف لنا ، فابى على اشد الاباء وقال : لو لم يبق غيرى من قريش ما تبعته ابدا !! فافترقنا ، وقلت : هذا رجل موتور يطلب وترا قتل ابوه وخوه ببدر ، ولقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان ، فقال لى مثل ما قال صفوان ، قلت له : فاكتم على ما ذكرت لك ، قال : لا أذكره ، وخرجت الى منزلى فأمرت براحلتى تخرج الى ، فخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : ان هذا لى صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت ان اذكره ، ثم قلت : وما على وأنا راحل من ساعتى ؟؟ فذكرت له ما صار الامر اليه ، وقلت : انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر ، لو صب عليه ذنوب من ماء خرج ، وقلت له نحوا مما قلته لصاحبيه ، فاسرع الاجابة ... »

« واولجنا بسحرة ، فلم يطلع علينا الفجر حتى التقينا بياجج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدة ، فوجدنا عمر بن العاص بها ، فقال مرحبا بالقوم ، قلنا : وبك ، فقال : الى أين مسيركم ؟ فقلت : وما اخرجك ؟ فقال : وما اخرجكم ؟ قلنا الدخول فى الاسلام واتباع محمد ، قال : وذاك الذى أقدمنى ، فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا المدينة ، فانخنا بظهر الحرة ركابنا ، وأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابى ، ثم عمدت الى رسول الله ، فلقينى أخى ، فقال : أسرع فان رسول الله قد اخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم ، فاسرعت المشى ، فطلعت عليه ، فما زال يبتسم الى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة ، فرد على بوجه طلق ، فقلت : أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله !! فقال : الحمد لله الذى هداك ، قد كنت ارى لك عقلا ورجوت الا يسلمك الا لخير ، قلت : يا رسول الله انى قد رأيت ما كنت اشهد من تلك المواطن عليك معاندا للحق ، فادع الله أن يغفرها لى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاسلام يجب ما قبله » قلت : يا رسول الله على ذلك ؟ قال :

« اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما اوضع فيه من صد عن سبيلك » وتقدم بعده عثمان وعمرو فبايعا »

وتبدو مكانة خالد بعد اسلامه فى قوله : « والله ما كان رسول الله يوم اسلمت يعدل بى أحدا من أصحابه فيما حزبه » ثم اقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع دار من الدور التى كان وهبها له الحارثة بن النعمان ، وجعله موضع ثقته ، ومن كتابه .

هذه الصورة التى رسمها خالد بن الوليد بقلمه تكشف عن اشياء كثيرة يدركها كل قارىء فطن : فخالد يبدو من ثنايا القصة حين ضاقت به السبل معتزا بجنسيته العربية ، لا يريد لها ان تذوب فى فرس أو روم أو حبش ، بل يريد أن يظل عربيا خالصا ، وان يتابع هذا الرجل الذى رد للعرب كرامتهم ، وطهر نفوسهم اكرم له من ان يتابع غيره او يلزم عقر داره ، ولذلك طابت نفسه وامتلات سرورا حين علم ان رسول الله قد سأل عنه اخاه .

ثم هو فى الحديبية يقف موقف الفارس النبيل الذى لا يريد أن يغافل عدوه ليدهمه ، بل وقف أمام المسلمين يهم بالاغارة عليهم ، ثم لم يعزم له ، فانصرف بعد أن امتلا قلبه اجلالا وخشية من رسول الله وهو يصلى باصحابه العصر صلاة الخوف .

ثم هو يلتمس رفيقا او رفقاء من كبار رجال قريش ليكونوا بجواره فى مقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى تلمسه الرفقاء ما ينم عن خلال طيبة ، ونفس طاهرة ، فهو يريد الخير لغيره كما يريده لنفسه ، وهو يسعده أن يحمل الهدى الى النفوس الضالة لتهتدى الى الخير كما اهتدى ، ولا يريد ان يستأثر من دون أصحابه بما استراحت اليه نفسه ، وهو اكثر من ذلك يريد أن يدخل السرور على نفس رسول الله حين يرى طغاة مكة وقد تطامنت نفوسهم بعد جحود ، وخشعت من بعد طغيان ، وسعت اليه تعلن اسلامها بالدين الجديد .

ومع ذلك لم يظهر « سيف الله » على مسرح الاحداث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جلال عبقريته كما ظهر بعد ذلك ، ولعلنا نلمس بواكير هذه العبقرية بعد اسلام صاحبها فى غزوة « مؤتة » التى سيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للقصاص ممن قتلوا وفده الى ذات الطلح على مقربة من الشام ، حين ارسله يدعوهم الى الاسلام ، ثم للانتقام من شرحبيل ابن عمرو الغسانى الذى قتل رسوله الذى أرسله بعد ذلك الى هرقل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهدف بهذه الغزوة الى تاديب من قتلوا رسله فحسب ، بل كان يبغى من ورائها بث الرعب فى نفوس هؤلاء العرب ، الذين يدينون بالتبعية للروم ، حتى لا يظنوا بالمسلمين ضعفا ، وحتى يدركوا أن ثمة دولة عربية جديدة قد ظهرت فى الجزيرة العربية ، وأن ولاء العرب احق بان يكون لها .

ولو انه تردد فى تاديب هؤلاء الاعراب ، ولم يسير هذه الغزوة لتالبت هذه القبائل على المسلمين بتحريض من الروم ، وشجعتهم على الزحف على المدينة بعد أن تمدهم بالمال والعتاد ، حتى تقضى على هذا الدين الجديد الذى بدأ يقض مضاجعها .

سار الجيش الى مؤتة ، وعلى رأسه زيد بن حارثة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصى بان تكون قيادة الجيش بعد زيد الى جعفر بن أبى طالب ، فان استشهد فالى عبد الله بن رواحة ، فان لحق بصاحبيه فى الشهادة فليرتض المسلمون من بينهم رجلا فليجعلوه عليهم ، وكان فى الجيش خالد ونخبة من الصحابة ، فمضوا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع كثيفة من الروم والعرب بقيادة هرقل تبلغ مائتى الف ، وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف ، فرأى جماعة من المسلمين أن الحرب غير مجدية مع هذا التفاوت الكبير فى العدد والعدة ، واراد بعضهم ان يرجع فى الامر الى رسول الله ، الا ان

البقية ص ١٣٨

عبد الناصر صانع السلام

بالأستاذ كامل عبد المجيد

« ان الوقت ليس هو العامل الذى يحتسب له كل الحساب وانما النصر هو الهدف الذى يجب ان يجرى من اجله كل الحساب، ولابد ان نكون متاكدين من كل خطوة نخطوها » .

(من حديث الرئيس عبد الناصر الى مجلة تايم الامريكية)

حاولت مؤسسات صحفية امريكية عديدة على مدار هذا العام تحسس السياسة المصرية والتعرف على اتجاه الفكر المصرى العربى ازاء ازمة الشرق الاوسط فى محاولة لتتبع تطورات الازمة واستقراء نتائجها .. وقد التقى اربعة من رؤساء تحرير اوسع الصحف والمجلات الامريكية انتشارا بالرئيس جمال عبد الناصر ، واجروا معه احاديث صحفية ـ اذيع بعضها فى التليفزيون الامريكى ـ ضمن محاولات تتبع الصحافة الامريكية للراى العام المصرى والعربى فى الازمة .

واذا استعرضنا هذه اللقاءات الاربعة والاسئلة المختلفة التى وجهت الى رئيس الجمهورية العربية المتحدة لوجدنا انها تكاد تتكرر فى كل مرة ، لانها تتحدث عن نوايا الدول العربية ـ والجمهورية العربية المتحدة بالذات ـ المستقبلة بالنسبة لحل الازمة ، كما انها تتحد ايضا فى محاولات هؤلاء المحررين معرفة مدى الاستعداد العسكرى الذى وصلت اليه القوات العربية على كل الجبهات ، وقدرة الصمود العربى على الاستمرار فى مواجهة التحديات المختلفة ، السياسية منها والعسكرية والاقتصادية .

فى الرابع من شهر فبراير هذا العام التقى صانع السلام برئيس تحرير مجلة نيوزويك للشئون الدولية « ارنوبور شجريف » اجاب فيه على ٣٥ سؤالا تناولت احتمالات الحل السياسى والعلاقات مع الولايات المتحدة واحتمالات التغيير فى السياسة الامريكية فى حكم نيكسون وموقف الجمهورية العربية المتحدة من المقاومة وعلاقات فرنسا ومصر ومشكلة احتمال حصول اسرائيل على اسلحة نووية ، واخيرا الموقف الذى مازال متاحا للانتظار قبل وصول الازمة بطريقة واخرى الى حافة الخطر .

وقد شرح عبد الناصر فى حديثه هذا انه ليس متفائلا بامكان تنفيذ قرار مجلس الامن ولا بامكان تطبيق المقترحات السوفيتية ـ التى كانت قد وضعت وقت اجراء هذا الحديث ـ جدولا زمنيا لتنفيذه ، ذلك لان اسرائيل تنفذ مخططا توسعيا هدفه الاستيلاء على الارض العربية ، فقال صانع السلام عن هذه النقطة بالحرف الواحد « لم اكن متفائلا بشان قرار الامم المتحدة او المقترحات السوفيتية لاننى اعرف استراتيجية الاسرائيليين ووجهات نظرهم . لقد قلت لجروميكو عندما جاء الى هنا ان الولايات المتحدة لن توافق على مقترحاتكم ، لماذا ؟ لاننى اعرف ان الولايات المتحدة تؤيد اسرائيل مائة فى المائة » . وقد اكد عبد الناصر فى هذا الحديث اصرار العرب على استرجاع حقوقهم والتمسك بحق شعب فلسطين « لان قضية اللاجئين ليست قضية احسان ولكنها قضية شعب وقضية وطن » .

ويؤكد رئيس الجمهورية العربية هذه النقطة مرة اخرى فى حديثه لمجلة « نيويورك تايمز » الذى اجراه معه « سوليز برجر » فى الثالث من شهر مارس عندما اعلن ضرورة عودة هؤلاء اللاجئين العرب الذين غادروا فلسطين منذ انشاء اسرائيل « ويرغبون فى العودة » واذا كانت اسرائيل لا تبغى قبول « الحل السياسى » على اساس عودة هؤلاء اللاجئين الى وطنهم فلابد من الوصول الى حل « بوسائل اخرى » ، لانه « اذا استطعنا حل مشكلة الارض المحتلة ومشكلة لاجئى فلسطين فان ذلك سوف ينتهى الى حل سلمى . ولكن اذا سويت مشكلة الارض المحتلة سنة ١٩٦٧ واهملنا الجانب الاخر فلن يكون هناك سلام . لقد اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دوراتها عام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٦٦ قرارات بحق الفلسطينيين فى العودة الى وطنهم ، ولكن الاسرائيليين تجاهلوا كلية تنفيذ هذه القرارات ، وهذا هو الجزء الرئيسى فى المشكلة . لقد طرد الاسرائيليون اكثر من مليون عربى من المسلمين والمسيحيين . انهم يريدون دولة يهودية ، ولكنهم اذا قبلوا عودة اللاجئين وانسحبوا من الاراضى المحتلة فسيكون هناك سلام » .

وقد اوضح عبد الناصر فى هذا الحديث بصراحة تامة ان النزاع مع اسرائيل لابد ان يشهد جولة رابعة فى ميدان القتال الا اذا حدث ضغط على حكومة تل ابيب لتتخلى عن كل بوصة من الارض احتلتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، فرغم اننا « نحاول انهاء احتلال الاراضى العربية فى مصر والاردن وسوريا عن طريق الحل السياسى بالوسائل السلمية » الا ان ذلك اذا لم يتحقق بالوسائل السلمية « يجب علينا ان نكافح بوسائل اخرى

لتحقيق هذا الهدف « فلا احد يقبل احتلال ارضه بقوات مسلحة معتدية ، ولابد ان يحارب » .

ولان قضية فلسطين جزء لا يتجزأ من القضية العربية ككل ، فقد اكد عبد الناصر تأييد الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية للمنظمات الفدائية ، باعتبارها وسيلة مشروعة يستعملها الشعب الفلسطيني لاستعادة ما سلب منه ، وابدى اعجابه بشباب هذه المنظمات « لانهم يحاربون من اجل حقوقهم . لقد ظلوا عشرين سنة ينتظرون من العالم ان يعيد لهم حقوقهم التي انتزعت منهم ، وهم يقاتلون الان في سبيل هذه الحقوق . واعتقد ان كل واحد يتفق معهم في انهم يجب ان يحاربوا . وانا معجب بهم كما اعجبنا بحركات المقاومة التي نشأت مثلا في اوربا وفي آسيا اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها حتى الان » .

وفي لقاء ثالث مع مدير تحرير جريدة « نيويورك تايمز » اذيع في الثالث والعشرين من شهر ابريل الماضي على شبكة التليفزيون الاهلي الامريكي تحدث عبد الناصر بالتفصيل عن احتمالات الموقف المتفجر في ازمة الشرق الاوسط وقد ابرز في هذا الحديث نقاطا هامة دارت حولها اسئلة محدثه « كليفتون دانيال » فأكد رفض الشعب العربي القبول بالعدوان والتوسع وان تحرير الارض المحتلة ليس حقا مشروعا فقط بل هو واجب قومي ، وطالما ظلت اسرائيل تسير في مخططها التوسعي الذي لا تخشى الافصاح عنه الان ، فان ذلك يلغي اية محاولة سلمية لحل الازمة واقرار السلام في المنطقة « للوصول الى حل ، فانه يجب على الاسرائيليين بالطبع ان يتخلوا عن التوسع .. اما اذا اصروا على التوسع فلن يكون هناك حل .. وفي تصريحات كل الزعماء الاسرائيليين نجد حديثهم عن التوسع وعن اطماعهم في القدس .. في مرتفعات جولان .. في اجزاء من سيناء .. في اجزاء من الضفة الغربية .. اذا فاذا اردنا الحل .. اذا اراد المجتمع الدولي تحقيق السلام فيجب ان يكون في اعتبارهم ان السلام لا يعني التوسع » .

كما اكد عبد الناصر في هذا الحديث ايضا انه لا يمكن ابدا تحقيق امل الاسرائيليين في الجلوس على مائدة للمفاوضات مع العرب ، وان التوصل الى اي حل يجب ان يكون عن طريق الامم المتحدة التي خلقتها « اذن فالامم المتحدة مسئولة عن جميع التطورات في هذه المنطقة ، ومسئولة عن جميع المتاعب في هذه المنطقة ، ولذا فاننا نعتقد ان من الافضل ان يأتي الحل عن طريق الامم المتحدة » .

وفي هذا الحديث اكد صانع السلام الحقيقة التي طالما اكدها ويؤكدها وهي حقوق شعب فلسطين ، اذ لا يمكن ان يكون هناك سلام ما لم تحل قضية الشعب الفلسطيني على اساس قرارات الامم المتحدة فما « لم تحل مشكلة الشعب الفلسطيني لن يكون هناك سلام » . وبالاضافة الى هذه النقاط اوضح عبد الناصر ان مسالة الملاحة في الممرات المائية الدولية — وقناة السويس واحدة من هذه الممرات — مرتبطة عضويا بحقوق الشعب الفلسطيني ، وان حدود اوطاننا كانت هناك منذ قرون « فكيف يطلب منا احد ان نعطيه اجزاء من ارضنا » .

ولم يفته في هذا الحديث ان يشير الى ان الجمهورية العربية المتحدة تبني قواتها المسلحة « ولا استطيع ان اقول اكثر من ذلك » لاستعادة حقها الشرعي الذي سلب منها واسترداد الارض المغتصبة في سيناء والاردن وسوريا ..

وفي لقاء اسرة تحرير مجلة [تايم] لعبد الناصر في الثالث عشر من شهر مايو الماضي دارت تقريبا نفس الاسئلة عن احتمالات السلام او الانفجار في ازمة الشرق الاوسط ومدى الاستعداد العربي للجلوس على مائدة مفاوضات مع اسرائيل وحرية الملاحة في الممرات الدولية وعن تدويل القدس وغيرها من الاسئلة التي تكرر معظمها في التحقيقات الصحفية السابقة وقد اكد صانع السلام في لقائه الاخير باسرة مجلة تايم الامريكية ردا على احد الاسئلة ان الاشتباكات التي تجري على خط الجبهة المصرية هي مرحلة في اتجاه بداية عملية تحرير الارض المحتلة ، وان مرحلة التحرير الفعلي مرهونة بالظروف العسكرية الملائمة لان « النصر هو الهدف الذي يجب ان يجري من أجله كل الحساب ، ولابد ان نكون متاكدين من كل خطوة نخطوها » ذلك ان شعبنا « لا يريد مغامرات وانما هو يريد تحقيق اهداف يتحتم ان نتحرك نحوها واثقين من حشدنا في الطاقات والقدرات » .

وفي مجال الاستعداد للمعركة وتوقيتها اوضح صانع السلام اننا لا نحارب من اجل الحرب ، بل لانه ليست هناك وسيلة اخرى غيرها لاسترداد ما سلب ، بعد استنفاد كل الوسائل السلمية . ان شعبنا يؤمن بواجبه في تحرير ارضه مهما كان الثمن « فالمسألة ليست مسالة اننا نريد ان نحارب من اجل الحرب

وانما نحن نريد ان نحرر ارضنا . ولو كان هناك سبيل سلمي لتحرير الارض فنحن على استعداد لان نسلكه ولقد فعلنا ذلك بقبولنا لقرار مجلس الامن ، ولكن الاسرائيليين يرفضونه » ومعنى ذلك انه لم يعد لدينا الان خيار ، وقد اخترنا طريقنا وهو استعادة الارض وتحريرها من المغتصب ، واذا كانت كل المحاولات السلمية قد فشلت ، فنحن نقبل الحرب ، ونخوضها في سبيل التحرير .

ومرة اخرى يؤكد عبد الناصر في هذا الحديث ان تسوية المشكلة اذا كان لا يزال هناك امل في التسوية يقتضي تسوية مسالتين « وبغيرهما لا تكون هناك تسوية » الاولى هي مشكلة الارض اي الانسحاب من كل الاراضي العربية التي جرى احتلالها بالعدوان ، والثانية هي مشكلة البشر « واعني بها مشكلة الفلسطينيين الذين يحق لهم العودة الى اراضيهم التي طردوا منها قبل اكثر من عشرين سنة » . واذا لم تتكفل اية تسوية بحل هاتين المشكلتين : مشكلة الارض ومشكلة البشر من الفلسطينيين فلن يكون هناك حل .

كما اوضح عبد الناصر — ردا على احد الاسئلة — طاقات الشعب المصري وقدراته وصموده ، فقال « ان هذا الشعب يملك من اسباب القوة النفسية والروحية ما يعطيه طاقة هائلة في مواجهة المصاعب » . كما « ان جماهير شعبنا اعطت اكبر جهودها في وقت الشدة فبلغ الانتاج الزراعي والصناعي ارقاما قياسية » .

واكد عبد الناصر في حديثه الروح المعنوية المرتفعة لشعبنا وقواتنا المسلحة « ولا يمكن لاحد ان يتصور عمق حافز التحرير لدى كل جماهير الشعب المصري خصوصا بين الشباب » .

وبعد هذه الجولة السريعة مع محاولات الصحافة الامريكية ومجساتها التي تتحسس بها قوة الشعب والجيش المصري التي تنعكس على لقاءاتها بالزعيم القائد ، لا يسعنا الا ان نقدم لهم الرد الموجز البليغ الذي اجاب به على احد الاسئلة بقوله :

« ان الوضع الان يختلف عما كان عليه قبل يونيو ١٩٦٧ . انني اعتبر الان ان شاغلي الاساسي هو استعداد قواتنا المسلحة وهذا موضوع اتابعه بنفسي يوما بيوم » .

الجهاد من أجل الحق والخير

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

الاسلام دين سلام . جاء يخاطب الناس بالحكمة والموعظة الحسنة . ويجادلهم بالتى هى احسن . يقول تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » .

لكنه شرع القتال فرض عين على كل مسلم ومسلمة لرد أى اعتداء على المسلمين .

يقول تعالى «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقال تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ويأمرنا الاسلام ان نكون على استعداد للعدو فى اى وقت حتى لا ياخذنا على غرة اذا اخذ اهبته للهجوم . بكل وسائل الاستعداد من توفير لادوات الحرب واعداد الجنود وتدريبهم . يقول تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . ومن رباط الخيل . ترهبون به عدو الله وعدوكم » او حماية للحرية الدينية ، ومنعا لفتنة المؤمنين . يقول تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » .

فالاسلام يجعل العلاقة بين الناس اساسا علاقة سلمية تقوم على المودة والوفاء والرحمة والحرية الدينية وحق العيش فى امان واللقاء المثمر بين البشر جميعا لتبادل الخيرات والمنافع .

فهو دين يدعوا الى السلم كافة يقول تعالى « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » حتى يضطروا الى القتال دفاعا عن دينهم ووطنهم ومقدساتهم . وقد وصف القرآن الكريم القتال دون قيام دواعيه بانه من عمل الشيطان .

اذن فالقتال امر عارض . شرع على كراهته رحمة بالعباد ونصرة للحق . ودفعا للباطل واعزاء لكلمة الله . يقول تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » لان القوة لا تدفعها الا القوة « لايفل الحديد الا الحديد » .

فاذا رفع السلاح . فلابد من رفع السلاح . واذا وقع اعتداء فلابد من رد الاعتداء لان الاسلام يحرم الاعتداء على الغير . يقول تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » فجعل درء الاعتداء انما يكون من نفس نوع الاعتداء اذ ليس من المعقول ان يرد اعتداء السيف بالحكمة والموعظة الحسنة . والمجادلة بالتى هى احسن .

وان كان الاسلام دين سمح . وليس من العدالة ان يتسامح الاسلام مع الظالم الى حد ضياع حق المسلمين . لانه حينئذ ينقلب اثما فى حق المظلوم فلا رحمة مع الظالم .

يقول تعالى « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » .

والعدالة لاتنافى الرحمة . فمن العدالة الا يقتل الذين لا يحاربون من المدنيين أو ضرب مساكنهم ومنشآتهم .

والجهاد فضلا عن انه شرعة دينية . فانه ايضا يقوم على اساس خلقى . والاسلام لا يفرق بين ان يدافع الانسان عن شرفه وعرضه وبين ان يقف فى وجه من يقاتله فى سبيل حريته . وحرية بلاده . لان حرية الضمير لا تقل مرتبة عن حريه الوطن والمعاش .

وفى كتاب للبروفيسور شبروك وليامز بعنوان « دولة الباكستان » يقول عن تفسير اخلاق الاسلام السلمية « ان الاسلام لا يسعى الى وطن يستطيع المسلم فيه ان ينطلق من قيود المستغلين وحسب . بل انه يسعى الى اقامة بلاد تسود فيها اداب الاسلام . ويمتنع فيها ظلم الاغنياء للفقراء ويتبع فيها الولاة . وصايا العدل الاجتماعى التى يتعلمونها من سماحة الشريعة وان تقاليد الاسلام تشمل مبادىء المساواة بين الارواح الانسانية امام الله وتقدر اواصر الاخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر الى العنصر او اللون . كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه .

وشرعة الجهاد من الناحية الخلقية تقوم على اساس من الفضيلة ومكارم الاخلاق حتى مع الاعداء . فاذا وقعت الحرب وجب مراعاة تقوى الله . يقول تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله » فلا تمثيل بقتلى الاعداء وان مثل العدو بقتلى المسلمين . ولا تقتيل للنساء او انتهاك لحرماتهن . وان مثل العدو بنساء المسلمين او انتهك حرماتهم . ولاقتل للاسرى . وان قتل العدو اسرى المسلمين . يقول صلى الله عليه وسلم « لا يعترض احدكم اسير اخيه فيقتله » .

كما يدعوا الاسلام ايضا الى الثبات فى الميدان وعدم التراجع امام العدو .. او الاستسلام . بل الصبر والمصابرة والفداء والاستبسال وبذل الارواح بسخاء . مادامت قد قامت دواعى القتال . يقول تعالى

«يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا» وفى سبيل الجهاد فان على المسلمين ان يقدموا انفسهم وأموالهم رخيصة لاعلاء كلمة الحق ، ويقول تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله .ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله . اولئك هم الصادقون » .

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يلجأ الى القتال الا بعد ان اشتد الاذى بالمسلمين واذن الله سبحانه وتعالى له بالقتال « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » فكان الاذن بالقتال لدفع الظلم والعدوان . ولما استمر الكفار واليهود يناوئون بالقوة والعدوان بعد الهجرة الى المدينة انزل الله سبحانه وتعالى « يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يقاتلونكم من الكفار » .

ورغب عليه الصلاة والسلام فى الجهاد فقال « انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج الا ايمان بى . وتصديق برسلى . ان ارجعه بما نال من اجر . او غنيمة او ادخله الجنة .ولولا ان اشق على امتى ما قعدت خلف سريه . ولوددت انى اقتل فى سبيل الله . ثم احيا . ثم اقتل ثم احيا . ثم اقتل » .

واليوم وقد توافرت اسباب القتال فى العدوان الاسرائيلى المتكرر واحتلاله لجزء من ارض وطننا . وبما كان من قسوة ووحشية واخراج للامنين فى ديارهم وتقتيلهم ومعاداتهم للاسلام .لان الصهيونية تعادى كل دين غير يهودى .

وبما كان من انتهاك لحرمات المقدسات الاسلامية فى بيت المقدس والحرم الابراهيمى فى الخليل . وتحويلهم المساجد والكنائس الى حمامات للسباحة ودورا للهو ، فقد اضحى الجهاد بالاموال والانفس فرضا عينيا فى عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته . مهما بعدت الديار .

ونحن لسنا دعاة حرب .ولكننا من دعاة القضاء على الحرب . ولا يمكن القضاء عليها الا بالحرب . فاذا حمل العدو السلاح. فلابد من حمل السلاح واذا اعتدى فلابد من رد الاعتداء .

ايها المسلمون ان اسرائيل تحشد لكم . فلا تخشوهم . واحرصوا على الموت حرصكم على الحياة . ولنتمثل بقول الله سبحانه وتعالى « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فزادهم ايمانا .وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » حتى يتحقق قول الله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم » .

ان المعركة المصيرية التى لابد ان نخوضها . هى معركة المسلمين جميعا لارتباطها بدينهم وتاريخهم وتراثهم . ولاننا نحارب الصهيونية العالمية ومن وراءها . وكل تقصير فى مقاومتها عصيان لله تعالى واثم كبير .

اسرائيل تريد الفتك بنا .. والواجب المقدس ينادينا ..

وأرواح الشهداء تهب لحماية الاسلام .. والثأر للشرف العربى .

فاما النصر .. واما الاستشهاد .. وقد اشترى الله سبحانه وتعالى منا انفسنا واموالنا بان لنا الجنة .. فيالها من صفقة رابحة ..

بقية مقال « رجال صنعوا التاريخ »

الحماسة العربية غلبت على بعضهم ، وصرخ فيهم عبد الله بن رواحة يا قوم ! والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور ، واما شهادة ، فلم يبق مفر بعد ذلك من الالتحام .

ودور رحى معركة غير متكافئة : ويستشهد قادتها بطلا بعد بطل ، حتى اذا استشهد آخرهم « عبد الله بن رواحة » تقدم ثابت بن اقرم فحمل الراية ، وأخذ يصيح ، يا للانصار !! فجعل الناس يثوبون اليه ، فناداهم يا معشر المسلمين ! اصطلحوا على رجل منكم ، فتنادوا جميعا ، أنت ، أنت ، فقال أقرم : لا والله ما أنا بفاعل ، ثم نظر الى خالد بن الوليد فقال له : خذ يا أبا سليمان اللواء ، فقال خالد : لا آخذه ! انت احق به منى ، لك سن ، وقد شهدت بدرا ! ! فقال ثابت : خذه ايها الرجل ، فوالله ما أخذته الا لك ، فأنت أعلم بالقتال منى ، ثم التفت الى الناس وقال : اصطلحتم على خالد !! قالوا: نعم!

هنا تتجلى عبقرية القائد الملهم ، الذى يضع خططه من وحى المعركة ، وبديهة المحارب المجرب : فخالد بعد أن قتل قواد جيشه ، وفعل ذلك فى نفوس المسلمين ما فعل ، ورأى الجموع الكثيفة التى حشدها هرقل وقد أحاطت بجيشه من كل جانب ، لم يكن أمامه الا أمل واحد فى معركة رجحت فيها كفة الخسران ، هذا الامل هو ان ينجو بجيشه من الحصار والتطويق وأن يحسن التقهقر بجنوده دون أن يبيدهم أعداؤهم ، وأن يخلص الجيش من هزيمة محققة ، فداور بجيشه وناور ، حتى خلص له الطريق ، ونجا بجيش المسلمين ، وكانت خطته فى التراجع فى معركة مؤتة تتطلب من المهارة والعبقرية اكثر مما يتطلبه النصر فى معركة أخرى ، لانها حمت جيش المسلمين من الفناء .

ومع ذلك فقد ابلى خالد فى موقعة مؤتة اعظم البلاء .. اليس هو القائل : لقد اندقت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما ثبت فى يدى الا صفيحة يمانية ؟؟ » وما ذلك الا لينظم انسحاب جيشه ، ويحمى مؤخرته عند الانسحاب .

وفى المعارك الكبرى التى يروى التاريخ المعاصر احداثها نرى المؤرخين يشيدون ببعض القادة الذين احسنوا الانسحاب بجنودهم ، ويجعلونهم أحسن درجة من كثير من المنتصرين .

لذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبلهم عند عودتهم ، ومنع أهل المدينة من تعييرهم بالفرار ، وقال قولته المشهورة : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله » .

ثم صنع خالد بعد ذلك الاعاجيب ، واسهم مع كبار المسلمين فى صنع التاريخ ، حين احتاج الاسلام الى سيفه ، فى أكبر محنة اجتازها المسلمون ، فقد كاد الناس يتخطفونهم من كل جانب ، لولا سيف الله : ولولا هذه العبقرية التى لا زالت حتى اليوم حديث المؤرخين .

والى لقاء قريب يكشف عن الاعجاز فى بعض مواقف هذا الرجل الذى كان حديث الدنيا كلها فى صدر الاسلام .

مسئولية الشباب

الأستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى

اذا أراد الله لامة نجاحا وصلاحا ، هيأ لها شبابا عاملين مخلصين ، وفتيانا مؤمنين مكافحين ، يقدرون مسئوليتهم ، ويؤدون واجبهم ، لان الشباب هم عماد الامة ، وريحانة الدولة ، وزهرات الشعوب ، وعلى أكتافهم الصلبة تبنى الحضارات ، وتقام الصروح ، وبعزيمتهم وقوتهم تصان الحريات ، وتحمى الحرمات ، وبعقولهم المستنيرة ترتقى المعارف ، وتظهر المخترعات ... ولهذا فقد اهتم الاسلام بالشباب اهتماما كبيرا ، وجاء ضمن تعاليمه السامية قول رسول الله — عليه صلوات الله وسلامه — :

« اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وشبابك قبل هرمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك » وقوله : « لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع : عن عمره فيم افناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » ، كما حبب اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، ليكونوا من الراشدين ، ورغبهم فى الطاعة ، وجعل الصالح منهم ضمن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، يقول سيد البشرية — صلى الله عليه وسلم — فى حديثه الشريف : « سبعة يظلهم الله فى ظله يومَ لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ فى طاعة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : « انى أخاف الله » ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

ولقد اثبت التاريخ منذ القدم أن دعوات الاصلاح ، وثورات التحرر ، قامت على أيدى الشباب ، فخليل الله ابراهيم — عليه السلام — كان شابا فى ريعان الشباب ، حينما أعلن ثورته العارمة على انحراف قومه وضلالهم ، وانكر عليهم عبادة الاصنام التى اتخذوها آلهة من دون الله يعبدونها ، وايد انكاره بالحجة والعقل ، وقال لهم فى ثقة المؤمن ، وجرأة المحقق : « اتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون » ولم تقتصر ثورة الخليل ابراهيم على الانكار والمحاجة الكلامية فحسب ، بل خطا خطوة ايجابية جريئة وعظيمة ، فقام بتحطيم هذه الاصنام ، ووقف أمام جبروت هؤلاء الطغاة المتعنتين فى صبر وجلد ، وثبات وصمود ، فأيده الله بقدرته ، وانعم عليه برحمته حينما ألقى به قومه فى النار عقابا له على تطاوله على آلهتهم وتحطيمها ، وكان الامر السماوى : « يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » .

واسماعيل — عليه السلام — الشاب الفتى القادر على الكسب والسعى ، يرى ابوه فى منامه انه يذبحه — ورؤيا الانبياء وحى — فيعرض ابراهيم الامر على اسماعيل ، وكان فى مقدور اسماعيل عدم الامتثال لهذا الامر ان اراد ، ولكنه الايمان الصادق ، والتضحية العظيمة ، ولقد سجل القرآن الكريم هذه الصورة المشرقة ، فجاء فى كتاب الله عز وجل : « فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » .

ولوط — عليه السلام — كان أول من آمن بابراهيم ، وكان لوط شابا ، واول من آمن بموسى — عليه السلام — جماعة قليلة من الشباب ، ويوسف — عليه السلام — تعرض لتجارب شديدة وقاسية ومريرة وهو فى سن الشباب فخرج منها نقيا طاهرا ، وأدخل السجن مظلوما ، ولكنه لم ييأس من رحمة الله ، وقابل هذه الاختبارات بقلب راض ، وعزيمة صادقة ، وأخذ يدعو الى عبادة الله وهو فى داخل السجن ، ثم خرج منه نقيا قويا عزيزا ، وعين على خزائن الارض ، وخطط للدولة تخطيطا اقتصاديا عظيما قائما على العلم والحكمة ، جعلها تصمد فى مواجهة سنين الجدب ، وأعوام القحط « قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون » . ونماذج أخرى كثيرة للشباب المؤمن سجلها لنا القرآن الكريم « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » .

وأثبت لنا التاريخ الاسلامى فى انصع صفحاته هذه البطولة الرائعة ، والتضحية العظيمة التى قام بها الشاب المؤمن على ابن ابى طالب — كرم الله وجهه — فى ليلة الهجرة ، حيث كان ينام مع رسول الله فى بيته ، ولما صدر الامر لرسول الله بالخروج للهجرة ، وكان المشركون قد أوقفوا شبابهم حول بيت رسول الله ينتظرون خروجه ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، ايقظ رسول الله عليا ، وقال له : هل لك فى أن تنام فى مكانى ، وتتشح ببردى الاخضر ، وأنا اضمن لك الجنة ، فقال على فى ثبات وايمان وحب عميق لله ورسوله : « فداك ابى وأمى ونفسى يارسول الله » ونام على فى مكان رسول الله ، والاعداء يحيطون بالبيت من كل جانب ، فكان على أول من شرى نفسه فى سبيل الله ، وفيه نزلت الاية الكريمة : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » .

ولقد اهتم سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — بتنشئة شباب الاسلام تنشئة روحية صالحة ، تربى فيهم الايمان الحق ، والبطولة العظيمة ، فهذا عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — يحدثنا فيقول : كنت رديف رسول الله يوما فقال : يا غلام . انى اعلمك كلمات : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الاقلام ، وطويت الصحف » .

وعلى اكتاف هذا الرعيل الاول من شباب الاسلام بنى صرح الاسلام الخالد ، وارتفعت رايته خفاقة فى سماء الدنيا ، وفتحت الفتوح ، ومصرت الامصار ، وانتشر الاسلام ، واتسعت رقعته شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ولم يهمل الرسول — عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم — دور الشباب الكبير ، فأسند اليهم القيادات الحربية ، رغم ان من الصحابة من هم اكبر سنا ، وأضخم جسما ، وأكثر تجربة ، ولكنها المدربة على القيادات ، لان الشباب هم عدة الامة ، وعصب الدولة ، وأمل المستقبل ، ولشباب الاسلام الاول دور ايجابى كبير فى انتصارات الاسلام الرائعة وانتشاره أمثال : خالد بن الوليد ، وعلى بن أبى طالب ، وأسامة بن زيد ، وسعد بن أبى وقاص ، ومصعب بن عمير وغيرهم .

فهذا خالد بن الوليد — رضى الله عنه — وقد أسند اليه الرسول قيادة جيوش المسلمين رغم صغر سنه ، فيخوض غمار الحروب ببسالة نادرة ، وشجاعة فائقة ، ويقود المسلمين من نصر الى نصر ، ومن فتح الى فتح ، حتى أنه لم يهزم فى معركة من المعارك التى تولى قيادتها ، فاستحق من رسول الله أن يلقبه بهذا اللقب العظيم « سيف الله المسلول » ، وكان المسلمون يستبشرون به قائدا لهم ، وبعد المعارك الكثيرة التى خاضها خالد يموت على فراشه ببيته ، وجسمه ملىء بالجروح ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح وهو يبكى ويقول متحسرا : « لقد شهدت مائة زحف أو يزيد ، وليس فى جسمى موضع الا وفيه طعنة أو ضربة ، وهاأنذا أموت كما يموت البعير ، فلا نامت اعين الجبناء » وكان يتمنى أن ينال شرف الاستشهاد فى ميدان البطولة والشرف ، ميدان الجهاد فى سبيل الله ، وفى سبيل الحق ، وفى سبيل الاسلام ، وفى سبيل الوطن .

وهذا على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — وقد أسند اليه الرسول ملاقاة عمرو بن ود العامرى الذى عرف بأنه صنديد من صناديد قريش ، وبطل من أبطالها ، ومبارز من اقوى المبارزين الذين تخافهم الابطال ، وتخشى منازلتهم الرجال ، تحدى هذا الرجل المسلمين تحديا صارخا فى غزوة الخندق وقصدهم وهم فى المسجد حول رسول الله ، ونادى بأعلى صوته : يامعشر المسلمين . انكم تزعمون أن من يقتل منكم يدخل الجنة : فمن كان منكم يريد أن يتعجل جنته فليخرج الى . فنظر الرسول الى الصحابة حوله — وكان من بينهم الشاب الصغير على بن أبى طالب — وقال : من منكم يخرج لملاقاة عمرو ؟ فتعجل على وقال : انا يا رسول الله . فقال له الرسول : اجلس يا على فانه عمرو ، ويكرر الرسول السؤال ثلاث مرات ، وعلى يتعجل فى الاستجابة ، فناداه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ووضع يده الشريفة على رأس على وقال : اللهم لا تحرمنى من على كما حرمتنى من همزة ، وأعده منصورا ياناصر المجاهدين ، وقيل : انه البسه عمامته ، وأعطاه سيفه ، ثم خرج على لملاقاة عمرو ، وقال له : يا عمرو . انك كنت قد عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش الى احدى حلتين الا اخذتها منه . قال عمرو : أجل . قال على : فانى أدعوك الى الله ، والى رسوله ، والى الاسلام . فقال عمرو : لا حاجة لى بذلك . قال على : فانى أدعوك الى النزال ، فقال عمرو : يابن أخى . والله ما احب ان اقتلك . قال على : لكنى والله أحب أن أقتلك . فحمى عمرو عند ذلك ، واقتحم عن فرسه ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على على ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على — رضى الله عنه — وعاد الى المسجد منتصرا وسط تهليل الصحابة وتكبيرهم .

وهذا أسامة بن زيد — رضى الله عنه — الشاب الصغير الذى لم يتجاوز العشرين من عمره ، اختاره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقيادة جيش اسلامى كبير لمحاربة الروم ، وبعد أن جهز الرسول الجيش بقيادة اسامة ، لحق المصطفى بالرفيق الاعلى ، ولم يتحرك الجيش بعد الى غايته ، واختار المسلمون ابا بكر الصديق — رضى الله عنه — خليفة لرسول الله ، وجاء بعض الصحابة الى ابى بكر وقالوا له : يا خليفة رسول الله . ان اسامة شاب صغير ، ويقود جيشا كبيرا يحوى من هو اكبر منه سنا ، وأكثر خوضا للمعارك ، فلو أسندت القيادة الى من هو اكبر منه سنا لكان أفضل ، فيجيبهم أبو بكر اجابة صارمة : ما كان لابى بكر أن يغير قائدا اختاره رسول الله ، وفعلا صدرت الاوامر الى الجيش بالتحرك بقيادة أسامة ، وركب أسامة فرسه ، وخرج أبو بكر يودعه ، ويمشى بجواره مترجلا ، فيقول أسامة فى حياء وأدب : يا خليفة رسول الله . اما أن تركب او انزل ، فيجيبه أبو بكر : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على ان اغبر قدمى ساعة فى سبيل الله ، وان كنت اعتقد ان أبا بكر لم يهدف الى تغبير قدمه ساعة فى سبيل الله فحسب ، ولكن هناك حكمة أخرى أرادها أبو بكر ، وان دلت على شىء فانما تدل على سعة افقه ؟ وعظيم ذكائه ، فهو يريد أن يثبت للصحابة عمليا أن طاعة القائد واجبة مهما كان صغيرا فى السن ، فأبو بكر رغم كبر سنه ، وعظم مركزه كخليفة للمسلمين مشى مترجلا ، وأمر أسامة أن يظل راكبا ، فيكون ذلك أدعى الى طاعة الجنود لاسامة ، حتى لا يستصغرونه فى نظرهم فيهملون طاعته ، ومن مبادىء الاسلام السامية طاعة الرؤساء وأولى الامر « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » .

وهذا سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — أسلم وعمره سبعة عشر عاما ، وكان خامس من أسلم ، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى ، وأول من أراق دما فى سبيل الله ، وشهد مع رسول الله المشاهد كلها ، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا ، ويوم بدر قال له النبى — صلى الله عليه وسلم — : ارم سعد فداك أبى وأمى ثلاث مرات ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد أصحاب الشورى الستة الذين جعل عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أمر الخلافة اليهم ، وهو قائد جيوش المسلمين التى حاربت الفرس فى موقعة القادسية ، وفتح مدائن كسرى .

وهذا مصعب بن عمير — رضى الله عنه — أول داعية الى الاسلام خارج مكة ، فلقد حدثتنا كتب السيرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ارسله مع من بايعه بيعة العقبة الاولى من أهل المدينة ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم فى الدين ، وكان يسمى فى المدينة « المقرىء » وكان أن فتح الله للاسلام بالمدينة بجهود مصعب وجهاده .

وهكذا استطاع هؤلاء الشباب أن يقوموا بدور كبير وفعال فى نشر الاسلام ، ورفع رايته ، واتساع رقعته ، بما فيهم من قوة وشبوبية ، وما امتلأ به قلبهم من ايمان صادق ، وعقيدة راسخة ،

والشباب الذى هو ربيع عمر الانسان ، ومرحلة الطموح فى حياته ، يستوجب عليه مضاعفة الجهد ، ومزيدا من العمل والتضحية ، كى يحقق امله وأمل أمته ، والا كان شبابا عقيما لانتاج فيه ، ولا ثمرة منه ، وما أجمل قول القائل :

شبابى اذا كنت لا أستطيع احقق فيه منى أمتى

وان كنت لا استهين الصعاب لاسمو فيه الى القمة

فلا كان هذا الشباب العقيم ولا كان زهوى ولا قوتى

وقال أمير الشعراء أحمد شوقى :

شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

وبعد : فنحن اليوم نمر بمرحلة حاسمة فى تاريخنا المجيد ، والمسئوليات الملقاة على عاتق أبناء الوطن العربى فى هذه المرحلة ، يقع على عاتق الشباب — خاصة — العبء الاكبر منها ، فعلى الشباب ان يقدروا مسئوليتهم ، ويؤدوا واجبهم بأمانة واخلاص ، من أجل مصلحة بلادنا ، والدفاع عنها وعن حريتنا ، والتضحية فى سبيلها بكل غال وثمين ، وبدلا من أن يضيع الشباب وقته فيما هو مفسد لاخلاقه ، أو مفسد لدينه وعقيدته ، أو مفسد لوطنيته وعروبته ، فليضيع وقته فيما يعود بالخير عليه وعلى دينه وعلى وطنه وعروبته ، واننا نهيب بالشباب أن يكون لهم فى شباب الاسلام الاول قدوة صالحة ، وأسوة حسنة ، وان يكونوا متمسكين بالمبدأ القويم ، وان تكون الاخلاق مثلهم الاعلى ، ودينهم قويا راسخا ، حتى يحققوا أمل الوطن فيهم ، ويعز الله الوطن بهم ، انه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

للرد على أضاليل الصهيونية

الأمة الإسلامية ورسالتها الحضارية

الأستاذ محي الدين الألوائي

— ٢ —

أشرنا فى المقال السابق الى الخطر الحضارى الثقافى المحدق بالعالم الاسلامى من اسرائيل بصفة كونها دولة عنصرية ، ذات أهداف دينية وحضارية أكثر من الاهداف السياسية والاقتصادية ، كما أشرنا الى بعض أضاليل الصهيونية المدبرة لتزييف تاريخ الدور الحضارى للامة الاسلامية ، وذلك بغية تسميم عقول البشر وتشويه الحقائق أمام الرأى العام الانسانى ولتحقيق مآربها الذميمة . وهذا الوضع يتطلب من كل مسلم ومن كل انسان منصف أن يعود بذهنه الى فضل الامة الاسلامية على الحضارة الانسانية العامة وتأثيرها فى بناء الحضارة الاوربية الحديثة . وقلنا ان الصيحة الاولى من صوت القرآن قد وضعت الحجر الاساسى لبناء التكون العلمى والحضارى والفكرى للامة الاسلامية ، حتى قدمت للعالم حضارة انسانية سامية وشاملة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحضارات .

والان نقوم بتطواف سريع حول بعض الميزات المبدئية والفكرية والانسانية ، التى تمتاز بها الحضارة التى قدمتها الامة الاسلامية للعالم ، عن الحضارات الاخرى ، قديمها وحديثها . ونقوم بهذه المقارنة من صميم المبادىء الاسلامية الاساسية ، ومن واقع التاريخ ، حتى لا يكون هناك مجال للانكار أو التشكيك الا لجاهل أو مكابر عنيد . والمبدأ الاول للحضارة الاسلامية تعميم العلوم والمعارف وازالة التفرقة الطبقية والعنصرية بين البشر . وقامت هذه الحضارة على النزعة الانسانية الخالصة التى لا تفرق بين الناس . وقد استمد المسلمون دستور حضارتهم من الاعلان القرآنى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وحين تطلع العربى المسلم بنظره ، ملتزما بدينه ودستوره الى ما وراء أفق الصحراء العربية ، بل حين توطدت أقدامه فى أنحاء لم يكن يحلم بارتيادها ، حينئذ ايقن انه ليس فاتحا ولا غازيا ، وانما هو داع ومبشر نعهد جديد ، فأكد فى كل بقعة وضع فيها قدمه ووصل اليها صوته ، احترام الاسلام للقيم الانسانية وحرصه على الكرامة وازالة الفوارق بين الطبقات والغاء النظام الجامد الذى قسم أبناء المجتمع الأنسانى الى طبقات عنصرية على أساس التفرقة الجنسية او اللونية أو المذهبية ، ووضع القاعدة السليمة لخلق حضارة لا تفاضل فيها لبعض على بعض الا من حيث المقدرة العقلية والمواهب الشخصية ، وقضى على النظرية القديمة التى عبر ارسطو نفسه عنها حيث قال ما معناه : ان العبد شىء من المتاع ويشبه أثاث المنزل . غير أن الحضارة الاسلامية ازالت هذا الحاجز العالى الذى فرق بين البشر الى سادة وعبيد ، واعتبرت الناس جميعا متساويين كأسنان المشط .

ويتحدث الكاتب المستشرق المعروف الاستاذ « هاريسون » فى كتابه « العرب فى وطنهم » عن انسانية الحضارة الاسلامية وسموها ، اذ قال : « فحيث حل الاسلام تأكدت قيمة الفرد ونهض الناس معتزين بكرامة لا تقهر » ، بينما قال المستشرق « رينان » فى معرض الكلام عن انسانية الحضارة الاسلامية : « ان كل الحواجز التى تفرق بين بنى الانسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين فى تشييد الحضارة المشتركة » .

ويتجلى لكل منصف من المؤرخين والدارسين الدور الانسانى الخالد فى بناء الحضارة الاسلامية اذا نظر بعين الانصاف والاعتبار الى عصور المسلمين فى الاندلس لمدة ثمانية قرون . فكان موقفهم

ازاء اليهود والنصارى موقف المحترم المتسامح ، رغم الثائرين من هؤلاء الذين كان يغيظهم ما يرون من المسلمين من تسامح وحسن معاملة ، فعلموهم كيف يكون التسامح الذى هو أغلى ما يمكن ان تعتز به الانسانية فى تاريخها الطويل ، فاباحوا لاساقفة النصارى ان يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر « اشبيلية » الذى عقد فى سنة ٨٧٢ م ، ومؤتمر « قرطبة » النصرانى ، الذى عقد سنة ٨٥٢ م .

اما اليهود ، فقد كانت الاندلس المكان الوحيد فى أوربا الذى يتمتعون فيه بحماية الدولة ورعايتها ، فزاد عددهم ، وأسلم كثير من النصارى واليهود عن رغبة خالصة ، فاكدوا ان الاسلام ليس دين قوة وسيف ، بل دين حرية ومعرفة ، وشرع الجميع يعملون جنبا الى جنب ، بلا أضغان ولا كراهية ، وجمعتهم لغة واحدة ، وتقاسموا دراسات مشتركة ، ومع هذا فقد حدث ان ثار بعض المتعصبين من اليهود ، على رغم حرص الاسلام على بسط روح الصفاء بين الجميع ، ولكن المسلمين أعادوا الصفاء ليرفرف من جديد على سمائها . وهذا هو الكاتب الغربى « ستانلى لين بول » يؤكد هذه الظاهرة الانسانية العامة فى الحضارة الاسلامية ، اذ يقول : « انه لم تنعم الاندلس طوال تاريخها بحكم رحيم عادل ، كما نعمت به فى أيام الفاتحين العرب » .

ويمكن لنا أن نلخص اللمسات الانسانية التى تمتاز بها الحضارة الاسلامية على ما سبقها ولحقها من حضارات ، والتى أعطت لهذه الحضارة الحيوية والتفوق مدى الدهر فى النفوس الخيرة ، فى نقاط ثلاث :

١ ـ التسامح الدينى ، فقد امتازت الحضارة الاسلامية باحترامها لاصحاب العقائد الدينية الاخرى ، ونالوا فى حظيرة هذه الحضارة كل حرية وسهولة ليمارسوا شعائر عقائدهم وتعاليم مذاهبهم ، ونشر ثقافتهم وحضاراتهم . واذا دل هذا التسامح على شىء انما يدل على مدى الروح الانسانى العام والحب العلمى لدى اهل الاسلام ، لان القرآن الكريم والسنة النبوية قد منحا للتقدم العلمى والحضارى اهمية كبرى ، ووضعا المعيار العلمى والعملى للمقارنة بين الافراد والجماعات ، ولا فرق بين شخص وآخر فى نظر الاسلام الا بالعلم النافع والعمل الصالح .

٢ ـ العدالة الاجتماعية ، وحينما الغى الاسلام نظام الطبقات بين البشر على أساس اللون والجنس والوضع الاقتصادى والسياسى وما الى ذلك من الفوارق المصطنعة ، فقد الغى ايضا نظام التفرقة بين المجتمع الذى يعيش تحت ظل دولة الاسلام ، سواء أكان ابناء هذا المجتمع مسلمين او مسيحيين او يهودا او غيرهم ، فقد ساعدت الدولة الاسلامية علماء اليهود والمسيحيين والصابئة والهنادكة ، على نشر ثقافتهم وحضارتهم بمختلف وسائل التشجيع والمعونات المالية . وكان المسلمون يعاملون ، فى اى عصر من العصور ، اليهود والنصارى على أنهم جميعا من اهل الكتاب . وفى هذا دليل ساطع على عمق مبدأ التسامح الدينى والعدالة الاجتماعية والمساواة الانسانية الحقة فى نظر الحضارة الاسلامية .

٣ ـ الروح العلمى ، وللتعاليم القرآنية والارشادات النبوية اثر بالغ فى الحياة العقلية للمسلمين . والاسلام يحث ـ دائما وابدا ـ على النظر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه وفى ظواهره المختلفة ، ورفع شأن العلم والعلماء ، بحيث لا يوجد له مثيل فى تاريخ الامم والشعوب ، كما يقول القرآن الكريم باسلوب صريح جدير بالاعتبار اى اعتبار : « .. قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ثم يقول « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » ثم يذكر الانسانية كلها باكبر نعمة أنعمها رب الكائنات اذ يقول فى كتابه الحكيم : « واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » .

وكانت الروح العلمية هى الينبوع الاول الذى اغترف منه المسلمون الاول أصول ثقافتهم وحضارتهم وانطبعت حياتهم بطابع النظر والفكر والاختراع وتحصيل العلوم من كل مكان وظرف ولسان ، متخذين شعارهم من ارشاد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن » . فادى التعليم الاسلامى الاولى الى اشتغال المسلمين المتمسكين به بالعلوم الكونية على اختلافها ، وهى الجغرافيا والكيمياء ، والطبيعة [الفيزياء] والفلك ، والطب ، والرياضيات ، وهذا كله الى جانب علوم التفسير والحديث والفقه وعلم التاريخ والمنطق والفلسفة وغيرها من العلوم النظرية التى ازدهرت بايدى العلماء المسلمين .

وان تعاليم القرآن هى الينبوع الاول والاكبر للحضارة الاسلامية وعلى أسس هذه التعاليم قام بناء هذه الحضارة ، ولا يخفى ايضا على من له المام بتاريخ حضارات الامم ، ما كان للامة العربية من حضارة عريقة ، وثقافة انسانية عالية ، قامت فى جزيرة العرب نفسها ، فى عصور سبأ وحمير ، وكذلك الحضارات الاشورية والبابلية والارامية ، وما كان لهذه الحضارات من علاقات وصلات مع الحضارات الكبرى التى قامت فى الشام ومصر والعراق والهند . ومن الواضح من الحقائق التاريخية أن المجال الذى نهضت فيه الحضارة الاسلامية هو موطن معظم الحضارات الكبرى فى العالم الانسانى ، وأن الينبوع الجديد لهذه الحضارة هو رسالة الاسلام العلمية والحضارية ، وهذه الرسالة تدعو الى بناء حضارة ناهضة وحماية كل الحضارات الانسانية .

المسيرة الخالدة

الأستاذ صلاح عزام

فى حياة كل الثورات التى وضعت بصماتها على التاريخ البشرى والحضارى مسيرة طويلة .. يتغنون بها ، ويتحدثون الى الاجيال عنها .

ولنا فى تاريخنا الاسلامى اكثر من مسيرة خالدة ومباركة بدات مع خطوات الهجرة النبوية وتجددت من الاتباع المخلصين بين وقت وآخر لتكون جسرا يجتازه الدعاة .. وطريقا يسلكه المحمديون حتى ولو كان مع كل خطوة قلوب تنزع .. وأرواح تقدم ضحايا فى سبيل الحق ، ودماء تخصب الارض لتزرع صحارى الحياة .

و .. من بين هذه المسيرات الخالدة مسيرة سيد الشهداء .. بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الامام الحسين رضى الله عنه من مكة الى كربلاء ..

و .. انا أعيش فى هدى هذه المسيرة أستجلى التاريخ وأضع كل ما ذكره الرواة فى الميزان المحمدى من غير تعصب ولا ميل مع الحب الخالص لآل بيت سيدنا رسول الله وصيته الى كل من اتبعه وكل من جاء من بعده ..

ومن أجل ذلك فهناك أمور يجب ان تكشف لتضىء طريق المسيرة الحسينية ..

وأولها ما يجب ان يرسخ فى الاذهان أن الامام ابى الشـهداء ما كان طالب منصب وما كان منازع لخلافة فهو أسمى من ذلك وهو أرفع من هذا ويكفى ان الوف المسلمين وحكامهم يعيشون على دين نبيهم .. وهو ابن هذا العظيم .. وهو بضعة منه .. وهو حبه وهو يقينه وعترته بين الناس ..

فالامام الحسين كان يكفيه — لو أراد — ان يكرر اذاعة هـذه المعانى فتكون أموال الارض ملكا .. وشعوب الاقطار الاسلامية اتباعا ويترك العرش لمن يشاء ان يتنازع عليه .. ولكنه وهو الذى رضع فى أشرف بيوت الارض .. وتعلم فى المدرسة المحمدية .. وعاش خطوات أبيه ومعارك الفتنة .. وحضر كل مجالس العلم المحمدى .. قد تعلم من هذا كله ارقى أنواع الفداء فى أن يجود بنفسه وباهله وبماله من أجل اعلاء كلمة الحق ونصرة كلمة الله .

وتعلم ايضا ان الدنيا لا قيمة لها اذا لم يقل الانسان النصيحة المخلصة الخالصة ..

وتعلم كذلك ان يكون مرشـدا للدنيا ونموذجا صـادقا للدعاة المحمديين لانه حفيد صاحب هذه الرسالة .

وبسبب هذا كانت المسيرة الخالدة التى يعلم الامام نهايتها وهى الموت بلا جدال .. ومع ذلك فلم يتزعزع عن مكانه .. ولم ترهبه قوى الشر .. ولم يتوقف عن اعلاء كلمة الله .. بل زادته كل هذه الامور اصرارا .. ومن اجل أمرين رئيسيين .. وكل منهما ليس له غير رجل واحد يكون من بيت النبوة فداء وداعيا واماما .. ومن يكون غير بضعة الرسول .. غير سيد الشهداء ..

اما الامر الاول فليعلم الناس ان البيعة للحاكم لا تكون سرا ، بل علانية ، وان تكون صادقة ولمن يستحقها .. او فليعلن الانسان عدم الموافقة عليها وليبين الاسباب .. وهكذا فعل الامام الحسين مع يزيد بن معاوية .. لا لسبب الا لانه لا يقيم حدود الله .. ولا يتخذ خلق الاسلام اسلوبا فى المعاملات .

والامر الثانى .. الداعى لهذه المسيرة هو حماية الارض المقدسة وصيانتها .

فالامام الحسين بدا مسيرته من مكة وليس من المدينة ، ولهذا سبب يغفله كثير من المؤرخين .. فقد بدات محنة عدم البيعة ليزيد

من المدينة .. بيزيد يرسل جيشا ومعه امر صريح وواضح بدك البيوت والقتل والسلب للجميع .. وانتهاك الحرمات .. حتى حدث للمدينة ما لم تشهده على أيدى خصوم الدين فى أحلك ساعات الدعوة وسقط شهيدا المئات من الصحابة وحملة القرآن وانتهكت الاعراض ..

ولم تحقق الحملة اغراضها لان الامام الحسين كان قد غادر المدينة من زمن .. لذا فقد كانت الخطوة التالية ان تتجه الى حيث يكون .. وهو يومئذ بمكة .. وعلم الامام بما يريدون فقرر أمرا .. كان على اثره هذه المسيرة..وحتى كما قال للصحاب والاقارب .. [لان أقتل فى أى مكان من الارض أحب الى من أن أقتل هنا فيستباح البلد الحرام بسببى] .

اذن فلتكن هذه المسيرة وعاجلا .. وكانها مظاهرة احتجاج وكانها دعوة للوقوف ضد الظالم ..

وبدأت المسيرة العظيمة .. وخلالها كانت التعاليم المحمدية تظهر مجسدة معلمة للدنيا من بعدها كيف يكون الصمود ، وكيف يكون القتال .. ولمن يكون الجهاد ..

فالامام الزاهد فى الحكم شديد الاصرار على انتصار الحق ، ويكتب الى زعماء البصرة فيقول لهم ما يقوله للجميع [.. أما بعد فانى ادعوكم الى احياء معالم الحق وأماتة البدعة والباطل فان تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد ..]

وعند نقطة اللقاء ..

وعند منطلق النداء الى الحق تبارك وتعالى كان لابد للمعلم ان يراجع الرجال الابطال .. وليترك لهم فرصة الانسحاب والنجاة بالبدن .. وليتركوه وحده ليلقى مصير دعوته .. ولذا فانه يقف فيهم وقتذاك خطيبا ويقول فيما قال [أما بعد فانى لا أعرف اصحابا خيرا من اصحابى ولا اهل بيت ابر واوصل من اهل بيتى فجزاكم الله خيرا فقد بررتم وأعنتم

وانكم لتعلمون ان القوم لا يريدون غيرى .. وان يومى معهم غد وانى قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا فى غير حرج ليس عليكم منى ذمام . هذا هو الليل قد غشيكم فانطلقوا فى سواده قبل ان يطلع النهار وانجوا بانفسكم ..]

فياتيه رد الرجال .. [معاذ الله والشهر الحرام ماذ نقول للناس اذا رجعنا اليهم .. نقول تركنا سيدنا وابن سيدنا غرضا للنبال ودريئة للرماح ، وحرزا للسباع ، وفررنا عنه رغبة فى الحياة . معاذ الله .. معاذ الله . بل نحيا بحياتك ونموت معك ..]

وبهذا الترابط القوى نحو الهدف الواحد وحول القائد الواحد ومن اجل الرسالة الواحدة الالهية عاش هؤلاء المحمديون ما بقى من لحظات العمر رجالا ..

وماتوا حتى اذن لهم الحق تبارك وتعالى ان يستشهدوا أبطالا .

ورسموا للحياة من بعدهم أشرف طريق .

وليعلموا الناس من بعدهم كيف يكون الرجال .. وكيف يكون التمسك بالحق مهما دفع الانسان من ثمن فى سبيله .. فأصحاب الحق خالدون .. يذكرهم الناس عبر التاريخ .. فى جلال وحب وخشوع كما نذكر الامام الحسين يوم مولده .. ويوم استشهاده .. ونذكر معه مواقفه ومدرسته وأبطال باعوا أنفسهم لله .. بعد ان صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

وتحية لهم جميعا يوم ذكرى سيدنا ابى الشهداء الامام الحسين رضى الله عنه .

الجمعية التعاونية للبترول

ش. م. ع

● اقامت الجمعية أكبر شبكة من محطات الخدمة والتموين لتمد وسائل النقل بالطاقات المحركة لآلاتها لخدمة النهضة العمرانية التى عمت البلاد من اقصاها الى اقصاها .

فان سهولة المواصلات تستطيع أن تقدم المعجزات فى تحقيق الوحدة الانتاجية فى الوطن . ومن ثم تؤدى الى وحدة الرخاء على ارضه .

ويقوم بالخدمة فى هذه المحطات عمال مهرة مدربون تدريبا راقيا يضعون كفاءتهم لخدمة جميع وسائل النقل .

طلائع المؤمنين ومواكب التحرير والنصر

فضيلة الشيخ محمد محمد وهيب

عن أبى موسى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه ، واسمه عبد الله بن قيس الاشعرى يحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيروى أن رجلا أتى نبى الاسلام وكان هذا الذى أتى النبى الكريم يسأله، هو ضميرة بن لاحق الباهلى ، جاء يسأل ويستوضح ليعلم ويعرف ويستبين ممن لاينطق عن الهوى — من يكون مجاهدا حقا من المقاتلين له أجر المجاهد فى سبيل الله ، وشرف المناضل فى تطهير ديار الاسلام وقد قسم السائل المقاتلين الى ثلاثة أصناف حين سأل .

مقاتل يقاتل فى صفوف المقاتلين لاعداء الدين والحرية والوطن وليس له من رجاء سوى الحصول على المال والغنم ، والحصول على نصيب مما يصيبه المسلمون من الغنائم والاسلاب ، وذرارى الاعداء وسباياهم .

ونوع آخر من المقاتلين ، يقاتل من أجل أن يشتهر بالشجاعة والاقدام بين الناس فيذيع صيته ، وينتشر ذكر اسمه فى الافاق ويطير خبره بين الناس ، ويتصور بذلك أنه اصبح رجلا عظيما لقاء هذه الشهرة واذن تم الصيت ، وتردد اسمه فى كل مكان .

وصنف ثالث يقاتل الاعداء ، رياء فقط ليس له من غرض سوى أن يري مكانه بين المقاتلين ، يفعل ذلك مخافة اللوم والعقاب .

واذا كانت الاسباب الداعية للقتال والدافعة اليه . هى طلب المغنم واظهار الشجاعة والاقدام، ومخافة اللوم والرياء ، وكذا الحمية والغضب فقط — ولم يتقدم كل ماذكر من هذه الاسباب ، أو لم يصاحبه نية خالصة وعقيدة راسخة من أجل اعلاء كلمة الله ، وهى كلمة التوحيد والتقوى ، وتحرير أرض العروبة والاسلام، وتطهيرها من رجس الصهيونية ، وطرد المغتصبين والطغاة — فانه لا أجر ولا ثواب فى الجميع — ولا يعد هذا من الجهاد فى سبيل الله فى شىء .

انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه .

وانما هو اذا كان قتال المقاتل من أجل اعلاء كلمة الله ، ونشر دينه — دين الاسلام والسلام ، ونشر دعوة الحق والعدل ، والحرية والطمأنينة والامان . فهو المقاتل فى سبيل الله لاغيره من المقاتلين .

فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام : [من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله] . أى من قاتل لاجل أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى — فهذا هو القتال فى سبيل الله .

فمن كان قتاله لغرض من الاغراض السالفة التى سبق ذكرها لايكون مجاهدا فى سبيل الله ، فان الله لايقبل من العمل الا ماكان خالصا له تعالى . واذا كان الباعث الاول على القتال . هو اعلاء كلمة الله وتحرير الوطن وتخليص المسلمين والمؤمنين من اليهود الاعداء ، لم يضر المقاتل بعد أن يضيف الى ذلك طلب الغنيمة واظهار الشجاعة والطماعية فى الرتب وأوسمة الفخار .

وقد كان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم للسائل من جوامع الكلم وفى غاية من البلاغة والايجاز .

لانه لو أجاب السائل بأن جميع ماذكره هذا السائل ليس فى سبيل الله لاحتمل أن يكون كل ماعداه فى سبيل الله تعالى — وليس الامر كذلك . وتاريخ النضال بين المسلمين واليهود والمشركين ممتد منذ فجر الاسلام والشواهد عليه كثيرة ، وجوانبه عديدة — وهاهو بطل من ابطال الاسلام وعلم من أعلامه — مصعب بن عمير — مثل حى فى القيادة والبطولة والفداء فيوم أن اشتعلت نار الحرب فى [أحد] هب مصعب يحمل اللواء وانتصر جيش المسلمين أول النهار — ولكن تحول هذا النصر بعد الى هزيمة حينما فكروا فى الغنائم والمتاع والاسلاب ، ودارت عليهم الدائرة ، وعمد بعضهم الى الفرار، وشملهم الارتباك وعمتهم الفوضى — ولكن مصعب ثبت فى مكانه يعض على اللواء بالنواجذ ثبوت شم الجبال ، ويتقدم ابن قميئة أحد فرسان قريش ويعمد الى مصعب بن عمير ويضرب يده اليمنى فيقطعها ، وصاح مصعب حامل لواء المسلمين [وما محمد الا رسول قدخلت من قبله الرسل] وأخذ مصعب اللواء بيده اليسرى ويضرب فارس المشركين يده اليسرى فيقطعها هى الاخرى — ويضم مصعب اللواء بعضديه الى صدره وهو يقول [وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل] وحمل عليه فارس المشركين بعد بالرمح فقتله — وارتفع لواء المسلمين بعد ذلك مرة أخرى يحمله أبو الروم عاليا .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم على جثث الشهداء وهو يقول : [من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله

عليه ؟ فمنهم من قضى نحبه ؟ ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا] . وحملت جثة مصعب الى الرسول صلى الله عليه وسلم، والقى النبى الكريم نظرة طويلة عليها وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يتذكر أيام البطل مصعب بن عمير المهاجر الدائم ، والمقاتل الشجاع ، والشهيد البطل الذى ناضل وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى - ويأمر النبى ان يوارى ويحمله اخوه ابو الروم فيوارى التراب .

هذا مثل من امثلة البطولة والفداء لصاحب من أصحاب رسول الله وحب من احبابه الكرام - لايبالى بالموت فى سبيل الشرف وساحات الجهاد - ولقد بلغ الايمان بأصحاب رسول الله حدا مكن لهم به الله عز وجل من ان يكونوا قادة الدنيا بأسرها ، حيث الايمان قوة لاتضارعها قوة ، تدفع الى البذل والفداء، والتضحية وغسل العار .

وليس من شك من ان الايمان بالله وحده هو طريق النصر - تحف بأصحابه مواكبه ، وتتقدمهم أعلامه وراياته [وكان حقا علينا نصر المؤمنين] .

وهانحن اليوم بفضل الله تعالى قد وصل بنا الحال من قوة الايمان بالله والوطن الى ماكان عليه الرعيل الاول من المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ولاقوا آلاما شديدة لو حلت بغيرهم لتغير موقفهم ، ولدخل الشك والخوف واليأس الى قلوبهم ، ولكن الايمان بفضل الله تعالى وحمده تدخالط القلوب ومس الافئدة واستقر فى العقول ، وجرى فى الدماء وكانت ارادة الصمود ، ومواصلة القتال واستمرار المعركة الفاصلة باذن الله وكان هذا التلاحم ، وكان هذا الشعب والجيش من خلف قائده فى معركة التحرير والنصر - الشعب العربى كله فى الارض العربية كلها - وكان هذا التلاحم بين الشعب والجيش من اجل غاية واحدة - تحقيق النصر وتحرير فلسطين السليبة ، وتخليص ثالث المساجد الحرام - المسجد الاقصى وقريبا باذن الله تؤذن من فوقه - الله اكبر والنصر للعروبة والمجد للاسلام . ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم] .فنعم هذا الابتياع والشراء من الله تعالى لهذه الانفس من المؤمنين الذين قاتلوا لاعلاء كلمته ورفعة دينه ، فقتلوا أعداء الله او استشهدوا فى سبيله ، حيث جعل ثمنها لهم جنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين ؟ وقد جاء وعد الله للمؤمنين بهذا فى التوراة والانجيل والقرآن وليس الله بمخلف وعده . وحق لهؤلاء المؤمنين المجاهدين أن يفرحوا بهذا البيع ، فقد عوضهم الله الجنة الباقية عن انفسهم واموالهم الفانية (والآخرة خير وابقى)

ولعل دفعة قوية من الايمان أراد الله لنا بها فى هذه الاونة الدقيقة أن نحقق سلسلة من الانتصارات على الاعداء وعبرت بها فصائل من قواتنا الباسلة القناة لتنزل كثيرا من الخسائر بالعدو فى الارواح والاموال والاليات ، ولتنسف وتقضى على مادياته ومعنوياته ، وترد على دعاياته الباطلة الزائفة - ونرجو ان يكون عبورنا وزحفنا هذا مقدمة قريبة للعبور الشامل للشاطىء الشرقى للقناة والزحف الكامل على الاعداء ليتحقق وعد الله ، وينقشع الظلام ، وينبلج نور الفجر، ويطلع النهار . [وما النصر الا من عند الله] ، [ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] .

والى الله الكريم نضرع ان يعجل بيوم النصر ، لنضيف به الى سجل أعيادنا القومية عيدا جديدا نفخر به ونحتفل فيه على مر الاعوام والزمان فى ظل قائد النصر ، ومن أضاف الى سجل أعيادنا أعيادا ، وحقق لنا أمجادا السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، انه مجيب الرجاء .

« يسر الاسلام »

كان معاذ بن جبل يؤم قومه ، فدخل رجل اسمه « حرام » ونوى الصلاة خلف معاذ ، فلما رأى معاذا طول فى صلاته ، تجوز « حرام » فى صلاته ولحق بنخل له يسقيه ، فلما قضى معاذ الصلاة قيل له ما كان من أمر « حرام » فقال : انه منافق ، أيعجل عن الصلاة من أجل سقى نخله ؟ فجاء حرام الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ عنده ، فقال انى أردت ان أسقى نخلا لى فدخلت المسجد لاصلى مع القوم ، فلما طول تجوزت فى صلاتى : فزعم أنى منافق ، فاقبل النبى على معاذ فقال له :

« أفتان أنت يامعاذ ؟ أفتان أنت يامعاذ ؟ لا تطول بهم ، اقرأ بـ سبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها ونحوهما » .وتأتى الفتنة لخروج الناس من الصلاة وترك الجماعة والتيسير مانع للفتنة ... وفى هذا المعنى يقول أنس رضى الله عنه « ما صليت خلف أمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من النبى صلى الله عليه وسلم .

باب العلم

الجلد

آية من آيات الله

الدكتور عبد الحليم كامل

يغطى الجلد جسم الانسان كما يغطى جسم أى كائن حى اخر ليمنع عنه ما قد يؤذيه من لفحات الجو أو غزو من الميكروبات فهو خط للدفاع اول يدفع ويدافع ويحس ويحمى ويحدثنا القرآن الكريم منذ القدم عن الجلد قبل ان تحدثنا الكتب العلمية عنه ٠ وانه لمعجزة حقا ان تحدثنا آياته سبحانه وتعالى بما لا نعلم وقبل ان يستطيع العلم ان يعلمنا ما نعلم ٠

والجلد فى الانسان كما هو الحال فى غيره من الكائنات الحية يتكون من طبقتين هما البشرة والادمة، اما البشرة فتتكون هى الاخرى من طبقات ثلاث اعمقها واهمها هى طبقة تمتاز بنشاطها فهى دائمة الانقسام دائمة الانتاج لتعوض مايفقده الجلد من خلايا سطحية ولهذا تسمى بالطبقة الجرثومية او طبقة ملبيجى ٠ وفوق هذه الطبقة طبقة اخرى من الخلايا المصففة ثم يليها طبقة الجليد التى تقوم بحماية ماتحتها ومن ثم حماية الجسم عموما ٠ وتحتوى الطبقة الجرثومية على حبيبات ملونة تعطى الجلد لونه العام ٠ والبشرة فى تكوينها لا تختلف من جنس الى جنس آخر الا فى وجود هذه الحبيبات الملونة التى من اجلها ومن اجلها فقط يقال هؤلاء ملونون وهؤلاء غير ملونين ٠ وهنا تظهر التفرقة العنصرية فى ابشع صورة لها على اساس من التكوين غير متين واختلاف فى اللون لا يستند الى اساس سليم ويقول القرآن الكريم :ـ

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقاكم ان الله عليم خبير) ٠

فلم يقل سبحانه وتعالى ان اكرمكم عند الله ابيضكم او احمركم ولكن يقول وقوله الحق « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فكل الناس من آدم ٠

ثم يلى البشرة الادمة وتتكون الادمة من نسيج خام ليفى يحتوى على الاوعية الدموية والاعصاب ٠ فهى النسيج الذى يحس بالالم ويشعر به لان به نهايات الياف الاعصاب الحسية حتى انه يقال ان الحرق الذى يؤلم هو الذى يصيب سطح الجلد اما اذا كان الحرق عميقا أى تعدى الجلد الى ما تحته فان الحرق لا يؤلم ومن ثم يفقد الجسم حساسيته ولعل هذا هو السر فيما يحدثنا به القرآن الكريم عن عذاب الذين كفروا حين يقول سبحانه وتعالى :

ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما)

وهكذا يحدثنا القرآن الكريم عن الجلد وما به من نهايات عصبية تحس بعذاب الحريق فكلما نضجت

جلودهم بدلت جلودهم بجلود غيرها ليذوقوا العذاب مرة بعد المرة مادام الجلد يتجدد ·

ويحدثنا القرآن الكريم مرة اخرى عن الجلد وما يحس به فيقول وقوله الحق : —

(الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد) ·

واذا اردنا ان نتعمق اكثر فيمكننا ان نقول ان من هذه الطبقة الجلدية الخارجية او الاكتودرم كما تسمى فى الجنين يتكون الجهاز العصبى وتتكون اعضاء الحس من ابصار وسمع وشم بل وفتحات الجسم كلها يبطنها هذا الاكتودرم ولعل هذا هو سر ما بها من احساس · حتى اذا عرفنا كل هذا عرفنا القدرة والاعجاز فى قوله سبحانه وتعالى : —

(حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون · وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون · وماكنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون) ·

ثم ننتقل الى الادمة فنجد انه يتكون منها فى بعض مناطق الجسم حلمات فى اتجاه البشرة مكونة حيودا يظهر اثرها على انامل الاصابع مكونة مايسمى بالبصمات · وان كانت هذه الحيود تساعد الايدى على الالتصاق بالاسطح الى حد ما الا ان مايهمنا فى الجسم البشرى ان هذه البصمات لاتتشابه فى فردين اثنين ابدا حتى ولو كانا شقيقين · واذا كان فى قدرة الانسان ان يغير اعضاءه أو ان يزور او يقلد اعضاء غيره فهو عاجز تماما عن تغيير بصماته او تقليد بصمات غيره وقد اصبحت البصمات فى يومنا هذا هى المميز الذى لايخطىء ابدا فقد تتشابه الصور ولكن البصمات تختلف · وفى هذا المجال يحدثنا القرآن الكريم فيقول ، —

(لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه] ·

وتختلف هذه البصمات عما يظهر على جسم الانسان من تجاعيد وثنايا اذا تقدم به العمر والتى تظهر نتيجة لان خلايا الجسم تفقد مرونتها وقدرتها على الانتفاخ بتقدم العمر ·

ويمتاز جلد الثدييات بوجود الشعر ويختلف الشعر من فرو ناعم الى اشواك صلبة · واذا كان للشعر جماله فانه ايضا وسيلة من وسائل الحماية · ومن الشعر ما يستمر طيلة الحياة دون تحديد كعرفة الحصان وذيله ومنها ما يسقط ويتجدد كل عام تقريبا. ولكثير من الثدييات فراء غزير يكسوها شتاء ويسقط عنها صيفا · وقد يتغير لون الشعر بتغير فصول السنة ففى الثعلب الفضى مثلا الشعر الابيض فى الشتاء ورمادى فى الصيف ·

وهل يتصور احدنا ان تلك الشعرة الرفيعة الرقيقة تتكون من طبقات ثلاث · طبقة داخلية تسمى بالنخاع تحيط بها طبقة ثانية تسمى بالقشرة وتغلف القشرة بطبقة خارجية هى الجليد · ويقال ان خلايا القشرة والنخاع تحتوى على صبغ يكسب الشعر لونه الخاص وقد يكون نتيجة لوجود فراغات او فجوات داخل نخاع الشعرة وقد يكون نتيجة لطبيعة سطح الشعرة وعلاقاتها بمدى انكسار او تحليل الاشعة الضوئية ·

وتظل الشعرة ملونة طالما يصلها مدد كاف من الدم فاذا نضب او قل هذا المعين اختفى اللون وصارت الشعرة بيضاء ·

اما صوف الحيوانات وهو وان كان لايختلف عن اى شعر الا ان به زوائد حرشفية على سطحه تتشابك مع مثيلاتها اثناء الغزل ولعل هذا يعطى الصوف قيمته كنسيج نحس بدفئه اثناء الشتاء · ويحدثنا القرآن الكريم عن جلود الحيوانات واصوافها واوبارها واشعارها حديثا جامعا فيقول سبحانه وتعالى :

(والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين) ·

ويوجد الشعر مائلا فى الجلد ويتصل بكل شعرة حزمة من الالياف العضلية الغير مخططة التى يتحكم فيها الجهاز العصبى السيمبثاوى · وعندما تنقبض هذه العضلات يرتفع الشعر عن وضعه الطبيعى ويحدث هذا عند حدوث أى مؤثر قوى. ويمد الشعر نهايات عصبية صغيرة · وحساسية الشعر ضعيفة جدا فى الشعر العادى والا لاصبحت مهمة قص الشعر او تربيته او تهذيبة من المهام التى تحتاج الى تخدير ولكنها نعم الله التى لاتحصى « **وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ·**

ولكن هناك من الشعر ما هو مزود بامداد عصبى قوى ليؤدى وظيفة حسية هامة كما فى الحظارات أو الشعر الموجود فى اجنحة الخفافيش التى تساعدها اثناء الطيران الليلى ·

وبالاضافة الى هذا يوجد بالجلد كثير من الغدد المختلفة منها تمدد الدهن التى تتكون كنمو خارجى من صبغة ملبيجى وهى غدد صغيرة قنواتها قصيرة تفتح فى غمد الشعرة . وقد توجد غدة او اكثر متصلة بالشعرة الواحدة وهى تفرز افرازا دهنيا على شكل حبيبات صغيرة تغطى الشعر وتمنعه من التقصف .

ومن هذه الغدد ايضا غدد العرق وهى غدد طويلة انبوبية وملتفة حول نفسها وهى مطموسة فى الادمة ولها قناة طويلة تفتح على سطح الجلد وتفرز هذه الغدد العرق كوسيلة لخفض حرارة الجسم وتزداد كمية العرق المفرزة بزيادة كمية الدم الداخلة الى الغدد وهذه تزيد باتساع الاوعية الدموية التى تقع تحت سيطرة الجهاز العصبى السيمبثاوى . وهكذا اذا ارتفعت درجة الحرارة افرز العرق على سطح الجلد فيتبخر فيبرد سطح الجلد ومن ثم تنخفض درجة الحرارة ـ وهذا نوع من التكييف معجز وعجيب وسبحانه وتعالى القائل (وفى انفسكم افلا تبصرون) .

وتشبه غدد العرق ايضا غدد اللبن وكما يقال كلا النوعين تطور من غدد انبوبية جوفاء ولغدد اللبن اهميتها ولنا فى افرازها عبرة لو استمعنا لقوله تعالى : ـ

(وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) .

وقد توجد غدد اخرى بالجلد تفرز موادا ذات رائحة خاصة تميز بها بعض الافراد عن بعض . وقد توجد هذه الغدد فى الذكور والاناث على السواء وقد لا توجد الا فى الذكور ليسهل على الاناث الاهتداء اليها .

ومن الجلد ايضا تتكون بعض التراكيب التى تتعدد وظائفها واشكالها مثل القرون والاظافر والمخالب .

ومن التراكيب الجلدية ايضا مايوجد فى بعض الثدييات من مناطق عادية من الشعر سميكة البشرة صلبة تعرف بالتصلبات كتلك الموجودة فى صدور الجمال وتنشأ هذه التصلبات من تأثير الضغط الواقع عليه او احتكاكها بالاجسام الصلبة فيزول شعرها ويسمك جلدها ويحدث مثل هذا ايضا فى ارجل من يتعود السير حافى القدمين .

هذا قليل من كثير عن الجلد ومابه من تراكيب وتكييف وترتيب تسيطر عليه قوة عليا مفكرة مدبرة تعطى القوة والقدرة على البناء وتقول للشىء كن فيكون .

اللحم

« انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله : فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم !

البقرة ـ ١٧٣ .

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب .

المائدة ـ ٣ .

« قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس او فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم !

الانعام ـ ١٤٥ .

« انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم .

النحل ـ ١١٥ .

تشمل هذه الايات الكريمة جملة ما حرمه النص القرآنى الحكيم فى هذا الباب ، فضلا عما جاء فى السنة الشريفة من « تحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وتحريم الحمر الاهلية والكلاب ونحو ذلك » وتندرج هذه المحرمات المذكورة فى القران الكريم فى اقسام خمسة : الميتة ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، ثم أخيرا ما أهل لغير الله به وذبح للطواغيت والاوثان . والواقع أننى ما قصدت فى هذا البحث أن اتعرض الا للحم الخنزير ، ولكنى كرهت أن يظهر اسمه فى عنوان المقال ، فضلا عن اننى أرى أن لحم الخنزير هو الذى ينصرف اليه وحده هذا العنوان اذ انه ينفرد من بين

الحرام !!

الدكتور
عبد الحافظ حلمي محمد

جميع ما ذكر من أنواع اللحوم بانه حرام لذاته ، أى لعلة مستقرة فيه ، أما الانواع الاخرى فهى محرمة لعلة عارضة . فالشاة مثلا لحمها حلال طيب اذا ذكيت بالطريقة المشروعة ، ولكن يحرم لحمها اذا كانت ميتة او منخنقه او موقوذة (مضروبة حتى الموت) او مترديه أو نطيحة او أكل منها حيوان مفترس — الا ما ذكى قبل أن تفارقه الحياة — أو ذبحت للاوثان والاصنام وقصد بها غير وجه الله ذى الجلال والاكرام

والمؤمن حين يأتيه الامر او النهى من الله تعالى انما يقول سمعنا وأطعنا وما يريد الله بنا الا خيرا . فالطاعة امتثال وعبادة ، ولكن شرع لنا ان نجتهد فى تفهم علة الامر أو النهى اذا توفرت لنا اسباب ذلك .

بيد أن الامر هنا مختلف اذ أن تحريم لحم الخنزير بالذات تحريم معلل ، فقد ذكر الله تعالى انه رجس . وآية سورة النحل يسبقها مباشرة قوله تعالى «فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون» (١١٤) هذا فضلا عن القاعدة الجامعة : «ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث» . (الاعراف — ١٥٧) . فاجتهادنا اذن محصور فى محاولة فهمنا لخبث ذلك المحرم ورجاسته ، حتى نزداد شكرا لله على نعمته .

بيد ان اجتهادنا هنا ينبغى أن يتسم بكثير من الدقة والحذر ، أكثر مما هو واجب علينا أصلا فى كل ما يتعلق بدراستنا لكتاب الله العزيز . وذلك لان علة تحريم لحم الخنزير كانت ، وما تزال موضع نقاش بين المسلمين وغيرهم ، بل انه نشأ قبل ذلك بين النصارى واليهود . واعداء الاسلام يغالطون ويفتاتون حتى ان كان الحق ظاهرا ، فما بالك اذا جادلهم مجادل بغير تعمق أو تبصر ! فأنت اذا ذكرت لهم ان لحم الخنزير ينقل الى الانسان نوعا من الديدان الشريطية ، انبرى لك من يقول : هذا مرض غير وبيل ، ثم ان لحم البقر ينقل اختا لتلك الدودة ولم يحرمه دينكم ! فاذا قلت انه ينقل أيضا الدودة الخيطية الحلزونية ، المعروفة بدودة التريكينلا ، تصدى لك من يظن انه قد افحمك بقوله : ولماذا لا تأكلون لحوم خنازير قد اعتنى بتربيتها حتى لا تصاب بذلك المرض ؟ وهكذا . اذن فالمناقشة العلمية الهادئة هنا أوجب ما تكون ، وهذا عذرى ان كنت قد تعرضت لبعض التفاصيل او اثقلت على القارىء ببعض الاسماء والمصطلحات .

وفى «نيل المرام» أن الرجس هو النجس ، وهذا ما يذكره الدميرى ايضا ولكن جاء فى القاموس المحيط ان الرجس هو : «القذر والمأثم وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدى الى العذاب ، والشك والعقاب والغضب» . فالرجس اذن كلمة جامعة لمعانى القبح والقذر والضرر ، ولا شك أنه قد استقر فى اذهاننا التصاق هذه المعانى جميعا بالخنزير . وقد يكون من أسباب ذلك ما نعرفه من أن الخنزير حيوان قارت أو رمام ، أى انه يأكل كل ما يجده من القمامة والنفايات وفضول الانسان والحيوان ، وأنه لا يكاد يرى الا وأنفه فى الرغام . بل قد يكون من أسباب ذلك أيضا ما يشتهر به ذلك الحيوان من طبائع فى تزاوجه يراها الناس بمقاييسهم عارية من الغيرة والحياء . بيد أن الراجح على كل حال هو أن نفورنا وتقززنا من الخنزير ليس مبعثهما كراهيتنا الدينية لذلك الحيوان ، ففى أمريكا ودول أوروبا تربية الخنازير تجارة رائجة ، وصورة منتشرة فى رسومهم بل يتخذون من هيئته دمى لاطفالهم ، ومع ذلك فاسمه على اختلاف لغاتهم سبة لا يقذفون بها الا كل زرى ذميم . وقد يكفينا للتدليل والتمثيل أن نرى المعانى المجازية لثلاثة ألفاظ تكاد تكون مترادفة بمعنى الخنزير فى قاموس كاسل الجديد للغة الانجليزية : ١ — شخص جشع ، نهم ، قذر ، عنيد ، يثير الضجر والضيق . ٢ — شخص جشع ، خبيث ، منحط . ٣ — شخص وسخ ، قذر ، جشع ، دنىء .

ولكن دعنا من هذا كله فانه قد يدخل فى باب المعنويات التى يختلف فيها التقدير ، ولنحاول تمحيص الحقائق نلخلص منها الى ما فى أكل لحم الخنزير من ضرر وعلاقة ذلك الضرر بما هو مشهور

عنه من قذارة ، فهذا كله داخل فى معنى الرجس ، كما رأينا .

طفيليات الخنزير

يأوى الخنزير فى جسمه عددا كبيرا من انواع الطفيليات ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الحيوان ، وكثير من هذه الطفيليات نوعى خاص به أو يكاد ، ومن الذى يسترعى الالتفات حقا هو أن أكثر من عشرين نوعا من هذه الطفيليات يصيب الانسان أيضا . ويحدد مدى أهمية هذه العلاقة جملة عوامل ، أهمها حدود تأثر الانسان بهذه الاصابة ، أى درجة خطورة المرض الذى يسببه الطفيلى فيه ، وحقيقة الدور الذى يقوم به الخنزير فى دورة حياة الطفيلى ، ونسبة تعرض الانسان للاصابة به . والطفيليات المشتركة بين الخنزير والانسان تنتمى الى مجموعة متباينه من الكائنات ، فمنها فيروسات مرضى الكلب والحمي الصفراء ، ومنها نوع من اللبتوسبيرا (من السبيروكيتات (يسبب المرض المعروف بحمى الحقل ، فضلا عن أن الخنازير تعتبر من العوائل الهامة لسلالات اللبتوسبيرا على وجه العموم . أما من الحيوانات الاولية (البروتوزورا (فنذكر طفيليات الزحار البلنتيدى : وسنتحدث عنه بشىء من التفصيل لاهميته : ونوعين من التريبانوسوما : يسبب احدهما مرض النوم الافريقى فى الكونغو : ويحدث ثانيهما مرض شاجاس فى أمريكا الجنوبية : ويعتبر الخنزير من العوائل الخازنة الاضافية لطفيليات المرضين . هذا فضلا عن أن نوعا من الانتاميبا خاصا بالخنازير قد ينتقل أحيانا الى الانسان .

وأما الديدان المفلطحة فتعنينا منها مجموعتان رئيسيتان من الطفيليات : التريماتودا (المفلطحات المثقبة) أو الوشائع ، والسستودا أو الشريطيات . فمن وشائع الدم يصاب الخنزير بديدان البلهارسيا اليابانية ، كما أن بويضات تلك الديدان تمر مع براز ذلك الحيوان الرمام . وكذلك من وشائع الرئة يصاب الخنزير فى الامريكتين بنوع من البراجونيموس سجل مرة فى الانسان . أما من الوشائع المعوية والكبدية فللخنزير نصيب غير قليل ، ولذلك سنكتب عنهما نبذة فيما يلى وأما المجموعة الرئيسية الثانية من المفلطحات وهى الشريطيات فيصيب الخنزير منها نوعان دودة السمك الشريطية (ديفللوبوثريوم ليتم) ويصاب الخنزير ، كالانسان ، بالطور البالغ منها ، وليس لهذا أهمية خاصه ، بيد أن النوع الثانى وهو دودة لحم الخنزير الشريطية فله أهمية كبرى ، كما سنذكر بشىء من التفصيل فيما بعد .

وكذلك الديدان شوكية الراس منها نوع (ماكراكانثورينكوس هيرودونيشياس) يصيب الخنازير عادة ، ولكنه وجد فى فلاحى وادى الفولجا فى جنوب روسيا . أما الديدان الخيطية أو الاسطوانية (النيماتودا (فثمة عدد منها يصيب الانسان والخنزير ، منها سلالة من دودة ثعبان البطن (أسكارس لمبريكويدس) ، ولكن هذه السلالة لا تنجح نجاحا كاملا فى أصابة الانسان . أما الديدان السوطية فيعتقد أن الذى يصيب الانسان والخنزير منها نوع واحد (تريكيورس تريكيورا) ، أى أن الخنزير قد يساعد على انتشاره . والاصابات الشديدة بهذه الديدان قد تحدث أعراضا شبيهة بأعراض الانكلستوما المعروفة . بيد أن الدودة الاسطوانية الخطيرة حقا هى الدودة الشعرية الحلزونية ، المعروفة بالتريكينا أو التريكينلا ، وهى تستحق ولا شك نبذة خاصة بها .

هذا فضلا عن أن الخنزير يصلح عائلا لحشرات خاصة بالانسان ، كأنواع من البعوض والبرغوث الشائع فى الانسان وأنواع من القمل وذبابة تسى تسى الناقله لطفيليات مرض النوم ، وأنواع من ذباب الجلد التى تصيب يرقاناتها الفم والعينين والاذنين والجروح المكشوفة ثم الانف على الخصوص . ثم هناك اخيرا أنواع من الحلم (القريبة من طفيليات الجرب) تصيب الخنزير وقد تصيب الانسان فى وجهه وفى داخل أذنيه .

الزحار البلنتيدى :

الطفيلى المسبب لهذا المرض هو الحيوان الاولى الهدبى الوحيد الذى يصيب الانسان ، وهو من طفيليات الامعاء الغلاظ فى الخنازير والقردة وبخاصة الشمبانزى . ولما كانت فرص الاتصال بين الانسان والقردة محدودة للغاية ولما كان الطفيلى واسع الانتشار فى الخنازير فانها تعتبر المصدر المعتاد ، بل الوحيد من الناحية العملية ، لعدوى الانسان والحالات فى الانسان معروفة فى بقاع كثيرة من العالم ، وفى المانيا وفرنسا والفلبين على الخصوص ، وهى لا تنتشر الا بين من يقومون على تربية الخنازير او يعملون فى ذبحها وتجارتها فتتلوث أيديهم بحوصلات الطفيلى من برازه أو أمعائه بعد ذبحه ، ويبدو أنه يلزم لاحداث العدوى بالانسان جرع كبيرة من هذه الحوصلات ، ولذلك كان انتشار المرض محصورا فى أولئك الناس . وفى الانسان تعيش الطفيليات فى القولون والاعور المعوى ولكنها قد تنتقل الى الجزء الاسفل من اللفائفى من الامعاء الدقاق فى بعض الاحيان ، كما أنها قد توجد فى الاوعية الدموية واللمفية والغدد المساريقية المتصلة بالامعاء . وفى الخنزير لا يحدث الطفيلى أعراضا ذات بال ، بيد أن الامر مختلف عن ذلك كثيرا فى الانسان ، فالاعراض

تتفاوت بين الاسهال اليسير الى نوبات من الاسهال الشديد المتكرر الى زحار مزمن (دسنتاريا) أما الاعراض العامة فهى المغص وفقد الشهية والدوار والضعف العام ، والهزال فى بعض الاحيان . والزحار البلنتيدى يشبه الزحار الاميبى من نواح كثيرة ، فتحدث الطفيليات فى نسبة من المصابين آثارا مرضية شديدة بسبب القرح العميقة التى تنخرها فى انسجة الامعاء ، حتى لقد يصبح القولون من بدايته الى نهايته كتلة متصلة من القرح . وفى حالات معينة درسها الباحث سترونج ، كانت نسبة الوفاة ٢٩٪ فى المائة .

الوشائع المعوية والكبدية :

١ – وشيعة الامعاء الكبيرة (فاسيلوبسس بوسكاى) : وهذه من الطفيليات التى يتقاسمها الانسان والخنزير اللذان تعيش فيهما الديدان البالغة ، ونادرا ما تصاب بها الكلاب فالخنزير « مخزن » رئيسى لنشر العدوى بعد تمام دورة الحياة فى أنواع معينة من القواقع والاسماك . والعدوى فى الخنزير شائعة جدا فى آسيا من الصين الى البنغال وفى كثير من جزائر الهند الشرقية ، ويتفق مع هذا الانتشار العدوى فى الانسان فى الشرق الاقصى ، حيث قدر عدد المصابين بها (منذ أكثر من عشرين عاما) بنحو عشرة ملايين معظمهم فى الصين . وتكون الاعراض شديدة اذا كان عدد الديدان كبيرا ، وتحدث الديدان التهابا موضعيا ونزفا وتقرحا فى جدر الامعاء الدقاق ، وتنشأ من ذلك أعراض متفاوتة بين الاضطرابات المعوية والاسهال المزمن والانيميا والارتشاح تحت جلد الوجه والرجلين والاستسقاء وانتفاخ البطن ، وقد تحدث الوفاة نتيجة للاجهاد العام وانحطاط فى القوى شديد .

٢ – وشيعة الامعاء الصغيرة (جاسترود يسكويدس هومينيس) : هذا الطفيلى شائع فى الخنازير فى الهند ، ويصيب نحوا من ٥٠ فى المائة من الخنازير فى بعض مناطق البنغال وأسام ، ويعتبر الخنزير العائل الاحتياطى أو الخازن الرئيسى لهذه الطفيليات . ويصاب الانسان بهذه الديدان فى تلك المناطق ، فتبلغ نسبة الاصابة فى أسام ، مثلا ، نحوا من ٤٠ فى المائة ، وفى بورما ٥ فى المائة . وتعيش الديدان البالغة فى الامعاء الغلاظ والاعور المعوى ، وقد تسبب بعض الالتهاب والاسهال .

٣ – وشيعة الكبد الصينية (كلونوركس سيننسز) : ويعتبر الخنزير من بين العوائل الاحتياطية الخازنة لهذه الديدان ، ولكنه ليس أهمها . وتنتشر الديدان بين سكان الشرق الاقصى وخاصة فى الصين وكوريا والهند الصينية واليابان . وتعيش الديدان فى القنوات الصفراوية للكبد ، فاذا كان عددها كبيرا أحدثت تضخما فيه واسهالا مزمنا ويرقانا واعراضا اخرى قد تنتهى بالوفاة .

دودة لحم الخنزير الشريطية :

هى الدودة التى تسمى علميا « تينيا سوليوم » ، وهى تعيش فى طورها البالغ فى أمعاء الانسان حيث قد يبلغ طولها أربعة امتار أو أكثر من ذلك . والدودة لها رأس أصغر من رأس الدبوس وعنق قصير تنمو منه قطع أو أسلات صغار تتباعد عنه تباعا وتأخذ فى النمو لتكون ذلك الشريط الطويل . وكل اسلة كأنها حيوان قائم بذاته اذ فيه أجهزة التناسل المذكرة والمؤنثة ولا تلبث رحم الاسلة الناضجة أن تمتلىء بآلاف البويضات حتى تصبح الاسلة مجرد كيس متنقل بذلك البيض الوبيل الذى ينمو فى كل واحدة منه جنين كروى ذو ستة أشواك تشبه الخطاطيف ، ومن ثم تعرف البيضة بالكرة ذات الخطاطيف .

وتنفصل الاسلات المثقلات عن الشريط وتخرج مع براز الانسان المصاب ، وفى التربة الملوثة الرطبة تستطيع الاسلة أو ما فيها من بيض أن تبقى زمنا ليس بالقصير حتى يأتى خنزير رمام يقتم ما فى الارض من نفايات فيبتلع معها اسلة او بضع اسلات اوعلى الاقل بضع مئات أو آلاف من البويضات فتعمل العصارات الهاضمة على أن تطلق الاجنه من محابسها ، فتشق طريقها بأشواكها مخترقة جدار القناة الهضمية حتى تصل الى أوعية الدم او اللمف ، فتدور مع هذا وذاك حتى تستقر فى انحاء شتى من جسم الخنزير ، حيث تنمو فى عضلاته ، وبخاصة فى اللسان والرقبة والكتف والبطن ، مكونة حوصلات أو مثانات كروية منتفخة ، معروفة باسم الديدان المثانية ، فى كل منها رأس يصلح لان تنمو منه دودة شريطية كاملة . ويحدث هذا عندما يأكل هذا اللحم المصاب طاعم غافل دون أن ينضجه انضاجا كافيا لقتل ما فيه من تلك الديدان المثانية . وعادة ما تنجح دودة واحدة وحسب فى سكنى أمعاء شخص واحد ، وهذا شىء طبيعى بالنسبة لهذا الضيف الثقيل الكبير الحجم .

وفى هذه الدورة يقوم الخنزير بدور ما يسمى بالعائل الوسيط ، بينما يسمى الانسان العائل النهائى · وليس الخنزير العائل الوسيط الوحيد فقد تبتلع الكلاب والجمال والقردة بيض الديدان فتنمو فى عضلاتها الحوصلات او الديدان المثانية ، **ولكن الخنزير يعتبر فى واقع الامر المصدر الوحيد لعدوى الانسان ، أو يكاد** · ويصاب الانسان بدودة أخرى من نفس الجنس ، وهى دودة لحم البقر الشريطيه (تينيا ساجيناتا) ، والعائل الوسيط لها كما هو ظاهر هو الابقار والثيران · ولحم الخنزير المصاب يكون فى العادة أكثف اصابة من لحم البقرة المصابة ، فقد تكون الديدان المثانية نصف حجمه وقد يربو عددها على عشرة آلاف فى الكيلو الواحد من اللحم · ودودة لحم البقرة تشبه دودة لحم الخنزير بصفة عامة وان كانت أطول منها وعدد اسلاتها أكثر ، ودورة الحياة متشابهة فى الحالتين ·

بيد ان الذى تنفرد به دودة لحم الخنزير دون دودة لحم البقر هو امكان انعكاس تلك الدورة التى وصفناها انعكاسا جزئيا ، فيصبح الانسان هو العائل الوسيط ، فيؤوى جسمه يرقانات الدودة اى ديدانها المثانية · والانسان فى هذه الحالة عائل وسيط فى دورة تنتهى بطريق مسدود ، اذ ان تلك الديدان المثانية لن تنمو الى ديدان شريطية بالغة الا اذا اكل لحم ذلك الانسان المصاب انسان آخر ، ولن يحدث هذا بالطبع ، **اللهم الا ان يكون ذلك فى قبائل اكلة لحوم البشر** ·

وينشأ هذا الانعكاس الجزئى فى دورة حياة دودة لحم الخنزير من ابتلاع الانسان لبيض هذه الدودة اذا تلوثت يداه او تلوث طعامه بشىء منها لسبب من الاسباب ، كما أن هذه العدوى قد تكون ذاتية ، أى أن يكون مصدر البيض المعدى هو الدودة التى يؤويها الشخص نفسه فى أمعائه ، كذلك قد اتضح أن البيض الناضج او الاسلات المثقلة بالبيض الناضج قد ترتد من أمعاء الشخص المصاب بالدودة الشريطية الى معدته · وفى جميع هذه الاحوال التى ذكرنا يفقس البيض فى المعدة وتنطلق منه الاجنة ذوات الاشواك أو الخطاطيف الست ، فتنطلق مع دورة الدم منتشرة فى اجزاء جسمه لتستقر فى عضلاته مكونة ديدانا مثانية ، مثلما يحدث للخنزير المبتلع للبيض ·

أما اذا وصل بيض دودة لحم البقر الى معدة الانسان ، فانه لن يترتب على ذلك شىء على الاطلاق ، اذ ان الانسان غير قابل لتكون يرقاناتها اى ديدانها المثانية فى جسمه · وهذا هو الفرق الرئيسى بين الدودتين ، وهو أس البلاء كله فى الاصابة بدودة لحم الخنزير ، فالاصابة بالديدان الشريطية البالغة من كلا النوعين لا يكاد يحدث اعراضا هامة فى المعتاد ، ولكن كبر حجم هذه الديدان قد يسبب فى الاطفال والاشخاص ضعاف الاجسام بعض الاضطرابات المعدية والمعوية وربما بعض الاعراض العصبية اليسيرة وفقرا فى الدم ايضا ، ولكن علاج هذه الاحوال وطرد الديدان ميسور معروف · أما أصابة الانسان بالديدان المثانية بدودة لحم الخنزير فهو مرض وبيل مستقل بذاته (سستيسركوزس) ·

« البقيـة فى العدد القـادم »

الدم والنخاع

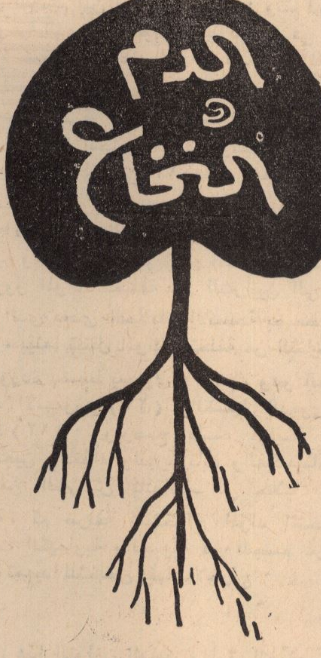

وسيلتا النقل فى جسم الإنسان

الدكتور عزت محمد خيرى

الانسان مخلوق مميز متكامل، صوره الله وقدره، وعززه وكرمه، وأودع فيه من سر خلقه مايحفظ عليه الحياة الى حين : مقننة ، منظمة ، متجددة . وقد كشف العلم ، ومازال يستكشف ، من الحقائق عن هذا الكائن العظيم ما جعل العلماء يشبهون جسم الانسان بالمصنع الكبير التى تتهيأ له كل اسباب الادارة الحكيمة الرشيدة الواعية الناجحة ، وتتوفر له كل خامات التشغيل وافضل مصادر الوقود ، وبالاحرى فهو مصنع غزير الانتاج جيد الصنعة عظيم القدرة . يعبر عن ذلك كله قوله تعالى :

« لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم (٤) » — من سورة التين

« قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون (٢٣ (» — من سورة الملك

« خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير (٣) » — من سورة التغابن

ويشتمل الجسم على شبكة متصلة — تمثل نظاما مقفلا — من الاوعية التى تربط بين اجزائه المختلفة ، ومن خلال هذه الشبكة يمرق الدم والنخاع ناقلين الغذاء والهواء يسائر نواتج العمليات الكيميائية والحيوية الحادثة فى الجسم وخلاياه ، فى نظام رتيب محكم . ويكون الدم حوالى سبعة فى المائة من وزن الجسم ، وهو الذى يتكفل بنقل الاوكسجين وعصارات الغدد ونواتج عمليات الهضم الى جميع خلايا الجسم ، كما ينقل النفايات المختلفة خارج الخلايا فيوصلها الى اعضاء الاخراج حتى يتخلص منها الجسم ويتجنب اضرارها . اما النخاع فهو هذا السائل الذى يعمل كحلقة اتصال بين الخلايا والدم ، ويتكون من الماء ومواد مذابة مصدرها الاساسى هو بلازما الدم . وينقل النخاع الكرات البيضاء المسماة بالليمفوسيات LYMPHOCYTES كما يحمل الليبيدات الناتجه عن عمليات الهضم ويوصل ذلك جميعا الى الاوعية الدموية لتأخذ مسارها فى الدورة : وذلك عن طريق العمود الفقرى اصلا اذ يتجمع اليه النخاع عن طريق الاوعية النخاعية

تركيب الدم ووظائفه .. يحتوى الدم على العديد من الخلايا ذات النشاط الفسيولوجى بحيث يمكن اعتباره على وجه التحديد على انه نسيج . ويشمل هذا النسيج على ٦٠ فى المائة من حجمه السائل الغروانى المسمى بالبلازما PLASMA وعلى ٤٠ فى المائة من حجمه اجسام صلبة او وحدات مشكلة تعرف

بالكرات الدموية CARPUSCLES والصفائح PLATELETS وهذه تسبح فى البلازما والبلازما وسط غروانى مصفر اللون يتكون بالوزن من ٩٠ فى المائة ماء ، ٧ فى المائة بروتين ، وحوالى ١ فى المائة أملاح ، ١٢ر فى المائة سكر العنب (الجلوكوز) والعديد من المواد الاخرى بمقادير صغيرة ٠

اما الكرات الدموية ـ او الخلايا الدموية ـ فهى نوعان : الحمراء والبيضاء ، ويطلق على الاولى اسم الارثيروسيتات وعلى الثانية نيوكوسيتات ٠

وتحتوى الكرات الحمراء ـ وهى تتميز عن دونها من الخلايا بعدم احتوائها على نويات ـ على ٣٥ فى المائة من وزنها مواد صلبة تشتمل اساسا على الهيموجلوبين (من ٣١ الى ٣٣ فى المائة) ، والليبيدات (٠٦ر فى المائة) والباقى من مكونات الكرات الحمراء املاح بوتاسيوم ومغنسيوم ويوريا وجلوكوز ٠ اما الكرات البيضاء فهى خلايا دموية لا تحتوى الا على مقادير ضئيلة من عديد من المكونات الصلبة والجزء الاعظم منها على هيئة تجلطات ذوات نويات ٠ هذا وتتألف الصفائح الدموية بصفة غالبة من البروتينات والليبيدات الفوسفورية خاصة ليبيد السيفالين ٠

وقد تبين من فحص الدم وتحليل مكوناته ان البلازما تحتوى على العديد من البروتينات منها ما يعرف بالجليكوبروتينات ومنها مايسمى الليبوبروتينات وأمكن فصل من هذه وتلك ما يزيد على خمسة وعشرين نوعا تؤدى وظائفها كمواد بنائية للانسجة أو انزيمات أو هرمونات أو مضادات للاجسام الغريبة وتقسم هذه البروتينات عادة الى : زلاليات وجلوبيولينات وخيطيات فبرينوجينات أو تكون الزلاليات الجزء الغالب منها : وتتميز بأنها تكون متراكبات مع كثير من الاحماض والاسترات والسلفوناميدات ممايجعلها قادرة على نقل هذه المواد فى الدم ٠

اما الجلوبيولينات (الالفا والبيتا) فانها تكون متراكبات مع الليبيدات غير القابلة للذوبان فى الماء كالكوليستيرول ، والاحماض الدهنية ، والفسفوليبيدات والكاروتينويدات ، ومن ثم تنقلها فى الدم ، بينما تحتوى الجاما ـ جلوبيولينات على الاجسام المضادة التى تدافع ضد الميكروبات والفيروسات التى تهاجم جسم الانسان ٠ وتتركز وظيفة الفبرينوجينات فى عمليات تجلط الدم ٠

ومن الوظائف الاساسية **لبروتينات البلازما** بصفة عامة ـ والزلاليات بصفة خاصة ـ انها تنظم توزيع سوائل الجسم بين الانسجة والدم ٠ وتتم دورة الدم فى الاوعية الدموية والخلايا لوجود فارق فى الضغط ، اذ يبلغ ضغط الدم عند النهاية الشريانية للشعيرات الدموية حوالى ٣٤ مم ، وينخفض هذا الضغط عند النهاية الوريدية لهذه الشعيرات نظرا لتفرع الشعيرات فى اتجاه الاوردة وتجمعها فى اتجاه الشرايين ـ الى حوالى ١٢ مم ٠ ويمثل الفرق بين الضغطين المذكورين الضغط الاسموزى اللازم لمروق الزلال الالبيومين والبروتينات الاخرى خلال الاوعية الشعرية وهو ٢٢ مم ، ويؤدى انخفاض الضغط هذا الى مرور المواد المختلفة من الشرايين الى السائل البينى الذى يغذى الخلايا والانسجة بضغط يساوى ١٢ مم ، بينما تنتقل المواد المتخلفة من الثنايا البينية الى الاوردة بضغط يساوى ١٠ مم ، وهو الفرق بين الضغط الاسموزى (٢٢) والضغط الدموى عند الاوردة (١٢) ٠ ويوضح ذلك كيفية انتقال الاوكسجين والغذاء والهرمونات والفيتامينات خلال الدم ومن الشرايين بالذات ـ الى خلايا الجسم المختلفة ، ثم طريقة استخراج المواد المتخلفة عن العمليات الكيماوية والحيوية فى الجسم عن طريق الاوردة تمهيدا للتخلص منها بالاخراج ٠

ولعل هذا التوازن الدقيق وفارق الضغط من اهم العوامل المتحكمة فى دورة الدم ووظائف الخلايا والانسجة المختلفة ، فاذا ما اختل هذا التوازن مثلا ينقص فى بروتين البلازما (خاصة الالبيومين) فان الضغط الاسموزى ينخفض مما يؤدى الى زيادة فى فارق الضغط الذى يدفع السوائل من الفتحات الشريانية بينما يحدث انخفاض فى الضغط الحادث عند الفتحات الوريدية فى الاوعية الدموية وتنشأ عن ذلك تجمع السوائل فى الانسجة فتنتفخ وتسمى هذه الحالة طبيا بالاديما أى انتفاخ الانسجة ٠

وبالاضافة الى ما تقدم فان بروتينات البلازما تعمل على تنظيم الرقم الهيدروجينى للدم وحفظه فيما بين ٣٥ر٧ ، ٦٥ر٧ ، وهذه وظيفة هامة للتحكم فى حموضة الدم وكذلك تؤدى الى تنظيم نقل ثانى اكسيد الكربون الناتج عن تفاعل انيونات البروتينات مع الاحماض ٠

اما الهيموجلوبين ـ المادة الملونة فى كرات الدم الحمراء ـ فانه يتكون من اتحاد البروتين المسمى

بالجلوبين – وهو من نوع الهستون القاعدى – مع المادة الحديدية المسماة بالفيروهيم والهيموجلوبين فى دم الانسان هو مركب ذو وزن جزيئى مرتفع جدا يبلغ ما بين ٦٣ الف ، ٦٧ الف وحدة ، ويحتوى كل جزء منه على اربعة مجموعات من الفيروهيم المحتوية على الحديد فى هيئة حديدوز •

وتتلخص التفاعلات التى تحدث فى خلايا الدم الحمراء فيما يلى

١ – نقل الاوكسجين وثانى اكسيد الكربون وتعتبر الوظيفة الرئيسية للهيموجلوبين هى حمل الاوكسجين من الرئتين الى خلايا الانسجة ، كما يساعد على توصيل ثانى اكسيد الكربون الى الرئتين • ويمتص الهيموجولبين الاوكسجين من الهواء المستنشق مكونا مركبا معه يسمى اكسى هيموجلوبين ، وينقل الدم هذا المركب بواسطة الكرات الحمراء الى الانسجة حيث يحدث عدة تفاعلات كيميائية • تؤدى الى تزويد الانسجة بالاوكسجين وفصل ثانى اكسيد الكربون منها ، ويدخل فى هذه التفاعلات بكربونات البوتاسيوم الموجودة فى الكرات الحمراء الى جانب مركب الاكسى هيموجلوبين • ويخرج ثانى اكسيد الكربون الناتج مع بعض الماء اثناء عملية الزفير •

٢ – يعمل الهيموجلوبين كمنظم للرقم الهيدروجينى للدم وتبلغ فعاليته فى هذا المجال حوالى ٦٥ فى المائة من الاثر المنظم لحموضة الدم كله : وتشترك بروتينات البلازما فى تحقيق الجزء الباقى من هذا التنظيم •

ومن الواضح ان الدم الشريانى الذى ينتقل من القلب خلال الرئتين الى الانسجة غنى بالاوكسجين فقير بثانى اكسيد الكربون بينما الدم الوريدى المتجه الى القلب من الانسجة على عكس ذلك فقير فى الاوكسجين غنى بثانى اكسيد الكربون ، ولا يزيد الفارق فى الرقم الهيدروجينى بين هذين النوعين من الدم على ٠٢ و الى ٠٤ر من الوحدات • ويتميز لون دم الشرايين بأنه احمر زاهى بينما لون دم الاوردة احمر داكن وذلك لاحتواء الاول على مادة الاكسى هيموجلوبين •

كما هو مبين بالجدول بالصفحة التالية

النخاع والسائل البينى : لايحتوى النخاع والسوائل السارية بين الانسجة الا على ما يقرب من نصف تركيز البروتينات (بمتوسط قدره ٣٢ر٣ فى المائة) الموجودة فى البلازما ، وذلك لان البروتينات لا تنفذ من خلال جدران الخلايا ، على خلاف اليوريا والسكر والاحماض الابينية وكثير من الايونات غير العضوية التى يمكن ان تنتقل بين الخلايا • هذا وهناك من الدلائل على ان الانسجة النخاعية هى التى يتكون عندها جزء من الجلوبيولين اللازم للخلايا والذى ينتقل منها عن طريق النخاع الى الدم •

وبعد فهذا بعض من افضال الله على خلقه ودلائل عظمته وقدرته ، سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار وصوره فأحسن تصويره ومنحه الحياة والرزق واجزل النعمة ، انه على كل شىء قدير • يقول تعالى فى الانسان :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » – « نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا » •

المـــادة	النسبة المتوسطة لها فى كل ١٠٠ سم^3 من الدم	ملاحظات عن آثار تغير النسبة المتوسطة
زلاليات [البيومين]	٢ر٥ جرام	تكون منخفضة فى حالة التهابات الكلى
احماض أمينية [فى البلازما]	٤ر٤ ملليجرام [نتروجين]	تكون عالية فى الالتهابات الحادة بالكبد المتلفة لانسجته
البيليروبين [فى المصل]	٥٤و. ملليجرام	تكون عالية فى الاضطرابات فى افراز الصفراء
الكالسيوم [فى المصل]	٠ر١٠ ملليجرام	تكون عالية أو منخفضة فى اضطرابات الغدة الدرقية
ثانى أكسيد الكربون [فى الدم الوريدى]	٢٥ر١ جرام	تكون منخفضة فى حالة مرض السكر الحمضى
الكلوريد [فى المصل]	٣٧و جرام	تكون منخفضة فى حالات القىء الشديد والدياريا
الكوليستيرول [فى المصل]	٠ر٢١٠ ملليجرام	تكون عالية فى حالة التهابات الكلى
الدهن الكلى [فى البلازما]	٠ر٧٣٥ ملليجرام	تكون عالية فىحالةاضطرابات افرازالصفراءالمصاحبلمرض الصفراء
فيبرينوجين [فى البلازما]	٢ر. الى ٤ و . جرام	تكون منخفضة فى أمراض الكبد الحادة
الجلوبيولين [فى المصل]	٠ر٢ جرام	تكون عالية فى حالة الالتهابات الشديدة فى العمود الفقرى
الجلوكوز [فى الدم كله]	٩٠ ملليجرام	يكون عاليا فى مرض السكر
الهيموجلوبين للذكور [فى الدم كله]	٩ر١٥ جرام	يكون عاليا فى حالة انقباض الشعب الهوائية لبوليسيثيميا ومنخفضا فى حالة نقص الحديد فى الانيميا
اليود المتحد مع البروتين [فى المصل]	٠ر٥ ميكروجرام	يكون عاليا فى حالة اضطراب الغدة الدرقية
الحديد [المصل]	ر١٠٥ ميكروجرام	يكون منخفضا فى نقص الحديد فى الانيميا
مواد غير بروتينية نتروجينية [فى الدم كله]	ر٢٩ ملليمجرام [نتروجين]	تكون عالية فى حالة نقص فى افراز الكلى
الاكسجين الشريانى [فى الدم كله]	٦ر١٩ ٪ بالنسبة الحجمية	يكون عاليا فى حالة انقباض الشعب الهوائية ، ومنخفضا فى حالة تمدد الشعب الهوائية
الاكسجين الوريدى [فى الدم كله]	٦ر١٢ ٪ بالنسبة الحجمية	يكون عاليا فى حالة انقباض الشعب الهوائية ، ومنخفضا فى حالة تمدد الشعب الهوائية
الفسفور [فى المصل]	٦ر٣ ملليجرام	يكون عاليا فى حالة انخفاض افراز الغدة الدرقية ، ومنخفضا فى حالة لين العظام للاطفال
البروتين الكلى [فى المصل]	٢ر٧ جرام	يكون عاليا فى التهابات العمود الفقرى المتضاعفة : ومنخفضا فى حالة التهابات الكلى
البوتاسيوم [فى البلازما]	١٦٦ر. جرام	يكون عاليا فى حالة نقص افراز هرمون الادرنالين
الصوديوم [فى المصل]	٣٢٢ر. ملليجرام نتروجين	يكون منخفضا فى حالة نقص افراز هرمون الادرنالين
نتروجين اليوديا [فى الدم كله]	٦ر١٣ ملليجرام نتروجين	يكون عاليا فى نقص افراز الكلى
حمض البوليك [فى المصل]	٤ر٤ ملليجرام	يكون عاليا فى حالة التهابات المفاصل
الاسيتون [فى الدم كله]	٢ر. الى ٧ر. ملليجرام	يكون عاليا فى مرض السكر ، وفى حالات الجوع القاتل

الخلفاء الراشدون
و
أعلام الإسلام

علي ابن أبي طالب
القاضي والمفتي

المستشار عبد الستار آدم

علي بن أبي طالب غني عن التعريف فهو ، كرم الله وجهه ، ابو الحسن علي ابن ابي طالب بن عبد المطلب ابن عم رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلى الله عليه وسلم

وكان أصغر اولاد أبي طالب وقد احتضنه رسول الله وسنه ست سنوات ، وأسلم وعمره عشر أو ثلاث عشرة سنة وقد رباه النبي في بيته وأدبه بآدابه وسقاه من خلقه العظيم ثم زوجه صغرى بناته ، فاطمة الزهراء ، وكانت سنها حينذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف وسن علي ، رضي الله عنه ، احدى وعشرون سنة وخمسة أشهر فولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت

واشترك مع رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في جميع غزواته ماعدا غزوة تبوك لانه خلفه نائبا عنه على المدينة

وقد ولي الخلافة يوم قتل عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية وكانت خلافته اربع سنوات وتسعة أشهر وعشرة أيام حيث قتل بالكوفة غيلة في ١٧ من رمضان سنة ٤٠ هجرية

وقد تكلم المؤرخون عن رسوخ عقيدته وقوة دينه وعلو خلقه وشجاعته وفروسيته وعطفه وعفوه عند المقدرة وعفة يده ولسانه وتواضعه

كما اتفق الجميع على بلاغته وعلمه وفطنته فله العديد من الخطب والرسائل والمواعظ والحكم وقد جمع معظمها ، على ارجح الاقوال ، ابو الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي — وهو من نسل سيدنا الحسين بن الامام علي ، رضوان الله عليهم أجمعين . وسمى ما اختاره منها باسم « نهج البلاغة » . وقد قال الامام محمد عبده ، رحمه الله ، في مقدمته لشرح هذا الكتاب ما يلي حرفيا :

« ليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه » ، ثم قال فضيلته في موضوع آخر من مقدمته ... وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الامام علي ابن أبي طالب هو أشرف الكلام وابلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه واغزره مادة وارفعه اسلوبا واجمعه لجلائل المعاني »

وفضلا عن بلاغته ، رضي الله عنه ، في الكتابة والخطابة فقد كان كذلك قاضيا عادلا وفقيها عالما مفتيا أما عن القضاء فقد تولاه وهو شاب فقد روى أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعثه وهو شاب الى اليمن ليقضي فيها .. ومما يروى عنه في هذا الشأن أنه ، كرم الله وجهه ، قال للنبي يوم ذاك :

« ندبتني يارسول الله وأنا شاب ولاعلم لي بالقضاء »

فقال له النبي ، صلى الله عليه وسلم:

« ادن مني » فدنا منه فضربه على صدره بيده وقال : « اللهم اهد قلبه وثبت لسانه »

فقال علي : « ماشككت في القضاء بين اثنين بعد ذلك »

وقد سردت كثيرا من أقضية الامام علي في مقالاتي التي نشرتها بهذه المجلة الغراء في اعدادها الخامس والسابع والثامن من السنة السادسة والعشرين وقد ارسى ، كرم الله وجهه ، بهذه الاقضية مبادىء قانونية يجري عليها العمل حتى يومنا هذا كما انها تدل على عدله وفراسته وعلمه وفهمه وفطنته وحسن اجتهاده

أما عن فقهه وفتاويه فان المتفق عليه انه ، رضي الله عنه ، كان عالما مجتهدا في الفقه والدين فقد كان الخليفة الاول ابو بكر الصديق يستشيره . وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يستنير برأيه ويأمر بتنفيذه

من ذلك أن شخصا يدعى قدامة بن مظعون كان قد شرب الخمر فأراد عمر ، رضي الله عنه ، أن يحده فقال له :

« لا يجب علي الحد لان الله تعالى يقول ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات » فدرأ عمر عنه الحد

ولما بلغ ذلك الامام علي قال لعمر ، رضوان الله عليهما ، : لم تركت الحد على قدامه في شرب الخمر . فقال له : انه تلى علي هذه الاية . وتلاها .. فقال له علي : « ليس قدامه من أهل هذه الاية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراما فاردد قدامه واستتبه مما قال فان تاب فأقم عليه الحد وان لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة

فوافق الخليفة عمر على ذلك

ولما عرف قدامه الخبر أظهر التوبة فدرأ عنه عمر القتل ولم يدر كيف يحده فاستشار عليا فقال : « حده ثمانين جلدة ان شارب الخمر اذا شربها سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى »

فامر الخليفة عمر بجلد قدامه ثمانين جلده

وفي رواية اخرى قيل انه قد أتى عمر بقدامة بن مظعون وقد شرب الخمر فشهد عليه رجلان ، أحدهما خصى وهو عمر التميمى ، والاخر المعلى بن الجارود فشهد أحدهما أنه رآه يشرب الخمر وشهد الاخر انه رآه يقيء الخمر فارسل عمر الى اناس من اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وكان فيهم الامام على . فقال له عمر : « ما تقول يا أبا الحسن فانك الذى قال رسول الله ، عليه الصلاة والسلام أنت أعلم هذه الامة واقضاها بالحق فان هذين قد اختلفا فى شهادتهما » .. فقال على : « ما اختلفا فى شهادتهما وماقاءها حتى شربها » . فقال عمر : « هل تجوز شهادة الخصى » .. فقال على : « وما ذهاب لحيته الا كذهاب بعض أعضائه

ومن ذلك أن الخليفة عمر ، رضى الله عنه ، استدعى امرأة كانت تتحدث عنها الرجال .. فلما جاءتها رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم فاجهضت ووقع جنينها على الارض ثم مات .. ولما بلغ عمر ذلك جمع اصحاب النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وسألهم فقالوا : أنراك مؤدبا ولم ترد الا خيرا ولا شىء عليك » وكان على جالسا لا يتكلم فقال له عمر : « ما عندك فى هذا يا أبا الحسن » . فقال « قد سمعت ما قالوا » .. قال عمر : فما عندك أنت .. قال : « قال القوم ما سمعت » فقال له عمر : « أقسمت عليك لتقولن ما عندك » .. قال : « ان كان القوم قد قاربوك فقد غشوك وان كانوا أرتأوا فقد قصروا . ان الدية على عائلتك لان قتل الصبى خطأ تعلق بك » فقال عمر : « أنت والله نصحتنى من بينهم والله لاتبرح حتى تجرى الدية على بنى عدى »

فانظر كيف أفتى على ، كرم الله وجهه ، بوجوب الغرم على الامام . وهى فتيا عادلة وصحيحة

يراجع ما كل ما تقدم :

١ — كتاب « نهج البلاغة » شرح الامام الشيخ محمد عبده تحقيق وتعليق الاستاذين محمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا الكتاب الاول

٢ — الاعداد الخامس والسابع والثامن من السنة ٢٦ من منبر الاسلام الغراء تحت عنوان « أمثلة من الاقضية فى الاسلام » كتاب « عجائب احكام وقضايا ومسائل أمير المؤمنين .. على بن أبى طالب » جمع السيد محسن الامين الطبعة الاولى دمشق سنة ١٩٤٧

والى الاعداد القادمة من هذه المجلة الغراء ان شاء الله لاروى بعضا آخر من فتاوى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه .

والله ولى التوفيق والسداد

شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح

احدى شركات المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الاعمال المدنية

٢٥٠,٠٠٠ متر مكعب خرسانة مسلحة فى عام واحد من بدء المرحلة الثانية

محطة الكهرباء وقواعد التوربينات والمحولات :

فى المرحلة الأولى تم العمل فى جميع اساسات محطة الكهرباء والبوابات الخلفية ، ومنذ ١٥ مايو سنة ١٩٦١ بدء العمل فى بناء قواعد التوربينات والمحولات وهى مبنية دقيقة جدا لدرجة أن التفاوت المسموح به لا يتجاوز ملليمتر ، وقد تم حتى الآن ٩٠ الف متر مكعب من الخرسانة .

مداخل الأنفاق :

فى المرحلة الأولى تم العمل فى مداخل الأنفاق إلى منسوب ١٤٢ مترا ، ومنذ ١٥ مايو سنة ١٩٦١ بدء العمل فى استكمال مداخل الأنفاق الى منسوب ١٨٤ مترا وتم حتى الآن صب ٧٢ ألف متر مكعب من الخرسانة ، وقد تم العمل نهائيا فيها ولم يبق سوى بعض الكبارى الخرسانية الموصلة من جسم السد الى مداخل الأنفاق لتشغيل البوابات .

٣ ممرات للتفتيش فى جسم السد

عبارة عن ٧ ممرات فى جسم السد نفسه بعرض النيل ٥٢٠ مترا ومقطع كل منها ٢,٥٠ × ٤,٧٠ متر وسمك الخرسانة ٧٥ سم . الغرض منها التفتيش المستمر على جسم السد ومقياس مدى نفاذ المياه واتمام عملية ردم الستارة الراعية تحت قاع النيل . ويتم العمل فى بناء هذه الممرات الثلاثة بناء على جدول محدد حسب منسوب الردم فى جسم السد . وقد بدأ العمل فيها فى مارس سنة ١٩٦٥ وتم صب ٢٧ الف متر مكعب من الخرسانة حتى الآن

إنشاء قواعد ابراج الكهرباء من سوهاج الى سمالوط وبناء ٣ محطات محولات فى سمالوط والمنيا وملوى

- خطان قوة ٥٠٠ كيلو فولت بطول ٣٥٠ كيلومتر بينهما ٥٠ متر مجموع ابراجها ١١٤٥ برجا من برج القاهرة عبر الصحراء بعيدا عن النيل بمسافات تصل الى ٥٠ كيلومترا
- خط ثالث مغذيه قدرة ١٣٢ كيلو فولت فى الأراضى الزراعية مجموع ابراجه ٨١٠ برجا بقاعدة مفردة
- ثلاث محطات محولات والمساكن الخاصة بها فى سمالوط والمنيا وملوى .
- بدأ العمل فى قواعد الأبراج فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٤ وقد تم حتى الآن صب ٦٢٠ قاعدة وتم حفر ٧٥٠ قاعدة أخرى

وتقوم الشركة بتنفيذ مشروع :

الترسانة البحرية

بالاسكندرية

يشمل المشروع إنشاء ورش لاصلاح وبناء السفن التجارية للركاب والبضائع وغيرها . وورش لتجهيز الأجزاء المختلفة من السفن والمعدات والقيام بكافة الاصلاحات والتعميرات للسفن التجارية التى ترتاد موانى الجمهورية كما تنشأ محطات القوى التى تمد المشروع بالبخار والهواء المضغوط والاوكسيجين والاستيلين كما تقوم الشركة كمقاول رئيسى تنفيذ اعمال انشاءات قزقات بناء السفن كما تقوم بانشاء مبانى جميع الورش

والارقام التالية تبين حجم الاعمال التى تقوم بها الشركة بالترسانة

١٩٠٠,٠٠٠	متر مكعب ردم بالرمال	٥٧٠	متر مكعب رصيف بحرى بالحائط الساند
١٣٦,٠٠٠	متر مكعب خرسانات	١٤,٢٠٠	متر مطول مواسير المياه
٦,٨٠٠	طن انشاءات معدنية	٤,٨٠٠	متر طول لمواسير المجارى
٦,٥٠٠	طن ستائر حديدية		وتقدر الايدى العاملة بالمشروع
١٤,٨٠٠	متر مكعب مبانى بالطوب		نحو ٤٠٠٠ عامل وفنى

مارية القبطية

و موطنها في مصر

الاستاذ ابراهيم محمد الفحام

فى السنة السابعة من الهجرة ، بعث المقوقس — عظيم القبط — مع رده على الرسالة التى دعاه فيها النبى صلى الله عليه وسلم للاسلام ، بعض الهدايا من خيرات مصر ، ومنها جاريتان هما مارية بنت شمعون القبطية ، وأختها سيرين . وقد ذكر بعض الرواة أنهن كن أربع جوار ، وان الجاريتين الاخريين كانتا تسميان [قيصر] و [بريرة] .

وقد ولدت مارية من النبى ولده ابراهيم فى السنة الثامنة من الهجرة ، غير انه مات وعمره ثمانية عشر شهرا .

وبعد وفاة الرسول تولى أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الانفاق على مارية حتى ماتت بالمدينة فى السنة السادسة عشرة من الهجرة ، فى خلافة عمر . ورئى وهو يحشد الناس بنفسه لحضور جنازتها . ودفنت بالبقيع ، واليها تنسب [مشربة أم ابراهيم] فى العالية بالمدينة ، وكان أول نزولها فيها .

وذكر بعض الرواة والمؤرخين ومنهم ابن سعد فى (الطبقات الكبرى] والكندى فى [فضائل مصر] ان مارية ولدت فى قرية [حفن] من أعمال [انصنا] بصعيد مصر : لاب قبطى ، وأم مسيحية رومية .

وقد اهتم أجلاء الصحابة والتابعين ، بتلك القرية ، وذكر ياقوت الحموى فى [معجم البلدان] أن الحسن بن على طلب من معاوية بن أبى سفيان ، ان يضع الخراج عن ابنائها — وكان كلهم من اقارب مارية — ففعل .

ولما كان اسما [انصنا] و [حفن] قد اختفيا ضمن الكثير من أسماء المدن والقرى المصرية ، التى اندثرت ، أو تغيرت أسماؤها مع الزمن ، فقد اجتهد بعض الباحثين المحدثين فى تحقيق مكانيهما ، وبدأوا بمدينة انصنا ، عاصمة المقاطعة التى كانت تتبعها قرية حفن .

وقد ذكر ياقوت عن مدينة أنصنا انها [من نواحى الصعيد على شرقى النيل] وذكر دقماق فى [الانتصار] أنها [بلدة قديمة بها آثار عظيمة ، وكان بها مقياس صغير يقاس فيه ماء النيل ، وبعضه باق الى الان ، وهى على ضفة النيل الشرقية قبالة الاشمونين] .

وقد اتضح من البحث ان انصنا هى فى الحقيقة مدينة [انطينوه] التى أسسها الامبراطور أوريان — ربيب الامبراطور تراجان — الذى تولى حكم الامبراطورية الرومانية بين سنتى ١١٧ و١٣٨ م .

وقد ذكر العلامة شامبليون فى الجزء الاول من كتابه (تاريخ مصر القديمة] ان سبب تاسيس تلك المدينة ، انه اثناء سياحة ذلك الامبراطور فى الوجه القبلى فى سنة ١٢٢ م — وقيل فى سنة ١٣٠ م — غرق نديمه الشاب [انطونيوس] فى النيل ،

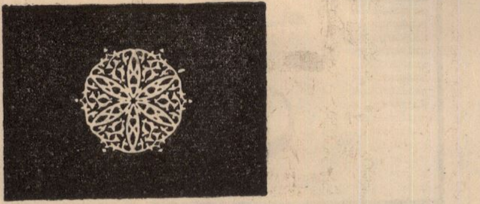

فحزن عليه حزنا شديدا ، وابتنى له قبرا فخما شمالى بلدة [بيز] التى كانت فى مواجهة الموضع الذى غرق فيه ، على الشاطىء الشرقى للنيل . ثم أحاط ذلك القبر بحديقة غناء ، وأمر باقامة مدينة حوله ، فاستغرق بناؤها أربع سنوات ، وجمع فيها كل الرومانيين المتفرقين فى مصر ، مع من جلبهاليها من بلاد الرومان . وأطلق على المدينة [انطونيوه] تخليدا لذكرى نديمه الفريق .

وقد امتد عمران تلك المدينة حتى شمل مبانى بلدة [بيز] فاخفى اسمها من الوجود . وقد ذكر الادريسى ان تلك البلدة هى مدينة السحرة التى جلب منها فرعون كل ساحر عليم ، لمغالبة موسى عليه السلام .

وعندما انقسمت الدولة الرومانية الى الدولة الشرقيةوعاصمتها القسطنطينية ، والدولة الغربية وعاصمتها روما . وتبعت مصر الدولة الاولى ، فاعيد النظر فى تقسيمها الادارى ، وقسمتمصر الى ستة اقاليم كبرى ، ومنها اقليمان فى الوجه البحرى ، واربعة اقاليم فى الوجه القبلى ، وكان كل من اقاليم الوجه القبلى يسمى [أبروشية] كان من تلك الاوبرشيات ابروشية طيبة السفلى ، التى تتكون من تسعة اقسام ، وعاصمتها مدينة [انطينوه] التى سماها الاقباط [أنصلة] وحرفها العرب الى [أنصنا] ، وقد ظلت محتفظة بهذا الاسم حتى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى . ثم اضيفت فى سنة ١٢٣٠ هـ الى قرية [الشيخ عبادة] الملاصقة لها ، وغلب عليها الاسم الاخير . فاختفى اسم [أنصنا] من عداد البلاد المصرية ، بعد ان خربتمساكنها ، ولم تبق منها الان الا بعض الاطلال الموجودة فى حوض [مدينة النصلة رقم ١١] باراضى قرية الشيخ عبادة بمركز ملوى .

أما بلدة [بيز] التى امتد اليها عمران مدينة [انصنا] فيوجد فى موقعها الان تل أثرى يشغل حوض [على المغربى رقم ٨] باراضى قرية الشيخ عبادة ايضا .

وقد نسب الى انصنا فى العصر الاسلامى قوم من اهل العلم ، منهم ابو طاهر الحسين بن احمد بن حيون الانصناوى ، مولى خولان ، وابو عبد الله الحسين بن احمد بن سليمان بن هاشم الانصناوى المعروف بالطبرى ، روى عن ابى على هارون بن عبد العزيز الانبارى المعروف بالاوارجى ، وروى عنه ابو عبدالله محمد بن الحسن بن عمر الناقد بمصر .

وقد قام العلامة حفنى ناصف بزيارة تلك المنطقة فى سنة ١٣٣٠ هـ . للتعرف على القرية التى ينسب اليها اسمه (حفنى) واستنبط مما رواه المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب ، ومما ذكره له ابناء تلك المنطقة ، ان قرية [حفن] كانت تقع حيث توجد الان قرية الشيخ عبادة ، وتنسب هذه القرية الى مسجد يقولون ان الصحابى الجليل عبادة بن الصامت . اقامه فى موضع بيت مارية ، عندما زار مصر فى ايام عمرو بن العاص ، وتولى فيها بعض الاعمال . وقد جدد ذلك المسجد بعد موته ، وبه ضريح يقال انه مدفون فيه .

ويبدو ان نسبة هذا الضريح لعبادة بن الصامت ، لم ينشأ الا منذ عهد قريب . وذلك لان المقريزى عندما تحدث فى خططه عن قرية الشيخ عبادة قال انها [سميت باسم ولى مدفون بها ولو كان معروفا فى زمنه ان ذلك الولى هو عبادة بن الصامت لذكر ذلك .

والمعروف ان الصحابى الجليل ابا الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الانصارى الخزرجى الذى حضر فتح مصر ، قد توفى فى فلسطين على ارجح الروايات فى سنة ٣٤ هـ [٦٥٤] م وكان اول من ولى القضاء بها ، ودفن اما فى الرملة ، او فى بيت المقدس . ولم يقل احد من المؤرخين انه توفى فى مصر .

والواقع ان القول بان قرية الشيخ عبادة هى نفسها قرية حفن ، امر لا يؤيده دليل ثابت . ولا تصلح الروايات التى يتوارث ابناء القرى ترديدها مصدرا لاستنباط الحقائق التاريخية . وخاصة اذا تعارضت الرواية مع احدى تلك الحقائق ، مثلما تتعارض رواية ضريح عبادة بن الصامت ، مع حقيقة المكان الذى دفن فيه .

ولعل خير محاولة لتحديد موضع قرية حفن ، هى تلك التى اجراها الاستاذ محمد رمزى فى القسم الاول من قاموسه الجغرافى الخاص بالبلاد المندرسة ، وهو خير من حققوا اسماء ومواقع المدن والقرى القديمة ، من الباحثين المصريين . فقد اثبت ان الاسم المصرى القديم لتلك القرية هو [هات بنو] . وقد حرفه الروم الى [هيبونون] ثم حرف فى اللسان القبطى الى [هبنو] .

وكانت تلك القرية فى العصور القديمة مدينة عامرة ، اتخذت قاعدة للاقليم السادس عشر ، ثم اضمحلت تلك المدينة حتى اصبحت قرية تابعة لاقليم انصنا ، ثم اندثرت بعد ذلك ، فلم تبق منها الا بعض الاطلال الموجودة بحوض [الكوم الاحمر رقم ١٩] الواقع شرقى النيل ، بجوار الجبل ، باراضى ناحية المطاهرة البحرية التابعة لمركز المنيا .

وهذه الاطلال مبينة على الخريطة باسم (اطلال مدينة هبنو) وكان من عادة العرب ان يقلبوا الهاء حاء ، والباء فاء ، فى تعريب الاسماء .

وقد ذكر ياقوت الحموى اسم (حفن) بفتح الحاء : وان كان الشائع فى صعيد مصر ان ينطق اسم [حفنى] المنسوب اليها بضم الحاء ، بينما الشائع فى غيره من انحاء مصر ، ان ينطق بالكسر .

ريحانة الرسول

الحسين بن على

رضى الله عنه

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

من الطبيعى ان يجتمع النقيضان فى الحياة ، ففيها ايثار وأثرة ، وفيها استرخاص للموت من أجل المثل العليا وفى سبيلها ، وحرص على النفس اتقاء الهلكة وتحقيقا للاغراض الزائلة ، وفيها انفاق للمال لمساندة الدعوات الصالحة وبناء الاوطان وكسب المحامد ، يقابله جلب المال ولو على حساب العرض والشرف ، ولو على حساب المبدأ والعقيدة .

ولكن على اى من هذين النقيضين يمكن ان تعمر الحياة .. انه لا يمكن ان يتصور أن تعمر الحياة بغير التضحية والبذل والفداء ، وترتيبا على ذلك لا يمكن ان يتصور ان تعمر الحياة وأن تسود الدعوات الصالحة ، وفى مقدمتها العقائد الدينية ، بالانانية والاثرة وحب الذات والا فكيف يقوم المجتمع المتساند المتكافل اذا كان كل فرد فيه لا يفكر الا فى تامين حياته وحياة اسرته الخاصة ، والا فكيف تنهض الدعوات الصالحة اذا لم تجد ناصرا .

ان من الناس من يعيش لغيره ومنهم من يعيش لنفسه وكل ميسر لما خلق له .

وقد كانت حياة الحسين رضى الله عنه تجسيدا للجوانب المضيئة فيما اصطلحت عليه الانسانية عبر التاريخ من ألوان البر والخير ، وفيما التزمه من سلوك لنصرة الحق والعدل وتعميق مفاهيمها فى النفوس مع شجاعة منقطعة النظير فى الدفاع عنهما ومحاربة اعدائهما ، فقد كان مع علمه بأن الامويين يتعقبونه يسلك الطريق الاعظم فى ذهابه من المدينة الى مكة ، ومنها الى الكوفة .

لقد كانت حياته أوضح من النهار قولا وعملا .. قال الحسين للصحابى الجليل ابى ذر الغفارى رضى الله عنه ، وهو يودعه بعد ان نفى عثمان من المدينة : يا عماه .. ان الله قادر ان يغير ما قد ترى ، والله كل يوم فى شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينك وما اغناك عما منعوك وأحوجهم الى ما منعتهم .. فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا .

كلام أغلى وأحلى من الدنيا وما فيها ، فالامويون منعوا أبا ذر اعراض الدنيا ، ومنعهم هو دينه الغالى العالى وهو غنى عن اموالهم ، فى حين هم محتاجون الى دينه ، ولم يكن هذا الكلام من الحسين قولا باللفظ ولكنه ترجمة عملية وحقيقة واقعة لسلوكه .

« فحين اشتد العطش به توجه الى الفرات ليشرب ، فرماه حصين بن نمير بسهم وقع فى فمه فانتزعه وجعل يتلقى الدم بيديه فامتلأت راحتاه بالدم فرما به الى السماء ، وقد شخص ببصره اليها وهو يقول : ان تكن حبست عنا النصر من السماء ، فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين » .

ان الحسين لم يكن أمامه بعد تولية يزيد بن معاوية خلافة المسلمين الا احد أمرين : اما ان يبايع يزيد وهو أمر مستحيل بالطبع ، واما ان يحاربه وحتى فى هذه المحاربة لم يكن فى استطاعته ان يتفاداها ، فالامويون لن يتركوه وشأنه ومن ثم فمحاربته لهم مفروضة عليه .

وكيف يمكن ان تخلو الدنيا من المدافعين عن الدين ، اذن فقل على الحياة العفاء لهذا كان من الطبيعى ان يهب الحسين الى نصرة الدين ، وقد رأى اصحاب السلطان يعبثون به وبمقدرات الامة الاسلامية وهو من هو ورعا وتدينا وتربية فى حجر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومصاحبة لابيه على كرم الله وجهه فى موقعتى الجمل وصفين وفى غيرهما من المواقع .

يضاف الى ذلك الكتب والرسل التى جاءته من الكوفة تطلب امامته وتقول له : سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو .. اما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار الذى انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيئها ، وتأمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعدا له كما بعدت ثمود .. انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير — والى الامويين فى الكوفة — فى قصر الامارة لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه الى عيد ، ولو قد بلغنا انك قد أقبلت الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام .

هذا الكتاب وقبله كثير بعث به وجهاء الكوفة وشرفاؤها الى الحسين وقالوا فيها ان مائة الف منهم معك ، كما بعثوا اليه بالرسل يستعجلون قدومه عليهم ويلاحظ فى هذه الكتب انها مفعمة بصدق الدعوة وحرارة اليقين .

ومع ذلك فان الحسين لم يتعجل الذهاب الى الكوفة ، بل بعث اليها بابن عمه مسلم بن عقيل ليستوثق من أمرهم ، وليرى الموقف على الطبيعة ، كما يقولون وفعلا ارسل اليه مسلم بعد ان اجتمع باهل الكوفة يطلب اليه الحضور .

وهذه العوامل مجتمعة : ايمان الحسين بوجوب نصرة الدين ودعوة الكوفيين له وتعزيز مسلم بن عقيل لها ، يجعل من المحتم ان يسارع الحسين الى تلبيتها ويجبه الاراء التى تخطئه فى الذهاب الى الكوفة .

وتوجه الحسين الى الكوفة قبل ان يصله مصرع ابن عمه مسلم بن عقيل ، وحين علم بمصرعه صمم هو ومن معه على دخولها مهما تكن النتائج .

واذا كان اهل الكوفة الذين الحوا على الحسين فى المجىء اليهم انتصارا للدين وتخليصا له من العابثين به قد تخلوا عنه رغبة فى الحصول على حطام الدنيا ، ورهبة من الموت ، فان المواجهة فى موقعة كربلاء فرقت بين النقيضين فكشفت عن سوءات عباد المادة ومحبى الدنيا على الاخرة ، وجلت فى

نصاعة معدن الرجال الذين داسوا الرشى والاموال تحت ارجلهم؟ وصدقوا ما عاهدوا عليه الله من نصرة الدين .

فها هو ذا مسلم بن عوسجة الاسدى يقول للحسين بعد ان تأكد ان الموت سيخترم الحسين ومن معه : نحن لن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله فى أداء حقك .. اما والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ، ما بقى قائما بيدى ، ولو لم يكن معى سلاحى لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك وقد بر بقسمه وبقى حتى مات .

وأوضح من هذا فى باب التضحية ما فعله عبد الله بن عفيف الازدى ، ذلك انه لما نعى الحسين فى الكوفة نادى واليها عبيد الله بن زياد الى الصلاة الجامعة ، وصعد الى المنبر وخطب الحاضرين فقال : الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته .

فقام عبد الله هذا من فوره وهو شيخ ضرير ذهبت احدى عينيه يوم الجمل وذهبت عينه الاخرى يوم صفين ، فصاح بالوالى وهو فى اوج انتصاره : وغروره وخيلائه : يا ابن مرجانة اتقتل ابناء النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين .. انما الكذاب أنت وأبوك والذى ولاك وابوه ، وكان جزاؤه الصلب .

وكان كذلك موقف كثيرين من بينهم حبيب بن مظاهر وهانىء ابن عروة المرادى وشريك بن الاعور ويزيد بن نبيط الذى انتدب معه اثنين من ابنائه هما عبد الله وعبيد الله وقتلوا جميعا ، بل ان النعمان بن بشير الانصارى والى الكوفة من قبل الامويين لم يرض لنفسه ان يقاتل الحسين ، وقال لعبد الله بن مسلم الحضرمى حليف بنى امية حين وصفه بالضعف : لان اكون ضعيفا فى طاعة الله أحب الى من ان أكون قويا فى معصيته ، ما كنت لاهتك سترا يريد بذلك الا يكشف عن وجود مسلم بن عقيل بالكوفة .

وأكثر من هذا ان الحر بن يزيد الرياحى كان فى اول الامر يحارب الحسين فى صف الامويين ، فلما تيقن انهم مصرون على قتله انضم الى الحسين وقاتل معه حتى قتل .

ان هؤلاء الذين قاتلوا الحسين يتظاهرون بالحرص على الصلاة مع ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فابن زياد يدعو الناس الى الصلاة ليقول لهم لقد قتل الكذاب ابن الكذاب .

ومسلم بن عقبة الذى يقول عنه العقاد فى كتاب أبى الشهداء انه كان شيخا فانيا مريضا غير سوى الخلقة — بلغ من ضراوته بالشر انه اباح المدينة فى حرم النبى عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب اللحم حتى ساخت الاقدام فى الدم ، وقتل ابناء المهاجرين والانصار ، وذرية أهل بدر وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على انه عبد قن لامير المؤمنين ، وانطلق جنده فى المدينة الى جوار قبر النبى يأخذون الاموال ويفسقون بالنساء حتى بلغ القتل فى تقدير الزهرى سبعمائة من وجوه الناس وعشرة آلاف من الموالى ، ثم كتب الى يزيد يصف له ما فعل وصف الظافر المتهلل الى ان يقول فما صليت الظهر — أصلح الله امير المؤمنين الا فى مسجدهم ، فأى صلاة هذه التى يفعل صاحبها كل هذه الافاعيل ويابى ان يذكر مسجد الرسول باسمه .

آل البيت يرفضون الغدر

وقد التزم آل البيت فى حربهم مع الامويين مبادىء الدين الحنيف ، فالحسين على قلة انصاره وكثرة الامويين لم يبدأهم بعدوان ، وكان من الممكن ان ينتصر عليهم لو اخذ بزمام المبادرة والمبادأة فى أول الامر قبل ان تتكاثر جموعهم ولكنه استجابة لتعاليم الاسلام لم يبدأ بالعدوان .

ومسلم بن عقيل اتيحت له فرصة قتل ابن زياد والى معاوية بالكوفة مرتين عندما كان يعود زعيم من زعمائها الذين يناصرون الحسين ولكنه رفض الغدر قائلا : بلغنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن .

وعلى العكس من ذلك كان موقف انصار يزيد ، فقد تحايلوا بالغدر على قتل مسلم ، فقد حدث انه لما نزل عبيد الله بن زياد القصر بالكوفة دعا مولى له فدفع اليه ٣٠٠٠ درهم وقال له اذهب حتى تسأل عن الرجل الذى يبايعه أهل الكوفة فادخل عليه وأعلمه أنك من حمص وادفع اليه المال ، وبايعه ، فلم يزل المولى يتلطف حتى دعوه على شيخ يلى البيعة . فذكر له أمره ، فقال الشيخ : لقد سرنى اذ هداك الله وساءنى ان أمرنا لم يستحكم ثم ادخله على مسلم فبايعه ودفع له المال وخرج حتى أتى ابن زياد ، فاخبره وبهذه الخدعة استطاع والى يزيد ان يتعقب مسلما ، وان يغرى الناس بالمال والرشى والترغيب والترهيب حتى قتله .

ان جماع ما يقال فى معركة كربلاء انها معركة بين الحق والباطل والشجاعة والجبن والاخرة والدنيا ، وتمثل الحق والشجاعة والاخرة فى موقف الحسين وشيعته على قلتهم وقلة ما يملكون من أعراض الدنيا وصولة السلطان والحكم ، وتمثل الباطل والجبن والدنيا فى موقف يزيد وعبيده على كثرتهم وكثرة ما يملكون من أعراض الدنيا وصولة السلطان والحكم .

لقد قدم الحسين وشيعته أسمى صور التضحية والاستشهاد فى سبيل الحق لتكون مشاعل على الطريق حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وبذلك تؤكد الانسانية خلافتها لله فيها .

وان صور هذه التضحية وهذا الاستشهاد ، قد جاءت على مثال ما تعرفه الانسانية فى القديم والحديث ، فقد استشهد مع الحسين سبعة وثمانون شهيدا من بينهم من ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وابو بكر ، ومن اخوته العباس وعبد الله وجعفر وعثمان ومحمد ، ومن ولد جعفر من أبى طالب محمد وعوف ابنا عبد الله بن جعفر ، ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الله ابن مسلم ، وقتل معه من الانصار أربعة والباقى من أصحابه .

وقد ولد الحسين فى شعبان من العام الرابع للهجرة وقتل فى أوائل عام ٦١ وسنه يومئذ ٥٧ سنه ، وروى عنه وأخرج له أصحاب السنن احاديث يسيرة وروى ابن ماجة وابو يعلى عنه قال : سمعت رسول الله يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة ، وان قدم عهدها فيحدث استرجاعا يعنى يقول انا لله وانا اليه راجعون ، الا أعطاه الله ثواب ذلك .

وروى عن أبيه وأمه . وروى عنه اخوه الحسن وبنوه على زين العابدين وفاطمة وسكينة ، وحفيده الباقر والشعبى وعكرمة وشيبان الدؤلى وكرز التيمى .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحبونه اعظم الحب ، وقد كان عمر بن الخطاب يلح عليه دائما ليزوره وكان يقول له انت احق من ابن عمر .

وبينما عبد الله بن عمر جالس فى ظل الكعبة اذ رأى الحسين مقبلا فقال هذا أحب أهل الارض الى أهل السماء .

رحم الله الحسين بقدر ما بذل لنصرة دينه ورد للانسانية كرامتها وعزتها .

أسامة ابن زيد ابن حارثة

إمارته على الجيش
امتحان للشباب ومقدرته

الأستاذ محمد قاوى عسر

عندما أتم النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة ، وكان سلطان الاسلام قد شمل أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ولم يكن فيها خارج عن سلطان النبى حيث عنت الوجوه للحى القيوم وآمنت القلوب بالواحد القهار ، بعد هذا أخذ النبى يفكر تفكيرا متصلاً فى أمر البلاد الخاضعة للروم والفرس بالشام ومصر والعراق . فهو قد آمن من ناحية شبه الجزيرة العربية جمعاء بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا وكان العرب قد انحازوا جميعا الى ناحيته فى حجة الوداع .

كان تفكير النبى عليه الصلاة والسلام فى الحدود الشمالية متصلا وخاصة بعد غزوة مؤتة التى عاد المسلمون منها قانعين من الغنيمة بالاياب ، مكتفين بما أبدى خالد بن الوليد من مهارة فى الانسحاب . وكان النبى يحسب لناحية الروم حسابها ، ويرى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام حتى لا يعود اليها الذين جلوا عن شبه الجزيرة يناوئون أهلها — كما أنه كان قد بلغه تفكير الروم فى مهاجمة الحدود الشمالية . لهذا جهز جيشا عرما سارهو على رأسه حتى بلغ تبوك ، فالفى الروم‌قد انسحبوا الى داخل بلادهم وحصونهم من هيبته . لكنه مع ذلك ظل يقدر لناحية الشمال أن تثور الذكريات بحماة أصحاب الغلب من رجال الامبراطورية البيزنطية لغزو أرض المسلمين وقتالهم . لذلك لم يطل مكث المسلمين بالمدينة بعد عودتهم من حجة الوداع حتى أمر النبى بتجهيز جيش عظيم الى الشام جعل فيه المهاجرين الاولين ومنهم أبو بكر وعمر وأمر على الجيش أسامة بن زيد بن حارثة .

وكان أسامة يومئذ حدثا لا يكاد يعدو العشرين من عمره ، فكان لامارته على المتقدمين الاولين من المهاجرين ومن كبار الصحابة ما أثار دهشة الناس لولا ايمانها الصادق برسول الله عليه الصلاة والسلام وبحكمته .

وكان فيما أراده النبى بتعيينه أسامة على رأس هذا الجيش العظيم فى هذه المهمة الخطرة هو أن يقيمه مقام أبيه الذى استشهد فى موقعة مؤتة ، وأن يجعل له من فخار النصر ما يجزى به ذلك الاستشهاد ، وما يبعث الى جانب ذلك فى نفس الشباب الهمة‌والحمية ويعودهم‌الاضطلاع بأعباء أجسم التبعات‌وأخطرها .

وأمر النبى عليه السلام أسامة ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين على مقربة من مؤتة — حيث قتل أبوه — وأن ينزل على أعداء الله وأعدائه فى عماية الصبح . وأن يمعن فيهم قتلا وأن يتم ذلك مسرعا حتى لا تسبق الى أعدائه أنباؤه . حتى اذا أتم الله له النصر لم يطل بقاؤه بينهم وعاد غانما مظفرا .

وخرج أسامة والجيش معه الى الجرف — على مقربة من المدينة — يتجهزون للسفر الى فلسطين . ولم يتحرك الجيش بسبب مرض النبى واشتداد المرض عليه — حيث لم يكن من السهل على المسلمين — والنبى عليه السلام أحب اليهم من أنفسهم أن يتركوا المدينة وهو يشكو المرض وهم لا يعلمون ماوراء هذا المرض . وخاصة وهى أول مرة يشكو النبى عليه السلام مرضا ذا بال — كما أنه فى أول ليلة مرض فيها بدأ يشكو وطال ارقه . فخرج — ولم يستصحب معه أحدا الا مولاه أبا مويهبة . وذهب الى بقيع الغرقد حيث مقابر المسلمين على مقربة من‌المدينة. ووقف بين المقابر يخاطب أهلها : « السلام عليكم يا أهل المقابر . ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه . أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها . » ثم التفت الى أبى‌مويهبة يقول له : « انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . » ثم قال : « لقد اخترت لقاء ربى والجنة . »

ولما سمع الناس حديث أبا مويهبة اشتد خوفهم ، ولم يتحرك جيش أسامة . وظل على حال مرضه عدة أيام يصل اليه ما يقول الناس من أنه أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والانصار .

حتى شعر النبى انه يجب ان يواجه الناس ويتحدث اليهم . فعصب رأسه وخرج الى المسجد وجلس على المنبر فحمد الله ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم وأكثر من الصلاة عليهم ثم قال : « أيها الناس . انفذوا بعث أسامة . فلعمرى لئن قلتم فى امارته ، لقد قلتم فى امارة أبيه من قبله . وانه لخليق بالامارة وان كان أبوه خليقا بها » .

ثم أخذ المرض يشتد على النبى صلى الله عليه وسلم . وتناقل الناس ذلك . فهبط أسامة وهبط الناس معه من الجرف الى المدينة . ودخل أسامة على النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، فاذا هو قد اصمت فلا يتكلم . فلما بصر باسامة جعل يرفعيديه الىالسماء ثم يضعهاعلى رأس أسامة علامة الدعاء له .

وفى اليوم السابق لوفاته صلى الله عليه وسلم — خرج الناس فيما يسمونه صحوة الموت — وفرح المسلمون لذلك فرحا شديدا ، وظنوا انه عوفى . فاستاذنه أسامة بن زيد فى التجهز ثم عاد ومن معه من المسلمين الذين ذهبوا الى المدينة من رجالجيشه ، عادوا الى المعسكر بالجرف ، وأمر الجيش بالتجهز للمسير . وانه لكذلك ، اذ لحق به الناعى نذيرا بوفاة النبى عليه السلام . فعاد ادراجه وأمر الجيش فرجع كله الى المدينة ، ثم ذهب هو فركز علمه عند باب عائشة وانتظر ما سيكون من امر المسلمين من بعد .

وقد اشترك أسامة مع أهل النبى عليه السلام الاقربين فى غسـله ، وكان فى مقدمتهم على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وولداه الفضل وقثم . وكان أسامة بن زيد وشقران مولى النبى هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسله وقميصه عليـه .

ولم يكن المسلمون يفرغون من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه حتى أمر ابو بكر أن ينفذ جيش اسامة لغزو الشام تنفيذا لما كان قد أمر به النبى . وقد أبدى بعض المسلمين من الاعتراض على ذلك ما أبدوا أيام مرض النبى . وانضم عمـر الى المعترضين حيث رأىألا يشتت المسلمين وأن يحتفظ بهم فى المدينة مخافة أمر قد يدعو اليهم . لكن أبا بكر لم يتردد لحظة فى تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورفض أن يستجيب الى قول الذين أشاروا بتعيين قائد اكبر سنا من أسامة ، وأكثر منه فى الحرب دراية . وأخذ الجيش يتجهز وأسامة على راسه . ولما حانت ساعة الرحيل . خرج أبو بكر يودع الجيش . وأبى أن ينزل أسامة عن جواده أو يركب هو جودا حيث قال : لا باس ان أعفر قدمى ساعة فى سبيل الله . ثم استاذن قائد الجيش فى أن يدع له عمر ليكون له وزيرا ومشيرا فى هــذا الوقت العصيب .

وتحرك الجيش على بركة الله . وبعد مسيرة عشرين يوما كان المسلمون قد وصلوا البلقاء من بلاد الروم فأغاروا عليها . وتقاتل المسلمون والروم قتالا شديدا . وانتصر المسلمون وانتقمـوا لهزيمتهم فى مؤتة كما انتقم اسامة لمقتل والده أشد الانتقام .

وعاد أسامة الى المدينة بالجيش منصورا . وكان ممتطيا الجواد الذى قتل أبوه عليه بمؤتة . يتقدمه اللواء الذى عقده له رسول الله بيده الكريمة . وقد أبلى أسامة بلاء حسنا . وقاد جيش المسلمين بمهارة كبيرة واستحق الثقة التى أولاها اياه رسـول الله والتى نفذها من بعده خليفته الاول . واثبت للمنكرين ان الشباب قادر على حمل الامانة وتادية المهام الجسام .

ووالده زيد بن حارثة كان النبى قد طلب الى زوجته خديجـة ان تشتريه . فابتاعته واعتقته وتبناه رسول الله . فكان يدعى زيد بن محمد لفترة طويلة من حياته . وأصبح من خير اتباع النبى وأصحابه . وكان ثانى من أسلم من الرجال بعد على بن ابى طالب . واستعمله النبى واليا على المدينة عند خروجه لغزوة بدر الاولى . كما اشترك فى غزوة بدر الكبرى . ولما انتصر فيهـا النبى والمسلمون ، وقبل ان يصلوا الى المدينة بيوم واحد ، وصلها رسولاه زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ودخل كل واحد منهما من ناحية منها . وهما يبشران الانصار بنصر رسول الله وأصـحابه . ويذكران لهم من قتل من المشركين . وخرج المسلمون من دورهم وهم يهللون لهذا النصر العظيم . أما الذين بقوا على الشرك واليهود فقد همهم هذا النبأ . وحاولوا أن يقنعوا الناس بعدم صحته . وبان محمدا قد قتل وأن صحبه قد هزموا . الى أن دخل النبى وجيشه المظفر المدينة تحف بهم فرحة المسلمين وثقتهم فى دينهم ونبيهم .

كما أن النبى قد أرسله فى بعض السرايا التى عاد منهـا مظفرا . وكان زوجا لزينب بنتجحش ابنة عم رسول الله . فلما سرحها تزوجها النبى تنفيذا لامره تعالى فى سورة الاحزاب [آية ٣٧] .

وبعد عهد الحديبية بين النبى وقريش . ولميكن هناك ماينقضه بعد ، اتجه نظر رسول الله الى الحدود الشمالية ، المنطلق الطبيعى للدعوة الاسلامية لتنتشر كلمة التوحيد حتى تعم العالم . وكانت غزوة تبوك أولى غزوات النبى مع الروم ، حيثبعثبثلاثة آلاف مقاتل واستعمل عليهم بعضا من أصحابه ومنهم زيد بن حارثة . وودعهم النبى الى خارج المدينة وأوصاهم الا يقتلوا النساء ولا الاطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار . وتقابل جيش المسلمين وجيش الرومان الذى بلغت عدته مائتى الف مقاتل فى بعض الروايات . وحارب زيد حرب المستميت حتى مزقته رماح العدو . لم يتردد أو يهاب الموت فى سبيل الله رغم الفارق الكبير بين عدة وعدد كل من الجيش . وأخذت الراية تنتقل من يد أمير الى يد أمير آخر حتى وصلت خالد بن الوليد الذى تمكن من ضم صفوف المسلمين وعاد بهم الى المدينة غير منتصرين وان كان عدوهم لم ينتصر عليهم .

واخيرا فانه مما هو جدير بالذكر وصية أبى بكر لاسامة بن زيد عند رحيله مع الجيش التى تجعل للمسلمين دائما تفوقا أخلاقيـا على أعدائهم . فقد قال أبو بكر : « أيها الناس . قفوا أوصيكم بعشر . فاحفظوها منى . لا تخونوا ، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امراة . ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه . ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شـاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكله . وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فى الصـوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسـوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله . أفناكم الله بالطعن والطاعون » .

وقد اتبع المسلمون هذه الوصايا رغم كلماصادفوه من أسباب الاستفزاز فى ذهابهم وفى عودتهم .

ذات النطاقين

أسماء بنت أبي بكر

الأستاذ حسن فتح الباب

يشهد تاريخ اسماء بنت أبى بكر منذ عصر النبى عليه السلام حتى عصر خلفاء بنى أمية بانها نموذج يندر مثيلة بين النساء قوة أيمان وقوةارادة تتجسدان فى مواقف الصمود والتضحية بكل غال فى سبيل الحق والثبات على المبدأ • لقد بادرت اسماء الى الاسلام حين أسلم ابوها الصديق وهى فى الرابعة عشرة من عمرها فكانت من اول الناس ايمانا بالله ورسوله ، وصارت من أفضل الناس خلقا وعلما بحكم اهتدائها بهدى الاسلام واكتمال نشأتها فى ظله •

وكان أبوها الصديق العظيم يرشحها لاعظم الاعمال • فحين ذهب النبى الى بيته ليحدثه بامر الهجرة الى المدينة بعد أن اذن اللهتعالى لهبها ،وقال له : « أخرج عنى من عندك » ، (يريد أن يخلو به ليحدثه سرا) قال ابو بكر يارسول الله ، انما هما ابنتاى ، يريد أسماء وعائشة فاخبره الرسول خبر الهجرة فى حضورها ، مما ينبىء عن أعظم الثقة بهما . فلا غرو ان يعهد ابو بكر الى ابنته دورا مؤثرا لا يستطيع اداءه الا من توافرت فيه قوة الايمان والطاعة والثقة والشجاعة والمقدرة • فحين خرج مع النبى الى الغار ، واختفيا فيه ثلاثة أيام والكفار يبحثون عنهما فى كل مكان كانت اسماء تخرج كل ليلة فى الظلام الحالك . تحمل لهما الطعام . وتنقل اليهما ما علمت من أخبار قريش غير مبالية – وهى ما زالت بعد صغيرة السن – بوحشة الليل ورهبة الثرى فى الصحراء المترامية ، وعدوان الكفار ، ومستهينة بكل خطر فى سبيل الله ورسوله • فاى معدن اصيل من النساء كانت تمثله اسماء ؟

ولما هم الصاحبان بالرحيل الى المدينة جاءتهما اسماء بما يحتاجان اليه فى رحلتهما من زاد وماء ، وهمت بتعليقه فى رحل البعير ، فلم تجد رباطا فحلت نطاقها وشقته نصفين ربطت باحدهما الزاد ، وانتطقت بالاخر ، فقال لها الرسول « انت ونطاقاك فى الجنة » ، وسميت بعد ذلك بذات النطاقين •

وجاءتها قريش عقب خروج أبيها مع النبى مهاجرا تسألها عن أبيها ، فقالت لا أدرى أين يكون ؟ فلطمها ابو جهل لطمة اطارت قرطها واحتملتها فى سبيل الله • واقبل جدها أبو قحافة مهموما فى سورة غضب وحزن وقال ، لقد فجعكم ابو بكر فى نفسه وفر بماله ، فقالت اسماء : كلا ياأبت • انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، وصارت تحرك يده على جرة ملأتها حجارة وغطتها لتوهمه انها مملوءة بالمال وما زالت به حتى اطمأن وهدأ غضبه • وتروى أسماء هذه الواقعة فتقول :

« لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج ابو بكر معه . احتمل ماله كله معه خمسة الاف درهم او ستة الاف درهم – فانطلق بها معه ، فدخل علينا جدى أبو قحافة وقدذهب بصره ، فقال والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . فقلت:كلا ياابت انه ترك لنا خيرا كثيرا ومن ثم اخذت أحجارا فوضعتها **فى كوة البيت حيث كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : ضع ياابت يدك على هذا المال فوضع يده عليه وقال : لا بأس ، ان كان قد ترك لكمهذا فقد احسن وفىهذا بلاء لكم •• فلا والله ماترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك • »**

وفى تلك الواقعة دلالة على ما اتسمت به اسماء من اصرار على الموقف ، وذكاء فى التصرف كانت تقتضيهما طبيعة المهمة التى وكلت اليها .

وليس ثمة شك فى أن أبا بكر الصديق اذ ناط بابنته أسماء ذلك العمل الشاق المحفوف بالمخاطر كان يدربها على الاضطلاع بالمهام الكبرى فى مستقبل حياتها ، الامر الذى أكد التاريخ نجاحه فيما روى عنها من صفحات مجيدة تمثل ملحمة بطولية يعتز بها تاريخ النساء فى الاسلام •

فقد تزوجت أسماء فى صدر الاسلام من الزبير بن العوام أحد اصحاب رسول الله وكانت وهى ربيبة النعمة والثراء فى بيت أبى بكر الصديق تقوم بنفسها بخدمة بيتها ، وكانت تعلف لزوجها فرسه وتسقيها حين عجز أن يستأجر خادما لها ٠

وبحكم ما تلقنته أسماء من مبادىء الدين وتعاليمه منذ صغرها ، وما أخذت عن أبيها من علم ، وما سمعت من النبى عليه السلام من حديث ، فقد كانت من الصحابيات اللاتى روين الحديث ، ونشرن العلم فى صدر الاسلام ٠ وتروى كتب السنة عن أسماء كثيرا من الاحاديث ، ومنهااستنبط العلماء والفقهاء الاحكام الفقهية ، والمسائل الدينية ٠

ولقد عاشت أسماء أكثر ايامها الاخيرة مع ابنها عبد اللهبن الزبير ،وشاركته حياته العاصفة ، وكف بصرها فى آخر حياتها ، ولكنها ظلت حاضرة الذهن، عامرة القلب بالايمان والاخلاص للحق ٠

وثمة موقف ما أروعه من موقف سجلت فيه أسماء صفحة مجيدة من الدفاع عن الحق والتضحية بكل عزيز فى سبيله ، صفحة كتبت بمداد الحق وسطرت بدم الشهداء ، ولقد بلغت بها أسماء أسمى ما تبلغه النفس البشرية فى معارك البذل والفداء ٠

ذلك أن ابنها عبد الله قد خرج على يزيد بن معاوية الخليفة الاموى ، وشجعه على ذلك أهل الحجاز الذين بايعوه أميرا عليهم لعلمه وخلقه ومكانته ٠ وعجز الامويون عن اخضاعه سنوات برغمماشتهروا بهمن شدة فى معاملة الخارجين عليهم وقمع لخصومهم ، فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل الى عبد الله بن الزبير الحجاج بن يوسف ، فحاصره بمكة نحو ثمانية اشهر ، واستخدم كل وسائل الاغراء والارهاب لصرف اعوانه عنه ٠

ولما اشتد الحصار على عبد الله وبدأ انصاره يضيقون ذرعا بما عانوه من ويلات دخل عبد الله على امه اسماء يستشيرها قائلا : ياأماه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع اكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا ، فما رأيك ؟

قالت اسماء : « انت والله يابنى اعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق ، واليه تدعو فامض له ٠ فقد قتل عليه اصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى امية ٠ وان كنت انماأردتالدنيا ، فبئسالعبد أنت ؟ أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك ٠ وان قلت كنت على حق ، فلما وهن اصحابى ضعفت ، فليس هذا فعل الاحرار ولا اهل الدين ٠وكم خلودك فى الدنيا ٠ القتل أحسن ٠ والله لضربة بالسيف فى عز أحب الى من ضربة بالسوط فى ذل »

قال : « انى اخاف ان قتلونى أن يمثلوبى »

قالت قولها المشهور : « يابنى ، ان الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها » ٠

وخرج عبدالله ، فقتل فى يومه ، فياأسماء منأم خالدة تحث ابنها على الاستشهاد فى سبيل الحق ، وتحفزه الى مواصلة القتال ، وقد علمت انه لن يعود من ساحة الجهادحيا ، وانه لم يبق لها فى الحياةبعد مصرعه احد ٠ انه الحق أقوى من غريزة الامومة فى نفسها ٠ انها باسم الحق تدفع ابنها دفعا الى الموت فى سبيله ، وتعلن انها بريئة من فلذة كبدها اذا تقاعس وآثر الحياة الدنيا فكيف لينكص عن رسالته ، وقد دفع أصحابه حياتهم فداء لها ٠ ولا غرو فهى بنت أبى بكر الصديق وصاحبة رسول الله فى هجرته الى المدينة.

ان هذا الموقف التاريخى الفدائى ، هو نبت موقفها من أبيها ومن رسول الله فى رحلتهما الكبرى التى تغير بها وجه التاريخ ٠ لقد أعدها موقفها ذاك لكل جليل من المواقف وأمدتها روح النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه يفيض من القوى الروحية : قوة الايمان ، والاصرار ، والثبات على المبدأ التى تتزلزل دونها كل القوى المادية فالقتل عند اسماء خير من العيش على مذلة ، وطالما ان الموت حق ولا بقاء لحى فان ضربة بالسيف فى عز أحب الى الحر من ضربة بالسوط فى هوان :

واذا لم يكن من الموت بد
فمن العار أن تعيش جبانا
غير ان الفتى يلاقى المنايا
كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولوان الحياة تبقى لحى
لعددنا اضلنا الشجعانا

من صور البطولة

الأستاذ فتحى أحمد مصطفى

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والامة الاسلامية مفككه العرى ، ممزقة الاوصال فجمع على التوحيد كلمتها ، ووحد صفوفها .. حتى صارت أمة قوية ، عزيزة .. تهب الحرية للضعفاء وتمنح الامن للمضطهدين .

وكان سبيل الرسول فى ذلك أن صنع فى مكة رجالا على الايمان بالله والاخلاص لدينه والتفانى فى عقيدتهم التى ضحوا من أجلها بأعز مايملكون .. بل بكل مايملكون .

والحديث عن الدور الذى قام به الصحابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى لا يهدأ أبدا ولا ينقطع .

ولكن حديثنا اليوم عن فضليات النساء من السابقات بل عن واحدة من افضلهن قبل انتشار الاسلام وبعده .. حديثنا عن اسماء بنت أبى بكر الصديق ، الصدوق والخليل الاوفى للحبيب « صلى الله عليه وسلم » .. حديثنا عن ذات النطاقين .

فان كانت البطولة فى الرجال صفة طبيعية ، وتعبيرا صادقا عن الايمان والاخلاص فان البطولة فى النساء تكون قمة القمم.. ومضرب الامثال .. ودلالة واضحة على ان هذه الامة التى كانت أوليات نسائها بهذه الصفات الخالدة .. هذه الامة مكتوب لها الخلود .. ومعقود لها النصر .. « باذن الله » .

.. اسمها .. : أسماء بنت أبى بكر الصديق بن ابى قحافة وأمها قتيلة بنت عبد العزى وهى أخت عبد الله بن ابى بكر الصديق لابيه وأمه وكانت أسن من عائشة وهى أختها لابيها .

وقد ولدت « رضى الله عنها » قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وكان عمر أبيها لما ولدت « نيفا وعشرين سنة » .

وقد اسلمت بمكة بعد سبعة عشر انسانا وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعن سبب تسميتها بذات النطاقين قالت أسماء : صنعت سفرة « زادا للنبى « صلى الله عليه وسلم » فى بيت أبى بكر حين أراد أن يهاجر الى المدينة فلم يجد لسفرته ولا لسقائه ماتربطهما به فقلت لابى بكر ماأجد الا نطاقى قال : شقيه باثنين فاربطى بواحدة منهما السقاء وبالاخر السفره .. وكثيرا ماكان الرسول الكريم يداعبها ويناديها بذات النطاقين .

.. وقال لها « صلى الله عليه وسلم » انت ونطاقاك فى الجنة .

وحين اختفى الرسول وأبو بكر بغار ثور عند الهجرة كانت أسماء تأتيهما كل مساء بما يحتاجان من الطعام .

ولم يكن هذا الموقف الفدائى من أسماء هو الموقف الوحيد بل ان فدائيتها قد فاقت كل حد حينما تعرضت لعدوان وحشى من لعنه الله بعد أن أدركت قريش ان النبى قد هاجر دون علمهم .

حدثنا ابن اسحق قال : قالت اسماء بنت أبى بكر لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ابن هشام فوقفوا على باب ابىبكر فخرجت اليهم - قالوا : أين ابوك يابنت أبى بكر » ؟ قالت: قلت لا أدرى والله أين أبى ! قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى .

ولم تكتف أسماء بان تكتم عن أعداء الله وأعداء الدين أمر الرسول الكريم وأمر أبيها عند هجرتهم بل بالغت فى ذلك واخفت عن جدها ابى قحافة أمر أبيها وأوهمته بانه ترك لهم من المال مايكفى فقد أخذت أحجارا فوضعتها فى كوة بيت كان ابوها يضع فيها ماله ثم وضعت عليها ثوبا وأنت أبا قحامة وكان قد ذهب بصره - ثم أخذت بيده وقالت له أبتى ضع يدك على هذا المال فوضع يده عليه وقال : لا بأس ان كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن .

وتزوجها الزبير بن العوام وهاجرت وهى حامل منه بولده عبد الله فوضعته بقباء ثم أنجبت عروة والمنذر وعاصما والمهاجر وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة وقد كانت رحمة الله عليها زوجة مكافحة فعنها أنها قالت : تزوجنى الزبير وما له فىالارض مملوك ولا شىء غير فرسه قالت : فكنت أعلف فرسه واكفل مؤنته وأسوسه وأدق النوى للناضحة « وهى الناقة التى تحمل الماء » وأعلفه وأسقيه الماءوأخرز غربه وأعجن ، ولم أكنأحسن اخبز فكان يخبز جارات لى من الانصار وكننسوة صدق قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله صلى الله عليهوسلم « وهى علىثلث فرسخ قالت فجئت يوما والنوى على رأسى فلقيت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ومعه نفر من أصحابه فدعا لى ثم قال اخ اخ ليحملنىخلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته قالت وكان من اغير الناس قالت : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنى استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت : لقينى الرسول الكريم وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لاركب معه فاستحييت وعرفت غيرتك فقال : والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه قالت حتى أرسل الى أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتنى سياسة الفرس .

فكأنما اعتقنى ..!! ياللبطولة ، ويا للتضحية .. يالها من كلمات بسيطة ولكنها تحمل تاريخ أمة مجيدة .. دينها الاسلام، وعقيدتها الايمان والاخلاص وهدفها السلام ، ووسيلتها الجهاد فى سبيل الله .. وكانت « رضىالله عنها » سخية النفس راغبة فى التصدق على الفقراء حتى ولو كان بها حاجة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة » .

فقد جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : ليس فى بيتى شىء الا ماأدخل الزبير فهل على جناح ان ارضخ « أى اتصدق » مما أدخل على ؟ فقال « صلى الله عليه وسلم » ارضخى مااستطعتى ولا توكى « أى تبخلى » فيوكى الله عليك .

ومن مظاهر زهدها وورعها انها رفضت أن تقبل هدية أمها قتيلة بنت عبد العزى « وكان أبو بكر قد طلقها فى الجاهلية رفضت أن تقبل هديتها من الزبيب والسمن بل ورفضت أنتدخلها بيتها حتى تستأذن رسول الله فأرسلت الى عائشة وقالت لها « سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال الرسول : لتدخلها ولتقبل هديتها . فنزل قول الله تعالى « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » .

وقد رفضت هدية من ثياب رقاق جميلة أهداها اليها ولدها المنذر حال قدومه من سفره من العراق وكانت قد ذهب بصرها فتلمستها بيدها وقالت ردوا عليه كسوته فشق عليه ذلك وقال: يا أمة انها لاتشق قالت : انها ان لم تشف فانها تصف فاشترى لها ثيابا مرويه فقبلتها وقالت : مثل هذا فاكسنى .

ومن مواقف الشجاعة والبطولة التى وقفتها انها حينما اشتد الحصار على ابنها عبد الله بن الزبير بن العوام وكانت وقتها على فراش المرض فدخل عليها عبد الله وقال لها : ان فى الموت لراحة فقالت له : لعلك تمنيته لى . ما أحب أن أموت حتى ياتى على أحد طرفيك - اما قتلت فاحتسبك : واما ظفرت بعدوك فتقر عينى فضحك فلما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها يشكو لها انصراف أصحابه فقالت له فى شجاعة منقطعة النظير: يابنى لاتقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة بسيف فى عز خير من ضربة بسوط فى ذل ... فلما قتل عبد الله قامت من فراش المرض وجاءت فدخلت فرأته مصلوبا فدخلت حتى وقفت على الحجاج وقالت : أما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها الحجاج : المنافق ؟ فقالت والله ماكان منافقا فقد كان صواما ، قواما ، قال انصرفى فانك عجوز قد خرفت فقالت : والله ماخرفت ولكنى سمعت رسول الله صلىالله عليه وسلم يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير « أى مهلك » أما الكذاب فقد رأيناه [وتعنى بالكذاب المختار بن ابى عبيد] وأما المبير فانت المبير .

وتوفيت رضى الله عنها بعد أن قتل ابنها عبد الله بليالى وكان قد قتل فى النصف من جمادى الاخره سنة ٧٣ هجرية وكان عمرها مائة سنة تقريبا وقد أوصت عند موتها فقالت : اذا أنا مت فغسلونى وكفنونى ولا تذروا على كفنى حنوطا ولا تتبعونى بناد .

وبوفاتها طويت صفحة خالدة من حياة رائد من رواد المسلمين قد جابت الدرب من أوله كفاحا مع بنيها ومع أبيها وقطعت الشوطالطويل مثالا للتضحيةوالبطولة الخارقة وتوفيتبعد أنأعطت ابنها عبد الله ، بل واعطت البشرية كلها درسا خالدا فى التضحية والايثار والكرامة وعزة النفس « رحمها الله » .

الإمام الجنيد

سيّد الطائفة الصّوفية

الاستاذ
جودة محمد أبو زيد

على طريق النور تمضى مواكب العارفين الى غاية الغايات . حيث تنعم الارواح التى شربت من ينابيع المحبة والصفاء حتى لم تبق فيها لغير الله بقية · فهى دائما وابدا مع الله وبالله · انها ارواح الصفوة الاولياء · الذين اصطفاهم الله تعالى لهداية خليفته . فهم الضياء المنبعث فى ارجاء هذه الحياة ليغمر سناه آفاق هذه الانسانية فيجذب الارواح التائقة الى النور ·

ومع قمة شامخة من قمم التصوف نلتقى على طريق النور مع الامام الجنيد · فهو احد اركان الطريق الصوفى الذين يشار اليهم بالبنان ، وهو امام من ائمة السلوك الذين ارتفعت على ايديهم منارات المعرفة وشربت من منابعهم العذبة ارواح المريدين والسالكين . ولو ذهبنا نلتمس كلمة او عبارة نستوحى من خلالها التعرف على مكانة الامام الجنيد رضى الله عنه لما وجدنا خيرا من عبارة الشيخ الاكبر سيدى محى الدين بن عربى رضوان الله عليه اذ قال فيه « هو سيد هذه الطائفة » ولقد صارت هذه الكلمة اصطلاحا لدى الصوفية على شخصية العارف الجنيد · بجانب ما قيل فيه من أنه شيخ التصوف على الاطلاق وامام اهل الخرقة ومقدم الجماعة وغير ذلك ·

وهو ابو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج · اصله من نهاوند · ومولده ومنشؤه بالعراق وقد تفقه على مذهب ابى ثور من اصحاب الامام الشافعى رضى الله عنه وراوى مذهبه القديم وكان الجنيد يفتى بحضرته وهو فى العشرين من عمره فذاعت شهرته فى مختلف الاوساط العلمية ببغداد ·

اما عن تربيته الصوفية : فقد اخذ الطريق عن خاله السرى السقطى وهو من ائمة رجال التصوف فى عصره · وقد قال عنه الامام القشيرى [كان اوحد زمانه فى الورع واحوال السنة وعلوم التوحيد) فتلقى عنه اصول الطريق كما صحب كلا من الحارث المحاسبى ومحمدا بن على القصاب البغدادى وغيرهما · ويقول بعض مؤرخى الصوفية : انه صحب من هذه الطائفة اربع طبقات كل طبقة ثلاثون رجلا وانتهت اليه الرئاسة · هذا ويؤرخ لوفاته رضى الله عنه بسنة سبع او ثمان وتسعين ومائتين هـ ·

والمتصفح لتاريخ الامام الجنيد : يقف فى كل اتجاه على سر من الاسرار التى توحى بجملتها ان هذا الطراز من الرجال قد اعدته العناية الالهية ليحمل مشعل الهداية لبنى امته ، وليقدم لها ميزان العبودية الصادق الذى تزن به نفسها فى اطار علاقتها مع خالقها جل شأنه . وهو يعد منذ صغره لتحمل هذه الامانة · انظر اليه وهو يقول . (كنت بين يدى السرى العب وانا ابن سبع والجماعة يتكلمون فى الشكر · فقال يا غلام ما الشكر ؟ قلت الا يعصى الله بنعمه · فقال : اخشى ان يكون حظك من الله لسانك · فلا ازال ابكى على هذه الكلمة ! ا

اجل ·· فقد احدثت هذه الكلمة من خاله السرى فى نفسه دويا هز اركان نفسه · اذ خشى على نفسه ان يكون كل حظه من التصوف

مجرد الكلام فيه وترديد عباراته وان يحرم من التحقق بمضمون هذا الكلام فعمل من ساعته على ان يكون صوفيا بالحقيقة والحال لا باللسان والمقال . وحين تصدق من العبد الارادة ويصاحبها من الله العون والتوفيق فنل من الخير ما شئت · فهذا هو الامام الجنيد يقبل على مولاه اقبالا يغنيه عن نفسه وعن وجوده · وهو يصور معنى هذا الاقبال ودرجته قائلا (**لو اقبل صادق على الله الف الف سنة ثم اعرض عنه لحظة كان ما فاته اكثر مما ناله**) !! انه يرى ان لحظة تفوت العبد مع ربه فيها فوات مغنم تودى خسارته بكل مكاسب العمر. ارأيت همة ارقى من هذه الهمة ؟ وتعبيرا يصور ما صورته من معان ؟ ولكن التساؤل الان هو : بم تكون معية المخلوق مع خالقه ؟؟ وما هى الصفات التى تؤهل العبد للاقبال على ربه وترفعه الى مصاف المقربين ؟ وفصل الخطاب فى ذلك انما هو اتباع منهاج الشريعة المحمدية اتباعا كليا ليس بالاشباح فقط وانما بتطويع النفس لطاعة الله وبمكايدة النفس لانواع المجاهدات درجة فدرجة حتى يساير هوى النفس مقصود الشارع الحكيم وحتى تصير الطاعات عادات تألفها النفس وتتوق اليها واساس ذلك كله صدق النية فى اتباع الشريعة المحمدية اتباعا مبنيا على علم فلا وصول الا من هذا الباب ولذا يقول الامام الجنيد (**الطرق كلها مسدودة عن الخلق الا من اقتفى اثر الرسول عليه الصلاة والسلام**) وبعد ان بين معالم السبيل بصراحة لا لبس فيها · تجده يربط باحكام بين منبع الطريق الصوفى ومصبه · فالمنبع هو الشريعة المحمدية ممثلة فى هدى الكتاب والسنة والمصب : هو الحقيقة التى يصلها العبد باتباعه لمنهاج الشريعة المستقيم · فها هو يقول (**علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة**) وهذا التقييد انما هو من قبيل تقييد النتيجة بالمقدمة · وهو بلا جدال قاطع لاى منافاة بينهما · ثم تعال معى لننظر الى مدى بعد الرؤية عند الامام الجنيد : لقد ادرك هذا الرجل الذى كان يعيش فى القرن الثالث الهجرى ورأى ببصيرته التى نورها الله ان ثمة دعاوى سيلفقها أعداء التصوف ويلصقونها به بعد حين من الزمن وهى القول بخروج التصوف على الشريعة ودعوى ان الصوفية يسقطون الاعمال والتكاليف فقطع عليهم الطريق وقطع السنتهم · اذ ذكر امامه ان شخصا قال (ان اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات – اى الاعمال – من باب البر والتقرب الى الله عز وجل · فقال الامام الجنيد (**ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندى عظيم والذى يسرق ويزنى احسن حالا من الذى يقول هذا ، فان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله تعالى واليه رجعوا فيها · ولو بقيت الف عام لم انتقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بى دونها**) . **هذا هو قول سيد الطائفة الصوفية الرجل الذى اقام عشرين سنة ورده من النوافل فى كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وثلاثون الف تسبيحة · الى جانب مجالسه العلمية** التى كانت ببغداد حديث الرائح والغادى . والتى كان يؤمها الادباء لينهلوا من بلاغته وروعة اسلوبه ، والفقهاء ليأخذوا من فتاويه واستنباطاته ، والفلاسفة لدقة نظره وسمو افكاره ، والمتكلمون لبراعته وتحقيقه ، والصوفية لاشاراته وحقائقه · ثم هو القطب الصوفى الذى كان آية عصره علما وتحققا · فاوضح منهاج التصوف وابرز معالمه وآدابه للسالكين حيث قال (**التصوف جامع لعشر خصال : التقلل من كل شىء فى الدنيا مع القدرة عليه ، واعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون الى الاسباب ، والرغبة فى الطاعة بما استطاع منها ، والصبر عند فقد الدنيا عن المسألة والشكوى ، والتميز فى الشبهات والحلال ، والشغل بالله تعالى عمن سواه ودوام الذكر بالقلب واللسان ، وتحقيق الاخلاص مع الصدق ، واستواء السريرة والعلانية ، ودوام المراقبة لله مع السكون اليه فى جميع الاحوال** · فاذا اجتمعت هذه الخصال : كان الصوفى فى اول مراتب المحبة ، ثم يرقى الى حالة المشاهدة · فيؤخذ منه اليه ويبقى معه فى ميدان المحبة والدهشة هذه هى آداب التصوف التى بها يدنو العبد من باب الحضرة الالهية حيث الانس والمشاهدة · ثم نمضى مع سيد الطائفة لنقبس قبسات من اشاراته الصوفية ولمحاته العلوية · انه يقول : (**ان الله يخلص الى القلوب من بره بحسب ما تخلص اليه القلوب من ذكره · فانظر ماذا خالط قلبك ؟**) وها هو يندد بالغفلة عن الله قائلا (**الغفلة عن الله اشد من دخول النار**) · وفى تصوره لمعنى الشوق والمحبة يقول (**بلغنى ان يونس عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد ثم قال (وعزتك لو كان بينى وبينك بحر من نار لخضته شوقا اليك**) ثم يوضح ماهية التصوف قائلا [**التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى واصله الصرف عن الدنيا كماقال حارثه : صرفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى واظمأت نهارى**) · ثم فى شرحه لمفهوم العبودية لله تعالى يقول (**انك لن تكون له على الحقيقة عبدا وشىء مما دونه لك مسترق · وانك لن**

البقية ص ١٧٧

الثائر

جمال الدين الأفغاني

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

كانت الثورة أبرزعمل فى حياة السيد جمال الدين الافغانى ، وأبرز صفة فى شخصيته • فقد عاش طول حياته ثائرا على الاستبداد والظلم فى كل أرض نزل بها ، وفى كل وطن حل فيه ، يواجه بذلك الطغاة فى معاقلهم والحكامفى أمنعمنازلهم : ولا يبالى مايصيبه فى هذا السبيل من نفى وتشريد ، وحسبه أنه يقول مايعتقد ، ويفعل مايقول ، ويبلغ رسالته الاصلاحية للمسلمين •

وأعتقد أن الافغانى لم يكن فى مقدوره أن يكتم الثورة فى نفسه أبدا ، ولا ان يقضى على ظلم يقعتحت سمعه وبصره ، لانهكان حر الطبع ، مرهف الاحساس مكتمل الانسانية ، قوىالشعور بأرقى مبادىء الاسلام فى الصدر الاول ، وهى المبادىء التى تفرض الحق والعدل والمساواة بين الناس • وقد نمى كل هذا فى نفس الرجل استصغار لمظاهر الدنيا ، واحتقار لمناعم الحياة ومن هنا كان الافغانى لايحتمل الضيم لنفسه ، ولا يطيق أن يرى الضيم يلحق بأى انسان غيره • وناهيك بالضيم يحيق بالامم ، وبالظلم يستبد بالجماعات •

هذا هو سر الثورة التى سيطرت على الافغانى فى حياته ، كماسيطرتعلى كل عمل من أعماله ، وجعلته خصما عنيدا لكل مستبد من الملوك والحكام ، حاملا مشعل الثورة طول حياته على الاستعمار والمستعمرين والظلم والظالمين ، وعلى كل مايثبط الهمم بالتراخى عن كفاح الاستعمار والاستعباد • ولو أننا أردنا أن نختزل حياة الافغانى الحافلة وأعماله الجليلة فى كلمة ، قلنا أنه كان ثورة فى كل مكان •

• • •

فى أول حياة الافغانى ولاه شاه ايران الوزارة ، ووضع بين يديه مقاليد الامور فى الدولة ولكنه رأى الشاه يستبد برعيته ويمالىء الاستعمار على أمته ، فترك للشاه وزارته ومشى يؤجج نار الثورة عليه ويثير ثائرة الشعب ضده •

وذهب الافغانى الى الهند وهى تحت الاستعمار البريطانى ، فأحاطته السلطات البريطانية بالرعاية ووفرت له كل مظاهر الاكرام • ولكنه رأى الاستعمار البريطانى يتسلط على شعب الهند ، فانطلق يثير نخوة العلماء والهيئات للثورة على هذا الاستعمار الظالم الغاشم . ولقد أفزع عمله هذا السلطات البريطانية فعجلت بابعاده من الهند •

ورحل الافغانى الى الاستانة عاصمة الخلافة الاسلامية ، فرأى خليفة المسلمين منصرفا عن مصالح المسلمين الى نفسه ، تاركا دولة الاسلام نهبا لاوزاع الامم من المستعمرين والطامعين ، فأعلنالثورة على هذا الخليفة الذى يعبث فى موطن الجد ، وعلى بطانة السوء من حوله التى تشغله بتفاهات الاشياء عن مخاطر الامور •

وجاء الافغانىالى مصر : فوجدها ترزح تحت حكم اسمعيل المسلط ، وتئن من الدخل الاجنبى المتنمر : فاعلنها ثوره على أسماعيل وتهاونه واسرافه : وعلى هذا الدخل الاجنبى المتطفل وأطماعه ، ودعا جهره الى خلع اسماعيل وعزله ، وكذلك صنع مع ابنه توفيق عندما راه يسير على نهجه ، بل ينحدر الى ماهو أحط من نهجه فى الخضوع للاجنبى والتهاون فى حق شعبه •

وطوحت المقادير بالافغانى الى باريس منفيا ، والنفى كما يقولون ذلة وضياع ، ولكن الافغانى كان أقوى من أن يذل ، وأكبر من ان يضيع ، فمن باريس قلب اوربا ، وقف ثائرا فى وجه الاستعمار وأطماعه ، ثائرا على المستضعفين من حكام المسلمين أمام جشع هذا الاستعماروالغافلين عن مآربه • وفى باريس أقام حركة اسلامية ثورية تهز أرجاء العالم الاسلامى بالثورة على الاستعمار والاستعباد والاستبداد •

وانتقل الى بلاد الروسيا يتفقد أمة المسلمين فيها فرأى شعبا من مئات الملايين يعيش عيشة العبيد تحت جبروت القيصرية وطغيانها ، فصاح فى وجه القيصر منذرا بسوء العاقبة من هذه الحال التى لايمكن أن تدوم بين شعب وراعيه •

وانتهى به المطاف الى لندن عاصمة الاستعمار البريطانى وهوألدأعدائه وأكبر مناهضيه ، فوقف بين

سمع الانجليز وبصرهم يندد باستعمارهم وأطماعهم، ويرسل النقمة على كل متعاون معهم راض عن حكمهم وطغيانهم، وأراد الانجليز أن ينهنهوا من ثورته ضدهم، فعرضوا عليه أن يولوه ملكا على السودان فاحتقر عرضهم، واستخف بتفكيرهم، ورد على رئيس الوزراء البريطانى قائلا: ياعجبا وهل أنتم تملكون السودان حتى تولونى ملكا عليه. ان السودان لاهله.

● ● ●

هكذا كانت حياة الافغانى منذ نشأته الاولى الى آخر يوم من هذه الحياة، ثورة على الاستعباد والطغيان فى كل مكان، وفى كل شكل من الاشكال، سواء تمثل هذا الاستعباد فى تسلط أمة قوية على أمة مستضعفة، أوفى عنجهية حاكم مستبد بحقوق أمته، مستخف بكرامة شعبه، وثورة ايضا على الامم والشعوب التى تستكين لاغتصاب الغاصب، وتلين لظلم الظالم، والاهابة بها أن تغضب لكرامتها المهيضة، ولحقوقها المضيعة، ومن مثال هذا قوله فى استنهاض المصريين: «أنتم واقعون بسكوتكم فيما تخافون منه، انتقصت الاموال والثمرات، فاضت العبرات والحسرات، وكلمازدتم فى الخضوع زادكم عدوكم خسارا، وأوسعكم خرابا ودمارا، وان رسخت قدم العدو بينكم لا يبقى منكم غنى الا افتقر، ولا عظيم الا احتقر، وان شئتم فانظروا مستقبلكم فى مرآة حاضركم. واقرأوا حالكم فى تواريخ من سبقكم...»

وبعد هذا فلا احسب ان هناك من يتطاول الى الارتياب فى اصالة هذه الثورة الافغانية ونزاهتها، فيعزوها الى مأرب شخصى او غرض ذاتى، فقد كان الرجل أكبر من أن يتدلى الى حمأة المآرب الشخصية والاغراض الذاتية، وانت قد رأيت كيف استخف الرجل بالوزارة، ووطىءأبهةالمنصب بقدمه حين رأى شاه ايران يجحف بحقوق شعبه ويمالىء الاستعمار على أمته، ثم كيف رفض ملك السودان واحتقر أن **تكون «الملوكية» من أطماعه ومآربه، بل لقد عرض عليه السلطان عبد الحميد أن يوليه مشيخة الاسلام فأبى ذلك وقال: ان وظيفة العالم فيما يزاول من تعليم، وأن رتبته فيمايحسن من علم، وماذا يمكن أن يكون هناك من مأرب شخصى لرجل عاش راضيا بميسور الغذاء: قانعا بجبة واحدة للكساء، محتملا الحرمان من العشيرة والزوجة والولد، ولقد روى اصاحبه أنه حين حضرته الوفاة كانت آخر كلمة له: تشهيد بالله ان كلام محمد عند وفاته: أمتى.. أمتى، وأنا أقول: ملتى.. ملتى يارب.**

بعض الذينكتبوا عن الافغانى عابوا عليه الاندفاع فى المناداة بالثورة، وحدة الطبع فيما كان يروم من استنهاض الهمم وحشد العزائم، وقال الامام محمد عبده أنه كان يتعجل الوصول الى غرضه، وكثيرا ماكان التعجل علة الحرمان، وقال هؤلاء الكاتبون أن الافغانى كان ينادى بالثورة فى قوم أوهنت الاحداث عزائمهم، وأخمدت أنفاسهم، ولم تكن فيهم روح الثورة وعزيمتها، ولا عندهم الاستجابة لدعوتها، وكان الاجدى من هذا، الدعوة الى ايقاظهم والعمل أولا على اعدادهم لهذه الثورة تمشيا مع سنة التطور التى هى سنة الحياة، وهذا ماعول عليه تلاميذ الافغانى الذين حملوا دعوته فى الاصلاح من بعده.

وفى صميم الحق أن الثورة سنة الحياة، كما أن التطور سنة الحياة فى هذه الارض، وانما الثورة دفعة قوية من التطور تختصر الزمن فى الوصول الى الغاية، وتحتمل من المخاطر بقدر ماتختصر من هذا الزمن، والذى يدفعها الى هذا حال حرجة لا تحتمل عند أهل الغيرة والرشد والعارفين بقيمة الحياة، وهذا كان شأن الافغانى، كان ينظر فيرى الاستعمار منقضا على الامة الاسلامية من كل جانب، مسرع الخطى فى سيره منطلقا الى مقصده بكل مايملك من القوى والوسائلحتى يتخذ لنفسهقرارا مكينا، ومقرا أمينا، وكان الافغانى ينظر أيضا فيرى المسلمين فى تخاذل وانقسام وغفلة عن الهوة التى يحفرها الاستعمار تحت أقدامهم، ووسيلته تأريث الحزازات بين المسلمين ليزيدهمفرقة على فرقتهم، وانحلالا أكثر من انحلالهم.. كان الافغانى يرى هذا ويدرك ماوراءه ببصيرته النافذةفتستبد بهالغيرة الاسلامية، ويصرخ فى المسلمين داعيا الى الثورة والكفاح قبل فوات الاوان، وقبل أنيطبقعليهم الاستعمار اطباقا تماما فلن يستطيعوا حراكا، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة.

فالوقت الذى نادى فيه الافغانى بدعوته كان من أحرج الاوقات فى حياة العالم الاسلامى: الاستعمار زحف زحفه على جميعاطراف هذا العالم بل تغلغلفى أعماقه، والمسلمون يغطون فىنوم عميق، منذ نفضوا عن أنفسهم غبار المعاركالطويلة التىخاضوا غمارها ضد الصليبيين، وحكام المسلمين أغفل الناس عن مآرب هذا الاستعمار الخبيث واجبنهم عن مواجهته ايثارا لسلامة أشخاصهم، واشباعا لشهواتهم، فلم تكن هناك فسحة من الوقت حتى يدعو الافغانى دعوته الى الاصلاح على سنة التطور، بل كان لابد من الدعوة الى الثورة، لان الثورة ولو بأدنى طاقة كانت أجدى من الاستسلام والانتظار حتى يتم الاعداد الكامل.

وحسب الافغانى عظمة أنه خلق بدعوته الملتهبة تيارا ثوريا ايقظالعالمالاسلامى كلهمن سباته، وكان له تأثير فى تركيا وايران والهند، وبخاصة فى مصر وسوريا فكل ثورة اصلاحية فى هذه البلاد انما ترجع بأصولهاوجذورها الىدعوة الافغانى الثورية، والى اليقظة التى أثارها وأنار طريقها ذلك الرجل العظيم.

المصلح الديني والثائر الاجتماعي

الأستاذ حسني الشيخة

لم يدع جمال الدين بلدا شرقيا مكنته ظروفه من الطواف به الا زاره ، وبذر فيه البذور الصالحة للانبات ، فكانت تارة تنبت وتؤتى اكلها ، وتارة تموت حيث بذرت ، ولا تنبت شيئا .

من القواعد المتفق عليها ، وتكاد تكون معرفتها ضرورية لمن يقرأ تاريخ جمال الدين انه لم يعمل عملا ذا نبات ، وذا ثمار الا فى مصر ، وهكذا اجمع الذين أرخوا له ، وكتبوا عنه كتابة بحث وتقص .

وضع البذر الصالح فى كل بلد شرقى زاره ، وأقام فيه بعض الوقت ، ومن هذه الزيارات ، والاقامات تتكون رسالة جمال الدين ، التى وهبها حياته كلها ، فلم يتخذ له فى الشرق وطنا معروفا ، يقيم فيه دون غيره ، اللهم الا نسبته الافغانية التى جاءته من اصوله واسرته ، ولم يقيد نفسه بزوجة او ولد ، بل كان حرا طليقا ، الشرق كله رقعة شطرنج يلعب عليها ، ويتخذها ميدانا لنشاطه والدنيا تجارب ، والايام عظات .

يقول الاستاذ أحمد أمين فى كتابه :
ـ زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ـ
[ولقد طوف فى فارس والهند والحجاز والآستانة ، واقام فيها ، ولكن لعل أخصب أيامه ، وأصلح غرسه ما كان فى مصر مدة اقامته بها من اول محرم عام ١٢٨٨ الى سنة ١٢٩٦ هـ [مارس عام ١٨٧١ ـ اغسطس عام ١٨٧٩ م]ثمانى سنين كانت من خير الاعوام بركة على مصر ، وعلى العالم الشرقى] .

قال تلميذه الاول الشيخ محمد عبده فى وصف حال مصر قبل مجيىء جمال الدين

« ان أهالى مصر قبل عام ١٢٩٣ هـ كانوا يرون شـــئونهم العامة ـ بل والخاصة ـ ملكا لحاكمهم الاعلى ، ومن ينيبه عنه فى تدبير أمورهم ، يتصرف فيها حسب ارادته ، ويعتقدون أن سعادتهم وشقاءهم موكولان الى امانته وعدله ، أو خيانته وظلمه ، ولا يرى أحد لنفســـه رأيا يحق له أن يبديه فى ادارة بلاده ، أو ارادة يتقدم بها الى عمل من الاعمال يرى فيه صلاحا لامته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى انهم مصرفون فيما تكلفهم الحكومة به .... فلما جاء جمال الدين قلب هذا الوضع ، وفتح للناس منافذ القول ، وسلك لذلك مسالك مختلفة .

هذا أصدق تلخيص لرسالة جمال الدين فى مصر ، وهى رسالة الحياة النابضة التى بعثها الله اليها مع هذا الحكيم ، جمال الدين .

البـــذور السليمة تنبت فى الارض الصالحة ، وقد أخذ هذا النبات فى النمو ، وقد كان فى مصر رجل يبحث عن الصالح العام ، يفتش ، ويدقق ، فرأى ان يتعرف على هذا الغريب عن مصر ، قبل أن يوجه اليه احسانا أو اساءة ، فملأ عينيه ، ولذلك مكن له من البقاء فى مصر ، وسعى عند الحكومة فقررت له عشرة جنيهات شهرية ، هو رياض باشا .

على هذا الطريق السوى اقام جمال الدين فى مصر ثمانى سنين من عام١٢٨٨ الى عام ١٢٩٦ هـ [١٨٧١ ـ الى ١٨٧٩] كان يلقى فيها الدروس النافعة فى بيته بخان الخليلى ، وفى قهوة البوستة بالقرب من العتبة ، هذا الى مسلكه فى مدرسته الشعبية ، وهى احاديثه التى كان ينشرها هنا وهناك ، فى المقهى وفى المحافل وفى بيوت الزيارة ، زائرا ومزورا .

ويقول سليم العنحوى فى ترجمته ما فحواه انه خلال عام ١٨٧٨] زادمركزه

خطرا ، لانه تدخل فى السياسة ، واخذ يقرب منه العوام ، قائلا لهم : « ... هبوا من نومتكم ، اصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقى الامم احرارا سعداء » ، ويعلق سليم على ذلك بقوله : « ومنذ ذلك الحين طارت شرارة الثورة العرابية » .

أرأيت ؟ أرأيت كيف يفعل رجل واحد اعزل ، فيقيم بلسانه وبيانه ثورة هى اعنف ما عرف من الثورات فى وقته ، هى الثورة العرابية ، التى كادت تؤتى ثمارها الطيبة ، لولا الخيانات ، ولولا سوء التدبيرات .

استدعاه توفيق ، وقد كان صديقه يوم كان وليا للعهد ، وكانت مقابلاتهما بالمجمع الماسونى ، الذى كان توفيق يقول له فيه دائما » انك امل السيد ـ استدعاه بعد أن صار خديويا ، وقال له : « انى احب كل خير للمصريين ، ويسرنى ان ارى بلادها وابناءها فى أعلى درجات الرقى والفلاح ، ولكن مع الاسف أن أكثر الشعب جاهل خامل ، لا يصح ما تلقونه عليه من الدروس والاقوال المهيجة ، فيلقون انفسهم والبلاد فى تهلكة » ، فاجابه جمال الدين بقوله : « ليسمح لى سمو الامير ان اقول بحرية واخلاص ، ان الشعب المصرى كسائر الشعوب ، لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين افراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، فبالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى ينظر اليكم ، وان قبلتم نصح هذا المخلص ، واسرعتم فى اشراك الامة فى حكم البلاد ، عن طريق الشورى ، فتأمرون باجراء انتخابات نواب عن الامة ، تسن القوانين ، وتنفذها باسمكم وارادتكم ، يكون ذلك أثبت لعرشكم ، وادوم لسلطانكم » ثم خرج جمال الدين من عند الامير وكانه ظفر بما لم يظفر به غيره ، واخذ يخطب الناس ويحث تلاميذه واعوانه على الكتابة فيه فى حماسة وقوة ، بعد ان خيل اليه ان الامير استجاب الى أقواله ومحاوراته ، وان مجلس النواب ـ فى نظره ـ اصبح قاب قوسين ، او ادنى ، ولم يدر ان السم فى الدسم ، وان الغدر فى الملاينة المصطنعة ، وان توفيقا ينوى به التنكيل والنفى ، ليريح نفسه من هذا الافغانى الحر الذى يوجه اليه مثل الكلام السابق فى نعمة الشورى ، وفوائد الحكم النيابى ، وقديما قال الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وقد اجتمع مجلس الوزراء وقرر نفى السيد جمال الدين من مصر ، وعلل هذا القرار بقوله : « لانه رئيس جمعية سرية من الشبان ذى الطيش » مجتمعة على فساد الدين والدنيا » .

وكان هذا النفى هو آخر عهد السيد جمال بمصر ، بحيث لم يرها ولم تره مرة أخرى .

نفى السيد من مصر ، ولكن آراءه ومبادئه كانت قد تأصلت بها فى تلاميذه الامجاد ، الذين كان اوفرهم حظا من تعاليم السيد هو الشيخ محمد عبده ، الذى وصفه وهو على ظهر الباخرة التى اقلته الى الهند بقوله : « لقد تركت لكم الشيخ محمد عبده ، وكفى به لمصر عالما » .

وختاما أختم كلمتى بفقرات من ترجمة سليم بك للسيد ، ومنها تأخذ بوضوح كيف كان يقضى نهاره وليله فى مصر . قال سليم بك :

وكان من ديدن جمال الدين ان يقطع بياض نهاره فى داره ، حتى اذا جن الليل خرج متوكئا على عصاه ، الى مقهى قرب الازبكية ، وجلس فى صدر فئة تتألف حوله على هيئة نصف دائرة ينتظم فى سمطها اللغوى والشاعر والمنطقى ، والطبيب والكيماوى ، والتاريخى والجغرافى ، والمهندس والطبيعى ، فيتسابقون الى القاء ادق المسائل عليه .. فيحل عقد اشكالها فردا فردا ، بلسان عربى مبين ، لايتلعثم ولا يتردد ، بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلال ، فيدهش السامعين .. ويبكم المعترضين .. ولا يبرح هذا شأنه حتى يشتعل رأس الليل شيبا ، فيقفل الى داره .. »

الامام الجنيد (بقية)

تصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبودية [illegible] كانت له وحده عبدا كنت مما دونه حرا ، هذه هى حكمة الجنيد فى اشراقها وعمق مغزاها . واما عن جانب الكرامات والخوارق : فيسوق لنا الامام الجنيد هذه الواقعة فيقول : (كان السرى يقول لى تكلم على الناس . وكان فى قلبى حشمة ـ اى حياء ـ من الكلام على الناس وكنت اتهم نفسى فى استحقاق ذلك حياء . فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس . فانتبهت واتيت باب السرى قبل ان اصبح ودققت عليه الباب فقال ـ قبل ان يسمع منه شىء ـ لم تصدقنا حتى قيل لك ذلك ؟ فقعد الجنيد للناس فى الجامع بالغداة . فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس . فوقف عليه غلام نصرانى متنكر . وقال ايها الشيخ : ما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) ؟ فاطرق الجنيد راسه ثم رفعه فقال اسلم فقد حان وقت اسلامك ! فاسلم الغلام وقطع الزنار . هذا هو نور البصيرة الذى يمنحه الله لمن اجتباه من خلقه وجعله من خواص عباده . (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) . وبعد : فهذا هو الامام ، الجنيد سيد الطائفة الصوفية . الرجل الذى اكتملت فيه ودية الله تعالى وفاضت من ينبوع معرفته لطائف الحكم لترتوى بها ارواح العارفين . وهو الامام الذى ضرب بعلمه وحاله وسلوكه اروع المثل . وقدم من جوهر صوفيته وتحققه انصع البراهين واقوى الحجج على ان التصوف يمثل أعلى قمة فى الاسلام يظلل لواءها صفوة عباد الله . فسلام عليه فى الخالدين . وسلام عليه مع النبيين والصديقين بمدده وبركته دنيا وآخرة . اللهم آمين .

مع سلطان الأولياء

على طريق الواصلين

فى القاهرة .. السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون يتصدر مجلسه من الامراء والوزراء والقادة ، وهو يقرأ كتابا تلقاه من الاستاذ ابراهيم الدسوقى ، يعلمه فيه أن الحاكم خادم الناس ، وأن العبودية لله وحده ، وأن ظلم الامراء والحكام للرعية ، يعرض الدولة وسلطانها لما لا تحمد عقباه .

السلطان يطرح الرسالة فى غضب ثم يقول لمجلسه :

من هذا الرجل الذى يجرؤ على مخاطبتنا بهذه الجرأة ، كأننى وأنا سلطان مصر تابع له .. كيف نحكم هذه البلاد ، وفيها مثل هذا الرجل الذى يريد أن ينصب نفسه وصيا على ملكى ؟ .. كيف ترضون باتهامكم جميعا بظلم الناس ؟ ..

وتسود المجلس فترة صمت ..

ثم بدأت الاصوات ترتفع بالدفاع أو بالنفاق :

– تقصدون عظمتكم ذلك الشيخ الدسوقى .

– ان هذا الرجل يوشك أن يشعل الفتنة فى البلاد .. فقد اجتمع من حوله خلق كثير من الغوغاء .

– كأنما أصبح الامر والنهى فى البلاد من عمل الدراويش .

– هذا الشيخ ينازعك الملك يا مولاى .

– ما عاش من ينازع عظمتكم الامر والسلطان .

– ان شاء مولانا السلطان نقضى عليه وعلى اتباعه فى الحال .

وعاد الصمت الى المجلس .. والسلطان يعود الى تلاوة الرسالة بعينيه .. ثم يتفرس فى وجوه المجلس .. ويقول فى شرود :

يخيل الى أن القضاء على هذا الرجل ليس بالامر السهل .. أننى ألمس فى رسائله المتوالية صدقا وعلما وشجاعة وصراحة وبلاغة وأدبا ينزل على جسدى كأنه السوط .

الجميع : كلنا فداء مولانا السلطان .

السلطان : ان الشيخ يذكرنى بأن الرعية أمانة فى عنقى ، وكل ظلم يقع على شخص من الرعية ، سوف أسأل عنه يوم القيامة .. وفى رسالته هذه **اتهام صريح لولاة الاقاليم الذين يثقلون على الرعية فى جمع الضرائب والعشور غير المقررة ، وهم بعد ذلك متواطئون مع أرباب العمل ويساعدونهم على هضم حقوق العمال ،** والدين يأمرنا بأن نعطى الاجير أجره قبل أن يجف عرقه . اقرأ هذا فلا أجد فيه دعوة الى الفتنة .

فترتفع الاصوات :

– ان منطقه هذا هو عين الفتنة .. فهو يحرض الطبقات على بعضها .

– ان أمثال هؤلاء المجاذيب لا ينبغى السكوت عليهم .

– الولاء الحقيقى لعظمتكم لا يرضى بمن يستغلون الدين فى منازعتكم الحكم .

– وحدة الامة يا مولاى أهم من عنق فرد .

وانفض الجمع ، والسلطان ترتعد فرائصه ، ولكنه يغالط نفسه ، ويؤيد الحملة الظالمة ضد سلطان الاولياء سيدى ابراهيم الدسوقى .

وننتقل الى دسوق ..

فى اليوم التالى ، أحد أيام ربيع الثانى من عام ٦٩٠ هجرية ، تلقى الدسوقى من السلطان **هدية من عسل النحل المسموم .** حملها اليه أحد الامراء وسلمها وانصرف . فجمع القطب الفقراء من دسوق وضيوفها وقال لهم : **هذا شهد ان شاء الله تعالى . كلوه ولا مبالاة باذن الله .**

وأكل الفقراء والقطب يشاركهم الطعام ، وعلم الامير حامل المؤامرة قبل مغادرته دسوق ، أن الجميع فى خير وعافية .. **فطار الى القاهرة .**

وانقسم الامراء والوزراء فى الرأى حول العسل ، هل كان مسموما حقا ، أم ان السم لا يعيش فى العسل ، أم ماذا فى الامر ؟ ..

ويضحك السلطان الاشرف مما يسمع ويرى .. ثم يقول : يبدو أن هذا الرجل ليس من البساطة بقدر ما تتصورون .

فترتفع صيحات المعارضة والحرص على سلامة السلطنة ، وحتمية ضرب الفتنة فى مهدها ، وليس لهذه المهمة ياصاحب العظمة سوى الامير عزالدين ، فهو يستطيع وحده تأديب هذا الرجل .

وفرح الامير عز الدين باختياره لهذه المهمة ، وزوده السلطان وأعوانه بالنصائح الواجبة فى هذه المناسبة .

وسار موكب الامير الى دسوق فى أبهة الملك وهيبة الحكام .. واتخذ له معسكرا على شاطىء النيل ، فاهتزت دسوق ، وتجمعت من حول الشيخ ، وتلاميذه أثبت من الجبال ، وعينا الدسوقى من فوق لثامه تلمعان سرورا .. ثم تذرف العبرات !

فلما سئل عن السبب أجاب : **اننى ارثى لحال هذا المسكين** .. يعنى الامير عز الدين .

وأقبل على الدسوقى بعض ضباط الامير يطلبون منه أن يمثل بين يدى الامير .

فأرسل معهم أحد تلاميذه ليبلغ الامير عن الشيخ هذه الرسالة :

يقول لك أستاذى الدسوقى اجلس فى خيمتك .

فأصيب الاميرعز الدين بالشلل ، وجلس فى خيمته لا يتحرك !

وطالت غيبته عن القاهرة ، وانتقل اليها خبر الشلل ، فغضب السلطان غضبا كاد يفقده الرشد وغليت مراجل المنافقين الساخطين الحاقدين المتهمين من حول السلطان . فطلب المشورة ، وبدأ فى تنفيذ الارادة السلطانية على الفور .. **ليس غير الاسد يخلص البلاد من هذا الرجل !**

كان لدى السلطان الاشرف خليل بن قلاوون ، سبع يلقى اليه بمن تحل عليه لعنة السلطان .

سافر وفد من الامراء الى دسوق فى حشد من الجند ، ومعهم هذا السبع ومروضه ، فاتجهوا أول الامر الى خيمة الامير المشلول ، ثم انقضوا على خلوة الشيخ ، فخرج اليهم ، ورأوا جميعا ما حدث ..

هاج الاسد وقطع الحبل الذى كان يقوده به مروضه ، وظن الجميع أنه سينقض على الشيخ ، وأصيب تلاميذ الدسوقى بالهلع ، وهم يرون الاسد

الأستاذ عبد العليم المهدى

يتقدم ناحية الشيخ فى خطى وئيدة ثابتة ، حتى جلس تحت قدمى الشيخ ، وتلاميذه يجذبونه بعيدا عن الوحشى ، والاستاذ يقول لهم : **دعوه .. انه لايفترس الا الغافل .**

وقيل أن الاسد كاد أن يفتك بمن جاءوا به ليفترس القطب .. لولا اشارة من الدسوقى .

وبلغ السلطان النبأ ، فأحس بدوار لم يدع له فرصة للراحة أو النوم ، ولكنه وجد نفسه مشدودا الى دسوق ، وقد وقف كالتلميذ أمام القطب الدسوقى ، وراح يعتذر اليه ، ويؤكد له أنه تابعه ، وأنه يعرض عليه ما شاء من مال أو عقار ، واعتذر الدسوقى عن عطاء السلطان لانه غنى عن ذلك كله ، وطلب منه أن يترك نصف الجزيرة القريبة للفقراء ليفلحوا أرضها وليجدوا عيشهم من حبات العرق .

فأطاع السلطان . وهنا بشره الدسوقى بأنه سيخوض معركة مع الصليبيين وسوف ينتصر عليهم فى عكا اذا التزم العسكر بطاعة الله .

وفى نفس العام (٦٩٠ – ١٢٩١ م) ، **سقطت عكا فى ايدى جيش الاشرف خليل بن قلاوون وكانت آخر قلعة يملكها جيش الفرنجة الذى وفد على المنطقة طامعا فى ثرواتها ومتسترا بشعار الصليب وبادعاء أنها حرب مسيحية ، والمسيحية منها براء .**

واتصلت المراسلات بين الدسوقى والسلطان ، والسلطان يحرص على أن يوقع كتبه الى الدسوقى بهذه العبارة : « **مملوكك خليل بن قلاوون** » .

وكان عفو الدسوقى عن الامير عز الدين . والوفد الذى صاحب الاسد ، مثار تقدير من الامراء الذين أخذوا يتنافسون فى ارضاء القطب ، **فلا يرضى حتى يرفعوا المظالم عن الناس .**

ويقول القطب الدسوقى فى هذا :

«لايكون الفقير فقيرا حتى لايؤذى من يؤذيه : اذا ابتلى صبر ، واذا قدر عفا .

لاشك
أن الفارق كبير
بين ماكينات
القرن الـ
١٥
وبين ما تجده
من أحدث
آلات الطباعة فى
شركة الإعلانات الشرقية
إحدى شركات مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر

السيد رشيد رضا
ودار الدعوة والإرشاد

الأستاذ عبد السميع البطل

ان طريقة الوعظ والارشاد ، ودعوة الامم الى الاسلام ، ليست من الصناعات التى يستطيع كل انسان أن يزاولها فى مهارة وحذق ولكنها ملكة من الملكات التى قد يحسنها قليل العلم ، وينجح فيها ، ويتخلف عنها أكثر الناس تحصيلا ولا يظهر له فيها أثر ، وقد نشأ المرحوم السيد رشيد ، ونشأ معه الميل الى وعظ العامة وارشادهم ، بما كان يتصدى له فى صدر شبابه من قراءة الدروس فى قريته ثم ما كان من انشائه مجلة (المنار) واستهدافه للاجابة التى كانت تنحدر اليه كالسيل من الشرق والغرب فى المسائل الدينية ، والمشاكل التى يبتلى بها الناس ويرجعون فى حلها اليه ، وأخيرا جرأته وصراحته فى تقديم النصيحة للملوك والامراء وكبار العلماء — واحياء لسنة السلف — مما جعله أندى العلماء صوتا ، وأبعد المصلحين صيتا ، وأسير المجددين ذكرا ، وأكثر الكتاب أثرا .

و تدقويت رغبته فى أن يتولى هو نفسه تربية طائفة من الشباب يصنعهم على عينه ، يقوم بعضهم بواجب الدعوة الى الاسلام ، ورد شبهات المعترضين عليه ، متسلحين بما يتسلح به أمثالهم من رجال الدعوة فى الامم الراقية من الجمع بين علوم الدين ، وما لابد منه من علوم الدنيا ، ويقوم الفريق الاخر بارشاد المسلمين الى ما هو أجدى عليهم فى دينهم ودنياهم ، مع خبرة مجال العصر ، وما ينبغى أن يكون عليه المرشد من مسايرة الزمن .

كانت هذه أمنية تعتلج فى نفسه منذ كان طالبا يتردد بطرابلس الشام على مكتبة المبشرين الامريكان ، يقرأ جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم ويجادل قسسهم .

وفى سنة ١٣٢٧ هـ كان الخلاف بين العرب والترك مستمرا ، واتسعت مسافة الخلف بين الفريقين ، فرأى أن يشخص الى الاستانة ليقضى هناك على عقارب السعاية والفتنة ، متوسلا الى ذلك باتصاله بكبار رجال الدولة هناك ، وبما كان يكتبه من مقالات فى جريدة (اقدام) وجريدة (كلمة الحق) ثم فى جريدة (الحضارة) ولشىء آخر شغفه حبا ، وكان به مستهاما صبا ، وهو تاليف جماعة لانشاء مدرسة للدعوة والارشاد .

اختار السيد — طيب الله ثراه — أن تكون الاستانة مشرق ذلك النور ومبعث هذا الاصلاح ، وقبلة التاليف بين العرب والترك ، ليكون المشروع بنجوة عن مهاب السياسة وأعاصير الفتنة ، وفى الاستانة سلخ عاما كاملا ، يروج للمشروع ، ويقنع به كبار المسئولين ، فلقى أولا معاضدة وترحيبا ، وتقرر أن تكفله وزارة الاوقاف ، وتألفت الجماعة من كبار رجال الدولة للعمل واعداده فى تفصيل واسع لا محل لبيانه هنا ، لكن بعض الايدى كانت تلعب من وراء الستار للنهى عنه ، والنأى عنه ، فقضى عليه وهو جنين ، وعاد السيد من الاستانة — كما كان يعود منها كل مصلح — ساخطا ناقما ، ولكنه لم ييئس من روح الله ، فيجدد المسعى هنا بمصر والف الجماعة ، واختير أعضاؤها من أهل الفضل والغيرة ، ووضع لها قانون دقيق ، وعلم بالامر الخديو عباس فاكبره ، وأظهر رضاه عنه ، وارتياحه له ، وكان ذلك بعد مقاطعة سنين فى جفوة بينه وبين السيد لاتصاله بالمرحوم الشيخ محمد عبده ودفاعه عنه ، وكراهة الامير للمرحوم الشيخ والسيد ، معروفة وقد سبق فيها كلام فى تاريخ الشيخ محمد عبده ضمن المقالات التى كتبناها فى مجلة (منبر الاسلام) .

وقد أمدت الاوقاف المشروع بمبلغ من المال ووعدت بمضاعفته ، وتبرع له كثيرون من ذوى الاريحية ، وأجمع العقلاء على استحسانه — بلة — وحيوية ، وفتحت المدرسة أبوابها فى ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٣٠ تيمنا بذكرى ميلاد النبى — صلى الله عليه وسلم — وكان السيد وكيل الجماعة وناظر المدرسة ، بل كان عقلها المفكر ، وروحها المدبرة .

هذه المدرسة التى تعد الحلقة المفقودة فى تاريخنا الثقافى المعاصر ، والتى لا يعرف عنها شيئا يذكر الا بعض الخواص من الجيلين الماضيين ، نجحت فكرتها بمصر ، ولقيت معاضدة الامير ، واستحسان العقلاء ، ولكنها لم تنج من ارجاف المرجفين ، وأذى المفسدين فلبس لها بعض الجرائد جلد النمر ، وترصدها المبشرون وأنذرت القناصل دولها عاقبة أمرها ، قائلين : ان مدرسة انشئت بمصر ، سيكون لها من الاثر فى تنبيه المسلمين ما سيكون خطره عظيما على سياستنا ومصالحنا .

نظام المدرسة

كانت المدرسة ملتقى الطلبة من جميع الاجناس الاسلامية ، التقى فيها المصرى والشامى والفلسطينى والعراقى والتركى والداغستانى والمغربى والهندى والجاوى والسومطرى ، وكان يفضل الاجنبى لحاجة بلاده الى المتعلمين .

وكان الطلبة فريقين ، ففريق منتسب يحضر من الدروس ما يشاء ويتخلى عما يشاء ، وفريق يحتم عليه حضور الدروس كلها ، ويبيت فى المدرسة مكفى الحاجة من مطعم وسكن وكتب ، وكان لهذا الفريق نظام خاص يسلكه فى معيشته وتربيته ، منه أن يستيقظ طلبته قبل الفجر للصلاة وتلاوة القرآن مع التدبر ، ويؤدوا الفرائض كلها فى جماعة خلف امام واحد ، ويكثروا من التنفل فى الصلاة والصيام ويروضوا نفوسهم على آداب الاسلام بقوة ، فيتحرجوا من فعل خلاف الاولى ، ومن يثبت عليه الكذب ولو مرة يكون جزاؤه الطرد فى الحال .

كانت المدرسة فى قصر شريف باشا بالمنيل على ضفة النيل الغربية عند قنطرة الملك الصالح ، وكأنها بمعزل عن المجتمع ، وكان الطلبة لا ينزلون الى مصر الا باذن كتابى من السيد بعد أن يذكر الطالب كتابة سبب نزوله وموعد غدوه ورواحه وكان يقول : ان الذى يكثر الاختلاف الى القاهرة تبطل الثقة به ، لذلك كان الطلبة يظلون الاسبوع والاسابيع لا يغادرون جزيرة الروضة ، وكان المجتمع بالامس غيره اليوم .

أما الخيام فانها كخيامهم . وأرى نساء الحى غير نسائها وفوق ذلك كان يكلف كل طالب أن يحمل فى جيبه مذكرة يدون فيها أعماله حسنها وسيئها ليكون على نفسه حسيبا ، ولاجل ذلك كان لابد أن يجتاز سنة تسمى (السنة التمهيدية) لاختبار أخلاقه وتزويده بالعلم والعمل ، وكانت اللغة الفصحى هى لغة التخاطب كما كانت لغة الدرس ، ومن وصايا السيد ، أن التزام الفصحى يوما خير من قراءة كتاب .

(المدرسة تتعثر فى خطواتها)

مضى على انشاء المدرسة ثلاث سنين الا قليلا ، ثم اشتعلت نار الحرب الكبرى الاولى ، وكانت ايامها النحسات ، فابعد الامير عن البلاد وكان لها عضدا فغلت الايدى الى الاعناق ، وجمدت الاكف عن العطاء واشتدت سيطرة الانجليز على مصر ، فطوقوها بالحماية ،

وكادوا للمدرسة كيدهم ، واوعز عميدهم الى ناظر الاوقاف فى ذلك العهد ، وكان من صنائعه فقطع عن المدرسة الاعانة التى كانت مقررة لها بعد أن أعطى قليلا وأكدى ، حينئذ اضطرت المدرسة أن تكتفى بمن فيها من الطلبة ، ولم تقبل جديدا ، وألجأتها الضرورة الملحة أخيرا أن تتحلل مما كانت تلتزمه من نفقة الداخل والخارج ، وظلت تجاهد هذا العنت فى وناء وضعف سنتين ثم ودعت الحياة تاركة آثارا حسانا ، وميراثا عظيما ممن تربوا فى أحضانها ، وعملوا جهدهم على تحقيق بعض أهدافها ، وما أسف العقلاء على شئ أسفهم على حرمان الامم الاسلامية من ثمرات هذه المدرسة التى كانت موضع الرجاء فى اصلاح حال المسلمين .

(عمل السيد فى المدرسة)

لقد كان المرحوم معقد الرجاء فى المدرسة ، وقطب الرحى ، والقبلة التى تولى الوجوه شطرها ، كان لدروسه أعظم الاثر فى الاصلاح : اصلاح النفوس ، وتثقيف الالسنة والعقول ، كان يدرس التفسير ، فتتجلى روح الالهام الصادق ، والبصيرة النيرة ، ويدرس الحديث وعلم الكلام وحكم التشريع ، ويعلم الانشاء ، ويمرن على الخطابة الارتجالية : ويبصر بالاساليب الصحيحة فى اللغة ، وما يهجنها من دخيل أو سوقى أو متبذل او وضع للمفردات فى غير موضعها ، وقرأ قدرا من البلاغة ، وطالع الطلبة أمامه مقالات العروة الوثقى ، ولشد ما كانت الدهشة أول العهد به وهم يسمعون فى دروسه لغة مصيحة عالية الاسلوب ، وغوصا على معانى المفردات فى دقة : والتقاطا لفرائد البلاغة فى دروس التفسير وغيرها ، واستخراجا لكوامن العبر من ثنايا الايات البينات ، بل لشد ما كان عجبهم حين يرونه يبكى فى المواضع التى تستدر الدمع ، والذين عاشروا السيد ، يعلمون أنه كان أسيفا رقيق القلب ، سخيا بالدمع سخاءه بالمال : وقد مر فى المقال الاول من ترجمته أنه كان صوفيا من نشأته ، كما كان أديبا قبل طلبه للعلم .

كان السيد مغرما بالاستطراد الطويل فى غير ملل ، فبينما يكون موضوع الدرس تفسيرا أو حديثا أو حكمة التشريع مثلا ، اذا به يحتال للدخول فى باب السياسة أو الاجتماع أو تاريخ الفرق ومذاهب المبتدعين ، أو ما أشبه ذلك فتخرج من الاستطراد بكليات عظيمة تزيدنا بصيرة وثقافة .

وقد لا تعجب هذه الطريقة رجال التربية الحديثة : ويرونها معيبة بالمدرس ومضيعة للطالب ، ولكن هذا يرجع فيما أرى الى عدة أسباب ، فهو قد قرأ كثيرا من كتب المتقدمين ، وتغلغل فيها ، وهضمها ، وتمثلت فيه فتأثر بها ، وتلك كانت طريقتهم ، وكان ريان من العلم شبعان ، فكانت تتدافع فى صدره المسائل فلا يستطيع لها كبحا ، وسبب ثالث كان كثيرا ما يصرح به ، وهو أنه قليل الثقة بدوام المدرسة ، ويخشى أن يفوته شئ يريد أن يقوله حين لا تواتيه الفرصة ، لذلك كان يتلمس الاستطراد تلمسا ، وأذكر أن المرحوم صديقنا الشيخ محمد العدوى أحد أذكياء علماء الازهر حملته مرة هذه الاستطرادات فى مجلس معه — وكانت شفت كثيرا مما بنفسه — على أن يطلب اليه أن يعقد درسا خاصا فى بيته ليلة فى الاسبوع ففعل ، وكان يحضره كثير من علماء الازهر ، وأساتذة المدارس العالية والثانوية والابتدائية وبعض موظفى المصالح الحكومية ، أذكر منهم : الشيخ العدوى والشيخ محمد الرمالى مدير الوعظ ، والشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية الشريعة وكلية اللغة العربية وعبد الله أمين ناظر احدى مدارس المعلمين ، والشيخ محمود محمود الاستاذ بمدرسة المعلمين العليا والاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، وكثير لا تعيهم الذاكرة الان .

طلبة المدرسة

أما طلبة المدرسة بعد ان آل أمرها الى الحالة التى وصفنا ، فلم يضيعوا السنين التى قضوها فيها سدى ، فاشتغل كل بما يسره الله له ، فمنهم من اتصل بالملوك حتى صار وزيرا كالمرحوم الشيخ يوسف يس وزير المملكة السعودية ، ومنهم من اشتغل بالسياسة حتى صار زعيما شهيرا ، كالسيد أمين الحسينى مفتى القدس ورئيس المجلس الاعلى سابقا ، والاستاذ محمد الشريقى باشا الذى كان سفيرا لمملكة شرق الاردن بالجمهورية العربية المتحدة ، والشيخ عبد الرزاق المليح ابادى صاحب جريدة هندية ومترجم فلسفة مولانا أبو الكلام ، ومنهم فضيلة الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت ، ومنهم من اشتغل بالتربية والتعليم ، أو الصحافة كالاستاذ حسن الدجانى الفلسطينى والسيد محيى الدين رضا ، أو مفتشا وموجها للتعليم الدينى كالسيد عبد الرحمن عاصر بلبنان وغيرهم كثير ولم يتعطل منهم احد ، بل كل واحد منهم سد فراغا فى ناحية من نواحى العمل المثمر ، هذه لمحة خاطفة عن تلك المدرسة التى أصبحت كمنشئها فى ذمة التاريخ وهناك مدرسة الفقيد الكبرى التى عكس مناره من أشعتها على العالم أربعين سنة تبوأ فيها بحق مقام الامامة ، وخلف ميراثا عظيما بشرع للناس طرق الاصلاح ، ويبصرهم بكتاب الله وهدى رسوله وقد أصبح له تلاميذ ومريدون يملئون طباق الارض ، وصار له حزب قوى فى الازهر ممن قبضوا قبضة من أثره ، وانه لميراث عظيم ، شغل فقيدنا حياته فى جمعه وادخاره .

وقد مات المنار بموت صاحبه وكنا نسأل عقب وفاة السيد كل من يأتى للتعزية من رجال العلم والادب : هل يمكن ان يستمر المنار بعد وفاة السيد ، فكانت اجاباتهم مختلفة ، فالمرحوم الشيخ المراغى شيخ الازهر ، قال : اننا لا نجد محررين لمجلة الازهر ، والشيخ عبد المجيد سليم شيخ الازهر أيضا قال : نعم يمكن استمراره ، ولابد أن نتعاون جميعا على ذلك ، وأما الشيخ حسين والى فقال : يمكن استمرار المنار اذا قام به فرد أو جملة تتوافر فيهم أو فيه أربعة شروط : علم السيد رشيد وصلاح السيد رشيد ، وصبر السيد رشيد ، وثقة العالم الاسلامى بالسيد رشيد وهى شروط تنادى على نفسها بالاستحالة .

وقد حاول بعض الناس أن ينشئوا مدارس على غرار مدرسة الدعوة والارشاد ، وفرحوا بالاسماء دون المسميات وليس التكحل فى العينين كالكحل ، فأين الطلبة الذين ينفذون القوانين بقوة ، وبدافع من أنفسهم ؟ وأين الطلبة الذين يتحلون بالاداب الاسلامية ، ويقومون على تربية ورقابة من أنفسهم ، وأين المكان الذى يظلهم تحت سقفه بعيدا عن المجتمع كما كانت الدعوة والارشاد فى بقعة بعيدة عن المجتمع ، حيث كانت بقصر شريف باشا على ضفة النيل الغربية وكانت جزيرة الروضة رمالا واسعة ليس بها دور ولا سكان وكان السائر يسير حتى يصل الى القصر العينى فلا يكاد يجد الا آحادا يمشون فى الطريق الممتد من الروضة الى هناك ، فكانت المدرسة أشبه أن تكون بمنقطع من الارض كما كان يتمنى الاستاذ الامام حين عرض على السيد جمال الدين اختيار طائفة من الشباب يعيشون واياهم فى منقطع من الارض ، ويصنعونهم على أعينهم ليكونوا عونا لهم على اصلاح الامة .

لقد كان السيد — رحمه الله — دائما جديدا غير آسن كما كان يتجلى ذلك فى كتاباته وأحاديثه فما ورد أحد ورده الا صدر بجديد فى العلم أو الادب أو شئون الحياة ، وما ناظرة مناظر الا كان له الفلج عليه ، ناظر كثيرا وناقش كثيرا ، وما كان يعد الكلام الذى يقوله فى مناظراته أو مناقشاته اعدادا ، لان كل الموضوعات المعروضة فى المجتمع قد قتلها بحثا وتمحيصا ، قولا وكتابة ، فقد كان آية من آيات الله ، رحم الله السيد صاحب المنار ، ومنشئ دار الدعوة والارشاد ، وبوأه منازل الكرامة على الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

عبد السميع البطل

المكتبة الاسلامية

المغنى لابن قدامة المقدسى

الأستاذ على الجبلاطى

لم يكن لدولة من الدول فى الماضى قانون شامل مثل ما كان للعرب فى القانون الاسلامى فبرغم ماكان لهم من مدنية ممتازة وحضارة راقية نرى فقهاءهم قد طبقوا القوانين الاسلامية فى كل ماكان لحياتهم الاجتماعية فى تلك الحضارة الرفيعة من الحاجات والمطالب وهم الذين كانوا قضاة تلك الدول وحكامها حتى تهيأ لهم من أقضيتهم فى المحاكم تراث عظيم من الاشباه والنظائر وتناولوا بالدراسة والتحقيق كل شعبة من شعب القانون تقريبا وان كل من استقرأ هذه البحوث ونظر فيها نظرة المستبصر لايستطيع الا أن يثنى على جهودهم ويذكر بالتقدير أعمالهم وثقوب فكرهم وعماقة نظرهم ولعل خير ماترك لنا هؤلاء الاسلاف من التراث القانونى بعد مؤلفات الجصاص وأبى بكر العربى والقرطبى رحمهم الله فى أحكام القرآن والتراث الكبير فى شرح كتب الاحاديث . هو التراث الثالث من أمهات الكتب فى الفقه على غير مذهب واحد ويجدر بالذكر منها على الاخص :

فى الفقه الحنفى : المبسوط وشرح السير الكبير للامام السرخسى وبدائع الصنائع للكاسانى وفتح القدير مع الهداية لابن همام والفتاوى العالمكيرية .

وفى الفقه الشافعى : كتاب الام وشرح المهذب ومفتى المحتاج .

وفى الفقه الحنبلى : المغنى لابن قدامة وهو موضوع مقالنا . وفى الفقه الظاهرى : المحلى لابن حزم . وفى الفقه على المذاهب الاربعة : بداية المجتهد لابن رشد وكتاب الفقه على المذاهب الاربعة رتبه علماؤنا فى مصر والاجزاء المتعلقة بالمسائل القانونية من زاد المعاد لابن القيم وفى المسائل المخصوصة : كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف وكتاب الخراج ليحيى بن آدم وكتاب الاموال لابى عبيد القاسم وأحكام الوقف لهلال بن يحيى وأحكام المواريث لدمياطى فاذا تركنا ذلك الى الكتب المهمة فى أصول التشريع وحكمته وجدنا هناك كتابا حجة يمكن ذكرها فى هذا الموضوع مثل أصول الاحكام لابن حزم والاحكام لاصول الاحكام للعلامة الامدى وأصول الفقه للخضرى والموافقات للشاطبى وأعلام الموقعين لابن القيم وحجة الله البالغة للشاه ولى الله الدهلوى .

وهنا نعود لموضوع مقالنا وهو كتاب (المغنى فى شرح متن الخرقى) وهو من تأليف الامام شيخ الاسلام موفق الدين أبو محمد . عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسى ثم الدمشقى الصالحى وقد ولد فى شعبان عام واحد وأربعين وخمسمائة هجرية بجماعيل بالقرب من نابلس بفلسطين وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين فقرأ القرآن وحفظ مختصر الخرقى وقد سمع من كثرة من العلماء الاعلام فى بغداد وسمع بمكة من المبارك بن الطباخ وقرأ عليه (متن الخرقى) ثم رجع الى دمشق ثم عاد الى بغداد وهكذا اخذ يتنقل بين هذه الامصار وهى مفتحة الابواب تتلقاه بالاجلال وفى دمشق سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة اشتغل بتصنيف كتاب (المغنى فى شرح الخرقى) فبلغ الغاية فى اتمامه وهو كتاب بليغ فى مذهب الحنابلة بلغ عشر مجلدات بخطه وسهر عليه وعانى الكثير حتى بلغ غايته حيث أجمل فيه المذهب وقرأ عليه جماعة وانتفع بعلم طائفة كثيرة وقد نشأ على سمت أبيه وأخيه فى الخير والعبادة وقد ترجم له سبط ابن الحوزى وقال فيما قاله عنه أنمن رآه كأنما رأى بعض الصحابة وقد شاهدت من الشيخ ابى عمر وأخيه الموفق ونسيبه العماد مانرويه عن الصحابة والاولياء . وقال ابن النجار فيما قاله عنه انه شيخ الحنابلة وأنه ثقه حجة صنف التصانيف النفيسة فى المذهب وقصدة التلامذة والاصحاب وسار اسمه فى البلاد وقال عنه الحافظ عمر بن الحاجب فى معجمة هو أمام الائمة ومفتى الامة أخذ بمجامع الحقائق العقلية والنقلية فأما الحديث فهو سابق فرسانه وأما الفقه هو فارس ميدانه أعرف الناس بالفتيا كان مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين واهل الخير وقال عنه الضياء فيما قاله عنه : **كان رحمه الله اماما فى القرآن وتفسيره اماما فى علم الحديث ومشكلاته اماما فى الفقه أوحد زمانه فيه اماما فى علم الخلاف اماما فى أصول الفقه اماما فى النحو اماما فى الحساب اماما فى الفلك .**

وهكذا أثنى عليه جلة العلماء مما يضيق المجال عن ذكرهم وما قالوه فى تمجيده ولقد قدمت هذه الترجمة العابرة لسيد العلماء امام أهل السنة موفق الدين ابن قدامة المقدسى لادل على منزلته السامقة ولتكون مقدمة لحديث عن كتابه القيم [المغنى] ذلك التراث الفقهى الذى تنوء به المجامع فى هذا العصر وأوثر أن أبدأ بما قاله الامام فى مقدمة كتابه مما يوضح المنهاج الذى سلكه فى هذه الخيرة الفقهية فقد ذكر بعد كلام كثير وقد جعل الله فى سلف هذه الامة أئمة من الاعلام مهد بهم قواعد الاسلام وأوضح بهم مشكلات

الاحكام، اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة ثم اختص منهم نفرا أعلى قدرهم ومناصبهم وأبقى ذكرهم ومذاهبهم فعلى أقوالهم مدار الاحكام وبمذاهبهم يفتى فقهاء الاسلام وكان امامهم أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه من أوفاهم فضيلة وأقربهم الى الله وسيلة وأتبعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمهم وأزهدهم فى الدنيا وأطوعهم لربه فلذلك وقع اختيارنا على مذهبه وقد أحببت أن أشرح مذهبه واختياره ليعلم ذلك من اقتفى آثاره وأبين فى كثير من المسائل ما اختلف فيه مما أجمع عليه وأذكر لكل امام ماذهب اليه تبركا بهم وتعريفا لمذاهبهم وأشير الى دليل بعض أقوالهم على سبيل الاختصار والاقتصار من ذلك على المختار **وأعزو ما امكننى عزوه من الاخبار الى كتب الائمة من** علماء الآثار لتحصل الثقة بمدلولها والتميز بين صحيحها ومعلولها فيعتمد على معروفها ويعرض عن مجهولها ثم بنيت ذلك على شرح مختصر أبى القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى رحمه الله لكونه كتابا مباركا نافعا ومختصرا موجزا جامعا ونجعل الشرح مرتبا على مسائله وأبوابه ونبدأ فى كل مسألة بشرحها وتبيينها وما دلت عليه بمنطوقها ومفهومها ومضمونها ثم نتبع ذلك مايشابهها مما ليس بمذكور فى الكتاب فتحصل المسائل كتراجم الابواب •

ولعل فيما قدمته من كلام الشيخ ابن قدامة رضى الله عنه وفيما قاله عنه سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله اذ فضل هذا الكتاب المغنى على غيره من كتب الفقه الاسلامى •

والامام العز بن عبد السلام هو من هو ممن وصلوا الى رتبة الاجتهاد المطلق وقيمة شهادته هذه فى الكتاب وهو لا يقول الا الحق كان لكل ماقدمت أثره فى تبيان ماقصدت اليه فى عرض هذا الكتاب الذى ألف صاحبه عدة كتب فى فقه الحنابلة ولكنه أراد أن يكون كتابه؟ المغنى فى فقه المسلمين كافة فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المشهورين كالائمة المتبوعين ويحكى أدلة كل منهم واذا رجح مذهب الحنابلة فى كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم ولا يحمله التعصب على كتمان شىء من أدلتهم ولا على تكلف الطعن فيها كما كان يفعل أبو محمد بن حزم امام الظاهرية فى كتابه (المحلى) وكما كان يفعل غيره من اهل الجمود من المقلدين فالمزية الاولى لكتاب (المغنى) أنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها فى أمهات الاحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج الى الوقوف عليه منها وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الاجماع والخلاف على أن المصنفات التى تتوسع فى رواية هذه الآثار لم تطبع ونسخها الخطية قليلة الوجود كمصنفات عبد الرازق والاثرم وابن المنذر •

ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة والخلاف منها ما لا تذكر فيه الادلة ومنها مايذكر فيها مايؤيد مذاهب مصنفيها ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو لضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الاحاديث التى لا توافق مذهب المؤلف وان كانت صحيحة أو حسنة ان أمكن ، وتقوية الاحاديث التى توافقه وان كانت ضعيفة أو السكوت عن نقل الطعن فيها وصاحب [المغنى] لايتعمد مثل هذا فهو يرجح مايعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة ولا يتكلف الطعن فى أدلة من خالفهم كما أسلفنا ولولا هذا وذلك لما فضله [ابن عبدالسلام] على كتب الشافعية وكان هو من أجل علماء الشافعية وهى التى يشهد لها من لم يعرف من مزايا تحريرها مايعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر المذاهب فى دقة التحرير والاستدلال والجزم بالصحيح من الاقوال وكان يعتمد على مراجعته فى الفتوى اذ صار يفتى بالدليل ويسلك سبيل الاجتهاد •
وان من اطلع على أقوال الائمة من الاسلاف وعلماء الامصار أصحاب المذاهب المختلفة وأدلتهم عليها بالطريقة التى جرى عليها صاحب (المغنى) من احترام الجميع وتقديم الاقدم فى التاريخ على غيره فى الذكر غالبا يكون جديرا باحترام جميع العلماء وجميع المذاهب وعدم جعل المسائل الخلافية سببا للتفرق أو التعادى بين المسلمين ولا التفاضل المفضى الى ذلك فان المقلد لاى واحد منهم ينبغى أن يقتدى به فى سيرته وهديه والامام شيخ الاسلام ابن قدامة حين يعرض للقضايا الفقهية لا يقيده باتباع المذهب الا قوة الدليل فلو كان الدليل فى غير مذهب الحنابلة فهو يدور مع الدليل حيثما دار ولذا كثيرا ما يذكر رأيه بعنوان (ولنا) ويكون فى ذلك ماينفرد به هو ولو كان مخالفا لمذهب الامام أحمد كل ذلك فى أسلوب مطوع ليس فيه تعقيد بعض الفقهاء ونختار لذلك نموذجا موجزا من الكتاب نكتفى بتلخيصه : وردت روايتان عن الامام أحمد فيمن يقتل مسلما فى دار الحرب ويكون قاتله مسلما وهو لا يعلم أمره الاولى أن عليه كفارة ولا تجب فيه دية ... والثانية أن عليه الكفارة والدية وبهذا قال مالك والشافعى ولكن ابن قدامة اعتمد على قول الله تعالى (وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) واتخذ من هذا دليلا على أن من يقتل فى دار الحرب من المسلمين حكمه يختلف عمن يقتل فى دار الاسلام وبهذا رجح ابن قدامة القول الذى يخالف أكثر فقهاء المسلمين وفيهم أحمد بن حنبل فى احدى الروايتين لاقتناعه بالدليل من مفهوم الاية الكريمة وأخيرا فاننا أمام موسوعة ذاخرة وكنز نفيس من الفقه المقارن المعتمد على الدليل مع التوسع فى عرض قضاياه حتى استحق مؤلفه الامام أن ينعت بشيخ الاسلام وسيد العلماء وامام أهل السنة وبقية السلف ومفتى الامة رضى الله عنه وأرضاه كما اختاره لنصر دينه وارتضاه

شركة اسطوانات صوت القاهرة

تقدم

المصحف المجوّد

مسجلا على اسطوانات ٣٣ لفة
بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد

مجموعة كبيرة من اسطوانات القرآن المجود

لأحب الاصوات التي تسبح بآيات الله البينات

- الشيخ محمد رفعت
- الشيخ محمود خليل الحصري
- الشيخ محمد صديق المنشاوي
- الشيخ محمد النادي

أسماء الله الحسنى

أداء

- النقشبندي
- الفيومي
- الفحام
- رمضان وبدر

أرق الألحان وأعذب الأغاني الدينية

تباع بمعارض شاهر رستم بك وجميع محلات بيع الاسطوانات بمصر والخارج
وكلاء الشرق : شارع بشارة الخوري بناية طرازي ص.ب ٢٥٩٤ بيروت لبنان
وسعد خالد العبد الشريعان ص.ب ١٥٦ الكويت

مع الله في السماء

تأليف الدكتور : أحمد زكى

عرض وتقديم : رجائى عطية

سعى الانسان ولا يزال يسعى منذ بدء الخليقة الى البحث عن الله سبحانه وتعالى .. وتشعبت بالناس المسالك فى هذا الباب .. منهم من ضل ، ومنهم من هدى ، ومنهم من لايزال على بحثه حائرا بين الشك واليقين ..

وقد مر تاريخ الانسان فى أطوار العقيدة الالهية بمراحل متتالية الى أن اهتدى قلب المهتدين وعقلهم الى الرب الواحد الاحد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ..

عرف الانسان فى تاريخه الاول اربابا عده ، فكانت القبائل الاولى تتخذ لنفسها اربابا تعد بالعشرات ، وأحيانا بالمئات ..

وميز الانسان فى الطور التالى أحد آلهته التى يعبدها ورجحها على سائر الارباب التى بقى يؤلهها جميعا على كثرتها ..

واجتمعت بعض الامم فى الطور الثالث على عبادة واحدة تؤلف بين أفراد الامة مع تعدد الارباب قبل أن تعرف التوحيد وتثوب اليه ..

وقد كان التوحيد هو نهاية تلك الاطوار كافة .. بدأ الانسان يهتدى اليه مع بزوغ الاديان الكتابية .. ثم كان يقينه الاعظم فى رحاب الاسلام الذى بلغ بالتوحيد غاية مرتقاه ، وهدى الناس .. كل الناس الذين اتجهوا اليه .. الى الاله الاحد الذى خلق السموات والارض من العدم ، ووسعت قدرته كل شىء ، الصمد الذى لاشريك له .. المنزه عن مشابهة المخلوقين .. السميع البصير المحيط بكل شىء .. سبحانه لاتدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ..

فالاسلام أول دين تمم فكرة الالهية وصححها مما عرض لها فى أطوار الديانات الغابرة : ولم تتكرر البراهين على اثبات وجود الله سبحانه وتعالى فى كتاب من كتب الاديان المنزلة كما تكررت فى القرآن الكريم ، فقد كان يخاطب العقل ليقنع المخالفين بالحجة التى تقبلها العقول الانسانية .. فجاء بكل دليل من الادلة التى تثبت وجود الله عز وجل ، وجعل الهدى منه سبحانه وتعالى ، ولكن عن طريق العقل والالهام بالصواب.

لذلك فقد أمرنا سبحانه وتعالى بالنظر فى خلقه والتأمل فى كائناته ، واستعمال العقل فى النفوذ الى مايمكن النفوذ اليه من دقائق الكون .. وآيات القرآن الكريم التى تحض على التفكير السليم والنظر الصحيح الى ايات خلق الله ، وسيلة من وسائل الايمان به ، عديدة واضحة ..

يقول سبحانه وتعالى :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار . »

« كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » .

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الا بالحق وأجل مسمى » .

وهذه هى فضيلة الاسلام الكبرى .. أعنى الجماعة الاسلامية فى باب الاعتقاد ، ولم يصدها عن سبيل المعرفة ، بل جعل الايمان بالعقل مطلبا يجب على المؤمن أن يسعى اليه بالنظر والتفكير والتأمل ، فخير الايمان مانبع من القلب والعقل، لاغناء فى أحدهما عن الاخر .

●●●

وكتاب « مع الله .. فى السماء » محاولة جادة قيمة على هذا الطريق ، أرشد فيه مؤلفه الكبير الفنى عن التعريف الى الايمان بالله ووحدانيته عن طريق المعرفة والنظر فى مخلوقاته وكائناته .. فالكتاب ليس كتابا فى الفلك أو الطبيعة أو الكيمياء ، بل هو كتاب نظر .. وتأمل .. وايمان .. ينتفع به الموحدون ، ولعل انتفاع غير الموحدين به أعم واشمل .

فقد رزق الدكتور أحمد زكى — كما يقول فى مقدمة الكتاب — نفسا حساسة سآله ، تسعى دائما الى المعرفة وكشف المجهول .. واجتمعت له على ذلك ذخيرة العلم وخبرة الحياة ، فخرج من بحثه وتأمله بما يحسب — ونحسب معه — انه حقيقة الحياة الكبرى : « تلك هى وحدة شاملة تجرى فى هذه الخلائق جميعا .. آمن بها الكاتب ايمانه بوجوده : وايمانه بوجود الناس أجمعين » .

والايمان بالوجود — كما يقول — أول ايمان .

وهذه الوحدة وحدة من وحدة الله تبارك وتعالى ..

●●●

وقد جعل المؤلف من الكون أجمع موضوعا لبحثه القيم ، وفيه سعى الى ادراك غايتين ، وقد وفقه الله اليهما خير توفيق ، تكمن الغاية الاولى فى معرفة مافى أشياء هذا الكون العظيم من تنظيم وتنسيق يبرهن على أن وراءها عقل منظم منسق مدبر . وتتحصل الغاية الثانية فى ادراك مافى هذا النظام وذاك النسق من جريان على أسلوب واحد يؤكد أن ذلك العقل المنظم المنسق المدبر ، فى هذا الكون ، واحد .

ومن خلال وحدة هذا الوجود يبدو وجود الله ووحدانيته سبحانه وتعالى ..

●●●

ما السماء ؟

سؤال يوجهه المؤلف لنفسه بعد مبحثين عن هدف الحياة ، وفضل عبادة العلم والمعرفة عن عبادة الجهالة ..

ليست السماء ذلك الذى فوقنا فى عرف العامة والبسطاء ، وليست السماء ذلك الفراغ الذى يحيط بالارض ، انما السماء هى كل هذا الوجود .. بأرضه ، واجرامه ، وكواكبه .. وهذا الكون هو هدف هذه الدراسة وموضوعها .. وهو على اختلاف اشيائه وتباعدها شىء واحد .. أبدعه مبدع واحد ، واجراه مجر واحد ، ونسق بين سننه منسق واحد .. والبك الدليل يجرى تلو الدليل على صفحات الكتاب ..

الكرة السماوية قبة بالنجوم تدور .. وليس الشمس والقمر هما وحدهما اللذان يدوران فى قبة السماء .. فكذلك كل نجوم السماء ، كما أن قبة السماء برمتها وبما فيها من النجوم تدور .. وفى ذات الاتجاه أيضا ..

والارض كذلك كرة تدور حول نفسها .. واذا كان الانسان قد فطن الى كروية الارض من زمان بعيد ، فانه لم يفطن الى دورانها الا فى عصر قريب .

والارض فضلا عن دورانها حول نفسها .. تدور حول الشمس، وقد أثبتت التجارب الفلكية التى بينها المؤلف فى تبسيط رائع حقيقة

ذلك الدوران : كما اثبتت دوران المريخ وغيره من الكواكب السيارة حول الشمس .

وللشمس أسرة ، من أولادها الارض .. ومن أولادها عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، وكلها تدور حول الشمس ، ومن هنا تسميتها بالسيارة .

وأسرة الشمس ، على عظمتها وخطرها ، لبنى الانسان بالذات ، أسرة صغيرة ضئيلة بالقياس الى مايسكن السماء من أجرام وكواكب .

والكواكب السيارة ، أسرة الشمس ، جاءت جميعا من أصل واحد ، أو من أصول مشتركة واحدة ، وتحكمها فضلا عن ذلك قوانين واحدة .. فالحركة ، وهى أظهر شىء فى الكواكب بالنسبة لساكن الارض ، يحكمها حكم واحد .. تهيمن عليهاجميعا قواعد واحدة ، فتجعل حركاتها أشباها .

●●●

ولبيان هذه الفكرة يتخذ المؤلف من الارض نموذجا يدرسه ، ثم يلم بعد ذلك الماما بسائر الكواكب ،ليخرج فى النهايةبالدليل على أن لها حالا كحال الارض .. فهى اذن الارادة الواحدة ، والمشيئة الواحدة .

فالارض كرة حقا ، ولكنها ليست كرة تماما ..

والارض تدور حول الشمس فى مدار شبه دائرى ، ولكنه ليس دائرى تماما .. انما هو مدار بيضاوى ، اتخذته أيضا مدارات الكواكب السيارة .. الشمس مستقرة فى احدى بؤرتيه ..

وليس شكل الارض ولا مدارها البيضاوى بالامر المعفوى .. وانما ذلك نتيجة لازمة لقوانين الحركة وقانون الجاذبية ، فتلك القوانين التى عملت فى الارض — فى شكلها ومدارها — هى التى قعدت بالشكل عن أن يكون كرة كاملة ، بالمدار عن أن يكون دائرة كاملة .. وهذه القوانين هى أظهر شىء يعمل فى السماء ..

■■■

قوانين الحركة وقانون الجاذبية .

عرف الناس من قديم ان الشىء الساكن يظل ساكنا أبدا .. الا أن تفعل فيه قوة تحركه ، وفى هذا أصابوا ..

وظنوا أن الشىء المتحرك اذا ظل على تحركه ، فمعنى ذلك أن هناك قوة دائمة تدفعه ، وفى هذا اخطأوا .

وصواب الامر فى ذلك كما أكد العلم وتجاربه أن الجسم الساكن ساكن أبدا الا ان تتدخل قوة تحركه، والجسم المتحرك متحرك أبدا وبنفس سرعته ، الا أن تتدخل قوة تؤثر فى حركته سلبا وايجابا .

فالقوة هى العامل الذى يعطى الحركة ، ويعطى السرعة ، وماظنه الناس قديما من أن سبب توقف الاجسام المتحركة يرجع الى افتقادها الى قوة دائمة تحركها ، انما هو وهم اهتدى الانسان بعد ذلك الى الصواب فيه ، وعرف أن توقف الاجسام المتحركة انما يرجع الى تدخل قوة أو قوى أخرى مضادة كقوة الاحتكاك أو مقاومة الهواء أو غير ذلك ، وقد توصل الانسان فى سعيه الى التغلب على مقاومة الاحتكاك الى اختراع العجلة ليجعل الاحتكاك فى نقطة ..

ولان الارض ليس لها شىء تدور عليه ، ولا يقاومها هواء يفنى من حركتها .. فهى تدور بهوائها .. من أجل ذلك دارت الكرة الارضية ، وبقيت تدور .

وبقاء الجسم المتحرك على تحركه وبنفس سرعته مشروط بان يكون تحركه فى اتجاه واحد ، أى فى خط مستقيم .. أما الجسم الذى يتغير اتجاه حركته فان ذلك يعنى ان وراءه أو أمامه قوة تغير من سرعته بالزيادة أو النقصان .. فانك اذا دفعت جسما متحركا الى الشمال بقوة جديدة متجهة الى الغرب ، فان محصلة القوتين ستحرك الجسم فى اتجاه بين الغرب والشمال .

والخلاصة التى أثبتها العلم وتجاربه فى هذا الباب أن الجسم الذى يدور بسرعة منتظمة فى دائرة ، لايبقى فى مداره الدائرى الا اذا ظلت تعمل فيه قوة متجهة دائما من هذا الجسم الى مركز الدائرة ..

كيف تدور الارض اذن دورانها هذا المستمر حول الشمس ، وما هى القوة الدافعة المستمرة لها على طول الزمان وامتداد العصور ؟

... انها قوة الجاذبية .. جاذبية الارض والشمس .. تلك القوة التى تجذب كل منهما للاخرى ، وهى قوة لابد قائمة دائما ما بقيت الارض تدور حول الشمس .

وهناك جملة قوانين فى باب الفلك والقوة والجاذبية والحركة وما يتشعب عنها ، توصل اليها علماء عظام ، آخرهم اسحق نيوتن وانيشتين .. وهذه القوانين التى توصلوا اليها صيغت فى السماء أكثر مما صيغت فى الارض .. جاءت براهينها من السماء ، ولم يكتف العلماء بهذه البراهين اثباتا لهذه القوانين ، بل وضعوها موضع التجربة ، واتخذوها اساسا على الورق لحساب حركة الاجرام ، وخرجوا من حسابهم بنتائج ، ذهبوا بها الى المراصد يرصدون ويتأكدون : أأصابت أم أخطأت ، فوجدوها تصيب دائما .

ولهذا تمكن الفلكيون من التنبؤ بحركات اجرام السماء لاعوام بل ولقرون قادمة : وقد وقع ولايزال يقع ما تنبأوا ويتنبأون به ، فيكون هذا دليلا لايداخله شك ولاتزعزعه ريبة فى صحة هـذه القوانين وصوابها .

وقوة الجاذبية هى التى تمسك أجرام السماء بعضها بعضا ، ولولاها لانفرط نظامها ، ومدبر هذا الكون العظيم لم يقدر لها انفراطا ، ولهذا سن لها قانونا .. قانون المدبر الاعظم ،والاوحد واذا أنت طلبت برهانا على وحدة هذا الوجود كله ، وانتظامه فى سلك واحد ، لكان أول البراهين فى هذا الباب قانون التجاذب الذى يعمل فى صمت فى الارض وفى السماء ..

لماذا الارض كرة تدور على نفسها تفرطح قطباها ، وما نتائج ذلك ؟

سؤال آخر يطرحه المؤلف فى صدر الباب السابع من الكتاب ، ويجيب عليه فى براعة فى متناول كل قارىء ..

أول ما يجب معرفته فى طريق الاجابة على السؤال المطروح أن كل جسم يدور حول مركز يكتسب قوة تدفعه للخارج ، بعيدا عن هذا المركز ، وتعرف هذه القوة بالقوة المركزية الطاردة .. وهذه الحقيقة تبرز تفسير الشكل البيضاوى للارض ..

السبب فى ذلك أن الارض تدور ،فتفعل فيها القوة المركزية الطاردة ما تفعله فى كل جسم يدور ، صحيح أن الارض اليوم جامدة تقاوم التغيير فى شكلها ، ولكنها فى الزمان الغابر كانت أكثر ليونة ، وأكثر تقبلا للتشكيل والتغيير الذى يحدثه دورانها ..

ونتائج تفرطح الارض ودورانها كثيرة وخطيرة ..

منها أولا أن الاشياء تزن عند القطبين أكثر مما تزن عند خط الاستواء ..

منها ثانيا انه لولا دوران الارض حول نفسها لفرغت البحار والمحيطات من مياهها ، باتجاهها من المناطق الاقل جاذبية الى الاخرى الاكثر جاذبية عند القطبين ، لولا القوة المركزية الطاردة الناجمة عن دوران الارض حول نفسها .

ومنها ثالثا أن دوران الارض يوجه الرياح ..

ومنها رابعا انه لو زادت سرعة الارض عما هى عليه لتناثرت الارض وما عليها فى الفضاء ، ولو ابطأت عما هى عليه لهلك الناس وسائر المخلوقات من الحر والبرد .

وهناك نتائج اخرى عديدة وخطيرة أيضا تؤكد الموافقة فى تنظيم الكون بين الحياة كما نعرفها ، وبين صفات وطبائع مانسميه بالكون الجامد الذى لاحياة فيه ..

وليست هذه باى حال هى الموافقة الوحيدة التى تتطلبها الحياة كما نعرفها على هذه الارض ، بل هناك من الموافقات الاخرى مالايمكن للحياة أن تسير بدونه ، واجتماعها جميعا — وقد اجتمعت — لايمكن أن يكون بغير تدبير وتوجيه وتنسيق ، يقف وراءهم عقل واحد ..

ومن دلائل الاعجاز فى خلق الارض وتهيئتها لاسباب الحياة ميل محورها على المدار الذى تدور فيه حول الشمس ، ولولا هـذا الميل لما عرفت الارض فصولا ، ولا كان فيها شتاء ولاصيف ، ولاربيع ولا خريف ، لان بعد أى بقعة من سطح الارض عن الشمس سيظل هو هو طول العام ، والاعوام التالية . وكذلك ستظل الزاوية التى تضرب بها اشعة الشمس أى بقعة من سطح الارض هى هى طول العام ، والاعوام التالية .

جوف الارض من نار ، بلا نور ..

لمعرفة ما فى جوف الارض لابد — كما يقول المؤلف فى الباب التاسع من الكتاب من الدخول اليه لنرى ما فيه .. ليس بالضرورة

بالمشاهدة ، وانما يكفى فيه الاستنتاج المبنى على العلم الصحيح .

وقد دلت الحفريات التى أجريت فى الارض ، علىقدر أعماقها بالقياس الى طبقات الارض ، دلت على أن الحرارة ترتفع كظاهرة عامة كلما تعمقنا فى الارض ، وقد أمكن عن طريق المعدل حساب حرارة الارض على عمق ٥٠ كيلومترا ، فوجد انها تتراوح بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ درجة مئوية .. وهى درجة انصهار الصخر .

ومعنى ذلك أن الكرة الارضية تتكون من قشرة كروية جامدة سمكها نحو ٥٠ كيلومترا ، تحتها لب الارض السائل الذى يتكون من نار حامية من صخر مصهور .. بيد أن هذا القلب السائل الذى يتكون غالبا من المعادن الثقيلة يتحول فى الاعماق السحيقة الى صلابة الفولاذ بحكم قوة الضغوط العالية فى هذه الاعماق .

أما القشرة الرقيقة التى عليها نحيا ويحيا عليها كل حيوان وينبت نبات ، فهى الاخرى فى حركة وتغيير دائمين .. يهتز موج البحر فيؤثر فيها ، ويتبخر ماؤه بفعل الشمس ، فيصعد فى السماء سحبا تمطر بعد حين ماءا عذبافراتا ، ينحدر الى الارض فى سيول وانهار وتحدث هى الاخرى تغييراتها .. ويتبدل وجه الارض على مر الازمنة والعصور ، بفعل هذا وغيره من رياح وحرارة وبرودة ، وبفعل ما يتفجر من أعماق الارض من براكين .

وعلى سطح هذه الارض نجد انواعا كثيرة من الصخور ، صخورا نارية كالبازلت والجرانيت ، وصورا راسبة أو مترسبة كالحجر الجيرى والرمل والصلصال .. وأنواع أخرى .. منها ما ينفع فى بناء المساكن ، ومنها ما ينفع فى استخراج المعادن ، ومنها ما ترسبت منه تربة الارض الهشة اللينة التى لولاها لما نبت نبات ولاعاش بالتالى انسان أو حيوان ..

والعناصر التى تتالف منها الارض ترد كلها ، مع مواد الكون جميعا ، الى عناصر وأصول واحدة كما سياتى . فالارض بعض الكون ، وليس أظهر فى وحدة الاشياء من وحدة تركيبها فى الارض وفى السماء ..

جو الارض بحر من هواء نعيش فيه ..

تلف الارض بقشرتها وصخرها ومائها طبقة من الهواء ، سميكة كالبحر ، لها أعماق تعيش فيها الخلائق جميعا من انسان وحيوان ونبات ... من اكسجين الهواء تستمد انفاسنا ، ومن كربونه يبنى النبات جسمه .. وفى النبات حياة الانسان والحيوان

ولولا النتروجين الذى يخفف من الاكسجين لاحترقنا بانفاسنا ، ولولا ضغط الهواء لخرج الماء من أجسامنا ، ولفسدت دماؤنا .

ولذلك فالانسان — مع كراهيته للقيود — مقيد لصالحه بالارض .. فعليها أسباب حياته ، ومن هنا تبدو حكمة جاذبية الارض التى تربط اليها الخلائق جميعا .

ولنا أن نعرف أنه لولا الغلاف الهوائى المحيط بالارض ، والذى به تمر الاشعة الشمسية قبل وصولها الينا ، لما كان هناك شفق ، ولفاجانا شروق الشمس أو غروبها بضياء أو ظلام مباغتين بلا تمهيد يسبقهما .. وانه لولا هذا الهواء لرأيناالنجوم نهارا ، نقاطا من ضياء فى صحيفة من السماء سوداء ، ورأينا الشمس على هذه الصحيفة السوداء قرصا أبيض ، لاأكثر .

والحديث عن الجو الهوائى للارض — كغيره مما تحدث المؤلف عنه — ليس مقصودا فى هذا الكتاب لذاته ، وانما لمقارنة مافى الارض بباقى الكواكب السيارة ، زحفا الى الهدف الاول ، وهو ايضاح مافى هذا الكون من توحيد .

●●●

أما القمر .. فهو بحسب مايدلنا عليه العلم قطعة اقتطعت من الارض وهى لاتزال فى القديم الساحق على ميوعتها .. اقتطعته الشمس حين جذبت اليها طرفا من الارض ، ظل يبرز ويبرز ، حتى انفصل عنها : واتخذ لنفسه مدارا كمدارها حول الشمس .

والقمر على مايقول العلماء كثير الشبه بامه الارض ، وهو ان اختلف عنها فى بعض الاشياء ، فلاسباب يعرفها العلماء ويتحدثون عنها .. منها صغر جاذبيته بالقياس الى جاذبيةالارض .. ويبقى بعد ذلك بينهما كثير من أوجه التوافق والتشابه .

فالقمر — كالارض — يدور حول نفسه ، ويدور حول الارض . وهو يتبع أمه فى دورانها حول الشمس . ومدار القمر كمدار الارض ، ليس دائرة تماما ، وانما هو مداربيضاوى تحتل الارض احدى بؤرتيه .

والارض والقمر كلاهما يدور فى مداره من غرب الى شرق ، وهى قاعدة هذا الوجود ، فلنذكرها عندما نقرأ قصة الاجرام الاخرى ، لنعرف ماللهذا الكون من وحدة فى اصوله وسننه على تعدد المخلوقات فيه .

●●●

عرف الانسان منذ أمد خمسة كواكب سيارة غير الارض .. عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، وكشف منذ القرن الثامن عشر عن ثلاثة كواكب أخر ، هى أورانس ونبتون وبلوتا .. سماها كلها بالسيارة تمييزا لها عن النجوم التى ظن فى ذلك الاوان أنها ثوابت ، لاتدور ولاتتحرك .

وللكواكب السيارة جميعا مدارات بيضاوية كمدارات الارض .. تقع الشمس فى احدى مركزيها كما تقع فى احد مركزى مدار الارض .. وهى كذلك تدور حول نفسها ، وفى ذات اتجاه دوران الارض ، من الغرب الى الشرق ..

كذلك تدور الشمس — ربة هذه الاسرة — حول نفسها ، ومن غرب الى شرق .

أبحكم الصدفة كل هذا التشابه ؟! .. ثم ..

ان لسائر الكواكب السيارة — كالارض — أياما وأعواما ؟ ! وان اختلفت اطوالها عن أيام الارض واعوامها .. وكذلك الاقمار ، تدور فى جملتها حول نفسها وحول كواكبها ومعها حول الشمس ، وهى فى جملتها تدور ايضا من غرب الى شرق ولها على ذلك أيام وأعوام ..

وهناك مظاهر أخرى للتشابه بين سطح الارض وسطوح سائر الكواكب تدل على وحدة فى التنظيم ووحدة فى التصميم ووحدة فى الاصول .. فبعض الكواكب حوله جو كجو الارض ، مع اختلاف فى التكوين او نسبه قليل او كثير ، ومرجع ذلك ليس الى اختلاف فى أصول هذه الكواكب ، وانما الى قانون فى الجاذبية الكونية معروف ، مفاده تناسب قوة الجاذبية مع حجم الكوكب تناسبا طرديا ، ولذلك فقد عجزت صغار الحجم من الكواكب — كعطارد — عن الاحتفاظ بالغلاف الجوى الذى كان لها فى بداية الامر .

ويبقى مع ذلك التشابه فى الاصول .. فالمريخ على سبيل المثال يشبه الارض فى اشياء كثيرة .. جوه قريب من جو الارض .. وسطحه يتشابه كثيرا مع سطح الارض .. ومحوره مائل على مداره ، وله من أجل ذلك ربيع وصيف وخريفوشتاء .. تماما كالارض ، وهو عند أغلب العلماء به نوع من أنواع الحياة .

فالكواكب كلها أشباه ونظائر .. كلها واحدات قائمة سائرة فى نظام واحد سائر .. تاخذها جملة فتجدها واحدة فيما هو أصيل ، وتاخذها فرادى فتختلف يسيرا فى غير ما هو أصيل بل انك تنظر فى الخلاف وتتمعن فيه فتجد أنه بسبب هذه الاصالة الاولى .

انه النسق الذى ينتظم الاجرام جميعا ماتهيات ظروفهواسبابه.

●●●

وقد عبد الناس الشمس فى القديم لانهم وجدوا فيها أسباب الحياة .. فهى مصدر الليل والنهار ، والدفء الذى يلفالارض، وبها تتحول مياه المحيطات الى سحب تعود فتنهمر ماءا عذبا فراتا يمد الانسان والحيوان والزرع بينابيع الحياة . ومن أجل ذلك عبدها القدماء ، أو عبدوا فيها الحياة .

ونحن لانعبدها ، وانما نقدس فيها آية الله الكبرى ..

والشمس على عظمتها وخطرها لبنى الانسان وكل الخلائق التى تعيش على وجه الارض ، لاتعد شيئا يذكر فى هذا الكون الواسع الفسيح .. فهى مجرد نجم كسائر ماترى فى السماء من نجوم ، وضخامتها التى تتراءى لنا ترجع فقط الى قربها منا عن سائر النجوم .

والشمس كرة هائلة من غازات متقدة متوهجة .. وهى كالارض وسائر الكواكب السيارة تدور حول نفسها ، ومن غرب الى شرق : ومحورها — كالارض — يميل على مستوى مدارها .. وأعجب من ذلك كله أن الشمس لاتثبت حيث هى منالسماء، بل تسير ومعها اسرتها فى فضاء الكون الفسيح .

ولكن من أين تأتى الشمس بوقودها على امتداد الزمان ؟
فمنذ أحقاب طويلة والشمس تعطى للارض ، ولا تزال تعطيها هذه الحرارة التى تهيىء فيها أسباب الحياة .. حرارة بمقدار، لايزيد ولاينقص ، وفى الحدود التى يحتاج اليها ويعيش فيها الانسان والحيوان والنبات ..

ولا بد للشمس اذن من مصدر يمدها بحرارة وطاقة مستمرة .. مصدر يمدها ويستمر فى امدادها على النسق الواحد الذى يجرى فى هذا الكون المعظيم .. لايزيد فيحرق ، ولاينقص فيجمد
وجاء العلماء فى هذا الصدد بجملة نظريات ، آخرها وأرجحها أن الشمس قنبلة هيدروجينية هائلة .. بل هى أتون من نار يجرى فيه مثل مايجرى فى ملايين الملايين من القنابل الهيدروجينية، ففى الشمس كل مكونات هذه القنبلة ، وأهمها ذرة الهيدروجين .. أخطر شىء فى الدنيا .. هى التى أعطت النار والنور ، وهى التى دخلت فى تركيب جميع الاجسام والاجرام .. انها اللبنة التى منها بنى هذا الكون المعظيم ..
ومن أخطر الحقائق عن الشمس — أو عن الكون — أن عناصرها والارض واحدة أو تكاد وأنها نجم يتمثل فيها سائر النجوم على تعددها وتباعدها .. والنجوم هى الكون .. ومعنى هذه الحقيقة التى خرج بها المؤلف ان عناصر النجوم ، عناصر الكون ، هى عناصر الارض .. وان هذه الحقيقة لتتضح اكثر وأكثر عند دراسة المذنبات والشهب .. حقيقة ان العناصر التى انبنى منها هذا الكون أجمع هى على اختلافها شىء واحد .

●●●

والمذنبات خشيها الانسان قديما الى أن عرف أنها أشياء تبعد عن الارض بعدا أكبر كثيرا من بعد القمر ، ثم رأى أنها تدور حول الشمس فى قطع مخروطى عظيم الشمس بؤرته ، الى ان اكتشف العالم الفلكى الرياضى الشهير هالى مذنبه الشهير سنة ١٦٨٢ ، فسماه باسمه ، وخرج من دراسته له ورجوعه الى سجلات ظهور المذنبات ، بأن المذنبات التى ظهرت فى السماء فى السنوات ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ ماهى الا مذنب واحد .. تتم دورته حول الشمس كل ٧٦ سنة ، وهو يدور فى مدار بيضاوى كبير التفرطح ، تقع الشمس فى احدى بؤرتيه .. وقد صدق حدس هالى ، فظل هذا المذنب يظهر من هذا التاريخ كل ٧٦ سنة ، كان آخرها سنة ١٩١٠ م .
ومن القدماء من اسمى المذنبات بالنجوم ذات الشعور ، لانها أشبه ما تكون برأس جارية ارسل الريح شعرها فطار وراءها .
وأحجام المذنبات وأطوالها تختلف اختلافا كبيرا .. ومنها مايعود الى الظهور فى مداره البيضاوى ، ومنها مالا يعود .. ولعل ذلك فى بعض الاحوال لطول مدارها ، فلا يراها الراءون غير مرة ..
وقد أثبتت التحليلات العلمية لاطياف مايصل الينا من ضوء المذنبات ان مكوناتها هى هى مكونات الارض او تكاد .
أما الشهب ، أو النيازك ، فهى — أو بعضها — من حطام المذنبات .. أجسام صلبة تجرى بسرعة هائلة فى السماء ، ماتكاد تدخل الغلاف الجوى للارض حتى تتقد وتحترق راسمة وراءها خطا من نور ، ويغلب أن تفنى قبل وصولها للارض ، أو يصل منها الشىء اليسير .
والشهاب هو الشىء الوحيد الذى يصلنا ونلمسه بايدينا فى السماء .. ومن تحليل مايصل منه تعرف العلماء على كثير من أمر مافى السماء من أجرام وكواكب ، وتأكدوا أن عناصر المذنبات والشهب هى نفس عناصر الارض وباقى الكواكب السيارة فى الاسرة الشمسية .. وفى هذا ولاشك معنى البناء الواحد من الاصول الواحدة .. خطوة فى طريق اثبات الوحدة الكاملة الشاملة لهذا الكون .

●●●

عود على بدء

الشمس نجم من النجوم ، عرفنا أنه يدور .. بيد أن الاستدلال على دوران النجوم حول نفسها كما تدور الشمس كان أعسر .. الا أن العلم لايقف فى سبيله حائل ، وقد توصل العلماء بوسائلهم الى الاستدلال على أن النجوم تدور حول نفسها كما تدور الشمس النجوم اذن ليست ثوابت كما شاع فى الاذهان .. فهى تتحرك كما تتحرك الشمس ، وكما تتحرك الارض وسائر الكواكب
وليست النجوم والشمس والكواكب والمذنبات والشهب هى فقط التى تدور فى هذا الكون المعظيم .. فالمجرة ، أو سكة التبانة ، وهى قرص مفرطح عظيم يضم المجموعة الشمسية وآلافا مؤلفة من النجوم ، وتظهر فى السماء كهالة كبيرة من نور وسط عتمة مظلمة فسيحة .. هذه المجرة — مجرتنا وغيرها مئات الملايين من المجرات فى هذا الفضاء اللانهائى — هى الاخرى تدور .. وفى نفس اتجاه قانون الكون ، من غرب الى شرق .
الحركة اذن هى الصفة العامة ، بل هى احدى الصفات العامة ، التى شملت الكائنات جميعا فى هذا الكون الفسيح.. حتى ما تراءى لنا أنه ساكن فهو — أيضا — فى حركة دائبة مستمرة .. حتى الحجر ، ليس بساكن .. كل ذرة فيه مليئة بالحركة ، الكترونات تدور حول نواة ، كأنها الكواكب تدور حول الشمس .
انها الوحدة فى هذا الكون .
بدأت فى الذرة ، فهى تدور .. وانتهت الى جميع الكائنات — فى دنيانا — فهى الاخرى تدور ماشاءت لها القوة المهيمنة المسيطرة أن تدور .

●●●

لبنات ثلاث منها بنى الكون بانيه ..
انها الالكترون ، والبروتون ، والنيوترون .. مكونات الذرة. وهى تقاس بجزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر ، ووحدة الوزن فيها جزء من مليون مليون مليون مليون جزء من الجرام .
والذرة تتكون من نواة ، من بروتون أو أكثر موجب الشحنة ،أو من بروتون معه نيوترون متعادل الشحنة ، يحيط به أو بهما غلاف من الكترونات سالبة الشحنة تدور حوله أو حولهما .. ماأشبهها فى حركتها — هذه — بالكواكب السيارة تدور حول الشمس ..
ومن هذه اللبنات الثلاث تتكون كافة عناصر الارض ومركباتها .. وعناصر الكواكب والنجوم والمذنبات والشهب هى هى عناصر الارض .. فالكون أجمع يتكون اذن من هذه اللبنات .. الثلاث
ولو انفرط عقد الارض بما فيها من عناصر ومخلوقات ، وكذلك الشمس والكواكب والنجوم ، لنتج عن هذا الانفراط كومات هائلة من الالكترونات والبروتونات والنيوترونات ، فهل فى معانى الوحدة — كما يقول المؤلف — معنى أبلغ من هذا المعنى ؟؟
وفى الوقت الذى ترد فيه المادة على اختلافها الى هذه اللبنات الثلاث ، يرد العلماء « القوى » الى أصل واحد : الضوء ، والحرارة ، والاشعة بانواعها المختلفة .. كلها صور متعددة لقوة واحدة هى القوة المغناطيسية الكهربائية .
المادة ثلاث لبنات ، والقوى موجات متاصلات ..
وقد اثبت اينشتين فى نظريته النسبية ان المادة والقوى شىء سواء .. وأثبتت التجارب ، واخصها انفلاق الذرة صدق دعواه .
واثبت اينشتين كذلك ان القوى المغناطيسيه الكهربائية هى وقوى الجاذبية — تلك التى تربط الكون أجمع — شىء سواء .. فهما فى الاصول ، وفى أعماق الحقيقة الطبيعيه ، متواصلان ..
وهكذا .. كما يوضح الدكتور احمد زكى فى ختام كتابه القيم .. يتحلل المركب ، ويتبسط المعقد ، وتتشاكل الحقائق التى تستتر وراء الظواهر المختلفة وتتشابه ، وتتجمع كلها لتصب فى مجرى واحد .. تلك الوحدة العظمى التى تجرى فى الكون كله .
وان أعظم جائشة من جائشات النفس واجملها لتلك التى تستشعرها النفس الانسانية وهى تقف فى روعة أمام هذا الكون العظيم .. فهى لابد مدركة ان وراءه شيئا هو الحكمة ، أحكم ماتكون ، ولابد مدركة أن وراءه شيئا هو الجمال ، أجمل مايكون ..
وهذا الاحساس بالحكمة والجمال هو جوهر التعبد عند الخلائق .. فذلك هو الايمان العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظر الناظر فى هذا الكون المعجز للافهام .. انه ايمان العقل بجانب ايمان القلب الخاشع المهتدى الى النور الالهى .

بمناسبة

عيد الثورة السابع عشر

تتقدم

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

وشركاتها الـ ٢٥ ممثلة فى عشرة قطاعات تعمل لخدمة ورفاهية المستهلك العربى والخارجى الى شعب الجمهورية العربية المتحدة بأخلص التهانى داعية الله أن يكلأ بعنايته رئيسنا المفدى جمال عبد الناصر وان يحقق لامتنا النصر وطرد العدو الغاصب من ارضنا ونعاهد الله ان نمضى قدما فى زيادة الانتاج وتطويره بما يفوق مثيله فى الخارج

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

وشركاتها

ناصية شارعى عيسى حمدى وسالم سالم بالعجوزة

قطاع السكر

- شركة السكر والتقطير المصرية - القاهرة

قطاع الدخان

شركتا :

- الشرقية للدخان - الجيزة
- النصر للدخان والسجاير - الطالبية

قطاع الزيوت والصابون

شركات :

- الملح والصودا المصرية - اسكندرية
- طنطا للزيوت والصابون - طنطا
- أقطان كفر الزيات - اسكندرية
- القاهرة للزيوت والصابون - القاهرة
- الاسكندرية للزيوت والصابون - اسكندرية
- مصر للزيوت والصابون - القاهرة
- الزيوت المستخلصة ومنتجاتها - اسكندرية
- النيل للزيوت والصابون - بهتيم

قطاع المعلبات

شركتا :

- ادفينا للأغذية المحفوظة - اسكندرية
- النصر للأغذية المحفوظة "قها" - القاهرة

قطاع البسكويت والشيكولاته

شركتا :

- المصرية للأغذية «بسكومصر» السواح
- اسكندرية للحلويات والشيكولاته - الاسكندرية

قطاع الألبان

شركة :

- مصر للألبان والأغذية - السواح

قطاع المياه الغازية والخلاصات

شركات :

- النصر لتعبئة الزجاجات - الدقى
- المصرية لتعبئة الزجاجات - الجيزة
- القاهرة للخلاصات الغذائية والعطرية - الطالبية

قطاع النشا والخميرة والجلوكوز

شركتا :

- المصرية لمنتجات النشا والخميرة - اسكندرية
- المصرية لصناعة النشا والجلوكوز - القاهرة

قطاع التجفيف

شركتا :

- النصر لتجفيف المنتجات الزراعية - القاهرة
- اسكندرية للتجفيف - اسكندرية

العلاقات العامة

من ذخائر السيد عبد الرحيم القنائى فى الأدب القرآنى

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

يوم ٢٤ رمضان عام ٥٨٧ هـ بالرباط بقنا فى الساعة العاشرة مساء ، اجتمع بالناس السيد عبد الرحيم القنائى ، وفيهم كبار العلماء وكبار الصوفية وجمع كبير من المحتفلين بغزوة بدر ، قال السيد عبد الرحيم القنائى :

بسم الله الرحمن الرحيم نعم المولى ونعم النصير هو ربنا عليه نتوكل فى كل أمورنا ونسلم له زمامها ليأخذنا اليه برحمته وعفوه ورضوانه لا بذنوبنا وأعمالنا ، وأن يهيىء لنا ولكم طريقا فيه الخير ويرشدنا الى اعمال حبيبه صلى الله عليه وسلم ، لنأخذ منها ما يفيدنا وينقذنا من الجهالة الى العلم والنور وبعد ..

فى هذه الليلة سوف نتكلم عن غزوة بدر . وقبل ان ندخل فى هذا الموضوع نرى من واجبنا ان نذكر شيئا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، قائد هذه الغزوة والمنتصر فيها باذن الله فنقول :

كان سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله أحسن الناس عامة خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن السوء والفحش والدنس ، وأفضلهم مروءة وأشدهم تواضعا وأقواهم فى الحق وخيرهم جوارا وأوسعهم حلما وسمى بالامين فى صغره ، وأرسله الله رحمة للعالمين وهو ابن أربعين سنة ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس الى عبادة الله تعالى الى ان أتاه الاذن بالهجرة الى المدينة المنورة فمكث بها عشر سنين يدعو الناس الى عبادة الله وحده حتى قهر الكفرة والمشركين ولم يزل داعيا لله حتى نزل قول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . ولحق بالرفيق الاعلى وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقد كان عليه الصلاة والسلام ربعة الى الطول صافى البياض مشربا بحمرة عظيم الرأس حسن الشعر ولم يشب من رأسه ولحيته الا سبع عشرة شعرة واسع الجبين واسع العينين مع حسن فيهما ادعجهما اهدب الاشفار أقنى العرنين ، أى مرتفع الانف سهل الخد واسع الفم منفرج الاسنان كث اللحية مدور الوجه يتلألأ وجهه كليلة البدر عنقه فى صفاء الفضة فيه طول مفرط وكان خاتم النبوة بين كتفيه لكنه الى الايسر أقرب ، عظيم المنكبين عريض الصدر أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين واسع الكف ممتد الاصابع غليظا من غير افراط . بطنه وصدره سواء . ضخم الكراديس [أى عظيم عظم المفاصل] ، فسيح المقدمين منحوس العقب ، أى قليل لحم مؤخر القدم . اذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب ، ومع ذلك كان مشيه بسكينة ووقار ولا يضرب بقدمه الارض . واذا التفت التفت كله وكان خافض الطرف فى حياء جم . نظره الى الارض أقرب من نظره الى السماء . وكان ضحكه تبسما جل نظره الملاحظة اذا تكلم رئى النور يخرج من بين ثناياه ثم نقول نهاية فى وصفه [لم نر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم] .

أما عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فيكفينا قول الله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » أما أولاده صلى الله عليه وسلم . سبعة . ثلاثة ذكور . هم . القاسم وعبد الله . وابراهيم .... وأربع أناث . هن . فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم . وكلهم من السيدة خديجة الا ابراهيم فمن مارية القبطية . وأزواجه صلى الله عليه وسلم . احدى عشرة . هن . خديجة . وعائشة . وحفصة . وزينب . وهند . ومارية . ورملة . وسودة . وميمونة . وصفية . وزينب أم المساكين .

وأعمامه صلى الله عليه وسلم . اثنا عشر . مسلمهم حمزة والعباس . عماته صلى الله عليه سلم . ستة . مؤمناتهن ثلاث صفية وعاتكة وواری . وخدامه صلى الله عليه وسلم مائة وسبعون . منهم . أنس وبلال وجارية وأم أيمن . وأخواله صلى الله عليه وسلم . ثلاثة . هم أسود وعمير وعبد يغوث ماتوا فى الفترة . وخالاته صلى الله عليه وسلم . خالتان . هما فريصة وفاختة ماتتا فى الفترة ... هذه مقدمة قبل التكلم عن غزوة بدر سردنا فيها وصفا لهادينا وحبيبنا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

... الغزوات جميعها فى نظرى هى معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه لم يسبق لنبى ولا لرسول قبله ان أمر ليحارب فى سبيل الله او يحمل سلاحا او ينظم جيشا او يعلم الناس كيف يكون القتال وكيف يكون الجهاد [لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأؤلئك لهم الخيرات واؤلئك هم المفلحون] .

ومدرسة الجهاد لم يكن لها وجود قبل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد قال موسى عليه السلام لربه [قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون] . وقال عيسى عليه السلام لربه [ان تعذبهم فانهم عبادك] . وقد أوجد رسول الله هذه المدرسة بأمر من عند ربه وأدخل فيها عناصر مختلفة ، وكان هو عليه الصلاة والسلام المعلم والمربى وأشرف عليها موجها الى الناس ما ينزل عليه من عند ربه قرآنا عربيا كريما (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) .

وحمل هؤلاء الجنود بين نفوسهم ايمانا بمبدأ الجهاد وكرامة الجهاد وحق الجهاد وشرف الجهاد ثم الشجاعة .

أما مبدأ الجهاد فالايمان به دفاعا عن لا اله الا الله محمد رسول الله كلمة التوحيد التى يجب اقرارها فى الارض حتى تكون هى الكلمة العليا او يموت الناس جميعا .

... اما كرامة الجهاد فلزوم المؤمن للطاعة وسماعه للنصيحة والعمل على تنفيذها بكل أهدافها وأركانها من قائدهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

... اما حق الجهاد فاصرار المجاهد على اعادة وطنه المغصوب وهو مكة المكرمة وتحريره من ربقة العبودية لغير الله واعلاء كلمة الله فوقه وتطهيره من كل رجس وكفر وعناد وعصبية ونشر كلمة الحق التى جاء بها نبينا هاديا ومبشرا ونذيرا ليكون الدين كله لله ولتكون الحقوق كلها بين يدى اصحابها .

... اما شرف الجهاد فايمان المرء بأن الجهاد فى سبيل الله هو أعلى منزلة يتحلى بها المسلم المؤمن والمقاتل الذى يقتل فى سبيل الله هو فى صف الانبياء والمرسلين يوم القيامة بل أحياء عند ربهم يرزقون [الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله] .

... اما الشجاعة فهى القوة التى تدفع بالانسان لان يعمل ما قد يصيبه من الضرر ولكنه لا يبالى به لانه على ثقة بنفسه من النجاح وهذه الثقة تعطيه قوة أخرى فوق قوته فتؤثر على نفسه فلا يجبن اذا التقى بالضرر مهما كان فادحا .

وفى بعض الناس الشجاعة خلق غريزى ولد هكذا لا يهـاب احدا ولا يستكين لاحد امثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد .

وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحض على الجهاد وتنظمه وجب ان نسـتنير ببعضـهـا . بسم الله الرحمن الرحيم

[كتب عليكم القتال وهو كره لكم] .

[قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد]

[فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسـوف نؤتيه اجـرا عظيما] .

[الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشـيطان كان ضعيفا] .

[فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين] .

[ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصـدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون] .

(فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين] .

[ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سـبيل الـلـه والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير] .

[والذين آمنوا وهاجروا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم] .

[والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم] .

(وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون] .

[الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة اتخشـونهم فاللـه احق ان تخشـوه ان كنتم مؤمنين] .

[قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين] .

[قاتلوا الذين لا يؤمنون باللـه ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

... هذه آيات نزلت على رسول الله لتكون المواد الدراسية فى مدرسة الجهاد . ومن الناس من حملها بحق وعمل من أجلها بالاخلاص والوفاء ومنهم من نقض العهد وتخلفوا فكان لهم عند رسول الله موضع آخر فى مكان آخر .

ان الناس يتفاوتون فى الشعور بالواجب عليهم فمنهم من يرى أن هـذا الواجب حق عليه مطلوب منـه . وهو لا يحس بالارتياح الا اذا أداه . والحياة فى كيانها حقوق وواجبات ومن شغلته الحقوق وأيقظه الواجب فهو انسـان كامل . ولو كان الناس فى هذه الدرجة متحدين لما غلب المسلمون فى أطراف الارض وانتقصت هيبتهم التى تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة الى الصعود فاذا بها بعده وبعد أصحابه الى هبوط وما ذلك الا لان المسلمين انقسموا أمما وشـيعا واعتقـدوا فى أنفسهم الضعف فاصابهم الفتور فى نفوسهم والخور فى عزائمهم واصبحوالا أمل لهم ولا حياة . ولو انهم عرفوا ان المسـلمين بحكم دينهم مدفوعين الى الاتحاد والقوة والعلو والرفعة ، وأن تعاليم الاسلام تربطهم كرأس واحدة وجسـم واحد وأنهم بهذا الدين أقوياء أشداء على الكفار رحماء بينهم ، لعرفوا أنهم أحياء لهم كيان ولهم دولة . نسى المسلمون أمسهم يوم كان القائد الاعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتقوا وتقـدموا وامتلكوا البلاد وفتحوا الحصون وحاربوا جيوشـا لا قبل لهم بها عتادا وعـــددا فنصرهـم اللـه فـى غـزوة بـدر انقسـم الجيش الى ثلاث فرق كل فرقة تحمل عزة الاسلام وعزة الايمان وشجاعة الجندى وشرف الجهاد ونظام القتال وفنون الحرب ، حتى انتصر المسلمون .

وفى هذه الغزوة وقف الكل امام طغيان الشرك لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ولا لغنى على فقير الا بالتضحية فى سبيل الله بالنفس والمال والدم .

ولم أكن اليوم لاشرح لكم أسباب هذه الغزوة فالاسـباب معروفة مدروسة وتكررت مرات ومرات ولم أكن لابين أسـباب النصر فيها ومن مات من الاعداء ومن استشـهد من المؤمنين ، ولكنى جئت اليـكم لابين لكم لمـاذا انتصر المؤمنون يوم التقى الجمعان .

انتصر المسلمون لان قائدهم الذى لا ينطق عن الهوى كان يفكر بعين ساهرة واعية ويأمر بقلب صاف ويتكلم ناصحا فاذا هى كلمة الحق تنطوى مرسـلة امرها بقوة الى أبعـد ما يمكن ان يتصوره العقل وتبصره العين بين نفوس آمنت به صلى الله عليه وسلم ، على حب وسلمت نفسها لله على صـدق ، وسارت مع رسول الله لم تشعر بان لها جسـدا من لحم ودم ، بل كانت أجنحة تطير فى سماء المعركة يسمع لها جلجلة كوقع اقـدام الخيل ترهب الاعداء وتوقع فى نفوسهم الرعب بما قد وضعتهم ثقتهم فى الله وفى قائدهم مولانا محمد رسول الله صلى اللـه عليه وسلم .

... كان الناس فى هذه المعركة جسدا واحدا وقلبا واحدا وروحا واحدة جل همهم اعلاء كلمة الله فى أرض الله وقتل من وقف فى سبيلها معاندا مكابرا مهما كلفهم ذلك من مشقة وتعب ونصب وروح ومال ودماء .

كان الناس فى هذه المعركة يعرفون قيمة الانتصـار وحلاوته فاندفعوا بشجاعتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسـول الله فتخرج هذه الكلمة من أفواههم أحد من السيوف التى امتشقوها محاربين . وأشد من النبال التى احتسبوها يرمون بها عـدوهم مقاتلين ، لانها خرجت من قلوب امتلأت بالايمان .

كان الناس فى هذه المعركة يقولون هذه اول بادرة للاسـلام وظهوره فيها على ثقة من الله ورسوله ومن أنفسهم فابصروا عظمة الله وقوته تدفعهم ملائكة الرحمن للنصر المحقق فانتصروا ولا تحارب ملائكة الرحمن مع قوم الا وقد صفت قلوبهم وطهرت نفوسهم من الغل والحسد والضـغينة والبغضـاء . فانتصروا لكلمة الحق .

... نعم القائد أنت يا رسول الله . أرأيتم الوفد الذى رأسه مكرز بن حفص عندما ذهب يقابل رسول الله ورأى السـلاح بين جنود الله المؤمنين وفى ايديهم وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم متلاحقا . فاخذه الرعب من هذا السلاح فقال لرسول الله [يا محمد والله ما عرفت بالغدر صـغيرا ولا كبيرا أتدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد أمنتهم وأمنوك وقد شرطت لهم الا تدخل عليهم الا بسلاح المسافر والسيوف فى أغمادها]

فاجابهم النبى انا لن ندخل الحرم بالسـلاح ما داموا على الوفاء ، وهذا السلاح الذى ترونه سنتركه فى الخارج لنأتى به اذا حدث ما يدعو اليه] فرجعوا الى قومهم ليقولوا لهم ان محمدا على عهده ووفائه لن يخلفه أبدا .

انه النبى الامين الحارس له رب العالمين ولكن المدرسـة المحمدية لتعاليم الجهاد الزمته ان يضـع قانونا لحماية الجنود عند الالتقاء بالعدو اذا ما كتبت المعاهدات والمحالفات . انهـا التعاليم الكاملة فى نظم الجيش ان يكون الارتباط بين الله والجندى [وأعدوا لهم ما اسـتطعتم من قوة ومن رباط الخيل] . لقد تعلم المسلمون على يد قائد ربانى هو محمد بن عبد اللـه كيف يقاتلون وكيف يحاربون وكيف يقفون على أقدامهم عند النصر وكيف يصبرون على الهزيمة ليعدوا العدة لقتال جديد .

لقد دوى نصر غزوة بدر فى العالم كله وفى مكة خاصة فارهب الناس فى بيوتهم وأوجسوا خيفة وعلموا ان هناك دينا حقـا ورسالة سماوية يحملها سيدنا محمد رسول الله يؤيده ربه وما النصر الا من عند الله .

المجلات الثقافية

تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

الكاتب

رئيس التحرير: أحمد عباس صالح

تصدر أول كل شهر

الثمن ١٠ قروش

الفكر المعاصر

فكر مفتوح لكل التجارب

رئيس التحرير د. فؤاد زكريا

تصدر يوم ٣ من كل شهر

الثمن ١٠ قروش

المجلة

سجل الثقافة الرفيعة

رئيس التحرير

يحيى حقي

تصدر يوم ٥ من كل شهر

الثمن ١٠ قروش

المسرح

كل جديد في فنون المسرح

رئيس التحرير: صلاح عبد الصبور

تصدر يوم ١٥ من كل شهر

الثمن ١٠ قروش

السينما

كل جديد في فنون السينما

رئيس التحرير

سعد الدين وهبه

تصدر ١٠ من كل شهر

الثمن ١٠ قروش

الكتاب العربي

أول مجلة ببليوجرافية في العالم العربي

رئيس التحرير

أحمد عيسى

تصدر كل ٣ شهور

الثمن ١٠ قروش

الفنون الشعبية

دراسات عن الفنون الشعبية

رئيس التحرير: د. عبد الحميد يونس

تصدر كل ٣ شهور

الثمن ١٠ قروش

اشتراكات مخفضة لطلبة الجامعات والمعاهد العليا ومنظمة الشباب

الاشتراكات والإعلانات: إدارة المجلات ٥ شارع ٢٦ يوليو - القاهرة.

الافتاء
المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء
بريد التعارف

أنت تسأل

والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون

س ١ : من السيد ـ ياسين حسن جمعة :

يقول : اذا كان جيش المسلمين فى معركة مع عدوهم وحدث أن وقع أحد المسلمين فى أسر العدو : فهل يجوز للمسلم الاسير أن يقتل نفسه قبل أن يتمكن العدو من أخذ المعلومات والاسرار منه والتى تمس صالح المسلمين وأهدافهم العسكرية ، هذا بخلاف تعذيبهم اياه بشتى ألوان العذاب التى لاتتحملها طاقة البشر ـ فهل يصح ذلك أم لا ؟

الجواب ، ليس من شك فى أن قتل النفس سواء كانت نفس القاتل (المنتحر) أو نفس غيره كبيرة من الكبائر ، ولا نكاد نعرف شريعة من الشرائع السماوية الا وللنفس البشرية فيها حرمتها وتشديد النكير على من اعتدى عليها ، والقرآن يقول : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » ·

وليس من ريب فى أن من تعدى على نفسه بالانتحار فقد جنى على نفس محترمة أخذت حظا من الوجود ولها الحق فى التمتع بالحياة فى جو من الطمأنينة ·

ومن هنا فان الاسلام يحرم الانتحار فاننا اذا تصورنا أن شخصا يثور على غيره فيزهق نفسه فاننا لانكاد نفهم أن يثور الانسان على نفسه فليس أعز على النفس من النفس وأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى النهى عن قتل الانسان نفسه كثيرة لا تحصى منها ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردد فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » . وعن جندب البجلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان ممن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فمارقأ الدم حتى مات قال الله تعالى : « بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » وفى رواية أبى داود من حديث جابر بن سمرة قال أخبر النبى صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم « لا أصلى عليه · ـ على أنك أيها السائل لا تستطيع أن تجزم بما سيكون من الاعداء نحوك من قتل أو تعذيب اذا لم تبح لهم باسرار تضر أمتك وأن واجبك ان تخفى عنهم بقدر مايمكنك مايريدون منك الافصاح عنه حرصا منك على سلامة الدولة وعليك أن تراوغ ولو أخذوا فى تعذيبك ولك فى سيدنا بلال الحبشى أسوة حسنة فكم عذبه الكفار لينطق بكلمة الكفر ولكنه لم يزد على قوله (أحد أحد) الى أن فاضت روحه الشريفة راضية مرضية ·

على أننى أزف اليك البشرى !! انه لو نال الاعداء

منك فقتلوك فانك فى هذه الحالة تموت شهيدا لك فى الاخرة مقعد الشهداء فى الجنة وأنعم بهما من نهاية : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

• • •

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين .

س ٢ من مواطن يقول أنه متزوج منذ عدة سنوات ، وكان يحدث ان تكون زوجته حائضا ويعاشرها لانه كان لا يعلم أن مباشرة الزوجة حال الحيض حرام ثم علم أخيرا أن ذلك محرم شرعا ، ويطلب حكم الشرع فيما كان منه وكيف يكفر عن ذنبه ؟

الجواب : يقول الله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

واذن فليس غريبا أن يعم العلم بحرمة مخالطة الحائض كل المسلمين ذكورهم واناثهم ولكن الغريب أن يخفى هذا على السائل مع اقامته بالجمهورية العربية المتحدة ودينها الرسمى الاسلام وكتابها القرآن واذا جارينا السائل فى عدم علمه بالحرمة الا منذ أسابيع فاننا نضع أمام عينيه الاية السابقة وهى صريحة فى حرمة قربان الحائض والنفساء وهى حرمة فى صالح الزوج اذ أن افرازات الرحم حال الحيض فيها من الجراثيم الناتجة عن التهاباته مايصيب المباشر بالامراض وقد ثبت ذلك طبيا بما لامجال للشك

فيه ـ واذا كان المسلم القوى أحب الى الله من المسلم الضعيف كان من مناهج الشريعة منع المسلم من فعل مايضره صحيا كمباشرة الحائض .

واذا كان الجهل بالقوانين الوضعية لايعفى الجانى الجاهل من المؤاخذة بجرمه فالامل فى رحمة الله التى كتبها على نفسه أن يرفع عن مثلك جهلك بهذا الحكم لان رحمته وسعت كل شىء وما عليك الا التوبة والندم على ماكان منك والعزم الاكيد على عدم العودة الى مافعلت وحسبك هذا كفارة .

س ٣ من السيد موسى محمد سعد بالدبونية ـ مركز ميت غمر ـ يقول : توفى رجل عن زوجة وأخ وأخت لام وأربع أخوات لاب ـ وأولاد أخوة لاب ذكورا واناثا ، فمن يرث ومن لا يرث ـ وما نصيب كل ؟

الجواب ، اذا كان الحال كما ورد بالسؤال كان لزوجة المتوفى ربع تركته فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، ولاخيه وأخته لامه الثلث فرضا بالسوية بين الذكر والانثى ولاخواته لابيه الاربعة ثلثا التركة مرابعة بينهن ، والباقى للذكور من أولاد أخيه لابيه تعصيبا أن بقى لهم شىء بعد أصحاب الفروض ، ولا شىء لبنات الاخوة لاب لانهن من ذوى الارحام الذين لايرثون مع وجود عصبة أو صاحب فرض وفى هذه المسألة لم يبق شىء لاولاد الاخوة لاب الذكور لانهم عصبة ولم يبق لهم شىء حيث قد استغرقت سهام أصحاب الفروض كل التركة وعالت من ٢٤ الى ٣٠ سهما ، وهذا كله اذا لم يكن للمتوفى وارث آخر أو فرع يستحق وصية واجبة .

• • •

س٤ : من السيد ـ خالد ابراهيم

يقول : ماهو الاستنجاء وكيف يستنجى المسلم ؟

الجواب ، اذا قضى المسلم حاجته من تبول أو تغوط وأراد الوضوء لاستباحة مالا يتم الا بالوضوء وجب عليه قبل الوضوء أن يستنجى والاستنجاء هو ازالة مايكون على القبل والدبر من نجاسة ظاهرة سوى الريح ويصح التيمم بالحجر أو مايقوم مقامه والغسل بالماء أفضل لانه أبلغ فى انقاء المحل ونظافته ـ هذا اذا كانت النجاسة لم تتجاوز المخرج أما اذا تجاوزته الى مكان آخر لايجوز التيمم الا بالغسل بالماء ـ هذا ولا يستنجى المرء بيمناه ولا بالعظم ولا بروث المواشى لان النبى عليه السلام نهى عن ذلك ولا يستنجى بطعام لانه اضاعة للمال ومع هذا لو استنجى الانسان بهذه الاشياء جاز ويكره له ذلك ، ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشير الى أنه يكره لمن يقضى حاجة البول أو الغائط وكان ذلك فى خلاء كالحقول والمزارع والصحارى ألا يستقبل القبلة عند جلوسه لقضاء حاجته ولايستدبرها ولكن يجب ان يتجه الى الشرق أو الغرب ـ هذا ولا يستعمل فى الاستنجاء أكثر من ثلاثة أصابع ويستنجى بعرضها لا بروؤسها .

س ٥ : من السيد ـ أ . أ . ع . المطرية

يقول : عند أدائى للصلاة يهتز جسمى بعنف ـ واشعر بألم جسمانى حاد ولا أستطيع أداء الصلاة الا بتعب شديد ـ ونصحنى بعض الناس بترك الصلاة حتى تزول هذه الحالة ـ فما الحكم ؟

الجواب : فرض الله تعالى الصلاة على المسلمين

المكلفين وجعلها ركنا من أركان الاسلام لقوله عليه السلام : « **بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا** » .

والصلاة هى الشعار الفاصل بين المسلم وغير المسلم ، فهى دعامة الدين وركنه الركين فمن أقامها فقد رفع لواء الاسلام والمسلمين ومن تركها فقد هدم وتطاول بالمعصية على الله ولقد كان آخر ماقاله عمر ابن الخطاب وهو فى آخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة : (**لا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة وكررها ثلاثا**) .

فاذا كنت أيها السائل عاجزا عن أداء صلاتك من قيام أو من قعود أو من ايماء أو استلقاء على الظهر وتحريك الرأس للركوع والسجود وعلى أن يكون السجود أخفض من الركوع ـ اذا عجزت عن أدائها على أية صورة من هذه الصور جاز لك تركها وعليك قضاء مافاتك عند قدرتك ــ وأما اذا كنت قادرا على الاداء بأية صورة من تلك الصور فلا يجوز لك ترك الصلاة .

س ٦ : من السيد ـ احمد عبده عليبه

يقول : ماهى صلاة الاستخارة ؟ وماكيفيتها ؟ والدعاء الذى يقال فيها ؟

الجواب : فى معتبرات كتب الحنفية ككتاب الامام الطحاوى بعد ان عنون لصلاة الاستخاره بقوله : (وندب صلاة الاستخارة وقد افصحت السنة عن بيانها) قال : قال جابر رضى الله تعالى عنه ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ثم يقول : « **اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل** : (اللهم انى استخيرك بعلمك واستدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب ـ اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى ــ او قال ــ عاجل امرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى ــ او قال ــ عاجل امرى وآجله ـ فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ـ قال ـ ويسمى حاجته ـ رواه الجماعة الا مسلما ـ وينبغى ان يجمع بين الروايتين فيقول : وعاقبة امرى وعاجله وآجله ـ وينبغى ان يكررها سبع مرات لما روى عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس : اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذى يسبق الى قلبك فان الخير فيه » .

هذا وينبغى أن يعلم اخوانى وأبنائى المسلمون أن الاستخارة فى مثل الجهاد والحج وجميع ابواب الخير يجب ان تكون لتعيين الوقت لا نفس الفعل ـ هذا واذا استخار المسلم مضى لما ينشرح له صدره ـ والله اعلم .

س ٧ : من السيد ـ محمد مكية ـ شربين دقهلية .

يقول : رجل حلف ان يؤدى دينا عليه فى موعد حدده ـ ولكنه لم يستطع الاداء فى الميعاد المحدد ـ فهل يحنث فى يمينه ؟ وهل تلزمه كفارة اليمين ؟

الجواب : اذا كان الامر كماذكرت فى سؤالك وكان الحلف بالله او باسم من اسمائه فقد انعقدت يمينك وعليك اداء الدين فى الموعد الذى حددته فاذا لم تؤده كنت حانثا فى يمينك ولزمتك كفارة اليمين وهى ان تقوم باطعام عشرة مساكين غذاء وعشاء او افطارا وسحورا مشبعين من الطعام الوسط ـ او تصوم ثلاثة ايام متواليات ــ او متفرقات حسب طاقتك اذا كنت غير قادر على الاطعام ، ولابد من توزيعها على عشره مساكين ـ قال تعالى : « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون** » .

ونصيحتى لاخوانى وابنائى المسلمين الا يكثروا من الحلف صادقين ام كاذبين الا اذا اضطرتهم الحال لقوله تعالى : « **واحفظوا ايمانكم** » .

● ● ●

س ٨ : ومن نفس السائل :

ماحكم الرجل الجنب اذا حمل الراديو وهو يذيع القرآن الكريم أو حمل اسطوانة معباة بالقرآن الكريم ؟

الجواب : القرآن الكريم كتاب الله يهدى الى الحق والى الطريق المستقيم ، وهو قول فصل وليس بالهزل ويصفه الله تعالى فيقول : (**انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون**) ومن هنا حرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة القرآن او مس المصحف الا بغلافه المنفصل لا الغلاف المتصل والغلاف المتصل هو الورقة الثخينة المقواه التى يجلد بها المصحف وتكون ملتصقة به تمام الالتصاق اما الغلاف المنفصل فهو هذه الورقة التى يجعلها المسلم غلافا فوق جلدة المصحف المتصلة لتكون وقاية لها ويمكن فصلها عنه بسهولة ـ هذا حكم قراءة الجنب ومسه

للمصحف . اما المحدث حدثا اصغر فيكره له المس وتجوز منه القراءة مع الكراهة .

اما الراديو حين اذاعته للقرآن فلا حرمة فى حمله او سماع القرآن منه وكذلك الاسطوانة المسجل عليها بعض من القرآن لان ذلك ليس مصحفا ولا يأخذ حكم المصحف فليس هناك من يجهل ان المصحف هو كلام الله تعالى الواصل الينا بالتواتر كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدون فى تلك الصحائف المجموعة فى كتاب يعرفه خاصة المسلمين وعامتهم .

س ٩ : من السيد ـ بدوى عبد المجيد حمزه

يقول : رجل كان يمتلك فدان و ٨ قراريط وله ولدان وبنت أشقاء .

تزوجت البنت المذكورة وانجبت ولدين وبنتا ثم ماتت ، وكان أخواها قد جددا ٤ أفدنة و ٤ قراريط اطيان زراعية : فى عفار ، ثم مات احد احويها المذكورين عن اولاده ثلاثة ذكور وثلاث بنات علما بان والد الجميع لايزال حيا ، وهو الذى كان يمتلك فدان و ٨ قراريط وكذلك والدتهم لاتزال على قيد الحياة . وكانت البنت (اخت الولدين اولاد الرجل الاول) قد ماتت قبل تجديد المقدار المبين بعاليه ويسال عمن يرث ومن لا يرث فى ابناء كل من الولد المتوفى واخته المتوفاة وما حكم الشرع فيما تجدد بالنسبة لابناء البنت المتوفاة وبالنسبة لابناء الاخ المتوفى ؟

الجواب : لم تفصح ايها السائل فى سؤالك عما اذا كان المقدار الذى جدده الولدان هل هو باسميهما خاصة بالتساوى بينهما او بالتفاضل أو باسم ابيهما ، وعلى كل حال فاذا كان ماجدده الولدان باسم ابيهما ، فكل المال لوالدهما الذى ذكرت انه حى ولا ميراث لاحد فيه الا بعد وفاته .

واذا ماكان ماتجدد باسم الولدين مناصفة بينهما كان ملكا لهما مناصفة وبموت احدهما عن ابويه واولاده الستة يكون لكل من والديه السدس والباقى لاولاده للذكر ضعف الانثى من نصيبه والنصف الباقى لاخيه الموجود ولاشىء فيما تجدد لاولاد اختهم المتوفاة لانها كما ذكر السائل ماتت قبل تجديده ، الا اذا كانت تملك حصة فيما تجدد فيكون لكل من ابويها سدس نصيبها الذى ماتت عنه فرضا والباقى لاولادها المذكورين للذكر ضعف الانثى ـ وهذا كله اذا لم يكن للمتوفى واخته المتوفاة وارث آخر ولا فرع يستحق الوصية الواجبة .

● ● ●

س ١٠ : من السيد ـ امين محمد على ـ القاهرة

يقول : هل صلاة الوترفرض ؟ ام واجب ؟ ام سنة ؟ وما كيفية صلاته ؟

الجواب : للعلماء فى الوتر اقوال :

يرى الامام ابو حنيفة ان الوتر واجب وهو آخر اقواله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « **ان الله زادكم صلاة الا وهى الوتر فادوها بين العشاء الاخيرة وطلوع الفجر** » والزيادة لاتكون الا من جنس المزيد عليه ، وقد امر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بالاداء ـ والامر بالاداء دليل الوجوب ـ وحديث : « الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا » .

ويرى الامام الشافعى وغيره ان الوتر سنة مؤكدة حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب فيه ، فعن على رضى الله عنه انه قال : « ان الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ اوتر ، ثم قال : « **يا اهل القرآن اوتروا فان الله وتر يحب الوتر** » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله تبارك وتعالى على العباد من اتى بهن لم يضع منهن شيئا استحقاقا بحقهن كان له عند الله تبارك وتعالى عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء غفرله « وحديث الاعرابى المشهور الذى سال النبى عليه السلام فقال خمس صلوات فى اليوم والليلة قال : اهل على غيرها ، قال : الا ان تطوع .

والوتر ثلاث ركعات بسلام واحد يقنت فى ثالثة دائما عند الاحناف ، وادنى الكمال عند الشافعى ثلاث بتسليمتين واحدة بعدالاولين وثانية بعدالثالثة ولا يقنت الا فى النصف الاخير من رمضان .

ونص القنوت كما يقول الحنفية هو : « **اللهم انا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب اليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ومكان القنوت عندهم بعد الفاتحة والسورة من الركعة الثالثة وقبل الركوع ويقولون ان من لم يحسن القنوت فليقل : « اللهم اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار »** .

ونص القنوت عند الشافعية هو : « اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا اللهم فيما اعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ماقضيت ، فانك سبحانك تقضى بالحق ولا يقضى عليك ، انه لايعز من عاديت ، ولا يزل من واليت نستغفرك اللهم من كل ذنب وخطيئة ونتوب اليك ، اللهم يا واصل المنقطعين صلنا اليك اللهم استرها بسترك الجميل وصل اللهم على سيدنا محمد نبيك الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

مسابقة جمال الدين الأفغاني

مما لا شك فيه ان جمال الدين الافغانى رضوان الله عليه ، كان الباعث الاول لروح النهضة فى العالمين العربى والاسلامى ، واذا كان قد زامله او تتلمذ على يديه أفراد هنا او هناك ، فانه قد ظل مع هذا وبعده رمزا لبدء الحركة الاصلاحية التى آتت ثمارها فيما بعد بين العرب والمسلمين .

واذا كانت لمسات جمال الدين الثورية قد مست بلادا اسلامية وعربية مختلفة فانه من المجمع عليه ان قدومه الى مصر كان نقطة تحول بارزة فى دعوته وثورته ، حيث وجد فى مصر - كنانة الله فى أرضه - التربة الصالحة الخصبة لاستنبات مبادىء الثورة والاصلاح كما وجد من ابناء مصر ومن المقيمين فيها من رجال الاسلام والعروبة سندا وعضدا ، جعل دعوته تؤتى آثارها ، وتخرج ثمارها .

ولقد مر على مجىء جمال الدين الافغانى الى مصر مائة عام كاملة ، فكانت ذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وكانت مناسبة جليلة تستدعى الاحتفال والاحتفاء ، وبخاصة ونحن نمر الان بمرحلة حاسمة من تاريخ نضالنا للاستعمار الغربى والصهيونى .

ولذلك رأى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية تخليدا منه لذكرى جمال الدين ، ووفاء بحق العاملين ، واسهاما فى اثارة روح الجهاد ضد المغتصبين ان ينظم المسابقة التالية عن جمال الدين الافغانى . . .

الشروط

أولا : بالنسبة للمسابقة الكبرى :

١ - أن يكون عنوان الموضوع على الصورة الاتية :
(جمال الدين الافغانى وآثاره فى انهاض العالم العربى والاسلامى)
٢ - أن يكون البحث المقدم فى نحو ثلاثمائة صفحة .
٣ - أن تكون الجائزة ٣٠٠ جنيه .
٤ - أن تكون المهلة عشرة أشهر .
٥ - أن لا يقبل كتاب قد طبع من قبل .
٦ - الا يشترك أحد من أعضاء المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى هذه المسابقة .

ثانيا : بالنسبة للمسابقة الصغرى :

١ - أن يكون عنوان الموضوع :
(جمال الدين الافغانى وأثره فى مقاومة الاستعمار)
٢ - أن يكون البحث المقدم فى نحو مائة صفحة .
٣ - أن تكون الجائزة مائة جنيه .
٤ - أن يكون المتقدم طالبا باحدى الجامعات أو بالدراسات العليا .
٥ - أن تكون المهلة أربعة أشهر .
٦ - ألا يقدم بحث مطبوع من قبل .

امرأة مسلمة

إعداد: نجاة الزنيري

الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم

حديث شريف

اهتمت الشريعة الاسلامية ببيان أحكام الاسرة وآدابها . فحددت شروط ومبادىء الزواج السليم الناجح . وبينت حقوق وواجبات كل من الزوجين نحو بعضهما . وواجب الابناء نحو والديهم . ومسئولية الاباء نحو أبنائهم ..

وسأتناول النقطة الاخيرة بالحديث ..

.. ان الابوة والامومة نعمة عظمى .. لكنها فى الوقت نفسه تكليف شاق يتطلب من الوالدين تبعات كثيرة .. ذلك لان الاسلام اهتم بتربية الاطفال تربية حسنة سليمة وتنشئتهم تنشئة صالحة واعدادهم لكى يخرجوا الى الاسرة الكبيرة – الى المجتمع – متحلين بحسن الخلق وطهارة القلب والضمير وصدق اللسان ونظافة اليد ورجاحة العقل بعيدين عن كل مايشين الانسان الفاضل وهذا لايتحقق الا فى ظل الاسرة الناجحة الصالحة القائمة على مبادىء واحكام الشريعة الاسلامية وكم فى الاسلام من صور للبنوة .. للابوة .. للامومة .. للاخوة.. صور نابضة حية ذات أعماق .

لقد جاء الاسلام والطفولة عند العرب فى الجاهلية مهينة مهملة محرومة من حقها فى الرعاية والعناية لذلك ولان حياة الناس وقتئذ كانت شاقة وكان تحصيل الرزق عسيرا والايمان معدوما . كان الاب يضيق بابنائه ويرى فيهم عبئا ثقيلا يعييه احتماله ويثقله الانفاق عليهم حتى لقد بلغ من قسوة القلوب وهوان الطفولة ان من العرب فى الجاهلية من كان يقتل أولاده سفها بغير ذنب وبغير علم بسبب الفقر والفاقة ..

وكانت هناك عادة السباء فى الحروب . فكان الغالب يسوق بنات المغلوب ونساءه حواسر الرؤوس يتخذ منهن راعيات لابله أو جوارى لخدمته ..

فكان الاباء بخشون فى كل لحظة أن يكون مصير بناتهم وزوجاتهم الى السباء . كما كان يؤثر البنين على البنات خشية العار الذى قد تلحقه به البنت اذا كبرت .. فاذا ولدت له انثى تولاه الغيظ والكمد فسيكون مصيرها اما السباء أو العار . فان استبقاها فعلى كره ومضض والا وادها اشفاقا عليها وخوفا منها وكان العرب فى الجاهلية لايعطون شيئا من الميراث للبنت او المراة والاولاد .. ولكنهم كانوا يعطون الميراث للرجل فقط . وكانت حجتهم فى ذلك ان الرجال هم الذين يلاقون الاعداء ويقاتلون فى الحروب ..

وهكذا كانت حال الطفولة وما تعانيه من قسوة وعسف وظلم

ثم جاء الاسلام بمبادئه ووصاياه فاعلى شانها وأعز مكانتها عطف قلوب الاباء والامهات عليها وجعلها زينة الحياة الدنيا .. وشرع لها من الحقوق مالم تدركه أوربا الا فى أواخر القرن السابع عشر .

ورعاية الطفولة فى الاسلام تبدأ منذ عهد الرضاع .. فقد وضع القرآن الكريم الاصول والاسس لتربية الاولاد .. وجاء الحديث النبوى الشريف فشرع وفسر . وجاء علماء الاسلام وفقهاؤه فحللوا وفصلوا وأطالوا الحديث فى فنون هذه التربية من نواحيها النفسية والعقلية والخلقية ..

فيقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا) .

ويقول عز وجل : (واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء مايحكمون) .

.. ويقول : (واذا المؤودة سئلت باى ذنب قتلت) .

وقد اعترف قيس بن عاصم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ضحاياه من المؤودات قد بلغن اثنى عشر بنتا صغيرة . فامره النبى الكريم بان يعتق بكل واحدة منهن جارية مؤمنة . ثم قال قولته الخالدة : (من لايرحم لايرحم) .

وقال فى حديث آخر : (من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات أو بنتان أو اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة)

وكما ان فى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث الابناء على بر الوالدين والاحسان اليهما والعطف عليهما وحسن معاملتهما واحترامهما وتبجيلهما والانفاق عليهما . اذ يقول سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء : (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبير احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)

فانه فى آيات اخرى كثيرة يحث الاباء الى ان فى اعناقهم أمانة جليلة تجاه اولادهم تتمثل فى حسن رعايتهم ودقة تربيتهم واستقامة تنشئتهم ذلك لانهم هم ثمرة القلوب وأفلاذ الاكباد . يقول سبحانه وتعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ..) .. (وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) .

وجاء فى الحديث الشريف : (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله)

وحث الاسلام على رعاية الطفل اليتيم والحفاظ على حقه وماله حتى يبلغ أشده .

يقول سبحانه وتعالى : (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء لاعنتكم ان الله عزيز حكيم) .. (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) .. (وآتوااليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) .. (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .) ..

غير هذا من الايات القرآنية التى تقرر الضمانات لرعايةاليتيم واصلاح شانه .

والاب فى الاسلام مطالب بالانفاق على ابنه الفقير حتىيستطيع أن يعتمد على نفسه فى كسب معيشته .. كما أن الابن مطالب ايضا بالانفاق على ابيه الفقير . وقد قال عليه السلام للابن الذى امتنع عن الانفاق على ابيه (انت ومالك لابيك) .

وأوجب على الاب أن يكفل ابنته حتى تبلغ سن الرشد . وان ينفق عليها حتى تتزوج .. فاذا تزوجت الزم زوجها بالانفاق عليها واذا طلقت وعادت الى بيت أبيها كان ابوها ملزما بالانفاق عليها بعد ان تنتهى النفقة الواجبة لها من زوجها الذى طلقها ..

واذا بلغت الفتاة سن الرشد وتقدم اليها من يريد أنيتزوجها أوجبت الشريعة الاسلامية أن يؤخذ رايها فى الزواج فاذا رضيت صح العقد واذا رفضت فليس لراى انسان ان يجبرها على التزوج بشخص لاتريده ..

وللمسلمين فى رسول الله أسوة حسنة فى معاملة الطفولة. فقد كان أعطف الناس على الاطفال وأحن قلب اليهم يحبهم ويتودد اليهم ويبالغ فى مؤانستهم وملاطفتهم .. فكان يقولعليه الصلاة والسلام : (من كان له صبى فليتصاب له) .

لقد وضع النبى الكريم بهذا الحديث على ايجازه أهم أصول التربية الحديثة . فان الاب لايمكن أن يبلغ من نفس الطفل أو يؤثر فيه الا اذا تصابى له أى نزل الى مستواه ودرج معه فى عالمه ودنياه حتى يكون بصيرا بما يسرهم وما يسوءهم وبذلك يستطيع أن يحسن سياستهم بالصبر والمرونة والكياسة ..

ويقول الرسول الكريم : (الزموا أولادكم واحسنوا ادبهم).. وفى هذه الكلمات وضع الرسول عليه الصلاة والسلام مبادىء التربية الخلقية فان اتصال الاباء بابناءهم من أهم ينابيعالاخلاق. فالطفل يرى فى ابيه الصديق الاول والمثل الاعلى الذى يحبه ويثق فيه .

فان أهمله الوالد اضطر أن يلجأ الى صديق آخر ومثل آخر قد يكون صديق سوء ومثل شر . فاتصال الاباء بالابناء وملازمتهم الدائمة لهم تؤكد عواطف الابوة وتجنب الاطفال العواقب السيئة.

ويقول الرسول الكريم فى حديث آخر .. (لان يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع) .. فتربية الابن والاهتمام برعايته أفضل من أى صدقه ..

ويقول : (كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه) .

فكل مولود يولد قابلا للخير وللشرولابويه تاثير كبير فىعقيدته الدينية فيتدين بدينهما . ويقول : (الوليد فى الجنة) . ومعنى هذا أن الطفل اذا مات قبل أن يصل الى مرحلة التكليف فانه سيدخل الجنة لانه سيكون بريئا طاهرا لم يرتكب اثما ولم يأت جرما .

ويقول عليه الصلاة والسلام : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

وكان دائما يقول لاصحابه حرصا على مستقبل الابناء وضمانا لدوام سعادتهم : (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) ..

ووضع القرآن الكريم أمام انظار المسلمين صورة لقمان وهو يوصى ابنه : (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ..)

ويقول لقمان ايضا فى وصيته .. (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير . يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور .. ولا تصعر خدك للناس — ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير) .

فقد أوصى لقمانابنه بنصيحة دينيةخلقية هى الايمان بالله وعدم الشرك به والتواضع والصبر ..وصور القرآن الكريم يعقوب على فراش الموت وهو يقول لبنيه : (ماتعبدون من بعدى ؟. قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون) .

وكثير من الوصايا الاسلامية التى وردت فى القرآن الكريم على لسان أنبياء ماقبل الاسلام وكلها تدعو الابناء الى الايمان بالله وعدم الشرك به كدعامة أولى فى بناء شخصية الابن وتكوينه الانسانى ..

كذلك أوصى المسلمون الاولون ومن اهتدوا بهدى القرآن ابناءهم بوصايا أخلاقية ودينية نابعة من الشريعة الاسلامية .. وان كان يضيق المجال هنا عن حصرها فان جمعها يحتاج الى كتب ومجلدات — فانها بصفة عامة تنضوى كلها تحت هذه المبادىء :

(الايمان بالله . طاعته . التواضع . الصبر على المصائب. الكتمان . عدم الكذب والغيبة والنميمة . كظم الغيظ . طاعة أولى الامر . البر بالاقارب . عدم مخالطة السفهاء . ولا اللؤماء الامر بالمعروفوالنهى عن المنكر . استثمارالمال بالخير والحلال)

وكلها وصايا لو تمكن آباءوأمهات اليوم ان يغرسوها فى قلوب أبناءهم لامكن أن تتحقق صورة الابن المسلم الجديد كما يجب أن تكون فى ظل مجتمع اسلامى كبير ..

فليعلم الوالدين ان التربية الصحيحة هى المستقاة من الشريعة الاسلامية .

التربية القائمة على المحبة الممزوجة بالحنان والرحمة والاثره والايثار وجعل الابناء فى منزلة واحدة دون تفريق بين ولد وبنت فى المعاملة . فالبنت هى الام فى المستقبل والولد هو الاب فى المستقبل .

وفى الدين الاسلامى مثلعليا لانهاية لها وفىالاخلاق الاسلامية كل فضيلة . فيجب ان يعمل الوالدين على الوصول بهذه المثل والفضائل الى قلوب أبناءهم وعقولهم .

زيادة وزن الجسم خطر يهدد حياة الإنسان !!

الأستاذ ناصف سليم

كان يتردد على أسماعنا ونحن صغار نداء من الراديو كل صباح ، يوجه المستمعين الى بدء دروس التربيه البدنية ، كانت خمس دقائق مفيدة ، يقف هواة الرياضة خلالها منفذين لتعليمات مدرس التربية الرياضية الذى يرشد كل مستمع الى الحركة التى يجب أن يقوم بها .. حتى يقوم كل صباح ببعض الحركات المفيدة .

واليوم اختفى هذا البرنامج ، وكأننا أصبحنا فى غنى عن هذا الدرس ، مع أنه مع زيادة التقدم الحضارى أصبح ضروريا ، ومع وجود شاشة صغيرة فى كل منزل أصبحت مهمة المدرس سهلة ، لو أنه أدى الحركات على الشاشة ليقلدها الهواة والذين هم فى حاجه الى الحركة .

وقد يعتقد بعض الناس ، أن هذه الحركات الخفيفة لا قيمة لها ، ولا اثر لادائها ، وهذا اعتقاد خاطىء ، فنحن اليوم فى أشد الحاجة الى مثل هذه الحركات وان بدأت خفيفة ، وانتهت خفيفة ، لان أجسام الغالبية من أبناء شعبنا أصبحت من الاوزان الثقيلة ، من جراء البطنة ، وعدم تنظيم الوجبات . وقد قرأت بحثا لطبيب دارس حول أضرار البطنة التى نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فكان مما قاله من وجهة نظر العلم :

● ان البطنة تسبب مرض البول السكرى ، لانها تنتج عن شراهة فى تناول كميات الطعام ، وهذه الكميات الضخمة تخل بميزان عمل الغدد فى الجسم ، وهى التى خلقها الله سبحانه وتعالى لتعمل بميزان دقيق ، وتكيف نفسها فى كثير من الاحيان لمواجهة مايصادف الجسم من اختلال ، ولكن هذا التكييف له حدود تفشل بعدها الغدد - مثل البنكرياس ، والغدة النخامية - فى السيطرة على عوامل تمثيل المواد السكرية والنشوية أو حتى المواد الدهنية ، وهنا يصاب الجسم لا محالة بمرض البول السكرى .

● يخطىء من يعتقد أن أضرار البطنة تقتصر على هذا المظهر الخارجى للجسم حين يكتنز بالشحم ، ويصبح ثقيل الحركة ، اذ أن تراكم الشحم هذا له آثاره البعيدة داخل الجسم نفسه ، فحين يتراكم يبدأ « النهجان » عند بذل أقل جهد ، وباضافة الى ان هذا التراكم يضع حملا وعبئا ثقيلا على القلب الذى قد يضطر الى القيام بمجهود أكبر ، وقد يفلح القلب أحيانا فى بذل الجهد للنجاح فى أداء وظيفته ، ولكنه فى أحيان كثيرة يصاب بالارهاق ، ولا يستطيع النجاح فى أداء هذه الوظيفة فيمرض .

● لايقتصر الشحم على الاماكن الظاهرة من الجسم ، ولكنه يتغلغل الى باقى الخلايا البعيدة ، فالقلب وصلة قوية ، وسر قوتها فى ألياف العضلات التى تؤدى العمل بقوة ، فاذا ترسب فى هذه الخلايا بعض المواد الدهنية ، وتغلغلت هذه المواد الدهنية فى العضلات أصابها الضعف والوهن : وأصبحت غير

قادرة على أن تؤدى المجهود المطلوب منها ، وهذا طريق آخر الى هبوط القلب .

● تراكم المواد الدهنية فى الكبد يعطل عمل تلك الغدة الضخمة التى تقوم بدور عظيم فى حياة الانسان .. هى مخزن للغذاء ، ومبيد للسموم ومنظم لتوزيع الغذاء ومفرزة لسائل هام بالكبد ـ أضخم عضو داخل جسم الانسان ـ وهذا التراكم فى خلايا الكبد يعطل عمله ، واذا اختزن الغذاء فانما يختزنه فى خلايا تبدلت من خلايا كبدية الى خلايا دهنية تافهة لاتلبث أن تتقلص تاركة تليفا فى الكبدلايرجى علاجه ، ولا يرجى شفاؤه .

● أما سر تهدل الجسم ، وتحول عضلاته الى عضلات مرخية غير قادرة على أداء الحركة ، فمن جراء ترسب بعض المواد الدهنية الفائضة فى جدران الاوعية الدموية .. تلك الجدران التى تعتمد فى عملها على مرونتها وسلامة الخيوط العضلية التى تكون جزءا هاما من جدار الاوعية ، فاذا تغلغلت هذه المادة الدهنية فى هذه الخيوط أفسدتها ، وأحالتها من خيوط مرنة الى خيوط لاتلين للظروف ، ولا تتسع عند ضغط الدم فيها ، ولا تنكمش لضمان استمرار مسير الدم فيها ، وهذا مايوصف الى حد ما بتصلب الشرايين ، وليس ارتفاع ضغط الدم أول هذه المضاعفات ، وليس انفجار أحد شرايين المخ الا أحد هذه المضاعفات .

اذن ماهو الحل ؟

هذه آثار من آثار البطنة التى حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فى قوله : « نحن قوم لانأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » .. ولا أعتقد أن رأى العلم الذى ذكرته لك قد جاء عفوا ، ولكنه جاء من واقع البحوث والتجارب وملاحظة الشواهد والظواهر .. وكل من يشعر بزيادة وزنه ، يحس بذلك ، وقد يدرك هذه الاخطار وحده ، و « النهجان » لاقل مجهود ونحن جميعا بعد سن الاربعين نشعر به ، اولى علامات زيادة الوزن التى يجب أن نحاربها .. وأن نعود بأجسامنا الى الوزن الطبيعى ، واللياقة المطلوبة .

وليس هناك من حل يعود بالجسم الى حالته الطبيعية الا باتباع طريقين أو أحدهما على الاقل :

١ ـ المجهود الحركى .. أعنى التمرينات الرياضية التى تبدأ بها خفيفة ، وتستمر معنا يوميا ، كما كانت ترشدنا الاذاعة كل صباح منذ ربع قرن .

٢ التقليل من كمية الطعام التى نتناولها كل يوم ، وليس بنافع اختيار بعض أنواع الطعام دون بعض ، لان الاصح ، هو أن تتناول من كل ألوان الطعام بكميات محدودة .

واذا كان لابد من الاخذ بأحد السببين لابهما معا ، فالرياضة هى الاهم ، لانها تساعد الجسم على احتراق جزء كبير من المواد التى يتناولها .. ويتفرع من الرياضة وسائل أخرى متصلة بها لها أثرها فى راحة الجسم وراحة النفس وهى « التدليك » .. لانه يسهم الى حد كبير فى العمل على ارتخاء العضلات وتنظيم عمل الدورة الدموية ، وما يرتبط بذلك كله من ارتفاع مستوى القدرة البدنية . كما يؤثر بدرجة كبيرة على النواحى النفسية للفرد اذ يكسبه الشعور بالراحة ويسهم فى ابعاد القلق والتوتر ، ولكن يجب أن يكون هذا التدليك الذى يجدد نشاط الانسان بمعرفة اخصائى دارس للتشريح وخصائص العضلات لضمان الافادة الكاملة منه .

ليست الرياضة ترفيها

وعلى ضوء ماذكرت من الاضرار البالغة التى تصيب الانسان من جراء نهمه فى تناول طعامه حتى يزداد جسمه ، وما ذكرته من وسائل العلاج التى أصبحت الرياضة فى المقام الاول منها ، يتأكد لنا أن ممارسة الرياضة لم تعد مسألة ترفيهية لاسعاد الناس بعض الوقت فحسب ، ولكنها مسألة تتعلق بحياة الانسان ، بطولها أو قصرها .. ولا أعتقد أن هذه مسألة ثانوية ، فحياة الانسان ان لم تكن تهمه شخصيا ـ وهذا بالطبع محال ـ تهم ابناءه ، وتهم مجتمعه ، وكلما اتبع الانسان الاسلوب العلمى فى حياته ، كان ذلك مؤديا الى حقيقتين علميتين :

١ ـ قوة شخصيته .
٢ ـ طول عمره .

وأسلوب حياة الفرد من الناحية العلمية والتربوية لا يخرج عن نطاق مايلى :

١ ـ حياة يومية منتظمة .
٢ ـ نوم كاف .
٣ ـ تغذية صحية مناسبة .
٤ ـ استخدام أوقات الفراغ فى رياضة مناسبة .
٥ ـ عدم تعاطى الانواع المختلفة من المشروبات الكحولية أو المخدرات أو المنومات .
٦ ـ تنظيم الحياة الجنسية .

ولاشك أن هذه العوامل التى تحقق السعادة للانسان فى حياة مديدة ، تؤثر الى درجة كبيرة فى الانتاج لخدمة الامة والمجتمع ..

فاذا ماقال قائل :

ان الرياضة لاتتناسب الان مع كبر السن ، وزيادة الوزن ، ووجود بعض الامراض ! قلنا له :

لقد أجمع كل أطباء العالم أن الرياضة الوحيدة التى تناسب كل سن ، وكل جسم ، وتناسب السليم والمريض على حد سواء ، هى رياضة المشى .. وهى التى كانت تقوم عليها قوة أجدادنا وسلفنا الصالح ، كانوا لايعرفون للرياضة قواعد وانما كانوا يمشون لمسافات طويلة وراء مصالحهم ، ولهذا كانوا اصحاء .. وكانت الاجيال المتعاقبة خالية دائما من الامراض ، والاوجاع .

عزيزى القارىء

من خلال تاريخنا الثورى المجيد ومعطياته الاقتصادية البناءة واسهامه الفعال فى مساندة الحركات التحررية ، وازكائه القيم الانسانية والمبادىء الاخلاقية وامداده العقلية العربية بطاقات متزايدة من الثقافة الاسلامية ، والعلوم العصرية والمفاهيم الوطنية فى رحاب الجامعات ودور العلم والتعليم فى اسلوب يهدف الى احياء الروح الفكرية ، وخلق العقلية التجريبية الابتكارية القيادية القادرة على امداد المجتمع بكل مايعود عليه بالخير والرفاهية ، من خلال هذا كله تحركت الامة العربية وتلاقت مع الشعوب المؤيدة لكلمة الحق ، لقاء الاحرار والرواد من أجل مستقبل يسوده العدل والسلام ، ومن ثم جاءت هذه اللقاءات دليلا واضحا على أصالة ثورتنا المجيدة .

لان مثل هذه اللقاءات هى القوة الدافعة والمحركة لامكانيات الامة على طريق النصر ، طريق الحق ، طريق الايمان الصحيح .. وثورتنا المباركة اذ تقدم لنا هذا المفهوم الانسانى لما تهدف اليه من مستقبل يستمد اصوله من الشريعة الاسلامية تكون قد ارتفعت بقيمها وامكانياتها فوق كل النكسات والازمات لانها ارتبطت بالعقيدة ارتباطا اصيلا فى السلوك والسعى على طريق الجهاد ، وعقدت العزم على التسلح دوما باسباب النصر المؤيد بالرجاء فى العون الالهى ، ومعلوم ان هذا الرجاء انما ينبعث من العقيدة ومن ثم فان العقيدة هى المستقبل ، وهى المسوغ للوجود لان الوجود وحده لا يكفى الانسان ان يكون انسانا ، فالايمان للمستقبل ، وعسى ان يكون المستقبل للايمان حتى تحقق لامتنا العربية والشعوب الاسلامية ما ترنو اليه كخير أمة أخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله احقاقا لكل ما هو انسانى وخالد . .

العالم الاسلامى والرخاء الدولى

انها لرسالة تحمل كل معانى الثقة فى النصر تلك الرسالة التى بعث بها المواطن على محمد عبد الجواد ــ سنهور الفيوم ــ مقدما للقراء صورة حية لما للعالم الاسلامى من مساهمة فعالة فى ازدهار الرخاء العالمى مصداقا لقوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » اذا ما هم تمسكوا بقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة »حيث يقول « يشكل العالم الاسلامى ٣ر٢٢ ٪ من سكان العالم تقريبا ، وفضلا عن هذه الطاقات البشرية الهائلة ، فان دول العالم الاسلامى تعتبر من أهم واغنى بلاد العالم .. والارقام التالية المأخوذه من بحوث واحصائيات هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٦ اكبر دليل على اهمية دول العالم الاسلامى فى اقتصاديات العالم اذ انها تملك : ٣٥ ٪ من بترول العالم ــ ٩٥ ٪ من بترول الاتحاد السوفيتى من الدول الاسلامية التركستانية الاسلامية ــ ٨ر٦٩٪ من احتياطى بترول العالم ــ ٦٥٪ من قصدير العالم ــ ٣٥ ٪ من الفوسفات ــ ٧٥ ٪ من المطاط ــ ١٤ ٪ من الرصاص ومع ان رقعة العالم الاسلامى اكثرها صالح للزراعة ولم يستصلح منها الا القليل للزراعة فانه ينتج ٩٢ ٪ من البلح ــ ١٥ ٪ من الارز ــ ٤٥ ٪ من الفول السودانى ــ القطن ٢٢ ٪ ــ نخيل الزيت ٥٥ ٪ ــ ١٠ ٪ من القمح ــ ٩ ٪ من قصب السكر ــ ٢٠ ٪ كاكاو ــ ٦١ ٪ من الشعير ــ ١٢ ٪ من الشاى ــ ١٤ ٪ من الاذرة الصفراء ــ ٦ ٪ من البن ، وفق الله امتنا سبل الوحدة والانتصار .

كتب المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

حول الرسالة الخالدة التى يقوم عليها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى مجال النشر للدعوة الاسلامية بالكلمة المكتوبة والمسموعة .

عن طريق اصدار تفسير مبسط مدعم بالآراء العلمية ، وكتب السنة الصحاح ، والاحاديث القدسية مبرأة من كل ما هو دخيل او موضوع بالاضافة الى ما يصدره المجلس من مؤلفات ودراسات وابحاث فى الفقه والتشريع وشتى المعارف والفنون والعلوم الاسلامية بمختلف اللغات الحية واللهجات السائدة فى العالم الاسلامى ، أما الكلمة المسموعة فتتمثل فيما يقوم به المجلس من تسجيل لاسطوانات المصحف المرتل بالقراءات الشهيرة ، والمصحف المعلم واسطوانات الوضوء ، والصلاة فضلا عما ينظمه من مسابقات ، حول هذا العمل التاريخى الماجد يحدثنا الاديب جندى مؤهلات عبد الله عبد العزيز ابراهيم راجيا ان يقوم المجلس باخراج المقالات والابحاث المسلسلة التى تنشرها مجلة منبر الاسلام فى كتب جامعة لها حتى تستكمل الفائدة ، والمجلة يسرها ان تعلن ان المجلس قد قام فعلا باخراج سلسلة الصوفية فى الهامهم فى كتاب بنفس العنوان وانه قد خصص لبيع مطبوعاته بالقاهرة العناوين الاتية : ٣ شارع الامير قدادار خلف عمارة بحرى بميدان التحرير ــ و٧٦ شارع الجمهورية الدور الثالث ، وبالاسكندرية : فرع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول .

مجلة مجمع اللغة العربية

حول رسالة السيد/احمد عبد الرحمن النجار مدرس اللغة العربية بالباجور منوفية ، نفيد بان مجمع اللغة العربية يقوم باصدار مجلة خاصة تحوى كل ما توصل اليه من ابحاث وآراء .

بريد التعارف

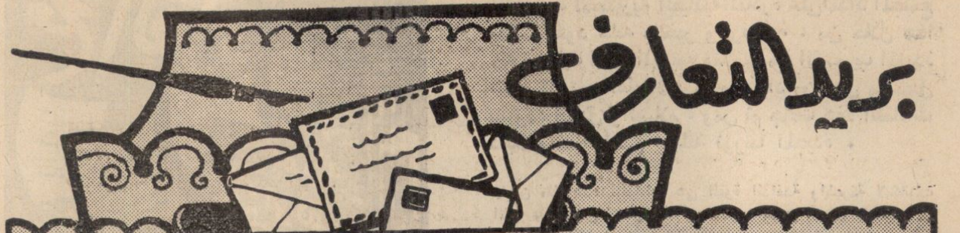

الاسم : بوجمع بن الحسن بن فضيل الركادى

البلد : المغرب الاقصى

السن : ٢٠ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : الاطلاع والمراسلة وجمع الصور

العنوان : دوار لبناور ناحية تيزنيت اقليم اكادير

الاسم : رمضان بوالروائح

البلد : الجمهورية الجزائرية

السن : ١٩ سنة

المهنة : طالب اعدادى

الهواية : المطالعة والمراسلة وتبادل الطوابع والصور

العنوان : ١٤ نهج على ثامقليت الجزائر العاصمة

الاسم : عبدالهادى عبدالله

البلد : الجمهورية العراقية

السن : ٢١ سنة

المهنة : طالب بكلية التربية

الهواية : المراسلة ومطالعة الكتب الدينية

العنوان : بغداد كلية التربية

الاسم : عدنان احمد محمد

البلد : الجمهورية العراقية

السن : ١٥ سنة

المهنة : طالب

الهواية : قراءة القصص الاسلامى

العنوان : الجمهورية العراقية — كركوك متوسطة الحكمة للبنين

الاسم : حمدى محمد الدرينى

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢٢ سنة

المهنة : مدرس بمدرسة حدائق شبرا المشتركة

الهواية : القراءة والشعر

العنوان : ١٣٦ شارع شبرا القاهرة

الاسم : احمد السيد محمد

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢٣ سنة

المهنة : طالب بكلية طب المنصوره

الهواية : تبادل الرسائل والمجلات

العنوان : كلية طب المنصورة

اقرأ فى هذا العدد

			صفحة
	حديث خاص للسيد حسين الشافعى الى منبر الاسلام « القاهرة تلتقى باخوة العقيدة فى غرب افريقية		٤
التشريع – الفقه – الابحاث – الدراسات الصوفية فى الاسلام :	سورة البروج « قتل المؤمنين وتعذيبهم وانتقام الله لهم	الاستاذ احمد حسين	٨
	انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	١٥
	مفتراه هذه التوراة	الدكتور احمد الحوفى	٢٠
	شهيد بلا شهادة	الاستاذ البهى الخولى	٢٢
	من ذكريات جمادى الاولى	فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم ..	٢٥
	الاعجاز التشريعى فى القرآن الكريم	المستشار على على منصور	٢٧
	براعة الاستهلال وروعة الاساليب فى فواتح سور القرآن	فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى ..	٣١
	حقوق الجوار فى الفقه الاسلامى	الدكتور محمد سلطان	٣٤
	من الاشباه والنظائر فى القرآن (منازع الصبر)	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٣٧
	الشريعة الاسلامية والاداب	المستشار محمد خاطر	٤١
	المساواة فى الحقوق والواجبات بين بنى الانسان	فضيلة الشيخ محمد الطاهر زاهر ...	٤٣
	اللغة العربية فى العالم الاسلامى	الدكتور احمد شلبى	٤٥
	من كنوز القرآن « التشريع ومصالح العباد »	فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة	٤٧
	من أخلاق القرآن « الاستقامة »	الدكتور احمد الشرباصى	٥٠
	مع القرآن الكريم	الدكتور عبد الله محمود شحاته	٥٤
	فضائل النبى فى القرآن	فضيلة الشيخ عطية محمد شحات ...	٥٧
	من ادب القرآن الكريم « البر بالوالدين » ..	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ..	٥٩
	من هدى القرآن	الاستاذ الرفاعى الباز	٦١
	الرسول الانسان	الاستاذ عبد المنعم حمادة	٦٢
	الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٦٥
	الاسلام والحضارة العالمية	الاستاذ محمود ابو الفيض المنوفى ..	٦٨
	الاسرة العالمية الكبرى	فضيلة الشيخ حسن صالح	٧٠
	الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام	سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٧٣
	الاجتهاد والراى والقياس والاستحسان فى تعاليم الاسلام	الاستاذ اسماعيل كشميرى	٧٥
	الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة	فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب ...	٧٩
	فضيلة التفكير فى آيات الله	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ...	٨١
	مثل رائعة من بطولات النساء العربيات	الاستاذ عبد المغنى المنشاوى	٨٢
	مؤامرات اليهود ضد الاسلام والمسلمين	الاستاذ احمد وافى	٨٥
	فى رحاب القرآن العظيم	فضيلة الشيخ محمود الحصرى	٨٨
التاريخ الاسلامى :	ماذا تعرف عن العالم الاسلامى	الدكتورة عنايات الطحاوى	٩٢
	قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها	الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ...	٩٧
فكر وفن :	زائر الليل (قصة العدد)	الاستاذ حسين الطوخى	١٠٠
	من التراث الفنى الاسلامى	الدكتور حسن الباشا	١٠٤
	دموع الايمان (قصيدة)	الشاعرة روحية القيلنى	١٠٨
	يارب هذا نشيدى (قصيدة)	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٠٩
	من وحى صمود الشعب (قصيدة)	الشاعر احمد عثمان المراغى	١١٠
	فن المدائح النبوية بين النشأة والتاريخ	الاستاذ محمد دياب	١١١

الموضوع	الكاتب	صفحة
مشكلة التربية والثقافة بين استقرار المبادىء وتطور العلم	الدكتور محمد غلاب	١١٤
رسائل لا تنسى	الاستاذ عبد الحكيم النجار	١١٨
القاهرة فى عيدها الالفى	الدكتور على حسنى الخربوطلى	١٢١
اعرف عـدوك	الاستاذ اسماعيل السوسى	١٢٤
دين ودنيا	الاستاذ محمد المتولى النظامى	١٢٨
بعد عامين من المعركة	الاستاذ ابراهيم مصباح	١٣١
رجال صنعوا التاريخ	الاستاذ محمود الهجرسى	١٣٣
عبد الناصر صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١٣٥
الجهاد من اجل الحق والخير	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز	١٣٧
مسئولية الشباب	الاستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ..	١٣٩
الامة الاسلامية ورسالتها الحضارية	الاستاذ محيى الدين الالوائى	١٤١
المسيرة الخالدة	الاستاذ صلاح عزام	١٤٣
طلائع المؤمنين ومواكب التحرير	فضيلة الشيخ محمد وهيب	١٤٥

باب العلم :

الموضوع	الكاتب	صفحة
الجلد آية من آيات الله	الدكتور عبد الحليم كامل	٨
اللحم الحرام	الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد	
دلائل الحق فى عظمة الوجود	الدكتور عزت خيرى	

أعلام الاسلام :

الموضوع	الكاتب	صفحة
على بن أبى طالب القاضى والمفتى	المستشار عبد الستار آدم	١٦٠
مارية القطبطية وموطنها فى مصر	الاستاذ ابراهيم الفحام	١٦٢
ريحانة الرسول (الحسين بن على) رضى الله عنه	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	١٦٤
أسامة بن زيد بن حارثة	الاستاذ محمد فاوى عسر	١٦٦
ذات النطاقين .. أسماء بنت أبى بكر	الاستاذ حسن فتح الباب	١٦٨
صور من البطولة	الاستاذ فتحى احمد مصطفى	١٧٠
الامام الجنيد	الاستاذ جودة محمد أبو يزيد	١٧
الثائر جمال الدين الافغانى	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	
المصلح الدينى والثائر الاجتماعى	الاستاذ حسن الشيخة	
مع سلطان الاولياء	الاستاذ عبد العليم المهدى	
السيد رشيد رضا	الاستاذ عبد السميع البطل	

المكتبة الاسلامية :

الموضوع	الكاتب	صفحة
المغنى لابن قدامة المقدسى	الاستاذ على الجمبلاطى	٠
مع الله فى السـماء	عرض وتقديم الاستاذ رجائى عطية ..	٧
من ذخائر السيد عبد الرحيم القنائى	الاستاذ عبدالسلام الشاذلى القوصى ..	١٩٢

الفتاوى ــ المرأة المسلمة الرياضة ــ مع القراء :

الموضوع	الكاتب	صفحة
انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون	١٩٦
مسابقة جمال الدين الافغانى التى ينظمها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ...		٢٠٠
الزموا اولادكم واحسنوا أدبهم	اعداد نجاة الزنيرى	٢٠١
زيادة وزن الجسم خطر يهدد حياة الانسان ..	الاستاذ ناصف سليم	٢٠٣
مع القـراء	اعداد الاستاذ فؤاد هيبة	٢٠٥

بريد التعارف :

الموضوع	الكاتب	صفحة
بريد التعـارف	....	٢٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

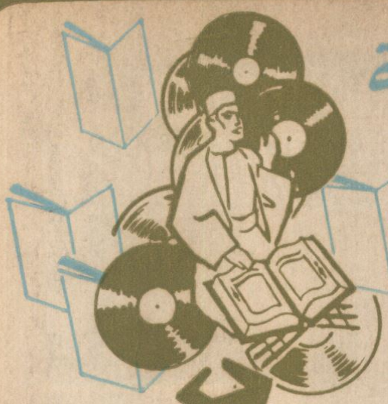

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الاسلامية فى قارتى إفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع:

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن :	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى : شاملة الأذان
الاسطوانة الثانية : تشمل كيفية الوضوء
والخمس اسطوانات الأخرى :
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وامام كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

العنوان
القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ ش الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

مواعيد البيع : من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن الساعة ٥ - ٩ مساء ماعدا ايام الجمع والعطلات الرسمية

كما يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يعلن عن بيع

مطبوعاته باللغة العربية واللغات الأجنبية

١ مطبوعات لجنة القرآن والسنة
٢ مطبوعات لجنة موسوعة الفقه الاسلامى
٣ مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامى
٤ مطبوعات لجنة إحياء أمهات كتب السنة
٥ مطبوعات لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة : ٣ شارع الأمير قدادار : خلف عمارة مجرى بميدان التحرير
مواعيد العمل : من ٩ صباحا الى ٢ ظهرا ومن ٦ مساء الى ٨ مساء

مطابع الاهرام التجارية